الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة







مناسبة وكلمة

أ. د. صالح بلعيد

الجزء الأوّل

منشورات المجلس 2018

الجمهورية الجزائريَّة الدَيمقراطيَّة الشَّعبيَّة







رئاسة الجمهوريّة

مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء الأوّل

منشورات المجلس 2018

- **كتاب**: مناسبة وكلمة (الجزء الأوّل)
- **إعـداد**: المجلس الأعلى للغة العربيّة
- **قياس الصفحة**: 16/ 24
- **عدد الصفحات**: 408

منشورات المجلس

ردمك: 978-9931-681-37-3

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2018

المجلس الأعلى للّغة العربيّة

العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.

الهاتف: +213 21 23 07 16/17

التاسوخ: +213 21 23 07 07

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz




تمّ إخـــراَج وطبـــع بـ:

دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة-الجزائر

الهواتف: 05.42.72.40.22-021.68.86.48-021.68.86.49

البريد الإلكتروني: khaldou99_ed@yahoo.fr

الفـــهرس

تقديم

للمفكّر محمّد العربيّ ولد خليفة

يجد القارئ باقة من المحاضرات والدّراسات والمداخلات للأكاديمي أ. د. صالح بلعيد رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة، يخوض فيها العديد من القضايا المعرفيّة والاجتماعيّة والكثير ممّا يشغل الرأي العامّ الثقافي في الجزائر وفي المنطقة العربيّة والإسلاميّة.

وللمؤلف اهتمام علمي متواصل بمسائل اللّغة واللّسان ومباحث مرجعيّة منشورة تعدّ بالعشرات تنوء بحملها مكتبة منزله، فقد جمع بين الدراسة والتّدريس في الجامعة والمشاركة الفعليّة بمقاربات علميّة في النشاطات العلميّة، وخاصّة المتعلقة بعلوم اللّغة واللّسان داخل الوطن وخارجه.

خلال مسيرته العلميّة بين البحث والتّدريس والتّأليف أصبح للأستاذ الدكتور صالح بلعيد العديد من الطلاب – الزملاء وبعضهم من المريدين الّذين استفادوا من مقارباته المنهجيّة البعيدة عن التعصب والمجادلات الانفعاليّة الّتي تنقصها الحجّة والقابليّة للحوار.

يترأس المؤلّف المجلس الأعلى للّغة العربيّة منذ بداية السنة الماضيّة وهو هيئة منصوص عليها في التّعديل الدّستوري للسنة الماضية 2016، وحدّد مهامها بوضوح. كما تحددت معالم اللغتين الرسميتين ولا تقصى إحداهما الأخرى، فهما مع الاسلام من الأركان الثّابتة للهويّة الوطنيّة، وكلّ مزايدة على أيّ من الدعائم الثلاثة، يؤدّي إلى صراعات لا جدوى منها، ويجعل من جوامع الأمّة قنابل موقوتة أو هويات قاتلة في تعبير أمين معلوف.

في اللقاءات الكثيرة الّتي جمعتنا بشرائح من الجامعيين والمهتمين بالقضيّة اللّغويّة بعد أن تفضل السيّد رئيس الجمهوريّة بتعييني على رأس المجلس الأعلى للّغة العربيّة في بداية العشرية الماضيّة، كنت ولا زلتُ على اقتناع بأنّ اللّغة، أيّة لغة، ترتبط مكانتها وإشعاعها بمنتوجها المعرفي، ومدى حقوق الناطقين بها ومستعمليها في مجالات الإبداع في العلوم والفنون والآداب وكيف وكمّ التراكم الّذي حققته في مسارها التّاريخي.

إنّ للّغة قاموسًا وتراثا أشبه بالعملة تقدر قيمتها في السوق بما أنتجه أهلها من الثّروات الماديّة لتصبح قادرة على الدفاع عن نفسها بنفسها في عالم تسوده منافسة لا ترحم، تقوده اليوم التكنولوجيّات المعاصرة وحواسيبها العملاقة الّتي مكّنت عددا قليلا من بلدان المقدّمة من سبر أغوار الفضاء الخارجي وأعماق البحار والمحيطات واكتشاف أسرار جسم الإنسان، ولا شكّ أنّ ازدهار اللّغة وثرواتها الإبداعيّة تدخل كلّها ضمن منظومة كلّية تتبادل التأثّر والتّأثير كما حدث خلال النهضة الأوربية قبل حوالي ثلاثة قرون، وما عرفته المنطقة العربيّة والإسلامية بعد إرهاصات ما يسمى النّهضة العربيّة منذ انطلاق حركة التحرر الوطني من كابوس الكولونيالية الاستيطانيّة أو في صورة الحماية.

يمكن القول بأنّه ليست هناك لغة ضعيفة أو متخلّفة في حدّ ذاتها وأخرى متطوّرة وقويّة منذ نشأتها وتداولها، بغضّ النظر عن التطوّرات الداخليّة ومراحل الصعود والنزول الّتي عرفتها والتحوّلات التّي حدثت في محيطها القريب والبعيد، وإنّ الصعود والنزول والتوصيفات المتداولة عند المقارنة بين العربيّة واللّغات المهيمنة منذ أمدّ بعيد تنطبق على الناطقين بها وتوضع في السياق التاريخي الذي عرفته شعوبها.

هذه بعض العوامل الّتي من المفيد استحضارها لتقدير ما قطعته اللّغة العربيّة من أشواط لاستعادة مكانتها، ومدى حضورها في مؤسّسات الدّولة وفي الوسط الاجتماعي بوجه عامّ بعد ما يزيد قليلا على نصف قرن بعد انتصار ثورة التحرير الكبرى سنة 1962، فقد أصبحت منذ ذلك التّاريخ اللّغة الوطنيّة والرسميّة، ومن المعالم الأساسيّة

للجمهوريّة الجزائريّة الوليدة بعد حرب ضروس وتجهيل وتهميش وتحقير للّغة والثقافة الوطنيّة وهو ما حققته اللّغة الأمازيغيّة في التعديل الدّستوري الأخير.

وبعد المصادقة عليه في فبراير 2016، فهي مع اللّغة العربيّة لغة وطنية ورسمية هو في رأينا مبادرة حكيمة للسيّد رئيس الجمهورية تشجّع كلّ الجزائريين الوطنيين على ترسيخ أوامر الوحدة بين الجزائريين الّذين يجمعهم جذع مشترك وتجربة تاريخيّة تعود إلى آلاف السنين بما فيها من سرّاء وضرّاء.

إنّ تحدّيات الحاضر والمستقبل تتطلب من كلّ الجزائريين، مهما كانت خصوصيّاتهم اللّسانيّة وتقاليدهم المحليّة الّتي هي في الحقيقة ثروة وطنية، اعتبرها المؤرّخ وعالم الاجتماع الفرنسي جاك بيرك (J.Berque) وهو من العلماء القلائل الّذين يتقنون العربيّة والأمازيغيّة في محاضرة ألقاها في معهد العلوم الاجتماعيّة سنة 1976 بدعوة منا، بأنّها أشبه بزربيّة تمتدّ في كلّ أنحاء الجزائر فيها الكثير من الألوان والأشكال لا يكتسب أحدها جماليته بمعزل عن الآخر، وهذا التوصيف صحيح بالأمس واليوم بعد تزايد ظواهر العولمة والشمولية والقولبة (Modling) والاحتواء عن طريق التفكيك وتفعيل بذور الصراع والفتن الّتي غرستها من قبل الكولونيالية لكي تحقق اللّغتان العربيّة والأمازيغية التقدّم والحضور الفعلي في المؤسّسات وفي الحياة اليوميّة، من المفيد جدا أن تتعاون المؤسّسات المعنية وفي مقدّمتها المجلس الأعلى للّغة العربيّة والمحافظة الساميّة للأمازيغيّة والمجمع والأكاديمية المنتظرة بالنسبة للأمازيغية في جهد مشترك بعيدا عن الجدليّات الثانويّة والتقوقع السياسي والايديولوجي، وقد قمنا بخطوة متواضعة في هذا المجال بتقديم كلمات الافتتاح والاختتام في المجلس الشعبي الوطني باللّغتين العربيّة والأمازيغيّة لأول مرّة والتعاون في هذا الإطار مع المحافظة الساميّة للأمازيغية ومسؤولها سي الهاشمي عصّاد وهو ما لقي القبول والتشجيع.

تحمل مقاربات مؤلف هذا الكتاب تاريخ ومكان التقائها وموضوعها، وتدلّ على أنّها ليست ارتجالية أو تشريفية (بروتوكولية) وأنّ له حضوراً فاعلاً ونشاطاً على

الساحات الثقافيّة في كثير من ولايات الوطن شمالاً جنوباً وشرقا وغرباً، وخاصّة عندما يتعلّق الأمر بمجالات اللّغة واللّسانيات الّتي تعجّ بالاجتهادات والخطابات بمختلف مستوياتها الفكرية فقد اكتسب الكثير من الاطلاع والتجربة الميدانية منذ أن أشرف على مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر بجامعة مولود معمري بتيزي–وزّو والذي مكّنه من الاطلاع والبحث في الاشكاليّات اللغوية الحقيقيّة والعلاقات الجدليّة بين العربيّة والأمازيغيّة وتراثهما العريق فهو الابن البار لكليهما.

ويحرص الدكتور صالح بلعيد على المشاركة في الفعاليات المتعلّقة بمسائل اللّغة واللّسانيات في كثير من المؤسّسات المختصّة والمجامع والجامعات في المنطقة العربيّة مشرقاً ومغرباً فواقع اللّغة العربيّة ومستقبلها اهتمام مشترك لكلّ البلدان العربيّة، ولا يقلّل من الاهتمام باللّغات الأخرى، فاللّغة في رأي عالم اللّسانيات الأمريكي تشومسكي هي في الأساس فكر، وفي الفكر نواة جوهريّة تجمع بين كلّ البشر، وتبقى مع ذلك من أساسيّات الهويّة والخصوصيّة.

نهنئ الأستاذ الدكتور صالح بلعيد رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة على هذا الوليد الجديد وهذه الحديقة الغناء بقطوفها الدانية المفيدة للمتخصّص أو المطالع المهتمّ بالمسائل اللّغوية واللّسانيّة بأسلوب المؤلف الذي يمكن وصفه بالسهل الممتنع.

د. محمد العربي ولد خليفة. في: 1 أكتوبر 2017.

مقدّمة عامّة

يسعدني أن أجمع هذه المدوّنة التي عملت على إلقائها عبر مختلف المناسبات ووسمتها **(مناسبة وكلمة)** وهي مدوّنة من الكلمات والخُطب والمقالات، بدأتُ كتابتها بعدما أسندَ إليَ **فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة** مهام تسيير المجلس الأعلى للغة العربية بتاريخ 1 سبتمبر 2016. ومن خلال هذا الموقع، كنت حاضراً في كثير من المناسبات، وكلّ مناسبة تستدعي منّي كلمة/ خطاباً والكلمة/ الخطاب يجب أن توضع للمناسبة ولكلّ مناسبة كلمات ذات العلاقة بها، وكلّ كلمة كان يجب أن تكون متوافقةً مع المناسبة والحدث، فلكلّ مقام كلمات/ خطاب خاصّ. وبذات الطريقة عملت جاهداً أن ألبي المطلوب؛ بحيث لا تكون الكلمات نمطية، يتغيّر فيها فقط بعض الاستهلالات، بل كنت أولي المناسبة ما تستحقّ من لغة ومسكوكات خاصّة بما لها من أهميّة، وما يجب أن يقال فيها وأرجو من الله أن أكون في مستوى هذه الثقة التي أولانيها **فخامة رئيس الجمهورية** لإعلاء صرح العربية والعمل على ازدهارها، وتعميم استعمالها والترجمة منها وإليها.

وخلال سنة واحدة وما يزيد إلاّ القليل، مرّت مناسبات وطنية، وأحداث قارّة وكنتُ أُدْعى للحضور بل هناك مناسبات كان على المجلس الأعلى أن يكون المُبادر للاحتفاء بل ليظهر على مستوى الحدث وبخاصّة لمّا تُطلب منه الاستشارة، وتكون له الكلمة في المقام. وأمام ذلك الوضع لم أقف مكتوف الأيدي بل لم تغب عليَ مناسبة وطنية أو دولية ذات العلاقة باختصاص المجلس الأعلى للغة العربية؛ إلاّ والمجلس له الحضور والريادة، كما لم أقف عاجزاً أمام تلبية مطلب استشاري من قبل وزارة من الوزارات أو مؤسّسة وطنية، أو أغمط استعمال الاتّفاقيات المبرمة مع الهيآت الوطنية بل للمجلس دائماً صورة المبادرة والظهور بما كان يقدّمه خبراء المجلس في كلّ اتّفاقية. وأقول: حاولتُ أن أكون حاضراً في كلّ المناسبات؛ بتحضير كلمة رائقة تليق بكلّ مناسبة محاولاً عدم الركون إلى الشفاهية، وإلى الكلمات النمطية.

ولهذا عملت على أن تكون كلّ كلمة تحمل الجديد في مضمونها وفي لغتها وفي أسلوبها، حيث لا يفوتني القول بأنّي أحضّر الكلمة تحضيراً يليق بالمقام، وأجتهد في كلّ مرّة على أن آتي بالجديد، خوف الوقوع في القول المكرور وتحرّزاً وتحرّجاً من مقام المجلس الأعلى للغة العربية، وهو هيأة تابعة لأعلى مقام في الدولة الجزائرية. والعربية أحقّ أن تمجّد بأعلى كلمة أو خطاب يليق بمقامها كلغة الدولة، ولغة مجّدها الله بما أولاها من إنزال قوله تعالى بها.

منهجية بناء هذه الكلمات: لقد بنيتها على ما يلي:

1ــ اعتماد المرجعية الدستورية لعمل المجلس الأعلى للغة العربية وهي:

1/1ــ العمل على ازدهار اللغة العربية.

2/1ــ العمل على تعميم استعمال اللغة العربية في العلوم وفي التكنولوجية.

3/1ــ العمل على الترجمة من اللغات إلى العربية.

2ــ جمع المدوّنة زمانياً (دياكرونياً).

3ــ المحافظة على ذات الكلمات كما أُلقيت أوّل مرّة، دون تعديل.

4ــ التقليل من استعمال المظان والأسانيد تسهيلاً للأمور.

5ــ اعتماد منهجية تقميش المادة بوضعها بين شولتين، وأحياناً لا يُشار إلى ذلك ومنهجيتي في هذا أنّ كثرة الاستعمال لمسكوك ما يفقد حقّ الملكية الفكرية ويبقى للمستعمل الحقّ في الاقتباس دون تصرّف أو بتصرّف يراه.

6ــ وجود بعض التكرار؛ حيث المناسبات تقترب في بعض أبعادها من حيث الحدَث والقصْد؛ وأحياناً يتطلّب المقام التكرار، بغرض التأكيد، أو يكون ممّا استدعاه المقام.

وهكذا، فمنذ استلامي مهام تسيير المجلس الأعلى للغة العربية، سطّرت خريطة طريق واضحة مبنية على **الاستمرارية المتجدّدة**، بتجنيد اللجنة التقنية والإدارية بمعية فِرَق مُتطوّعة، ومُحفّزهم خدمة اللغة العربية بصورة جماعية؛ لأنّ النجاح صناعةٌ جماعيةٌ، وهذا بغية خدمة العربية في أرقى تجلّياتها، وسعياً إلى ازدهارها

في مختلف المجالات. فالكلّ مُستنفِر للعمل، بجنود مُسخرّة من أجل الرقي بالعربية. وكانت هذه الفرَق تعمل بتؤدّة أزعم أنّها مَضمونة؛ حيث لم ينكسروا يوماً؛ بل كلّما يَسخر ساخر إلاّ ويزدادون عملاً، وكلّما يُنتقدون نقداً مبنياً على الصواب يعملــون على التهذيب وحسن التسيير. وأشهد بأنّه قدّمت لنا الكثير مــن المطالــب اللغويــة والعلمية والاستفسارات والاستشارات فقُضيت قضاءً علمياً.

مرّة أخرى هذا الكتاب مدوّنة من الكلمات/ الخُطَــب التــي ألقيتهــا فــي مختلــف المناسبات الوطنية، مع مجموعة من المقالات التي كتبتها في نفس الفترة، وذات العلاقة باللغة العربية، فقد دافعتُ من خلالها عن اللغة العربية دفاع المُحاجج؛ بأنّ اللغة العربية لغة علمية حيّة لها من الخصائص ما للغات الأُخَر بل لها ما ليس في اللغات الأخرى؛ بدليل دنصرتها، فهي لغة لم تنقرض ولا تنقرض، وهي متواصلة عبر الزمــان؛ يُفهــم ماضيها بحاضرها دون معجم ولا قاموس، وكان القرآن هو الذي أســبغ عليهــا هــذه الدنصرة، كما يحفظها من الضياع أو الاندثار بفعل الزمان وتغيّر الأحوال.

هي كلمات وخطب ومقالات أظهرتُ فيها قيمة العربية العلمية والحضارية والتاريخية وكيف تتعايش مع التعدّد اللغوي؛ باعتبارها تحظى بالمرتبة العليا تأخذ وتعطي، بل هــي اليد العليا التي تُعطي وتُعطي ودائماً تعطي، وأحياناً تُجحد من بعــض الجاحــدين. كمــا أظهرت أثرها العلمي في اللغات الأوربية: الإسبانية والمالطية والفرنســية، وحتــى فــي الكثير من اللغات الآسيوية، ويكفي أنّ حروفها الآن تستعمل من 38 لغة عالمية، وكانــت قبلها تستعمل من 238 لغة. وكنّا نقول في كلّ مرّة: **العربية بخير.**

العربية بخير، ولكنّها تحتاج إلى من يخــدمها بعلميــة، وبخاصّــة وأنّ الإرادة السياسية في وطننا، وفي البلاد العربية موجودة وقائمة، والنيّات حسنة فــي إيــلاء العربية مكانتها فهل يهُبّ أصحابُها لتقديم تهيئة علمية في مجال العلــوم والتقانــة؟ وهل يتحرّك أصحابُها لمدّها بأسباب النهوض؟ وهل يعمل مُريدوها على أن تنــالَ الصدارة بين اللغات الحيّة؟ أما كفانا نقداً وتجريحاً في ذات اللغة العربية؛ فالعيــب فينا، ونحن نفتقر إلى منهجيات التطوير اللغوي، نفتقر إلى طرائــق البحــث فــي

تراثنا، نفتقر إلى آليات حداثية لاستيعاب العلوم، والعهدة في كلّ هذه الهنـــات تقـــع على أصحاب العربية، وعلى العرب، وعلى المستعملين لها لخدمتها خدمة وافيـــة مُراعية للخصوصيات اللغوية في النمو اللغوي.

إنّ العربية بخير، ولكنّها تحتاج إلى تحريك آلياتها الداخلية والخارجيـــة، فهـــي دائماً في تألّق، وتبقى العربية **بخير** ما دامت النوايا السياســـية والإرادة ومتطلّبـــات التحسين قائمة والمؤسّسات العلمية واللغوية عاملة، والإقبال عليها فائقة، ولا شـــكّ أنّ الوصول إلى النتائج الباهرة ستكون ظاهرة، ونشهد لها أنّهـــا تنـــال الخطـــوات الجبّارة بين اللغات فأنْعِمْ بها من لغة!

وأخيراً أرجو أن يكون هذا الكتاب نافعاً في مضمونه، فاتحاً للخير في الرجوع إليه؛ على أنّه يؤرّخ لمسار سنة وما يزيد، كما أرجو أن تكون حوصلة هذه الســـنة إيجابية بما لها من فتوحات علمية، بلْهَ الحديثَ عن الحوصلة الإداريـــة التـــي لهـــا الكثير من التحسينات. وعلى العموم، فإنّ تجليات هذه السنة تُعرف مـــن الخـــارج ومن الطلبة والباحثين والمؤسّسات والوزارات التي تعاملْنا معهم، فكيف يقولون؟

تلكم تجلّيات ومفاتيح غير مُقفلة للنقد من أجل التحسين، ويسَرّنا أن نكـــون مـــن الناجحين، ونطمح أن ننال أجر المُجتهد المُصيب. وإنّه كثير ما تنزل دموع الفـــرح لما حقّقناه من نتائج، ولتلك التهاني والتحايا التي تُشجّعنا على حسن خدمة العربيـــة ومواصلة ذات المسيرة، ونرى دموعنا تباريح النجاح، فيا لها من تباريح. والمهـــمّ يكفي أنّنا قدّمنا جهدا يمكن أن يصنّف في السنة التجريبية، وفي الحقيقة هـــي ســـنة عمل لم نركن فيها إلى التجارب، بل إلى الممارسة الفعلية الناجحة.

الله نسأل أن يمدّنا بالعون، ونأمل ممّن يهمّهم الأمر أن يعْضُدوا المجلسَ ليزداد وجودا وإنتاجا وتألقا، بارك الله في كلّ من خدم ويخدم العربية من خلال المجلـــس وفي أولئك الجنود المتطوّعين الذين قدّموا ويقدّمون الكثير من الأفكار وفي كلّ من رافقنا خلال هذه السنة من المسؤولين والإداريين والبحثة والطـــلاب والصـــحافيين ونأمـــــــــــل المزيـــــــــــد مـــــــــــن التطـــــــــــوّع.

كلمة أُلْقِيَتْ بمناسبة النّدوة المشتركة ♥
التمزيغت والعربيّة تكامل لا تنافر

ـ المقدّمة: يأتي هذا العمل استجابة لمعالي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي رأى ضرورة تلاقي هيآت تابعة لرئاسة الجمهورية وهي: المجلس الإسلامي الأعلى+ المجلس الأعلى للغة العربية + المحافظة السامية للأمازيغية لتبادل وجهات النظر حول **المواطنة اللّغوية** في بُعدها التثاقفي والتكاملي بعدما أصبحت المازيغية لغة رسمية حسب دستور 2016. وإنّه من الضروري التفكير في مناقشة هذا الموضوع وإخراجه من ملفّ المساومات والتركيع والتهييج، ولا شكّ أنّه سوف تحصل بعض التجاذبات الطبيعية، ولكن عندما تنزل أمثال هذه المواضيع إلى المختصّين النزيهين تُحلّ الكثير من عقده، وبخاصّة إذا تبنّتها مؤسّسات الدولة وناقشها بصورة ديمقراطية واعية ومسؤولة، فمآلها زوال التشنّجات، ووراءها النتائج المشجّعات، وخاتمتها إزالة التوهّمات.

ومن خلال هذا الفعل نسعى إلى تأكيد ذلك التمتين والتفاعل الحاصل بين العربية والتمزيغت عبر التاريخ؛ لأنّ ثقافتنا –نحن المغاربة– مشتركة، وقد انبنتْ في الأصل على الثقافة المازيغية المُركّبة من اللّغة المازيغية ومن اللّغة العربية ومن ثقافة الإسلام وهذه الروابط كثيرة، وروابطها مَتين ومُتعدّد، ولها وشائج تاريخية كبيرة. ولهذا يبدو لي أن تكون البداية من اللّغة؛ فاللّغة لها بُعد تاريخي وثقافي وما تحمله من قيَم وحضارة.

♥– ألقيت الكلمة بمناسبة الندوة المشتركة بين المجلس الإسلامي الأعلى+ المجلس الأعلى للغة العربية+المحافظة السامية للأمازيغية. الجزائر: 7 نوفمبر 2016 بمقرّ المجلس الإسلامي الأعلى.

وأمّا مفهوم التثاقف Acculturation والتي تعني الاقتبـــاس لـــبعض الســـمات اللّغوية أو الثقافية أو العادات والتقاليد أخذًا وعطاءً، ففي ثقافاتنا تجاوزت صـــورة الأخذ، لدرجة المزج والتصاهر والتبادل، وهذا ما حصل لـــدى الفـــاتحين العـــرب وساكنة شمال أفريقيا والذي تحوّل بعد هذا الزمان إلى المزج الكلّي الذي لا يمكـــن التفريق بين الساكنة. وهذا ما سوف تُظهره البنيات القاعدية اللّغويـــة أو العلاقـــات البينية من حيث التفاعل الإيجابي في كلّ القضايا التي توضع محـــلّ البحـــث عـــن الفوارق، فتنعدم الفروق في كثير من المقامات. وفي هذا الموضوع سوف أتعرّض لبعض الأمور ذات العلاقة باللّغة فقط.

وإنّه لا يخفى على أحد موقع اللّغة الأمّ/ الوطنية/ القومية لدى كلّ أمّـــة؛ فهـــي فخرها وعزّتها وماضيها ومستقبلها وجغرافيتها، ولهذا تُوليها كلّ الأمم من الأهميّة القصوى من حيث ترقيتُها وتطويرها، وإنزالها منزلة الغَلَبَة. ولكن يحدث أحياناً أن يكون في البلد أكثر من لغة (تعدّد لغوي)، ومن هناك تحدث تجاذبات وصـــراعات تؤدّي أحياناً إلى خلخلة المجتمع، وتبعث القلاقل الوطنية، وهذا ما يحدث في حالـــة عدم الوعي بالتعدّد اللغوي الإيجابي، فتصبح التعدّديـــة اللّغويـــة ثنائيـــةً قاتلـــةً أو متطرّفةً، ونتيجتها التهلكة والتفرقة.

إخواني في هذا المقام، هناك نقطة هامّة يجب أن يحصل الانطلاق منها لمعرفة البدايات الأولى للمسألة اللّغوية في الجزائر؛ والتي لم تكن قضية في أصـــلها، ولا كانت من الخلافات؛ حيث إنّ البربر هم الذين تبنوْا العربية عن قناعة، رغم تلـــك الأهوال والحروب التي شهدها الفتح الإسلامي، فَبَرْبَر كُثّر تعرّبوا، بينمـــا الـــذين تلتّنوا هم من القلّة، بل ليس لهم عدد يُذكر. ومن هنا يمكن أن نعالج المسألة اللّغوية إذا لم يقع التهويل والتهييج، وننزل أنفسنا منزلة الاحتكـــام إلـــى المنطـــق وإلـــى المعاصرة التي تتطلّب منّا اللّحاق العلمي، بدل أن نراجع أنفسنا في كلّ مرّة وكأنّنا على خطأ، أو أنّ أجدادنا كانوا على غير صواب؛ ونبدأ في كلّ مرّة مـــن المربّـــع الأوّل، ثمّ يجب أن لا يقع التخندق

ولا أن ندخل في قضايا التعطيل، فهي ليست لصالحنا، فنحن نعيش التخلّف وهل نبقى دائماً في نفس الخندق، فما أحرانا العمل وفق الأبعاد العلمية والمرجعيات الوطنية والحضارية والتاريخية، وفكّ كلّ المشتبهات بقاعدة الاستماع لبعضنا البعض، وحان الوقتُ أن يحصل الوئام اللّغوي؛ والثقافي تحقيقاً للتنمية الوطنية، وإضفاءً للأمن في مفهومه العامّ.

ومع كلّ هذا، فيجب عدم تجاهل الخصوصيات اللّغوية من حيث الاستعمالُ اللّغوي في الأطالس الجغرافية الوطنية الجزائرية، وفي سجلاّت الاستعمال اللّغوي لمختلف مناطق الوطن، وهذا ما تفرضه أدبيات الاستعمال وموطن السكن، ونسيان لغات الأمّ بفعل الاختلاط، وما يلحق ذلك من جاذبية اللّغة الثانية، فهذه من المسائل الطبيعية؛ وهو أن يحتكم الإنسان إلى أكثر من لغة، وهي لا تدخل إلاّ في باب الإضافات. وكذلك من الضروري تفريغ المسألة اللّغوية من الأيديولوجيات؛ وصولاً إلى عدم إشعال فتيل الاختلاف المؤدّي إلى توسيع الهوّة بين أبناء الوطن الواحد، فيكون التعدّد ثراءً نرومه دعماً لعناصر الوحدة الوطنية، فهي متكاملة غير متنافرة.

ـ محدّدات الموضوع:

1ـ **الإقرار بالتعدّد اللّغوي القديم:** إنّ شمال أفريقيا ومنذ الممالك البربرية كانت مزدوجة اللّغات، وقد كان الازدواج اللّغوي نعمة كبيرة؛ لأنّه سمح بالتواصل البيني أو الأجنبي دون عوائق، وهذه خاصية جيّدة حيث أحسن التخطيط لها في ما مضى من الزمان، وكان سلاح ذلك العصر، وتواصلَ الفعلُ اللّساني إلى غاية ظهور الدول الوطنية. جميل جداً أن يحصل الازدواج المُستجلب للمنافع، ولا يصنع المآسي، ولا تحصل من ورائه نبز الألقاب، والأجمل في كلّ ذلك أن نحتكم إلى ضوابط تحدّ من الاختلاف، ولا تؤدّي إلى الصراع، فنريد تنمية هذه الازدواجية في إطار استراتيجية تعايش وتكامل لا تصارع وتنافر.

2 ـ **الصراع المفتعل:** إنّ ما يسمّى بالصراع اللّغوي كان مفتعلاً من خلال جماعات الضغط حول أطروحات إصلاح المنظومة التربوية، فنتجت عنها خطابات

إيديولوجية خرجت من المطالبة بالهُوية الوطنية، وكان من نتائج ذلك "... إضعاف القدرة التكوينية والتربوية والمعرفية للمدرسة الجزائرية؛ بحيث لم تعد قادرة على خلق الامتياز لدى المنتسبين إليها، امتياز يمكنه أن يؤدّي إلى تمييز المجتمع ككلّ[1]". وكان كلّ ذلك إيذاناً بفشل تدبير ملّف المواطنة اللّغوية في بعض أبعاده وغايته التجاذب الذي لا يزال قائماً إلى الآن.

3 ـ **عدم الوعي بالتكامل اللّغوي الطبيعي:** وهو كائن في قضايا اللّغتين من حيث المُكوّنات: النحوية والصرفية والدلالية والمعجمية، هذا ما تظهره طبيعة اللّغتين: العربية والتمزيغت/ المازيغية من حيث الأرومة والتكامل في كثير من القضايا، ومن حيث النشأة والتبادل اللّساني؛ لأنّ المنطلق واحد، والتكامل كان موجوداً في أصل وضع اللّغتين. ومن هنا يجب الوعي المصاحب بالحديث النوعي الصحيح بأنّ المسألة اللّغوية لم تكن محلّ صراع بتاتاً؛ فقد حدثت وضعيات تعايش تامّة شعارها: **المازيغية إرثنا والعربية غراء اجتماعي توحيدي، فبالمازيغية كنّا وبالعربية نبقى.** وهذا الوعي التامّ يجب أن يصحبه الرأي الصواب القائل بأنّ حضارتنا حضارة مشرقية لا غربية، كما أنّ أيام الشدّة حدثت هجرات إلى المشرق لا إلى الغرب، وهو شعور العودة إلى الأصل. كما أنّ هناك مباعث الاعتزاز الكثيرة التي يجب الافتخار بها على غرار كتاب (مفاخر البربر) فكيف كان أباؤنا أسوداً في الحروب، وكيف عملوا على حبّ العربية، والاعتزاز بالمازيغية، وكيف عمل ملوك البربر –وعددهم ثلاثة عشر (13) ملكاً بربرياً– على إنزال العربية المقام العالي، وعملوا بها في دولهم ولم ينسَوْا التمزيغت/ المازيغية؛ فكانت لغتهم الوظيفية التي يستعملونها في مناسبات تليق بها، وهذا مبعث الاعتزاز الذي كان عند السلف، فكيف لا يتكامل أو يتعزّز أكثر عند الخلَف، فلمَ لا يكون للسابق فضل التأسيس، وللاحق فضل التطوير؟.

---

[1]ـ طيبي غماري، اللّغة، المدرسة والهُوية الوطنية الجزائرية. الجزائر: 2016ـ دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، ص:8.

4 ـ **الوعي بالمطلب الهُوياتي الوطني الإيجابي:** يجب أن لا نفهم بأنّ المطلب الهُوياتي المعاصر هو نوع من التجاذب أو الاختلاف أو الخلاف أو الانعزال أو التفريق بين الساكنة، بل إنّه إقرار بالمواطنة اللّغوية الإيجابية ليس إلاّ، أو هو إجراء كان يجب أن يحصل، ولكن لم يَحِنِ الأوانُ. وكانت جرأة **فخامة رئيس الجمهورية السيد (عبد العزيز بوتفليقة)** كبيرة، فأَنْعِمْ به من رئيس جريء! فلأول مرّة في تاريخنا القديم والمعاصر، ومنذ المملكة المازيغية الأولى يحصل للمازيغية أن تكون لغة رسمية، وهذا من خلال دستور 2016. لقد وقع الإقرار بها؛ وهي تُمارَس وتُدرّس ويقع البحث فيها وبها، وهذا شرف عظيم أن نحتكم إلى المنطق الجامع، لا إلى الإلغاء الذي لا يولّد إلاّ الفُرقة والضغينة. وبذلك نقول: **إنّ المازيغية والعربية لغاتُنا، والإسلامَ ثقافتُنا، وبالعربية نمارس وجودنا العلمي والفكري، وبلغاتنا الوطنية الرسمية نمارس وجودنا الثقافي والفنّي**. وهذا الوعي يستلزم الدعوة إلى ضرورة التكامل، والعمل على مزيد من التأدية الجماعية ويعني هذا تعميق المفهوم الوطني للبربرية/ المازيغية، وتصحيح الوضع اللّغوي الإلغائي، ولا ندين أيّ أحد بذلك الوضع الذي مرّ؛ لأنّ لكلّ زمان معطياته؛ يعني يجب أن لا تبقى المسألة اللّغوية في يد الأجانب يستغلّونها لخلق نعرات بيننا.

5 ـ **التركيز على التعايش اللّساني:** يجب التذكر بأمثلة التعايش والتأكيد عليها من مثل:

- إظهار مواطن القوّة في هُوياتنا، وتكون قراءاتنا قراءات مضيفة لا تحريضية؛
- عدم القياس على الظواهر الانعزالية الفردية، وأحياناً تصدر كردّ فعل، فلا يجوز الاتّكاء عليها لتمتين المستقبل؛
- الإقرار الحقيقي بأنّ ساكنة شمال أفريقيا تبنّوا الإسلام عن قناعة، وتعلّموا الدين الإسلامي بتدبّر ورويّة، ونشروه خارج مواطنهم، وجعلوا لغة الإسلام تنال الصدارة؛
- حصول الوئام والتناسق والتجاور بفعل الإسلام الموحّد الذي يرفض الاعتداء مهما كان نوعه؛

- عمل التعايش الاجتماعي على تمتين الروابط اللّغوية إلى حدّ الاستئناس الاجتماعي المتصاهر؛

- إقرار المختصّين بالتداخل والاقتراض اللغويين، وأثر العربية ظاهر في كثير من اللّغات، وهذا ما يقرّ به الباحث (سالم شاكر) بأنّ القبائلية بالخصوص تأثّرت بالعربية بشكل لافت للنظر يصل إلى 49 % وهو من الدخيل، فكيف الحال في اللّغات الأخر؟ وهذه النسبة في بعض السجلات تصل إلى 65%؛

- الاستشهاد بالقوالب العربية في لغاتنا الشفاهية، وفي المسكوكات، وفي الأمثال وفي النوادر، وفي القاموس اللّغوي بصورة عفوية.

6 ـ العربية والمازيغية ليستا في حالة تعايش، بل في حالة تبادل دائم: وما ينقص هو العمل على تجسيد الإسمنت الوطني كإسمنت يقوي العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد كما قال Schnaper ومع ذلك يجب تجسيد هذا المبدأ عبر التنشئة الاجتماعية وتُغذيها المدرسة مهما تعدّدت ألسنة تلاميذها، وتضفيها جمالاً مؤسّسات الدولة التي نمثّلها اليوم، وتسعى إلى ثبت المكوّنات الوحدوية المُجسّدة في السلوك الاجتماعي؛ لأنّه عندما ترتبط اللّغة بهُويات وطنية لا يمكن أن تحصل الفُرقة ولا الضغينة ولا الاختلاف ولا الخلاف، وقد يحصل الاختلاف المنهجي لكن الهدف واحد. ومن هنا يبدو لي بأنّه يجب أن نستثمر المطلب الوطني المازيغي في إجراء تكييفي يؤدّي إلى التوازن والانسجام مع الراهن والمستقبل. ومن الضروري المحافظة على الخريطة اللّغوية المعاصرة؛ بتكييف نفْعي غرضه توزيع استعمال لغوي نفْعي يَتَمَاشى وتطلّعات الساكنة. وكلّ هذا يصنع منّا الكثير من التسامح اللّغوي، وتقديم التنازلات التي تؤدّي إلى حسن التأدية بغية التكامل الذي هو من متطلّبات الأمن في مفهومه العامّ. ولهذا من الضروري كمؤسّسات الدولة أن نكون

يقظين من بعض الهنات أو السقطات المُخلّة بالفعل التكاملي، وكان لزاماً علينا إعادة النظر في بعض القضايا التي تعمل خارج التكامل من مثل:

1 ــ **ميكيافيلية عدو الأمس:** كما نعرف بأنّ الفرنسيين دسّوا أنوفَهم في المسألة اللّغوية، وحاولوا إعطاءها صورة التفتيت باتّباع سياسة (فرّقْ تسدْ) حيث كانوا يسعَوْن إلى فهم الشعب الجزائري؛ للعمل على تفتيته ضمن سياسة فرنسا الاستعمارية، بأنْ جنّدت مئات ومئات من الباحثين والمُستكتبين والعسكر، وأرسلتهم إلى مختلف المناطق وجعلتهم يكتبون ويفيدون عسكر فرنسا. وقامت منهجيتها الاستعمارية على سياسة البحث عن خلق أو إيجاد الفواصل والتباعد اللّغوي والتركيز على بعض الهنات التي أحدثها العربُ أثناء تواجدهم الأولي في الفتوحات الإسلامية الأولى التي شابها بعض الغموض والتصرّفات المخلّة بحسن الأداء العربي الإسلامي. كما كانت فرنسا الاستعمارية تتبنّى أطروحات: التمييز+ اللّون+ تعدّد الأعراق+ النزوح+ عرب+ بربر+ أقليات... كما يجب أن لا ننسى أنّ الدعوة إلى كتابة البربرية بالحرف العربي في أوّل أمرها تأتي استكمالاً للعمل بالعُرف بدل الشريعة الإسلامية واستعداداً للاندماج وتخصيص منطقة القبائل على أنّها تمثّل البربر كلّهم. وبدأت أعمال تظهر بالحرف اللاتيني في باريس ولندن، ومع هذا فإنّ الكتابة بالحرف العربي كانت الأكثر استعمالاً.

وكما نعلم بأنّه بدأت تلك الدراسات مع العقيد (كاريت) في الأربعينيات من القرن XIX ومع (أرنييه) ثمّ تلتها دراسات الكنائس، ثم جاء (رونييه باسي) وولديه ثمّ (هانوتو) ثمّ (شارل دو فوكو) ... ثمّ تمّ إنشاء كراسي البربريات، ثمّ الاهتمام بالأرشيف البربري، والأرشيف المغربي، ثمّ جاءت أبحاث أخرى تزيد في تبعيد ساكنة الجزائر عن بعضهم مثل أبحاث (هانوتو) الخاصّة بجبل جرجرة، ويساعده (لوتورنو) في كتبه (جرجرة وعاداتها) (الشعر الشعبي في الزواوة) (لهجة الهقار). وتوالت مؤلّفات ومعاجم ونصوص بربرية مترجمة إلى الفرنسية ونجدها عند (دومينيك لوسياني). وجاءت تلك النصوص في بدايتها مكتوبة بالحرف العربي ومن ثمّ بدأت الأبحاث التي توصّلت إلى اكتشاف حروف التيفيناغ على يدّ (أودني

Ouadny) الذي قال هناك 19 حرفاً للبربرية، وهذا سنة 1822 عند التوارق ويكتبون بها لغتهم، ثمّ أضاف (هانوتو) عملاً مماثلا عند حديثه عن الهوقاريين سمّاها لغة التماشق. كما أدخل هؤلاء الباحثون أنوفهم في الشريعة الإسلامية والعرف والمواريث وأحدثوا خلطاً بينها في القضاء، وفي السجلات، وفي الأسامي وطالبوا بتحرير كلّ السجلات والأملاك والأعراف بالحرف اللاتيني، والتخلّي عن الحرف العربي وصوته... والمهمّ في الأمر أنّ المستعمر خلقَ نعراتٍ كثيرةً أراد أن يزرعها في الشعب الجزائري بخلق استثناءات بين الساكنة "... لقد خلق الرسميون الفرنسيون صورة إيجابية للبربر، باعتباره جنساً قريبًا ثقافياً، وجينيا من الحضارة الأوربية، وبعد ذلك بدأوا في الاستثمار المالي والتربوي في المناطق المتلاغية بالبربرية لخلق النعرات التي تبقيهم الحكم دائماً[1]" ورغم كلّ ذلك فلم تنجح تخطيطاته ولقيت أمثال تلك المحاولات الكثيرة معارضات كبيرة من قبل العلماء المغاربة والجزائريين منهم محمد السعيد الزواوي المدعو (أبو يعلى الزاوي). وهناك معارضات كثيرة حول تلك المظاهر الزاعمة بأنّ ساكنة شمال أفريقيا من أصول جرمانية[2]...

2ـ التنصّل من دعاوى التأسيس للأمّة المازيغية المتميّزة والمتسامية عن الأمّة العربية: وهذه الفكرة قائمة لدى بعض الفئات التي ترى نخبوية مازيغية لغتها ثنائية: مازيغية + فرنسية فقط. ويمسّ التنصّل تلك الدعوات المنادية بإقصاء العربية باعتبارها دخيلة، ولا أمل فيها، ولا يمكن الوصول بها إلى العلمية، ومن الضروري صرف النظر عنها، فقد فشلت على أكثر من صعيد، ولا تصلح إلاّ للأدب والعلوم الإنسانية.

---

[1] - Paul Silverstein, Algeria in France Transpolitics Race And Nation. Indiana University. Press Bloomington P 39.

[2]ـ ينظر: محمد أرزقي فراد، المؤرّخ أبو القاسم سعد الله والأمازيغية من الإجحاف إلى الإنصاف. الجزائر: 2016 منشورات الحبر.

3ــ رفض التماهي مع مشروع الهُوية الغربية الذي تتبنّـــاه بعـــض النُخـــب المُفرنسة: تلك التي ترفض كلّ ما هو لغات وطنية هو من التخلّف. وهو تمـــاهي غرضه مسايرة الفرنسية التي هي المخرج في نظرهم. ولكن هذا الطرح في وقتنـــا المعاصر بدأ يعرف حلحلة في المسألة؛ حيث بدأت هذه النخب تقرّ بوطنية اللّغتين: العربية والمازيغية وبدأت تقدّم تنازلات بحثاً عن هويات فاعلة وبنّاءة.

4 ــ التبرئة من تلك الأقوال المغالية والمحبطة من مثل: العربية لغة الشـــعر والأدب والفرنسية لغة الفعل والتنمية والحداثة، والمازيغية لغة الفـــنّ والـــرقص... أمام هذا الوضع كيف العمل لإعادة النظر في المسألة اللّغوية في الجزائر. فلا بـــدّ من مراجعة المسائل ويكون البدء بجلد الذات، والوعي بأهميّة اللّغات الوطنية التي لها الأولوية في التدريس وفي الاستعمال. فدعم اللّغات الأجنبية أن يكون بشيء من النفعية بحيث نستفيد منها ولا تكون وسيلة استخلاف أو بديلاً عن اللّغات الوطنيـــة فلا نريد غنيمة حرب إذا تصبح قنبلة يُتحكّم فيها عن بُعد.

ــ خاتمة: إنّه من الأهميّة بمكان الإشارة إلى أنّ هناك صراعاً، ولكن لا نُهـــوّل من أمره، فهو صراع بعض النخب التي لا قاعدة لها، فهـــي رؤوس بـــلا أجســـاد فصراعها عبارة عن ضجيج ضعيف؛ لأنّ عامّة الشعب لا تنظـــر إلـــى المســـألة اللّغوية بمنظور التعقيد أو التميّز أو التنافر، فالمسألة عندها مَقْضـــية، فلكـــلّ لغـــة وطنية وظيفة تقوم بها فترى بأنّ البحث في هذا الأمر إيقاظ للفتنة النائمة، فالشعب الجزائري لا إثنية فيه، فهو مُنسجم في كلّ جوانبه، فلا مجالَ ينفع في الأمر. ولكن لا يعني هذا أن نصمّ آذاننا عن تلك النخب المنادية بضرورة إيلاء المواطنة اللغوية مكانها اللازم؛ وبخاصّة تلك النخب التي لها صورة البناء الـــوطني فـــي صـــيغته التكاملية، وهي نخب كثيرة كان يجب أن تشرك في إعطاء الرأي، وفي الإسهام في الندوات، ولا شكّ أنّها منتجة لأفكار ذات نفع وطني عامّ.

وفي الأخير أروم من هذه الندوة دعوة المختصّين غير المغرضـــين للبحـــث فـــي قضايا تجمعنا، قضايا الشأن العامّ؛ قضايا الوَحدة، كما لا نعدم الاحتكام إلى فعل الأجداد

الذين نظروا إلى المسألة اللّغوية نظرة تكامل لا صراع. وفي هذا المجال لا نعدم تلك المقولة لأبي يعلى الزواوي تـ 1952م، الذي أشار كتابه (تاريخ الزواوة) إلى أنّ هناك علاقةَ تقارب كبيرة بين الحميرية والبربرية، كما أشار في كتابه (جماعة المسلمين) إلى العلاقات اللّغوية في جوانب النّحو والعدد؛ كون البربريةَ حميريةَ الأصل. وأما تلك الكتابات الأولى للبربر –قبل الإسلام–فهي لا تعدو أن تكون مُكمّلة للحرف الذي كُتبت به، فهذه كتابات القديس أوغسطين والملك يوبا II ومن كَتَب بالرومانية أو اللاتينية أو الإغريقية، فتصنّف ضمن الأدب الأوربي.

ومع كلّ هذا، فإنّه لا بدّ من الخروج من فكر الانغلاق القومي أو الهُوياتي وعدم القفز على الحقائق، والإقرار بالهُوية الوطنية المازيغية، والتفتّح على اللّغات الأجنبية وهي ضرورة قصوى تُمليها علينا آليات الانسجام الجمعي الوطني؛ سعياً إلى بناء مستقبل يتجاوز العقبات اللّسانية.

ـ المقترحات:

1ـ الإسراع في تأسيس الأكاديمية التي تهتمّ بلغاتنا، والاحتكام إلى فِعْل الأجداد.

2ـ الوعي بالهوية الوطنية وما يلحقها من اعتزاز باللّغات الوطنية، وضرورة تطوير اللّغتين تماشياً وراهن التقانات.

3ـ التعامل مع المعطيات الظرفية بنظرة برغماتية أساسها الوحدة اللّغوية في ظلّ التعدّد.

4ـ ضرورة التخطيط اللّغوي والتربوي المرحلي؛ انطلاقاً من الهُوية الوطنية تسانده البرامج الحكومية في مضمار خاصية التدرّج والتقارب بين اللّغات الوطنية.

5ـ الدعوة إلى دمج أقسام الأدب العربي والبربرية/ التمزيغت في الجامعات الوطنية في قسم واحد.

6ـ العمل على جمع التراث الوطني المازيغي وتصنيفه والإفادة منه.

7ـ العمل على إقرار المصطلحات الموحّدة للغات الوطنية.

8ـ ضرورة التبادل الإفادي بين اللّغتين الرسميتين: العربية والتمزيغت.

9ـ تبنّي أبجدية منسجمة مع منظومتنا التربوية والحضارية والعلمية والتاريخية الجامعة بين اللّغتين.

10ـ إقامة المزيد من المؤسّسات العاملة على تطوير اللّغتين.

كلمة اليوم العالميّ للّغة العربيّة في 18 ديسمبر 2016♥

تحت الرعاية السّامية لفخامة رئيس الجمهورية السيّد عبد العزيز بوتفليقة يُحيي المجلس الأعلى للّغة العربية اليوم العالمي للّغة العربية الذي سنّته الأمم المتّحدة سنة 2012، وهذا احتفاءً وتقديراً للغة قوية وسليمة، ولغة الحضارة الإنسانية؛ ولأقدم لغةٍ سامية، وإحدى اللّغات العشْر الأكثرِ انتشاراً في العالم، ولغة رابعة في التراتب الدولي في الشابكة، ولغة المسلمين، وعلى الخصوص لغة العرب.

وإنّه خلال انعقاد الدورة التسعين بعد المئة (190) للمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو، تقرّر إدخال اللّغة العربية ضمن اللّغات الرسمية، ولغة العمل في الأمم المتّحدة، ولم يكن يأتي هذا اليوم عبثاً إلاّ بفضل تلك الجهود العربية التي كُثّفت في أروقة الأمم المتّحدة من أجل أن يكون للعربية موقع على غرار اللّغات المُعترف بها في التداول العالمي: الفرنسية+ الإنجليزية+ الروسية+ الصينية+ الإسبانية. وقد حصل بالفعل إقرار حضاري وتاريخي؛ بأنّ للعربية موقعاً بين اللّغات الستّ. وهذا الإقرار الحضاري يُبرز الإسهام المعرفي والعلمي لهذه اللّغة ولأعلامها العاملين على تطويرها في مختلف مناحي المعرفة. وبذا يكون احتفاؤنا هذا احتفاءً اعتبارياً لتأكيد مركزية هذه اللّغة عندنا بما لها من مقام في مشاريع الدولة الجزائرية، وبما جسّدته الدولة من مؤسّسات تعمل على تطوير/ ترقية مجالاتها، بلهَ الحديث عمّا نالته العربية من استعمال في المدرسة، وفي الجامعة، وفي التكوين المهني، وفي الإعلام وفي الإدارة... وبما عند غيرنا من حضور فعلي في الجامعات الغربية

♥ أُلْقِيَتْ الكلمة في المكتبة الوطنية بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية في 18 ديسمبر 2016.

وفي مراكز البحوث؛ حيث لها الموقع الاعتباري والعلمـــي، دون الحـــديث عـــن موقعها كلغة أولى أو ثانية وطنية أو أجنبية في كثير من الأمم غير العربية.

وإنّ الحديث عن العربية في الواقع وما حقّقته من مكتسبات، ومـــا تملـــك مـــن مواصفات جاذبة، بدءاً من الإطار التاريخي وإلـــى الأهميّـــة المعاصـــرة، وإلـــى المجالات الحيوية، لهو من الأهميّة التي ننوّه بها على أنّهـــا تنـــال خطـــى ثابتـــة ومضمونة، ولها الموقع الجيّد في نيل المزيد. ولذا، كان علينا بـــذل الجهـــد لنقلـــة نوعية للعربية بالعمل على أن يكون لها موقعٌ عالٍ في العلوم وفـــي التكنولوجيـــا ونستغلّ وسائل الترجمة لنقل العلوم التي تفتقر إليها في الوقت المعاصـــر، ونعمـــل على حلّ المضايقات التقنية التي تقف دون ندّيتها مع اللّغات المنتجة للعلم.

وها هو اليوم العالمي للّغة العربية نعيشه، ونحتفي به باعتبار المعرفة لا تكون بـــلا لغة، كما لا تكون الثقافة بلا لغة، وكذلك لا تكون الهُوية بلا لغة فاللّغـــة هـــي حجـــر الأساس في عمليات التفكير والإدراك، وهي السبيل إلى المعرفة، وهي وسيلة التواصل والتفاهم والتخاطب والتعبير عن المشاعر هي التي تستوعب كلّ ذلك، إن لم نقل إنّهـــا اللسان الفكري الذي يعبّر به الإنسانُ عن أفكاره وآماله وتاريخه، ولهـــذا تهـــتمّ الأمـــم بلغاتها، وتحتفي بها تقديساً لمقامها ولموقعها في الهُوية وفي الوجود وفي الاستمرارية. وهذا هو الفعل الحضاري الذي تعمل الأمم لصالح لغاتها، فأنْعِمْ به من فِعْلٍ!

أيّها الحضور: وفي هذا اليوم الأحد الثامن عشر (18) من ديسمبر لسنة 2016 ارتأى المجلسُ الأعلى للّغة العربية أن يكونَ في الموعد ليحتفيَ بالمناســبة، وهـــو احتفاءٌ اعتباري علميٌ وطنيٌ بيوم دراسي خاصّ؛ غرضه التنبيـــه إلـــى ضـــرورة الاعتزاز بالعربية وتكريس الجهود لازدهارها، والبحث عن أفضل الســـبل التـــي تؤدّي لاستخدامها الاستخدام الأمثل، وبذلِ الجهود لتطويرها تطويراً وظيفياً يخـــدم الجوانب التقانية؛ مع الحفاظ على هُويتنا الثقافية، والنظرِ إلى مســـتقبلها المرهـــونِ بالوعيِ اللّغويِ المُصاحبِ للعمل على تقدّمها، والوصول بها إلـــى أن يكـــون لهـــا الإشعاع العلمي، ولا يحصل ذلك إلاّ بتضافر الجهود العلمية والتربوية والإعلاميـــة

والإدارية والفنية، وكلّ المباحث التي من شأنها أن تصل للمتلقي في أيّ مكان في الوطن وفي العالم؛ باعتبار العربية لغة الحضارة الإنسانية.

وإنّ موقع المجلس الأعلى للّغة العربية من خلال هذا اليوم هو العمل على أن يكون في الموعد، وهذا ما قام به بتسطير برنامج علمي ثقافي تراثي وشعري مُراعاة لموقع اليوم الذي يتأطّر ضمن مصطلح **(الاحتفائية)** ويطمح أن يعمل على تفعيل الحركة العلمية والثقافية بأمثال هذه المناسبات ذات العلاقة باختصاصه، وبما يقدّمه من منتوج؛ يروم منه العملَ على أن تنالَ العربيةُ الازدهار والصدارة والتعميم والاستعمال الجيّد وليس ذلك بعزيز، عندما تكون النوايا حسنةً مُصاحبةً بفعل خدمة المواطنة اللّغوية في أبعادها الحضارية والتاريخية والعلمية والوطنية وهذا ما يتجسّد في **برنامج فخامة رئيس الجمهورية السيّد عبد العزيز بوتفليقة.**

إخواني: هذه كلمة المجلس الأعلى للّغة العربية، وهي مقتضبة؛ تأتي فاتحة لما يَتبع من محاضرة حول (اللّغة والهوية في عالم اليوم) إلى جانب ذلك العرض الخاصّ بتلك المطابع التي عملت على الحفاظ على الحرف العربي، وعملت تلك المطابع على نقله إلينا بصورة تقليدية، ووصل إلينا سليماً، ويشهد لها بأنّها ناضلت على هذا الحرف الذي نال موقعاً هاماً، فكان فعلُ المطابع فعلاً حضارياً ولم يكن ذلك ليحصلَ إلاّ بتلك الأفكار لأصحابها الذين كانت لهم نظرات استشرافية ورؤى وطنية، فأكرمْ بهم من وطنيين! كما سيكون لهذا اليوم وقع خاصّ بما تُشنّف به آذانُنا من شعر تستدعيه المناسبة.

ومرّة أخرى باسمي الشخصي، وباسم الفريق العامل في المجلس أرحّب بكم جميعاً في هذا اليوم الدراسي لما له من أهميّة في خدمة قضايا تطوير آليات اللّغة العربية وهذا ما يضفي الصفة الفعلية والعلمية لمقامها العلمي والتاريخي والحضاري مع شقيقتها المازيغيات، وهما صنوان متكاملان في إطار التعدّدية الانسجامية، فأنْعِمْ به من وَحْدة! وتحياتي لكم جميعاً، وأرجو حسن الاستماع والاستمتاع وأخذ الفائدة المقناع، والسلام عليكم.

كلمة في تكريم الأستاذ بلعلام الورثلانيّ♥

ماذا عساني أن أقول في شيخنا محمد الصغير بلعلام الورثلاني، شيخ جليل تقطر منه الأماني، فقد اجتمعت فيه مجلوبات السعادة: التواضع والعفو والصدقة، فكانت من المعاني وهي وسام الشيخ الغبريني. بلعلام المُحتفى به فقد اكتملت فيه وَسْمات معاني المحمدية والمحابة والعلمية، وكانت له من الأمور المودودة، ولقد جئنا اليوم لنكرّمه أحسن التكريم وهو أهل لهذا التوسيم، فتوشّحه جمعية الكلمة، بما لها من دراية وخبرة وأنا جئت لأسمع مأثوراتِه الفضيلة، وأستلذّ بأبحاثه المأثورة، وعهدتُ كلامَه الطويل وما يخرج من فيه الجميل فأرى ما ينثره موزوناً، وكأنّها في بحور الشعر مفتوحة فمن سلسلة إلى سلسلة، فالكلام يتّصل ولا ينقطع، والأقوال تأتي وتنطبع، أهو مكتبةٌ متنقّلة، أم خزانة تحمل المتون الجاهزة. ومن خلال كلّ هذا؛ رأيت أن ألمّحَ بمُلَحٍ من الأدب، عسى أن تنالَ موقعَها عند المُحتفى ويكون لها عند الحضورِ وقعُ الصدى.

إخواني لا أملك سجعَ الكُهّان، ولا أنطق بالشعر الفتّان، بل أنحاز إلى ما يستدعيه المقام، فوجدت نفسي أملك بعض المنافحات، أُلقيها على شيخنا بلعلام علّه يدعو لنا بالنجاح في المَهام. فالمقام يستدعي منّي بعضَ المنافحات، وذكرَ خصال الشيخ بالتلميحات، ومع ذلك وجدت نفسي ضعيفة، لا حول لها في القبض على المعلومة فكيف أعرّف المعروفَ، وكيف أكون غيرَ مصروف فأراني كالمُخبِر عن ضوء النهارِ الباهر، والقمرِ الزاهر، وأيقنتُ أنّي حيث انتهى بيَ القول منسوبٌ إليَ العجز، مُقصِّرٌ عن الغاية لما؛ لبلعلام من مواهبَ عديدةٍ وخصالٍ كريمة، فمهما قلتُ فيه، فأنا عاجزٌ عن الوفاء بالتعبير، وواهِمٌ عن استكناه خصائص التدبير، التي يحوز عليها بلعلام المُنير.

♥ــ أُلْقِيَتْ الكلمة بمناسبة تكريم الباحث محمد الصغير بلعلام، من قبل جمعية الكلمة في:19 ديسمبر2016. وهذا بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية

إنّ بلعلام الذي تحتفي به جمعية **(الكلمة)** هذا اليوم، لهُو جدير بالتكريم دون لوْم فأنْعِمْ به من رجل هُمام! وأكرم به من عالم ذي حسام! فصدّقوني تلاحقــت علـــيَ المسكوكات، فأيّها أختار للمقام، وأيّها تعفيني عن الزحام، فمن أيّة زاوية أنظرُ يـــا إخوان وكيف أصفُ الصديق المنّان. بلعلام في ســـيرته العلميـــة خـــريج زاويـــة ثغراست بسحنون وطالب زاوية سيدي يحيى العيدلي بثامقرة، درس علـــى الشـــيخ الجليل محمد الطاهر آيت علجت، فمن مريدي الزوايا، إلـــى طـــالبي معهـــد ابـــن باديس، ومن قسنطينة إلى تونس ومن تونس إلى الجهاد والنضال.

الأستاذ بلعلام طودٌ شامخٌ لا تُسلَك إليه ولا يُصار، فمن أراد الوصولَ إليـــه؛ لا يجد له سبيلاً فمِن حيثُ نظرتَ إليه تعجز عن أداء الوصْف، ولا يمكن أن تقـــول كلّ شيء إلاّ ويُطال الحذف، فهو كالبلّوْر من حيث نظرتَ، وهو الشيخ من حيـــث التفتّ فلا يمكن أن تفيَ كلّ الجوانب، وتبقى هناك ثغرات تُجانِب، فأكتفي بـــبعض التوصيف وأروم أن تكون من الكلام الوظيف، فهو الفصيح في القول والمُبهِر فـــي الفعل، تنفعل له العقول وتذهَب إليه الأصول، حيث ترى كلماتِه تنثالُ انثيـــالاً، ولا تتعقّدُ اختيالاً؛ حيث تعوّدَ السيرَ في الكلام المُمهِّد، فلا يقبل مطباتِ الكـــلام المُعقّـــد فلمستُ فيه إيجابيةَ الفرد المُنتج وقوّةَ الحكيم المُدمج.

محمد الصغير؛ صغير في اسمه، كبير في عمله، مجاهد ملبٍ لنـــداء الواجـــب ومن الجبل مرّة أخرى إلى تونس، ومن تونس إلى سوريا. ومن الجهاد الأصـــغر إلى الجهاد الأكبر، ويُشمّر على الساعديْن بعد الاستقلال، ويكون من بُنـــاة الـــوطن بكلّ اعتدال. ومن يومها لا يزال معطاءً، وفي أعماله وَسْناءً، وهو الـــذي يقـــول: سأبقى أُعْطي وأُعْطي ومن ثمّة أُعْطي، ولو أُجْحَد في ما أُعْطي. هذا هـــو الشـــيخ بلعلام المِعطاء فأَكْبِرْ به من وَطني مِضياءٍ!

إخواني وزملائي، أراني في هذا المكان مُقصِّراً، وأنا أختار ما يكون مُفسِّراً فلم أجد ما هو سطحي، حتى غُصت في الأعماق بقلمي، وكدتُ أغرق فـــي الصـــيد، ولكنّي غطست بعيداً دون القيد، فوجدتُ المرجانَ الثمـــين، فـــي أعمـــال بلعـــلام

الرصين، فأراني أصطاد اللآلئ، في لُجَّة بحر بلا مرافئ فيا له من صيد وفير ويا له من عَلَم مُنير. وجدتُ الموسوعيةَ في المعلومــات عنــدما رجعــت إلــى تلــك المؤتمرات، وما حضرت إلى جانبه من ندوات، وأســتذكر بحوثــه العلميــة فــي المشداليين، وما يصحبهم من البجاويين وما دبّجه في ابن المعطــي، وفــي ابــن آجروم القرومي وأشهد بالعلمية لمحاضرته عن الطاهر الجزائري، وما قدّمه فــي الغبريني، وما دوّنه في الشيخ السكلاوي، وما جمعه من مدوّنات جاليتنا في تأسيس المكتبات، وما كانت تحمله من أفكار الكلّيات، والتي عملت على النهوض في الشام بما سنّه أجدادنا من مهام، وكان ذلك حقاً من فتوحات فِعْل الأجداد فلهم كلّ المدائح والأوراد. وقد عمل الشيخُ بلعلام على التوضيح، في مسائل تحتاج إلى تصــحيح، وكان فيها من المُنصفين، بل بزّ فيها المُفنّدين.

إخواني: تعرّفت عليه جيّداً في مؤسّسة مولود قاسم ناث بلقاسم، ومــن خلالهــا عرفته أنّه صاحب الفضل؛ لأنّه عاش وتربّى في مدرسة الأفاضل وبخاصّة أنّه من مريدي زاويتي الأشاوش، رحمانيتان في الروح، مجاهدتان في النضال واللوح، فلا تذهب إليهما دون أن تأخذ التبريكات، لتعود بالبركات زوايــا الخيــر فــي بلادنــا المحافظة، زوايا الإعمار المُجاهدة، بوسطية الإسلام، وعُمدة لغة الإسلام، عربيــةٌ نطق بها الكثير من الأنام فأنْعِم برسولنا خير الأنام!

السي بلعلام تأطّر في وزارة الشؤون الدينية بمَعِية سي المولود، وقــد أكســبتْهُ الصُحبةُ مزيداً من السرعة المعهودة، وضبطاً في المنهجية الدقيقة، ولو أنّه خــريج سورية الشقيقة ولكنّ هذه الأمور تُؤخَذ في مدرسة الزعماء، وفي جامعة العُظمــاء وفي أركان فنّ التسيير، للخلوص إلى أساسيات التدبير، ومن ثمّ طبّق الأمــر فــي الوزارة، وفي رواق الإدارة، وفي منظومة الدائرة، فكان مــن المُســيّرين الــذين أحكموا فنّهم النبيل، ولزم خيرَ سبيل، فخرج منها سليماً بالشارة، ولم يكــن مِمّــن لحقتهم الإشارة.

بلعلام كما عرفتُه علمياً، وخَبَرْتُه كلامياً، كان إذا عبّرَ حيّــرَ، وإذا أوْجَــزَ أعجــزَ وتجده يتوهُ في قديمي المواضيع، ويلحق ما هو من الماضي بالحاضر فـــي المراجـــع فلا يستقرّ له قرار، إلاّ عند اتّخاذ القرار، فأراه أحياناً من الذين يقولون: مـــا تعلّمنـــا إلاّ القليل، فالتعلّم عنده هو التعليل، كما أنّ التعلّم هو ألا يفوتك إشعال الفتيل، وأراه في كـــلّ مرّة ينصح ويقول: تعلّموا أنسابَكم، تعرفوا بها أصولَكم فتصلِوا بها أرحامَكم، وهذا مـــا يُستقى من كتابيه: علماء زواوة، وكان فيهما ممّن أسهمَ في جمع ذخيرة بجاية.

أيّها الحضور: إنّي هنا لستُ مادِحاً كي لا تَحثُوا على وجهي التراب، ولا تقولوا إنّي من أهل جاهزي الجواب، بل أراني مُعيدَ الفضلَ لذويه، وذاكرَ الرجلَ بما فيـــه فصديقي بلعلام لا يفيه الخطاب وعندي لا يتنزّل في ما ليس له باب فلا أرمي عليه الزهور وأعلم أنّه لا يمور فينطبق عليه من يقول: أن يكرهَك النـــاسُ لصـــراحتك خيرٌ من أن يُحبّوك لنفاقك. فبلعلام لا يداري النفاق، ولكنّه يســـعى لنيـــل الرفـــاق والذين يقولون له أنت هنا على الصواب، وأنت هنا جانبتَ الجوابَ فكلامٌ جيّد يعمل على الترقيع خيرٌ من كلام سيء يعمل على الترفيع، ومن ثمّ يأتي من يُصنّفه فـــي المداهنات، ويُصبِح من كلام الخُرافات.

إخواني كلام كثير يُمكن أنْ يُقال، ولكنّ المقامَ لا يتّسع لكلّ ما يُمكن أن يُقال أخـــتم قولي بهذا الكلام، عن الشيخ الهُمام، فالشيخ بلعلام من فطاحلة البـــاحثين، ومـــن كبـــار شيوخنا العاملين، فقد غاصَ في الأصالة، وطوّرها بالحداثة ولـــم يشـــكُ ضـــيقاً فـــي المعلومات، بل تزاحمت لديه الكلمات، وكانت دون مطبّات فأَكْرِم به من رجلٍ يســـتحقّ الثناء! ونعْمَ من فكّر في هذا الاحتفاء فالفضل لجمعية **(الكلمة)** التي تعمل علـــى نشـــر الفضيلة، وتعيدُ لذوي الأفضال الاعتبار، بما تُقدّمه من أدوار، فحقاً هي جمعية الكبار.

بلعلام أحقُّ بالتشجيع، ونقرُّ له بالتركيع، وكذا ينطبق القول على من قام بالفعـــل النبيل، فواصلوا الدربَ الفضيل، فَنِعْماً أنتما في هذا التكريم، ونِعْماً أنتما بما لكمـــا من التوشيم، وأشهد أنّكما أتقنتمـــا فـــنّ التصـــديق، وتســـتحقّان كـــلّ التصـــفيق.

القيَم الحضاريّة
في التّراث الوطنيّ الأمازيغيّ♥

إخواني الحضور؛ سعيد أن أكون معكم في هذا المحفل العلمي الخـــاصّ الـــذي تدور أعماله حول **(القيم الحضارية في التراث الأمازيغي)** وباسمي وباسم زملائـــي في المجلس الأعلى للغة العربية، أنقل لكم تحايانا الخاصّة، مُتمنين النجاح لفعاليـــة هذا المحفل وأقول:

لقد أتقنتم فنّ اختيار هذا الموضوع، وفي هذا الظرف الذي نُلاحظ فيه الحـــراك الثقافي في مجتمعنا الذي نجده يستعيد ماضيه التليد حسب فِعْل الأجداد، وإنّ غـــداً يأتي بالسنة الفلاحية المازيغية، فالأحقّ أن يُحتفى بها كتُراث وطنـــي صـــيغَ منـــذ زمان؛ وتحتفي بها الجزائر قاطبة تبرّكاً بِسَنَة الخير والبركات، وسنَة تغيير المحال ليتغيّر الحال، وصبغ الأثافي بما يطرد البلاوي، ويكون الكسكس البلدي نصيب هذا اليوم، بما يضحّى بذلك الديك المسكين. وهكذا كان الأجداد يفعلون، وكـــان فعلُهـــم نبيلاً، وأنعِمْ به من عمل!

إنّ أجدادنا تركوا لنا قيماً حضارية تجسّدت في خريطة طريق مَرَنَة تُراعي عاملين:

1 ــ عامل الثابت: وهو ما لا بدّ منه، وينبغي المحافظة عليه، تمثّل فـــي تلـــك العادات الجيّدة التي زكّاها الإسلام.

2 ــ عامل المُتحوّل: وهو ما يوضع في إطار المُعاصرة والبناء عليه ليكـــون تكملةً لفعل السلف، فلكلّ زمان بعض الخصوصيات مُراعـــاة للوضـــع وللمتغيّـــر

♥ــ أُلْقِيَتْ الكلمة في ملتقى وطني حول (القيم الحضارية في التراث الوطني الأمازيغية) مدينة البـــويرة دار الثقافة علي زعموم، بتاريخ: 10 جانفي 2017، واحتفاء بالسنة الفلاحية يناير.

والجمع بينهما في إطار: الوسطية التي جاء بها الإسلام، وأدرجها في باب (لا ضررَ ولا ضرار).

إخواني، صدّقوني بأنّ منظومة القيَم البربرية ليست جديدة؛ فتعود إلى ملوكهم؛ وفي أوّل دولة مازيغية عرفها التاريخ (دولة ماسينيسا) وما تلتها من ممالك حتى مجيء الفتح الإسلامي فعرفت تلك الممالك منظومة قيَم حضارية أرّخت لعهد كان فيه:

ــ البحث العلمي حراً؛ يعتمد فيه على التفتّح والتناطح في الأفكار والاختلاف في المنهج لا في الهدف، فأنتج ذلك (أبوليوس) صاحب أوّل رواية في التاريخ وهي (الحمار الذهبي) وفق معايير الرواية الحديثة، ويتلوه (القديس أوغسطين) بمقابساته النفسية التي قدّم فيها الجانب الديني للمسيحية التي اعتنقها؛

ــ ما تُرك من بصمات تاريخية تمثّلت في تشييد الموانئ، وفي بناء الأهرامات وتضخيم الأضرحة، وما وجد من وشمات في أقاصي الصحراء وكلّها كانت نقوشاً دالّة على أقوام لهم جوانبهم التاريخية والحضارية، وهي وشْمات من الماضي التليد الحامل للجانب اللغوي الذي يؤرّخ لفترة يمكن أن نقول عنها: **إنّهم مروا من هنا؛**

ــ بناء الإنسان بناءً حراً يعتمد في معاشه على ما تجنيه سواعده، وبذل الجهد في عراك الطبيعة؛ وصولاً إلى السيطرة عليها؛ بإذلال منتوجها وحيواناتها. وهذا المازيغي الحرّ الذي عرّفه (ابن خلدون) **بأنّه من حالقي الرؤوس، وآكلي الكسكس، ولابسي البُرنس؛**

ــ سنّ نظام الأسرة والسلوك العام؛ فلا ظلم ولا تعدية، وصوْن الكرامات مضمونة وغلبة رأي الجماعة بمبدأ الشورى... رُغم ما وُجد من بعض الهنات التي تُعدّ من الوثنيات بمفهوم الإسلام الذي نسَخَ بعضَ السلوكات المنافية للإنسانية...

كان كلّ هذا وما لم يذكر قد تبلور في مفهوم الوطنية، بما يعكس إسهامات الدول البربرية في قالب واحد يمكن اعتباره تراثاً أمازيغياً من حيث تحيّزه المكاني وانتماؤه إلى وطن اسمه الجزائر.

وما إن يأتي الفتح الإسلامي يتبارى الملوك الثلاثة عشرة (13) من البربر؛ فنرى تلك القيَم يقبلها الإسلام في معظمها، والبعض منها يهذّبها، ويسنّ منهجاً في سلوك المازيغي مع نفسه ومع زوجه وأولاده، ومع جيرانه، ويندمج المجتمع الفاتح الأقلية في الساكنة الأغلبية، وتذوب الخلافات بالتصاهر، والاحتكام إلى منهج الإسلام، ويحدث الانسجام الجمعي، ومن خلال ذلك قام السلف بما يلي:

ـ تبنّي الإسلام خياراً استراتيجياً لا حيادَ عنه؛
ـ تبنّي لغة الإسلام؛ لأنّ ما لا يتمّ به الواجب فهو واجب؛
ـ حفظ التراث اللغوي المازيغي بمختلف تأدياته دون حذف أو إلغاء؛
ـ تبنّي خيار المجاورة والحوار والتعايش بالتي هي أحسن...

ولا نبالغ إذا قلنا بأنّ فِعْلَ الأجداد كان على صواب، بل من الحكمة التي أرّخت لفترة تكامل لم تعرف الصراعات القاتلة، رُغم بعض القلاقل في مبدإ الفتح. وخلال كلّ ذلك نتجت قيماً حضارية لا تزال مُحكّمة وفاعلة إلى الآن، ويمكن أن ندرجها في قائمة **كنز الأجداد**، وهكذا قال لي جدي، ونسرد لكم بعض تلك القيَم دون توضيح فيها:

ـ عدم التعدّي على الآخر مهما كانت ديانته أو أصله، أو جنسيته؛
ـ احترام المعتقد والانتصاف لحسن الأداء؛
ـ حرمة القتل وسفك الدماء ممنوع باسم الدين والإنسانية؛
ـ صيانة المال العامّ، والدفاع عن الشأن العامّ؛
ـ العمل بمبدأ (لا ضررَ ولا ضرار)؛
ـ منع التشدّد والتراخي في كلّ شيء؛
ـ الوسطية قيمة حضارية محفوظة؛
ـ التزام السلوك الاجتماعي المنسجم...

وكلّ ذلك أنتج لنا مجتمعاً واحداً في إطار التعدّدية الواحدة، وظهرت نبُل تلك المبادئ في:

ــ مبدأ الشورى (العودة إلى ثاجماعيث)؛

ــ الاحتفاء بيناير في كلّ ربوع الوطن في ذات اليوم بمختلف التأديات؛

ــ سنّ قانون مساعدة الفقير، ونصرة المظلوم، وردّ الحقوق لذويها؛

ــ سنّ مواسم الاحتفاء تخصّ توزيع اللحم الذي يجب أن يصل إلى بطون كلّ الناس بنظام الاحتفاء بالأعياد+ عاشوراء+ المولد النبوي الشريف+ نظام ثيمشرط السنوية؛

ــ ردّ الغارات الأجنبية والدفاع عن حياض الساكنة، ونصرة الجيران؛

ــ عبادة الأرض، وعبادة العمل، وعبادة أشجار الغلّة، وهذا من خلال التفاني في خدمتها بالتركيز على: الزيتونة + النخلة + التينة؛

ــ سنّ مواسم الراحة وإجراء طقوس الزواج والختان...

تلكم بعض القيَم التي لا تزال إلى الآن، وهي في الحقيقة لو نتمسّك بها أكثر لأغلقنا المحاكم ولما كان بيننا منحرفون، ولا وُجِد المتسوّلون، ولما تعقّدت حياتُنا المعاصرة. ولكن تلك عند بعض من مُعاصرينا من الماضي الذي عفا عليه الزمان أو دقّة قديمة بتعبير آخر، فأينَ أنتَ أيّها الخلَفُ من فِعْل السلَفِ؟

وكلمة أخيرة أغتنم فيها نوعية الحضور؛ حيث أرى شيوخنا، وأئمتنا، وهُداة ديننا ونجوم أمتنا، ونحن نعوّل عليهم في إسداء النصح، وتقديم المشورة، والأمم تراهن على شيوخ الدين وعلى معلمي المدارس؛ فإذا فسد الإمام، وانهار المعلّم فاقرأ على الدنيا الشؤم والانهيار.

أيّها الإخوة – ولا شكّ – أنّكم توافقونني في ما أقول:

ــ نريد شيخاً وإماماً يخرج من صومعته؛ يخالط الناس ناصحاً، مُسدياً حسن التدبير؛

ــ نريد إماماً واعظاً مَهديا، منادياً للخير؛ دون خوف إلاّ من اختراق حُرمة الحقّ؛

ــ نريد إماماً يلبس لباس عصره، يكون ابن مصره؛

ــ نريد إماماً قُدوة ومرجعية في كلّ سلوكه وأحواله وعائلته؛

ــ نريد إماماً يخرج من الخطاب المكرور الذي أصبح CD منسوخ في كلّ جمعة؛

ــ نريد إماماً وطنياً يعيش أحداث بلده وتاريخه، ويلقي خطابات تمسّ أول نوفمبر/ 19 مارس/ 5 جويلية/ خطابات في تمجيد شهداء التحرير، وفي فعل بطولات المجاهدين...

ــ نريد إماماً يتدخّل لتهدئة التهييج، وردّ الشباب إلى جادة الصواب؛

ــ نريد إماماً يرتاد نوادي الشباب، وقاعات المطالعة ليحسّ بما تحسّ به تلك الفئات ويشاركهم ظروفهم؛

ــ نريد إماماً يعمل على إبطال الفشل، ويبعث الأملَ، ويحمل عبارة (اشتدي أزمة تنفرجي)؛

ــ نريد إماماً مُبدعاً قارئاً مفسّراً ومُجتهداً، مراعياً مُقتضيات العصر وضرورات الزمان والمكان؛

ــ نريد إماماً يعرف استعمال الكِبِتار، والأجهزة الذكية، ويتعامل معها بما يخدم الدين وترقية دور الإمام المعاصر؛

ــ نريد إماماً وسَطاً حاضراً مُخلصاً مُضحياً في أداء الواجب، لا إماماً ينتظر وقتَ الصلاة فينصرفَ دون لفتة للمُصلين؛

ــ نريد إماماً ينشد الدينَ والدنيا، ويُرغّب الناسَ في المواطنة...

نريد ونريد ونريد، ويجب الذي يجب، ولكن هي أقوال كثيرة خرجت من الضمير الجمعي نروم أن تصل إلى القلب، علّنا نعمل على التغيير، فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم.

إخواني هي مستلزمات القيَم القديمة والحديثة التي سهر عليها أجدادُنا، ولو تحدث هذه في واقعنا لنعرف نقلات نوعية في تواصلنا الانسجامي التكاملي ولأحْجَمْنا عن الدعوة إلى مراجعة فِعْل الأجداد، ولما نادينا بالبحث عن صفاء الدم والعرق، ولما سمِعْنا من يقول هناك ساكنة أصل، وهناك أجانب، ولما رأينا بعض التهييج المنادي بخراب البلاد. هي بلادنا العزيزة، بناها سلفنا بامتياز فنحن أحقّ بالمحافظة عليها وتطويرها وتحسينها، والجزائر بلد لا مثيل لها من البلاد وأجْمِلْ بها من بلد!

إخواني: لقد أطلت، وهذه كلمتي أرجو أن تنال موقعها عند السامعة، وأسأل الله العفو والعافية، وأستغفر الله لي ولكم، مع ذلك يجب أن نعمل ونعمل ثمّ نعمل والله يقول: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾التوبة 105. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة أُلْقِيَتْ
في تظاهرة الشّباب بمناسبة احتفائيّة يناير♥

بمناسبة حلول السنة الفلاحية، وفي عيدها ألـ 2967 وتحيا هذه السنة في بلدية بني سنوس العزيزة، فباسمي الشخصي، وباسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية نقدّم لكم تحايانا الخالصة بمناسبة هذه السنة الجديدة التي نراها تتفتّح على بسمات الجدات وأمل الأمّهات، ودعاء الصالحين والصالحات بتغيير الحال وليصبح الصحوُ ماطراً ويكون للخير مبشّراً وما يتلوه من نعمة الخالق الذي هو مُغيّر الأحوال، ومُبدّد الأقوال.

من بني سنوس المنسوبة للشيخ السنوسي العالم الزاهد التلمساني ومنطقة الوجود المازيغي التي يتمّ فيها الاحتفال السنوي؛ بإقامة جلسات إيرات السنوية منطقة دخلها عبد الله بن جعفر، وبنى فيها مسجداً على أنقاض المعبد الروماني في قرية تافسرت. منطقة المرأة العجوزة اللبؤة، ومنطقة مخزون مؤسّس الدولة الجزائرية الحديثة الأمير عبد القادر، منطقة الزيتون والتين والصناعة التقليدية فما أجملك يا بني سنوس! فأنت تحملين صفات الوطن.

هي جزء من تلمسان الزيانية، تلمسان التي أرّخ لها التاريخ بممالكها المازيغيين الكبار وكلّ الذين مرّوا منها تركوا بصمات الجوار. تلمسان المجاهدة التي كانت نافذة الوطن الغربية ليتدفّق منها سلاح الثورة. تلمسان العلم والعلماء المُنجبة لعائلات ابن زرجب والزرهوني، وابن زاغو... وفي تلمسان تصدّر المشدالي

♥ـ أُلْقِيَتْ الكلمة في تظاهرة الشباب التي أنجزتها وزارة الشباب والرياضة ببني سنوس بولاية تلمسان بمناسبة السنة الفلاحية يناير 2967، الموافق 12 جانفي 2017.

واعتلى التنسي الكراسي، وكان للمقرّي مقام التعالي، فمن وريطها ارتوى الغوثي القادم من منطقة الزواوي، وبمطبعتها الخلدونية تبختر الإبراهيمي...

إنّنا في هذا المحفل الخاصّ في بني سنوس الصغيرة مساحة، الكبيرة قلباً وموقعاً بني سنوس المازيغية الوطنية، فمنها تحرّك شيشناق بجيشه قاصداً مصر، ولما سمع فرعونها بقدومه لم يكن إلاّ ليخضع، ويقول للمازيغي: سيدي عذراً ما نريد العراك فنحن مع الغرباء مسالمون، وإنّ مِصر تُعْلي المقام، وتمنح لكم مفتاحَ الأنام، وكان ذلك بشارة بدخول المرابطين أرض الفسطاط؛ بانين القاهرة بكلّ قيراط.

أيّها الشباب الطافح؛ إنّنا نحيي السنة المازيغية في هذا المكان الغالي على قلوبنا كثيراً، ولا شكّ أنّ الذين اختاروه لهم أكثر من دالّ؛ فليس للصدفة في هذا الأمر مآل ولعهدي أنّ المازيغيين الذين كانوا هنا، وقد تركوا بصْمات شتّى في السلوك الجمعي بلْهَ الحديثَ عن عامل اللغة التي بقيت أصواتُها على الأفواه ووشماتها على التراث المادي الذي نراه منتشراً في ربوع وطننا. وقد يطول الحديث إذا استكنهنا عوامل الزمن الغابر من ملوك الأمازيغ الذي مرّوا من هنا، فهم الساكنة الأُوّل الذين انبروا يناطحون عوامل الطبيعة لتجود بخيراتها عليهم، فعبّدوا الأرض وأثمرت الطبيعة بتلك السواعد المازيغية الفولاذية التي لم تكِلّ حتى وقع استعمارها. ومرَّ من هنا الرومان والفينيق والوندال، والبيزنط، وأذاقوا الساكنة الوَيْلات، ومع ذلك لم يرضخوا ولم يندمجوا لأنّهم لم يكونوا من ذلك الجنس، رغم بعض الإبداعات التي مسّت بعض الجوانب الفنيّة في منتوج (أبوليوس) في الحمار الذهني ومقابسات (أغسطين) في مخزونه الثقافي الذي ارتضى المسيحية لنفسه ديناً وسلوكاً. ولكن بمجيء الفاتحين كان الاختيار استراتيجياً وحراً، وكان الإسلامُ، ديناً وكانت العربيةُ غراءً اجتماعياً دون عقدة، فحَسُنَ الاختيارُ وطال المجدُ ولا يزال وسيبقى، فحَسَناً فعلمتم أيّها الأجداد، وأنْعِمْ بفعلكم العظيم! هذا المجد الذي صنعتموها بالتصاهر والتراضي ما نجم عنه ضرر.

أيّها الشباب الطافح، هنيئاً لكم بهذا المزج الاحتفائي بالسنة المازيغية التي هي من مورثنا الثقافي الذي يدخل في الاحتفاء بقيَمنا الحضارية الوطنية العديدة وبتراثنا الكبير الغني، والذي يتماهي في المادي وفي غير المادي، ويؤدّى في كلّ ربوع

الوطن بشعار واحد، وبتأديات مختلفة؛ حيث لا اختلاف في الهدف، بل الاختلاف في المنهج. فذات العادة في تيزي وتلمسان وتبسة وتمنراست وتيارت وذات الطقوس في بليدة وبويرة وبجاية وباتنة وبني سنوس، فأَنْعِمْ به من وَحدة في إطار التعدّد!

إخواني الشباب، سعيد أن أكون في محفلكم الكريم مُحتفياً بمازيغيتي وعروبتي وإسلامي وبتاريخ أبي، وبعادات أجدادي، وبمُواطنتي في ربوع وطني، وأجدني في صحني رافعاً رأسي قائلاً: أنا هنا وطني، أنا هنا تراثي أنا هنا مازيغي، أنا هنا عربي، أنا هنا عصري أنا هنا عزّتي ومجدي، أنا هنا أمام أولادي وأحفادي وأرى الأحفادَ محافظين لفعل السلف، وهكذا كنز أبي، وكذلك نَقَلَ الأمانةَ عن جدي، وكم أنا فخور يا جدي باختيارك لهُويتي فأنت على الصواب، بل أتقنتَ فنَّ الاختيار، فما أروعكَ يا أبي! بأنكَ صُنتَ الأمانةَ كما أوصاك السلف، وهل الخلفُ في عصرنا يدومون على حفظ الوصايا؟

أيّها الشباب الغيور على إرثه، أتصوّركم جبالاً شامخة، ومعكم الحياة وهي مدرسة الوطن، وأسئلتها مفتوحة على فعل الزمن، فهل أنتم موجّهونها نحو الأمل لفعل يستوجبه محو الفشل، وتجيبون العصر عن غَلَبَة العمل. وكم أفرح وأنا أجد شباباً طافحين مُتصدّرين، فهذا محمد عبد الله فرح، وهذه زهرة هني، وهذا ناصر سالمي... وتطول بي الأسماء، وأقول: من أيّ البلاد أنتم؟ ويقولون: **من أرض الجزائر**.

أيّها الشباب: إنّ خير الأمور أوسطها، وأوسط الأعمار شبابها فشرايين الحياة تبدأ من الشباب؛ لأنّه نبض الحياة في عروق الوطن، وما بُنيت الحضارات إلاّ على كاهله فهو عماد أية أمة، بل سرّ نهضتها. وإنّ مرحلة الشباب بما فيها من جرأة وسرعة ومخاطرة وتحدٍ ونشاط وقوة لتضع على عاتقكم مسؤوليات جساماً في بناء وطنكم والدفاع عنه، والشباب هنا لا يعني جنساً دون آخر، فالذكر والأنثى معنيان وإنّ التطوّر الذي حقّقته الجزائر على وفق المعايير الأممية في الحياة المديدة والصحية والمعرفية وسنوات الدراسة والمستوى المعيشي، جعلت الأنثى (المرأة) تبرز وتحظى بمكانتها في المجتمع، ومنها الشابات فهنّ يمثّلن نصف المجتمع ولهنّ الذي على الذكور، ولقد تفطّن **فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز**

بوتفليقة بحكمته الرصينة لنقطة مهمّة؛ وهي تشجيع المرأة على الإسهام الفاعل في بناء المجتمع خصوصاً في الحياة السياسية؛ حيث أدرج لهنّ حقاً ثابتاً دستورياً تمثّل في وجوب الثلث في القوائم الانتخابية وهي نسبة قلّما نجدها في الدول المتقدّمة.

إخواني الشباب والشابات، لستُ هنا رافعاً قائمة الواجبات، ولا في موقع مــن يمــنح التسهيلات وأراني ناصحاً مُرشداً، فأَدْخِلوها في باب: **نَصَحَ أبي، وقال لي خيراً**، وقد يقول قائل منكم: قد أستفيد من خبراته المثلى؛ حيث الشبابُ الآن بين قوسـين أو أدنـى فـإنْ عاركتَه انفجرَ، وإن أهنته انكسرَ وإن وجّهته انغمرَ فمن الغمر يحصل مزيد العطاء، ومن التوجيه يأتي الفداء، ومن الوسطية تأتي الاستقامة، ومن بناء المُثُل تدوم المعاملة. فاعضدوا بعضكم البعض، وكونوا قوّة واحدة، وساعداً واحداً يبني الوطن ويحقّق الآمـال المعلّقـة عليكم والمهام التي لا يمكن لغيركم القيام بها، فأنتم حاضر الجزائر ومستقبلها. ومن بـاب التأكيد أضيف: لا تخدعنّكم المظاهر، ولا تغرّنكم الوسائط بالأوامر، ولا تنـزاح وعُميـاً للأزرار، فهي تزرع الكثير من الأضرار، ولا تقبلوا بلداً غير بلدكم، فمن افتقد بلده مـاذا وجد، فمن باع بلده، وهل يمكن أن يشري غيره، فهل البلاد تباع؟

أيّها الشباب أنتم الأمل، أنتم المستقبل، فرجاؤنا فيكم، وأنتم كمـا أنـتم صـورةٌ لآبائكم وقد كان آباؤكم صغاراً، وقد حملوا مشاعل الكبار، فسُووِموا، ولكنّهم قاوموا ونجحوا وما رضخوا، **فالوطن أمانة**، ولولاه لما كنّا هذا اليوم هنا، فكم هو جميـل هذا اليوم، وكم هي قيمة الوطن. الجزائر قطعة زجاج كبيرة، فإنّ مسّت هذه القطعة في جزء واحد تصدّعت القطعة وانكسرت، والزجاج لا ينجبر، فحذارِ السـيرَ فـي مهاوي الردى، ولا في بهرج الورى، وقديماً قيل: قبل أن تقعـوا فـي الجريمـة أحيطوا أنفسَكم بأسرار الوقاية، وبذلك تكسبون المناعـة. فـلا تقبلـوا أن يُسـتغَلّ انفجارُكم في الهدم، بل وجّهوه إلى الدعم، وكونوا كما أنتم الآن: قبائلي ــ شـاوي ــ بجاوي ــ أسطايفي ــ سنوسي ــ وهراني ــ بشاري ــ غرداوي ــ بـاتني ــ عنابي ــ قسنطيني ــ تنسي ــ سعيدي ــ بلعباسي ... وقولوا جميعاً: **أنا جزائري/ أنا أمازيغي/ أنا عربي/ أنا مسلم.**

أقول كلمتي هذه، وأحيي نُبلَكم وتكاملَكم، والسلام عليكم.

المؤتمر الدّوليّ للغة العربيّة ♥
والنصّ الأدبيّ على الشّبكة العالميّة

باسمي وباسم المشاركين في الندوة الدولية الموسومة: **المؤتمر الدولي للغة العربية والنصّ الأدبي على الشبكة العالمية.** والتي تعقد مؤتمرها في رحاب جامعة الملك خالد **بأبْها**، المملكة العربية السعودية نتقدّم إلى معالي مدير جامعة **أبْها** بكلّ آيات الشكر والتقدير على حسن الاستقبال، وكرم الضّيافة وبشاشة الوجه والذي لازمنا منذ نزلنا هذه الأرض الطيبّة أدامها الله.

إنّه لمن دواعي سرورنا أن يُختار هذا الموضوع، نظراً لما له من أبعاد حضارية ومعاصرة، وما يعالجه من آفاق مستقبلية؛ حيث يخوض غمار المحتوى الرقمي وما يُضخّ في الشابكة من المكتوب العربي الذي يجعل الحرف العربي ينال موقعاً بين اللّغات، وهذا الموضوع بحاجة إلى إعطاء الأهميّة القصوى، وأن يقع التنافس في تخزين التراث العربي الذي له مقدار زماني ومكاني كبيران، وفي كلّ لغات العالم؛ باعتبار العربية لغة الحضارة الإنسانية جمعاء.

وإذ نعتزّ بموقع اللّغة العربية في الهيئات الأممية وفي انتشارها، وفي عدد مستعمليها وعدد المواقع بالعربية؛ وما تناله يومياً من زيادة؛ فتتنقل من الرتبة الثانية عشرة (12) قبل 2007 إلى الرتبة الثالثة (3) سنة 2016 ويقع عليها

♥ـ أُلْقِيَتْ الكلمة باسم المشاركين في المؤتمر الدولي للغة العربية والنصّ الأدبي على الشبكة العالمية. المملكة العربية السعودية، جامعة الملك خالد، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها. أبْها بتاريخ: 14 – 16 فبراير 2017.

الطلب، ويُطلب ودّها من غير الناطقين بها، وهذا دلالة على عظمتها وقوتّها بقوة دينها، والإسلام دائماً في الصدارة.

السادة الحضور: إنّ المشاركين ينوّهون بما تقوم به المملكة العربية السعودية في مجال الرقمنة، وإذ تُسجل لها الريادة في شبكات التواصل العاملة على ترقية اللّغة العربية، وهذا بفضل المخابر ووحدات البحث، ومراكز البحوث الجادّة التي تضاهي مراكز البحوث العالمية المتقدّمة. وليس هذا الأمر جديداً في جامعات المملكة العربية السعودية، بل لها السبق في رقمنة المكتبات والشؤون الإدارية والتعليم عن بُعد، وتعليم العربية لغير الناطقين بها.

أيّها القائمون على هذا المؤتمر في كلية العلوم الإنسانية، وفي قسم اللغة العربية وآدابها، نثّمن ما تقومون به في إطار خدمة اللغة العربية؛ لغة القرآن التي أكرمنا بها المولى عزّ وجل، ونتمنى ألاّ نقف هنا، بل نعمل على أن تعود لنا الريادة التي كانت لسلفنا الصالح لنكونَ خيرَ خلف لخيرِ سلف.

ومن هذا المنبر الكريم، في جامعة الملك خالد **أبْها**؛ نسجل ذلك الخطاب العلمي الذي جرت فيه جلسات المؤتمر خلال اليومين، ونرفع إلى كلّ المسهّمين في إنجاح هذا المحفل العلمي كلّ التشكرات لتلك الجهود المميّزة لهذا الفعل العلمي، الذي له سبق نقل العربية الممثّل في نصّها الأدبي، وكيف يكون لها موقع على الشبكة العالمية، ولم يحصل لها هذا النجاح إلاّ بفضل الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم راعي الملتقى الأستاذ الدكتور: أحمد بن محمد العيسى ولتلك التوجيهات السديدة لجلالة الملك سلمان بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين.

فيرفع المشاركون في هذا المؤتمر آيات العرفان للمملكة العربية السعودية ممثّلة في جامعة الملك خالد **بأبها**. واللهَ نسأل السداد والخير والعافية.

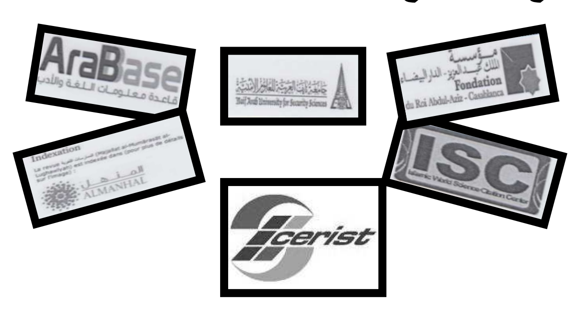
عن المشاركين: الأستاذ الدكتور: **صالح بلعيد**. رئيس المجلس الأعلى للغة العربية بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. فندق قصر أبها: 16 فبراير 2017.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المُدوّنةُ الرقْمِيَةُ للمجلس
(مَكْنَزالمجلس / مج)♥

ــ **مقدّمة:** يمكن القول بأنّ المُدوّنةَ الرقميةَ للمجلس الأعلى للغة العربية المُسمّاة **(مَكنز المجلس/ مج)** عبارة عن مكتبة رقمية كبيرة في المجلس؛ غرضُها تخزينُ أكبر عدد ممكن من الأبحاث الجزائرية الجادّة والتي تهتمّ بقضايا اللغة العربية وفي مختلف حقولها المعرفية. وقد عرفت ثلاث مراحل تأسيسية هي:

ــ **المرحلة الأولى:** كانت خطواتها الأولى في التأسيس لمجلة المخبر **(الممارسات اللغوية)** وهذا منذ العامّ 2010 عندما وضعنا القانون الداخلي لمخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ومقرّه جامعة مولود معمري، بتيزي-وزّو، وقد وقع التنصيص على أن تكون مجلة (الممارسات اللغوية) الناطقة الرسمية باسم المخبر أكاديميةً محكّمةً مُعترفاً بها ومن ذلك الوقت بدأ فريق المجلس العلمي للمخبر في البحث عن منصّات يتمّ تخزين المجلة، وبثّها على الشبكات الدولية؛ كي تنال صفة العالمية والتحكيم الدولي، واهتدى الفريق العلمي إلى توقيع اتّفاقيات مع الشبكات التالية:

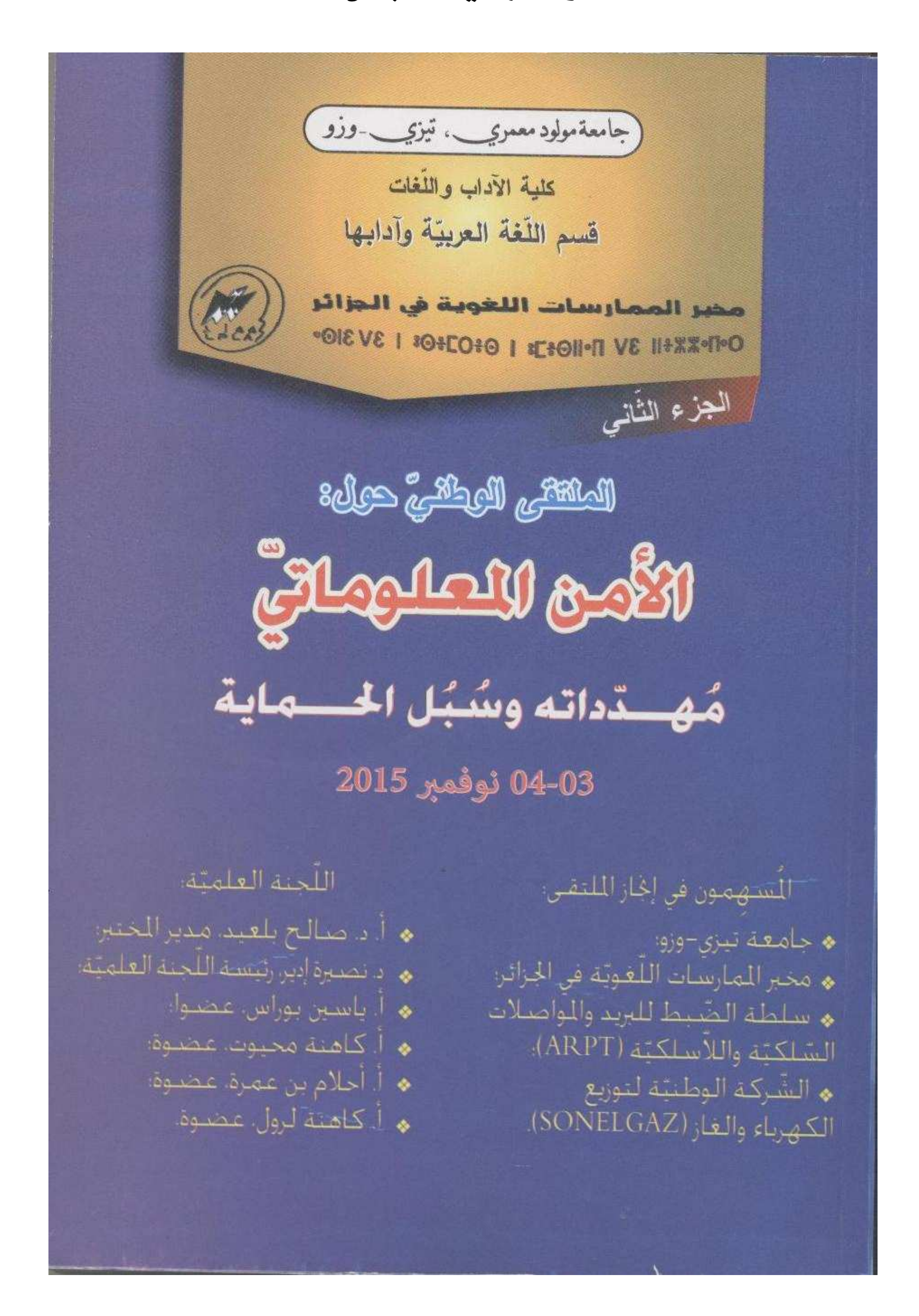


♥ــ محاضرة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الملتقى الدولي للغة العربية والنصّ الأدبي على الشبكة العالمية. المملكة العربية السعودية. جامعة الملك خالد، كلية العلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها في أبها، يومي: 14- 16 فيفري 2017م.

ــ **المرحلة الثانية:** العمل على تحسين خدمات مجلة (الممارسات اللغوية) من خلال متابعة المُستجدات الشبكية النمطية وغير النمطية؛ والتي تُعرض علينا من قبل الشبكات العالمية، وبدأنا في تخزين الأعداد الأولى 1–5 في المنصّات المشار إليها مصحوبة ببعض الأعمال العلمية ذات العلاقة بالممارسات اللغوية وبخاصّة تلك الأعمال العلمية التي تخدم الأمن المعلوماتي والمصطلح، ونشير إلى بعض الأعمال العلمية التي أُنجِزت في صورة ملتقيات/ أيام دراسية:

ــ أعمال ملتقى (الأمن المعلوماتي وسُبُل الوقاية) في جزأين:





جامعة مولود معمري، تيزي-وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر
الجزء الثّاني
الملتقى الوطنيّ حول:
الأمن المعلوماتيّ
مُهدّداته وسُبُل الحماية
03-04 نوفمبر 2015
المُسهمون في إنجاز الملتقى:
جامعة تيزي-وزو؛
مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر؛
سلطة الضّبط للبريد والمواصلات السّلكيّة واللاّسلكيّة (ARPT)؛
الشّركة الوطنيّة لتوزيع الكهرباء والغاز (SONELGAZ).
اللّجنة العلميّة:
أ. د. صالح بلعيد، مدير المختبر؛
د. نصيرة إدير، رئيسة اللّجنة العلميّة؛
أ. ياسين بوراس، عضوا؛
أ. كاهنة محيوت، عضوة؛
أ. أحلام بن عمرة، عضوة؛
أ. كاهنة لرول، عضوة.

أعمال ملتقى المحتوى الرقمي سنة 2014.



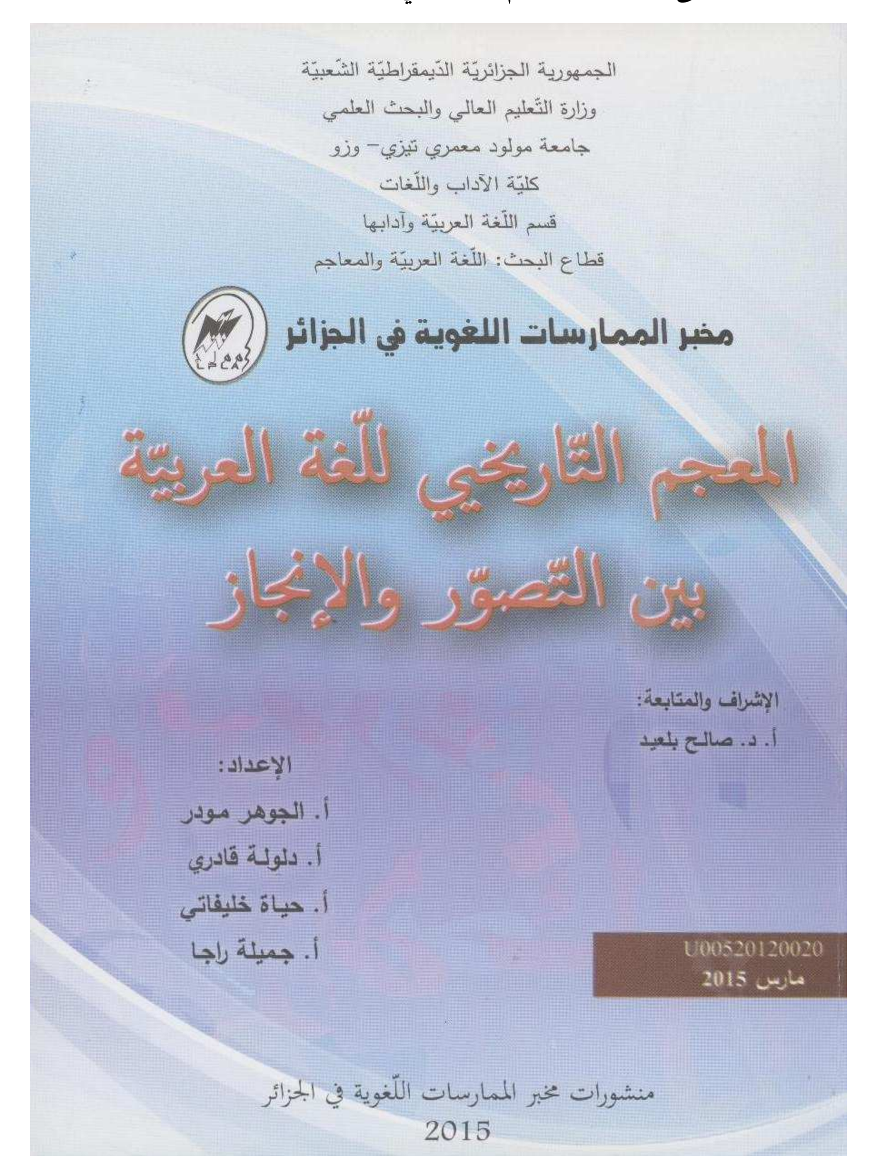
أعمال ملتقى المصطلح والمصطلحية في جزأين:



أعمال ملتقى المعجم التاريخي سنة 2015:



ـ أعمال ملتقى مصادر المعجم التاريخي سنة 2015:


الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مولود معمري تيزي- وزو
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
قطاع البحث: اللّغة العربيّة والمعاجم

مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

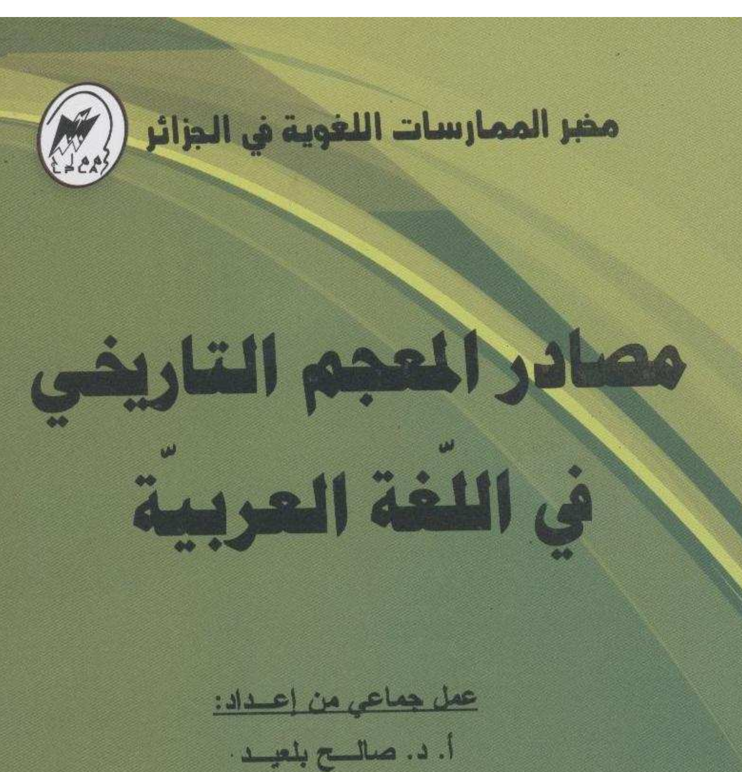
المعجم التّاريخي للّغة العربيّة بين التّصوّر والإنجاز

الإشراف والمتابعة:
أ. د. صالح بلعيد

الإعداد:
أ. الجوهر مودر
أ. دلولة قادري
أ. حياة خليفاتي
أ. جميلة راجا

U00520120020
مارس 2015

منشورات مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر
2015


مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر
مصادر المعجم التاريخي
في اللّغة العربيّة
عمل جماعي من إعداد:
أ. د. صالح بلعيد
أ. دلولة قادري
أ. الجوهر مودر
أ. حياة خليفاتي
أ. جميلة راجا
ديسمبر 2015
منشورات مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر

أعمال ملتقى التعليم عن بعد بين النظرية والتطبيق –التجربة الجزائرية أنموذجاً–

الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطية الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

جامعة مولود معمري، تيزي–وزو
UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

كلية الآداب واللغات
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

قسم اللّغة العربية وآدابها
DEPARTEMENT : LANGUE ET LITTERATURE ARABES

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵄⵎⵎⵔⵉ ⵏ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⴻⵣⵣⵓ

ⵜⴰⵖⴰⵔⴰ ⵏ ⵜⵓⵜⵍⴰⵢⵉⵏ ⴷ ⵜⵙⴻⴽⵍⴰ

ⵜⴰⵎⵙⴰⴳⴰⵏⵜ ⵏ ⵜⵓⵜⵍⴰⵢⵜ ⵜⴰⵄⵔⴰⴱⵜ



الملتقى الدّولي الأول حول:

Enseignement à distance entre théorie et pratique

-Cas de l'expérience de l'Algérie-

15– 16– 17 نوفمبر 2016 م



منشورات مخبر الممارسات في الجزائر2017

ونشير بأنّه خلال هذه الفترة، نالت (مجلة الممارسات اللغوية) صـــفة التحكـــيم الدولي وكان لها الاعتماد الدولي الذي أُعطيَ لنا من المؤسّســات التـــي اعتمـــدنا منصاتها للبثّ والنشر والتوزيع.

ــ **المرحلة الثالثة:** اكتملت في المجلس الأعلى للغة العربية، عنـــدما تأسّســت المرحلة الجديدة في تسيير المجلس؛ والمُسمّاة مرحلة **(الاستمرارية المُتجدّدة)** بسنّ خريطة طريق مُجزّأة إلى ثلاثة آماد؛ وكانت مستمدّة من دســتور 2016، ومـــن **برنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة**، وهي كما يلي:

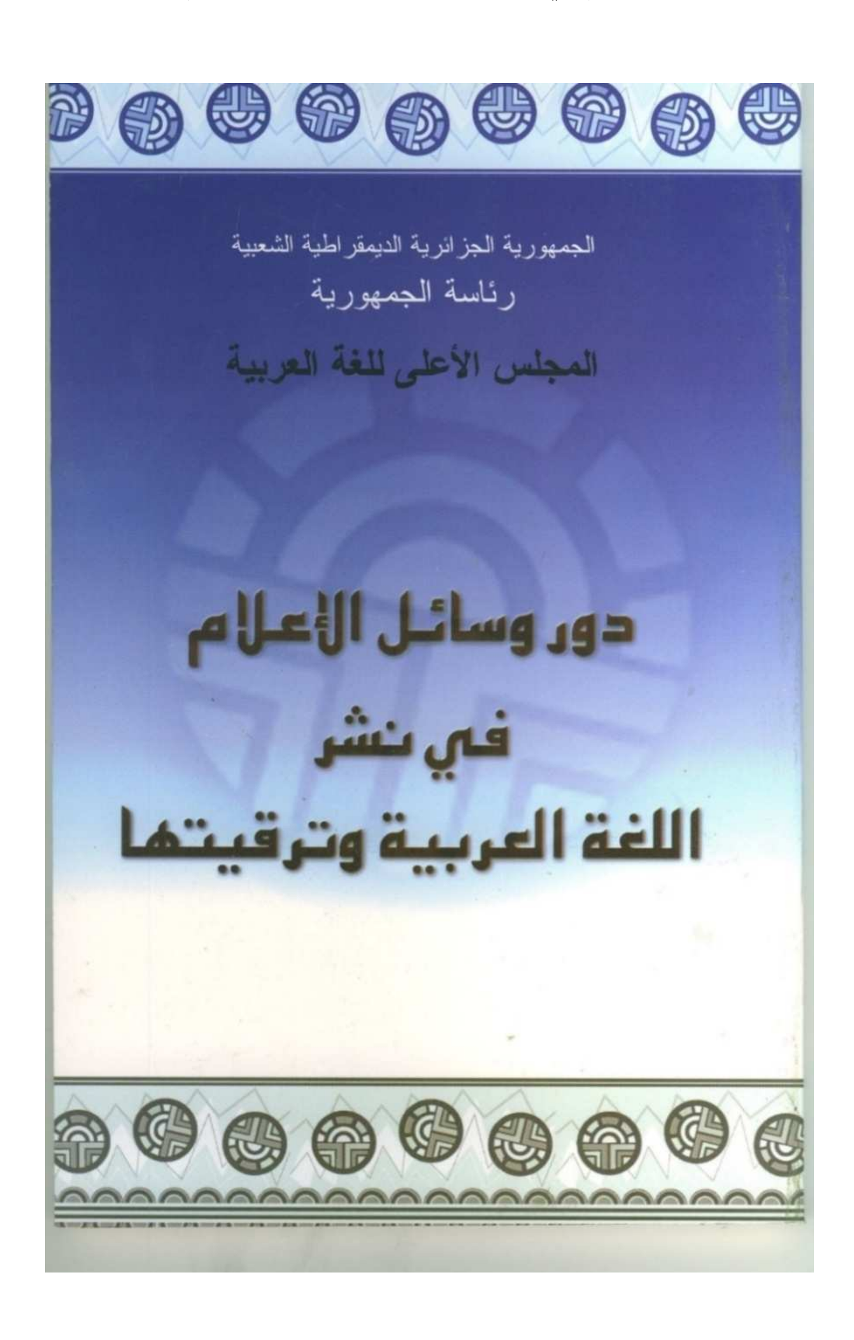
1ــ المدى المستعجل/ القريب: وقـــد وقـــع فيهـــا عـــلاج المســـائل العالقـــة والمستعجلة، ومنها تحسين أداء Facebook التابع للمجلس، وهذا عرفَ الخطواتِ التاليةَ:

1/1ــ تنشيط نوعي لموقع المجلس في Facebook وتسخيره فـــي نشـــاطات وإعلانات المجلس، وكان ذلك بتغطية مُكثّفة، ودون منهجيـــة واضـــحة؛ لافتقـــار المجلس لبوابته الخاصّة.

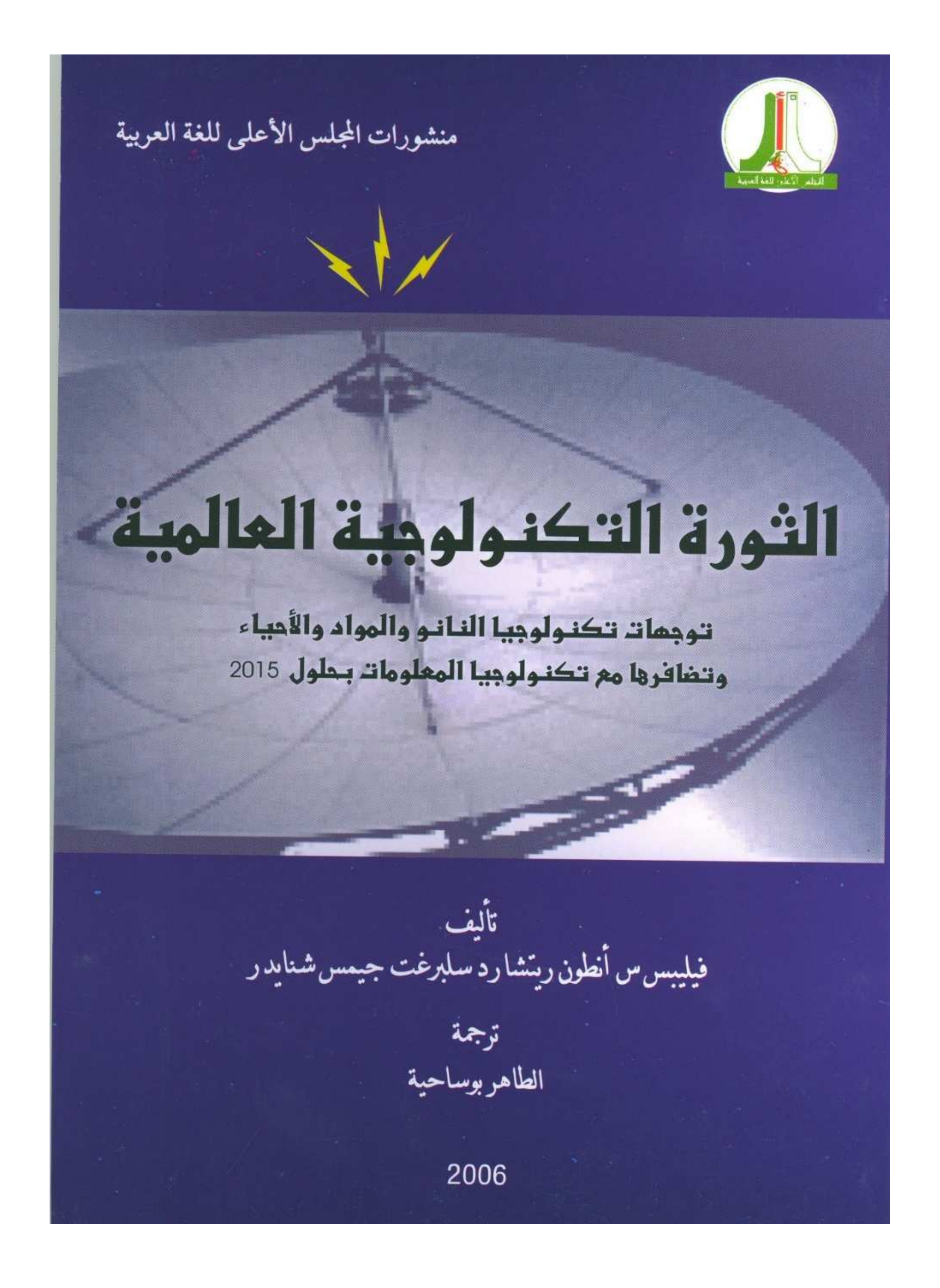
2/1 ــ التأسيس لبوابة المجلس بصورة جديدة، وفق مُقتضيات مَهام المجلـــس الأعلى للغة العربية الجديدة التي ذُكرت في الدستور، وهي: العمل علـــى ازدهـــار العربية+ العمل على تعميم استعمال العربية في العلوم وفي التكنولوجيـــا+ العمـــل على الترجمة إلى العربية.

3/1ــ جعْل مجلتي: اللغة العربية+ معالم للترجمة؛ مجلتيْن معتمديْن فـــي ذات المنصّات التي تعتمدها مجلّة (الممارسات اللغوية) وخلال شهرين تمّ تخـــزين كـــلّ منشورات المجلس مع أعداد المجلتين: 34 عدداً (اللغة العربية) + 6 أعداد (معالم للترجمة) وفي المجموع = 186 عملاً. ويُضاف إليها أعمال أخرى ذات العلاقـــة بالمحتوى الرقمي، وهي ثمانية (8):

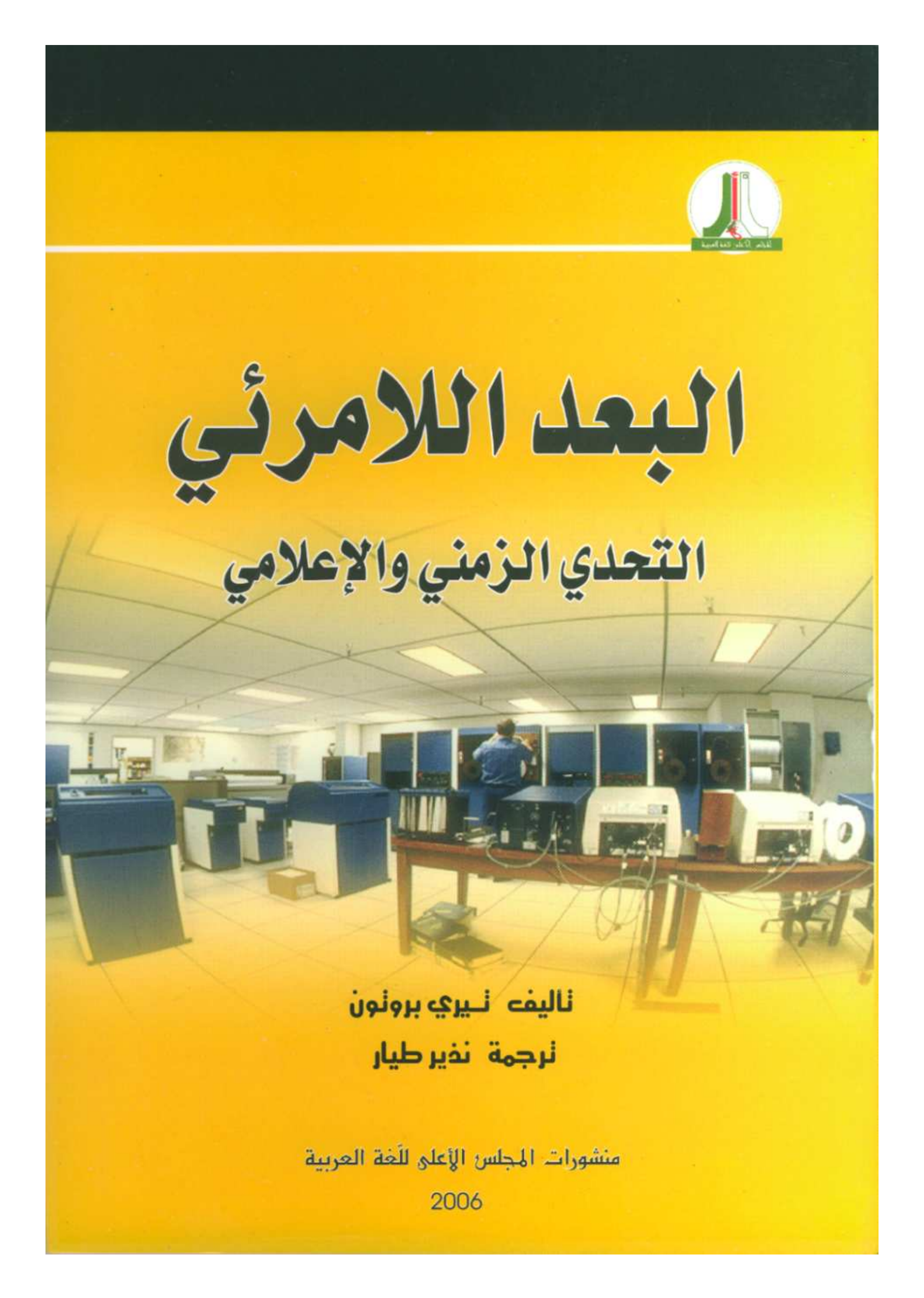
1ـ دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، عام 2004.



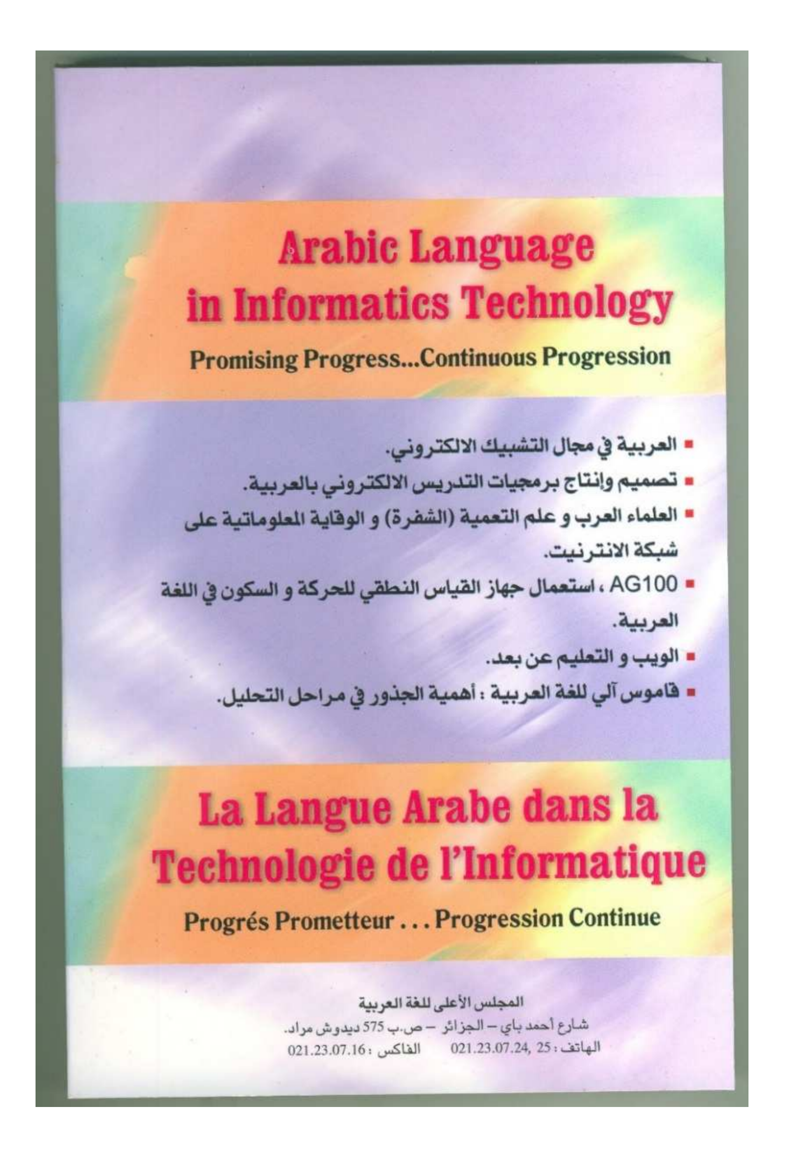
2ـ الثروة التكنولوجية العالمية، عام 2006.



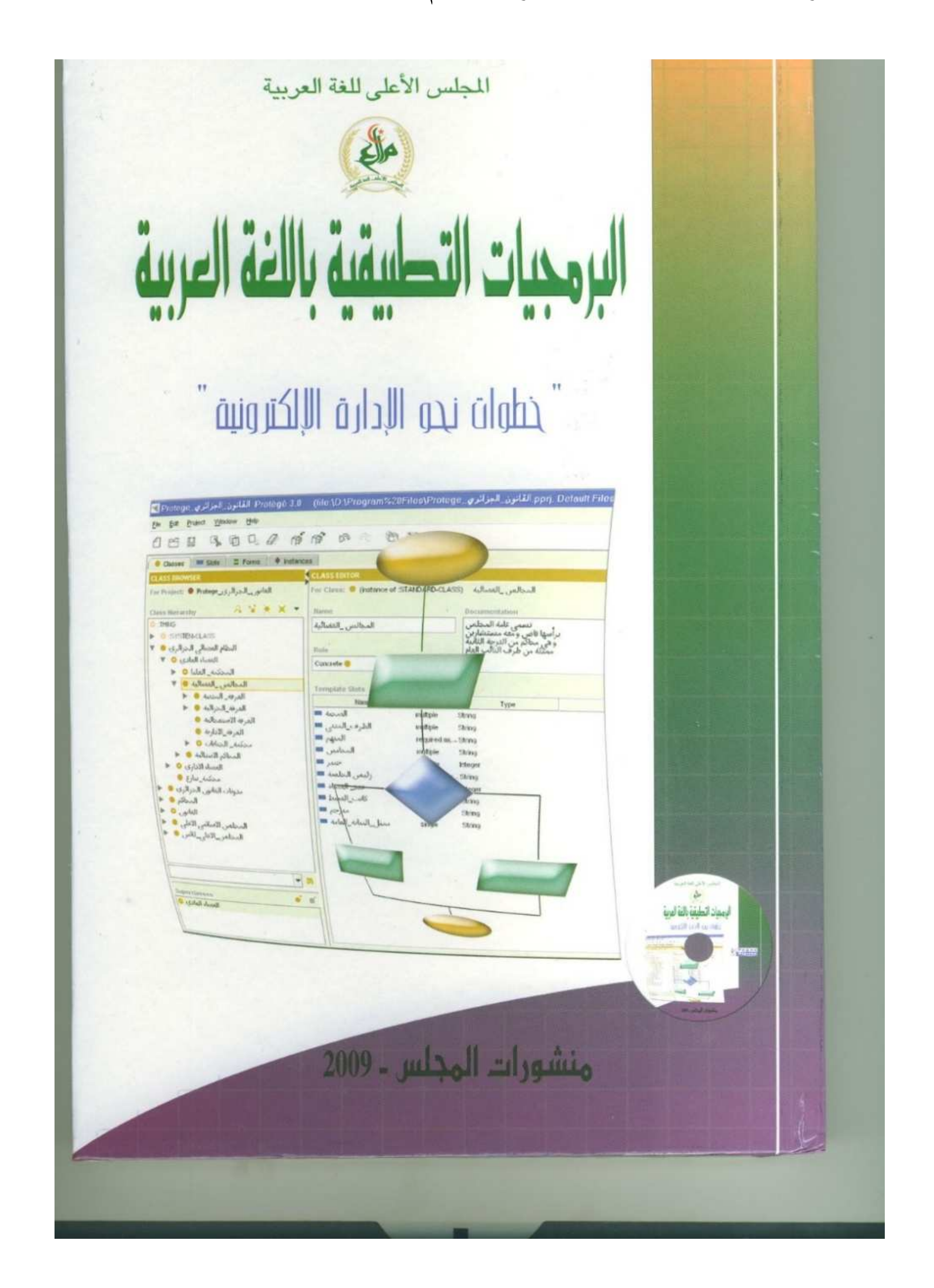
3ـ البُعد اللامرئي، التميّز الزمني الإعلامي، عام 2006.



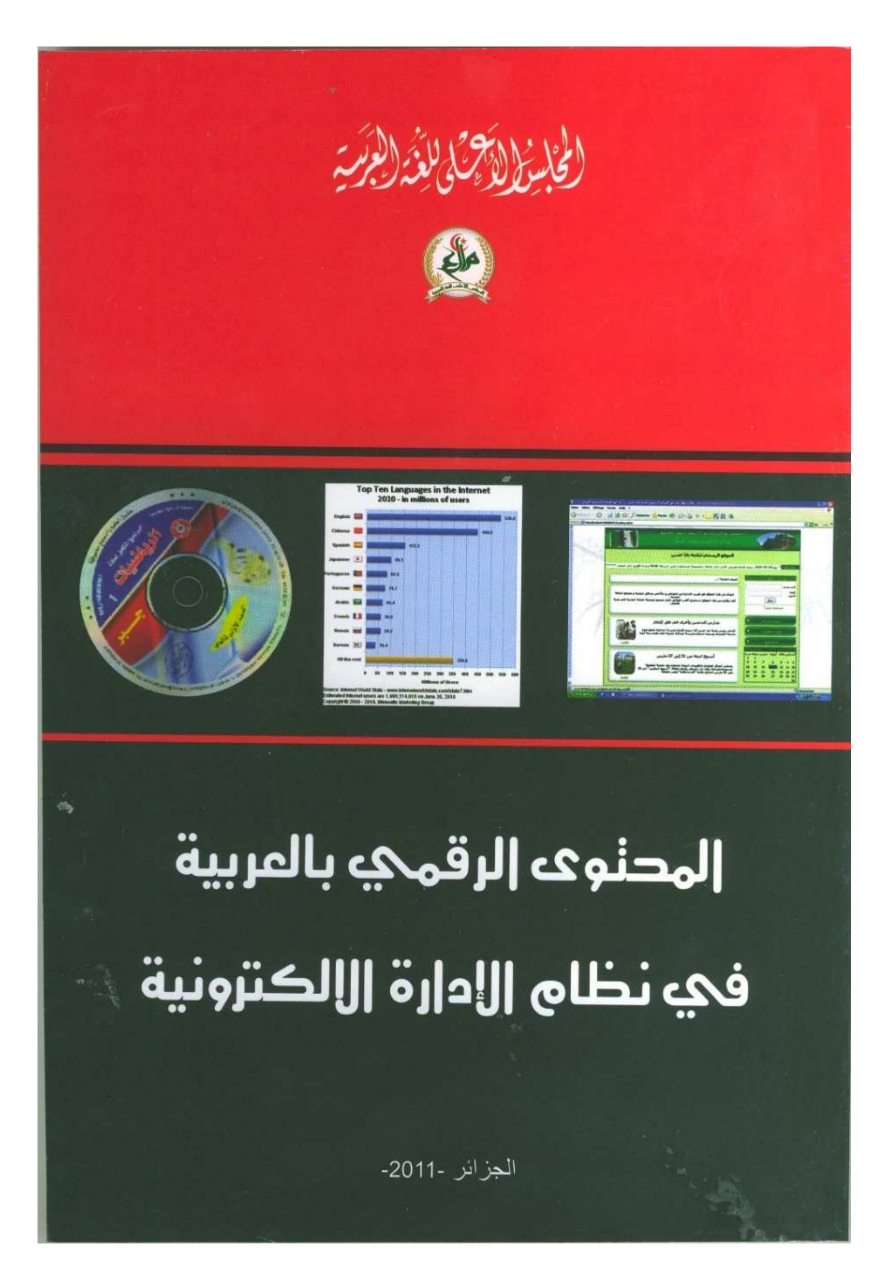
4ــ اللغة العربية في تكنولوجيا المعلومات، عام 2007.



5ـ البرمجيات التطبيقية باللغة العربية، عام 2009.



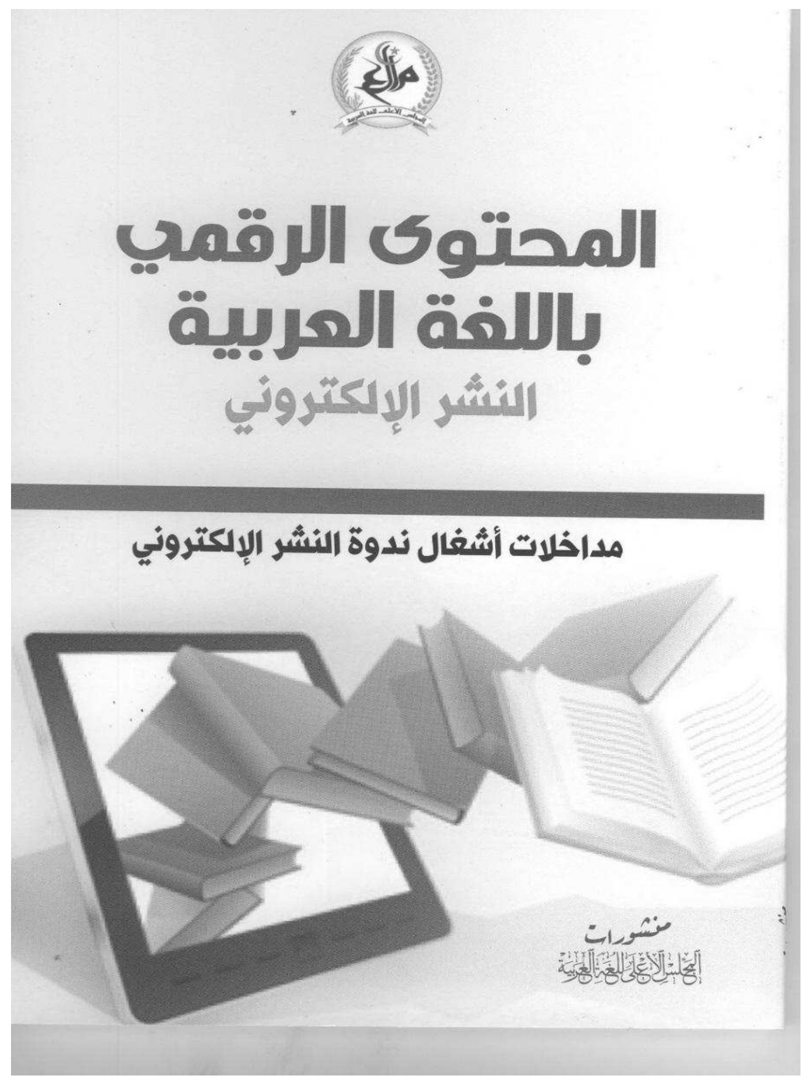
6ـ المحتوى الرقمي بالعربية في نظام الإدارة الإلكترونية عام 2011.



7- دليل وظيفي في المعلوميات: ثلاثي اللغات، عام 2011.



8ــ المحتوى الرقمي بالعربية العربية، النشر الإلكتروني عام 2014.



2ــ المدى المتوسّط: التأسيس لـــ **(مَكْنَز المجلس/ مج):** وقد وقّعنا الاتّفاقية مع مركز البحوث في الإعلام العلمي والتكنولوجي لمتابعة آليات هذا المكنز الذي رأينا أن يكون في مبدأ الأمر يحمل أعمال المجلس بنسخ ثلاث: نسخة غلاف (وجه وظهر) + نسخة PDF+ نسخة WORD.

ثمّ تتلوه أعمال أخرى ذات العلاقة باللغة العربية، ويكون عبارة عن مرجع كبير في علوم اللغة العربية لكلّ الباحثين. وتتابعت الأعمال الرقمية في صورتها السريعة، فعملنا على رفع التجميد الذي لحق بوابة المجلس في موقع شبكي وطني **(جواب)** والذي كان يعمل بمحرّك بحث Google بدفق ضحل. ومنصّة (جواب) وطنية تختصّ بعرض البيانات التقنية؛ باستعمال تقنية المعلومات، ومقرّها الاجتماعي العاصمة. ولا نخفي بأنّنا عشنا أياماً صعبةً لإعادة الأمور إلى مَجراها في المدّى القريب، وبكلّ تحدٍ استطعنا علاج كلّ المسائل العالقة بسرعة؛ رغم بعض المضايقات التقنية، وانتقلنا إلى الشبكة الثانية (cerist) تفادياً لأيّ اضطراب.

وفي هذه المدّة نعمل على تحسين خدمات **(مَكْنز المجلس/ مج)** وقد وقع التنصيصُ في هذه المدّة على تخزين (1000) عنوان إلى نهاية سنة 2017. ويدخل فيها تلك الأعمال العلمية المكتوبة بالعربية، وتختصّ بميدان العربية في مجالاتها المعرفية الخاصّة والعامّة لمنتوج جزائريين. والعمل جارٍ في مستوى التخزين، وننتظر أن نتجاوز العدد الذي وقع تصوّرنا له.

3ـ المدى الطويل: يتواصل تحسين أداء خدمة **(مَكْنز المجلس/ مج)** في العديد من الصورَ وهي كما يلي:

1/3ـ تحسين بوابة المجلس بحسب مُستجدات الرقمنة، وما يُطلب من خدمات تُوضع في المَكْنز.

2/3ـ إسهام **(مَكْنز المجلس/ مج)** في الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية وهذا يدخل في عمل المجلس، ونأمل في الوصول إلى تحسين الترجمة العلمية/ الشخصية والترجمة الآلية التي تكون عَضُداً في ازدهار العربية.

3/3ـ إسهام **(مَكْنز المجلس/ مج)** في المعجم التاريخي للغة العربية الذي بدأت ملامحه الإنتاجية تظهر في الفريق التابع لاتّحاد المجامع العربية، ولا مانع من تقديم المشورة العلمية في المعجم التاريخي للدوحة.

3/ 4ــ إسهام **(مَكْنز المجلس/ مج)** في الـــذخيرة اللغويـــة؛ وهـــو المشـــروع الطموح الذي يديره (مجمع اللغة العربية الجزائري) وهذا العمل يطمـــح أن يعمـــل بمحرّك بحث عربي Arabic Google يُراعي خصوصيات العربيـــة، ويســـتجيب لكلّ طلبات الباحثين والطلبة والقرّاء، ووفق منطـــاق/ Logiciel متطـــوّر لـــربح الوقت، واستدراك التأخير.

5/3ــ الاستفادة من هذه المُدوّنة الرقمية عند الشروع في إنجـــاز **(موســـوعة الجزائر/ سج)** وهو عمل كبير، وسَبَقَ للمجلس الأعلـــى للغـــة العربيـــة أن قـــدّم مشروعاً في هذا المجال ونأمل أن يحظى بالموافقة؛ لنسجّل مَعْلَمَتَنـــا/ موســـوعتنا الكبرى، وتكون رصيداً معرفياً مُرقمنا لكلّ الباحثين عن تاريخ الجزائـــر مـــن أوّل مملكة أمازيغية (مملكة ماسينيسا) إلى وقتنا الحاضر.

ــ منهجية تخزين مكنز المجلس/ مج: ستكون عن طريق **الرصـــد/ التحميـــل/ الحصول** (شرط الحصول على النسخة الإلكترونية)/ الدخول إلى مواقع الجامعـــات الوطنية أو مراكز البحوث والتي فتحت باب التحميل... علماً أنّنا ننقل فقط الأبحاث الجادّة ذات العلاقة بتطوير اللغة العربية والمقدّمة من الجزائـــريينّ فـــي مختلـــف المؤسّسات التي يتواجدون فيها من مثل: مخابر البحوث/ الجامعات الوطنية/ مراكز البحوث/ أعمال فردية/ منجزات علمية/ براءات اختراع/ كتب متصـــدّرة عالميـــاً ومن منتوج وطني... كما يدخل في هذا المضمار أبحاث الماجستير وأطروحـــات الدكتوراه، وكلّ هذا يكون مقروناً بتلك الأعمال المؤلّفة بالعربية، أو مترجمة إلـــى العربية، وتخدم وجهاً من أوْجُه تطوير العربية فـــي مجالاتهـــا المعرفيـــة والتـــي صنّفناها إلى **أربعة وثلاثين (34) مجالاً.**

1ــ تخزين المحتوى في صورته PDF فقط، مع مُلحقات الغلاف، وبيانات النشر.

2ــ حمايته من الإضافة أو التدليس، وما يلحقه من عوامل التعدّي على الملكية الفكرية.

3ــ السماح بحَمْله مَجاناً، بل سنعمل في معارض الكتـــاب أن تكـــون النســـخة الورقية للعرض فقط، ونقدّم نسخة إلكترونية لكلّ راغب في أيّة مدوّنة في المكنـــز؛

حيث يقع تخصيص كبتار لهذا الغرض، وهذا في إطار الاقتصاد في الورق وتفادياً لمتاعب النسخة الورقية التي تتطلّب حيّزاً ونقلاً مُكلّفين.

وهكذا، فقد أوجدنا **(مَكْنز المجلس/ مج)** في أصـله لغـرض تقـديم خـدمات معلوماتية للباحثين؛ وفيه منتوج المجلس الأعلى للغة العربية وأعمالـه ونشـاطاته ومختلف عروضه ومتعلّقاته. والحاصل أنّ كلّ هذا تمّ/ يتمّ بصورة مُرَقمَنَة عاليـة الجودة؛ حيث يُمكّن **(مَكنز المجلس/ مـج)** مُستعملَ الشبكةِ الوصولَ إلـى منتـوج المجلس بِيُسر، ويطّلع على نوافذه، ويأخذ المعلومات المُتاحة للتحميل بالمَجان كمـا يطّلع على مختلف الإعلانات من مثل: إعلان عن جائزة اللغة العربية+ إعلان عن مختلف أنشطة المجلس المُمثّلة في منابره الثلاثة:

1ـ منبر فرسان البيان.
2ـ منبر حوار الأفكار.
3ـ منبر شخصية ومسار.

إلى جانب تلك الإعلانات بخصوص الملتقيات الوطنية والدوليـة والاتّفاقيـات المُبرمة ومختلف الأنشطة الوطنية والأجنبية التي يُقيمها المجلس...

وهكذا؛ رأينا أن ندخل مع هذه التقنية الجديدة فـي تعزيـز الترسـانة الجديـدة المتعلّقة بمجال تكنولوجيا المعلومات والاتّصال؛ والتي تتواءم مع مختلف الاتّفاقيات الدولية التي صادقت عليها الدولة الجزائرية، ورأينا بأنّ هـذا مـا يجعـل **(مَكْنـز المجلس/ مج)** يقدّم الخدمات النوعية حسب ما نصّ عليه الدستور في (العمل على ازدهار العربية) وفي ذات الوقت يعمل على تطوير الإدارة الإلكترونية والاقتصـاد الرقمي، وإلى فضاء رقْمي موجود يتّسع باستمرار مع قانون الحقّ فـي الحصـول على المعلومة. ونقف هنا لنقول: بأنّ التطوّر المعاصر يعرف النقْلات النوعية فـي مجال التبادل الإلكتروني للمُعْطيات العلمية ذات العلاقة بمنتوج المجلس، وهذا مـا تنصّ عليه مختلف التوصيات للحكومـة الجزائريـة بضـرورة تطـوير الإدارة الإلكترونية التي تُعدّ تقدّماً اجتماعياً، فإنّه لا بدّ أن يكون في مخزونهـا معلومـات

تستعملها وقت الحاجة، والمجلس هيأة من هيآت الدولة الجزائرية؛ عليه أن يتــوفّر على معلومات علمية في اختصاصه يعود إليها المختصّ وقت الحاجة. إذاً لا بدّ أن يتأقلم **(مكنز المجلس/ مج)** مع مُدوّنة القوانين الوطنيــة ومــع مُعطيــات الواقــع الافتراضي المتطوّر، وفي أقصى حدود صيحات البرمجيات المستجيبة للمطلوب.

ــ **بيانات موضّحة عن (مَكنز المجلس/ مــج):** هو مكنز افتراضي تكنولــوجي مرقمن تابع للمجلس الأعلى للغة العربية، هدفه عرْض بيانات المجلــس بصــورة تكنولوجية عالية السرعة بنظام Word ويتماشى سيره مع كلّ محرّكــات البحــث الموجودة حالياً؛ بل يستجيب للمحرّكات القادمة لأنّنا راعينا فيــه التطــوّر الــذي يحصل في مجال المناطيق والتنافس بينها.

إنّ **مكنز المجلس/ مج** يحوي كلّ الأبحاث المكتوبــة بــالحرف العربــي فــي المجالات التالية:

التاريخ والآثار–علوم الطب – الجغرافية – الأدب – فقه اللغة – البيولوجيا – علم النفس –السيميائيات والتداولية – اللسانيات –البترول –الاقتصاد – الإعلام – الأرصاد الجوية – علوم البحار – الحروب الإلكترونية – الجيولوجية والجغرافية – التجارة والمحاسبة – التغذية – البيطرة – الديبلوماسية – علم التشريح – علم العمران – محو الأمية وتعليم الكبار – تكنولوجيا المعلومات – السياحة والنقل – تقنيات النانو – الديمقراطية وحقوق الإنسان – العلوم السياسية –العلوم القانونية –علم اللاهوت – إسلاميات – دراسات نقدية – علوم الإدارة –الطاقات المتجــدّدة – الكيمياء – الفيزياء – الرياضيات –علوم الحيــاة – علــم الفلــك – الهندســة والهندسة المدنية– علم الاجتماع – المعاجم – التســيير – الفنــون – السِّــيَر – دراسات قصصية –الزراعة – الرياضة–التحقيق –التكنولوجية والتقانة – علــوم البحر – الفلسفة– علم الحِيَل والصناعة – علم التعْمِية. وتبقى هذه المجالات قابلة للدمج إذا لم يقع تحميل اللازم من المصادر والمراجع، ويمكن أن يُضاف **(المكنــز**

المجلس/ مج) مجالات أخرى، وهذا بحسب ما يُمكن رصدُه من وجود المادة في المجال وما يَطرأُ من جديد.

ـ **خاتمة:** نحن أمام مُدوّنة رقمية (**مَكْنز المجلس/ مج**) يُراد لها أن تنفتح على المستقبل بصورة فاعلة؛ علماً أنّ القوّة الأساسية للشابكة تكمن في تطوّرها، وتطوّر هذه التقانات يكون بمساحة المُبادرات المُبدعة وأخلاقيات البحث، والبثّ السريع والقويّ ومُتابعة المُستجدات، وما يخزّن فيها من مادة.

علماً أنّ هذا الزمان رهانه في كسب ما تديره الآليات وما تضخّه من معلومات في أوعية التواصل الاجتماعي، بل إنّ ذلك ما يعطي للمجلس الأعلى للغة العربية وجوداً كما يعمل على زيادة موقع اللغة العربية في بيانات الشبكات العالمية، ونحن جادون لتوسيع وتنشيط هذا البناء الرقمي للمجلس؛ ليكون نداً لتلك المواقع الافتراضية العالمية التي تقدّم الخدمات العلمية للباحثين في كلّ صُوَرها، وتقدّم المعلومة بصورة سريعة وفنيّة وذكية، وهذا مُبتغانا في تطوير (**مَكْنز المجلس/ مج)**. وتحدُونا الإرادة القوية ضمن مَسار النظرية اللغوية اللسانية/ المرجعية المُعتمدة لدى مُريدينا الذين يعملون على تطبيقها بصورة عقلية؛ بما لها من صفات: **الشمول+ الاتّساق+ المنطق+ الاتّساع في الزمان+ الاتّساع في المكان+ وجود المُريدين+ قابلية التكيّف.**

مشروع (مَعْلَمَة المخطوطات الجزائرية)

يأتي هذا المشروع الموسوم بـ (مَعْلَمَة المخطوطات الجزائرية) في إطار المدى المتوسّط والمدى البعيد الذي سطّره المجلس في خريطة الطريق لتجسيد البند الأوّل من (العمل على ازدهار العربية) حسب ما نصّ عليه الدستور في مادته الثالثة، ووفق الاستمرارية المتجدّدة التي بدأ تطبيقها منذ سبتمبر 2016 ضمن أُطُرها الأربعة = **الانضباط** + **الفعالية** + **الإتقان** + **السرعة.**

إنّ مَعْلَمة المخطوطات الجزائرية مشروع وطني يعمل المجلس على جمع مادته حيث وُجِدت، ويقدّمها لمن يهمّه الأمر كمشروع يحتاج إلى دعم وتشجيع؛ حيث

يجمع الذخيرة الوطنية في مدوّنة مُرقمنة حديثة، وفق آخر تقنيات المحتوى الرقمي. وغرضه ما يلي:

1ـ جمع التراث الوطني وتقديمه للباحثين/ للقرّاء/ للمُهتمين ووضعه قيْد الدراسة والتحليل والنقد والتحقيق.

2ـ تعريف الخلف بفِعْل السلف، وبما تركوه من كنوز تحتاج أن تُبعث في صورة مُعاصرة.

3ـ تسهيل الحصول على هذا التراث وتقديمه للباحثين تشْجيعاً لهم على تحقيقه ووصفه وضبطه وتشفير خطوطه.

4ـ تقديم المخطوطات الجزائرية للقارئ الجزائري والعربي وللمُحققين لتقديم أطروحات أكاديمية وفْق مقاربات عصرية، وضمن منهجيات التحقيق التي أُقرّت من قبل مُؤسّسات التحقيق.

5ـ الاعتزاز بالتراث الجزائري لفِعْل السلف، والعمل على ربطه بالحداثة على أنّ العلمَ استمرارٌ لا ينقطع، وأنّ الحضارةَ تكاملٌ وتواصلٌ.

6ـ تعريف القارئ بتلك الكنوز التي أنتجتها الأمّة الجزائرية من مملكة ماسينيسا إلى يومنا الحالي.

7ـ إثراء المكتبات الوطنية والدولية بهذه المَعْلَمَة وفق ما يطرأ عليها من دراسات وتحقيقات.

8 ـ رقمنة المَعْلَمَة في صورة معاصرة، وفق ما تتطلّبه آخر تقنيات الرقمنة.

ـ **منهجية الوصول للمادة:** سيكون هدفنا العمل على التواصل العلمي مع:

ـ المكتبات العمومية – دور النشر الوطنية – الأفراد المتخصّصون – المكتبات الخاصّة – الصناديق المغلقة – الزوايا – وزارة الشؤون الدينية – ملكيات العائلات – قصور الصحاري – صناديق الأفراد...

ــ الرصد في شبكات المَخابر المُتخصّصة؛
ــ الوصول إلى بعض المَخطوطات بطرائق خاصّة؛
ــ الحصول على مَخطوطات مُرقمنة، أو مُفَهْرسة.

ــ **مُخطّط المجالات:** تسهيلاً للباحث سوف نعتمد خطّة بسيطة بتقسيم المَعْلَمة حسب محتوى المخطوطات ضمن المجالات التالية:

الأدب – دراسات قرآنية – تفاسير – دراسات في الحديث الشريف – السيرة النبوية – علم التجويد – علم الفلك – التربية الخُلُقية – التاريخ والآثار – العلوم الطبية والجراحة – الفتوحات والغزوات – الطبيعة والأعشاب – السِّيَر والأعلام –الأساطير والألغاز – الحِكَم والأمثال –الجغرافية والرحلات –الدواوين الشعرية –علم التعمية والحِيَل.

ويقوم الفريقُ المُنجزُ للمَعْلَمَة بإدخال التعديلات الضرورية على أسلوب عمله انسجاماً مع خُطط العمل التي يفرضها الموضوع، ومنهجية المجلس التي تستهدف ازدهار العربية في مختلف مجالات الازدهار. وكذلك وِفق مناهج وأساليب تقتضيها آليات الحداثة؛ لاستكمال الذخيرة اللغوية المتوفّرة لدى المجلس وإتاحتها عَبْر الشابكة.

ــ **شبكة التصنيف:**

مخطوطات غير مُحقّقة، سيكون لها الشبكة التالية:

مثلاً مجال **الأدب:**

عنوان المخطوط	مُؤلّفه	المكتبة	رقمه

ب – مخطوطات مُحقّقة:

مثلاً مجال **الأدب:**

عنوان المخطوط	مُؤلّفه	مُحقّقه	المكتبة	رقمه

بطاقة المخطوط

المجلس الاسلامي الأعلى　　　　　　　　المجلس الأعلى للغة العربية

الولاية:..............................الدائرة:..............................البلدية:..................................

اسم الخزانة:..

اسم المفهرس:...................•..................تاريخ الفهرسة:..................................

رقم المخطوط	
عنوان المخطوط	
المؤلف:اسمه الكامل(شهرته)، مولده ووفاته(التاريخ الهجري/الميلادي)	
موضوع المخطوط	
تاريخ النسخ	
الناسخ:اسمه، مولده ووفاته	
عدد الأوراق	
المقياس	
المسطرة	
بداية المخطوط	
نهاية المخطوط	
نوع الخط	
لون الحبر	
مكان وجود الأصل	
حالة المخطوط: وصف دقيق	
نوع الوعاء (ورق، جلد،...)	
ترقيم المخطوط	
الملاحظات	– هل توجد زخرفة في المخطوط نعم ☐ لا ☐ – هل الكتابة على الورق؟ نعم ☐ لا ☐ – هل توجد تمليكات؟ نعم ☐ لا ☐ – هل توجد حواشي؟ نعم ☐ لا ☐ – هل توجد تعليقات العلماء؟ نعم ☐ لا ☐

ملاحظة: المفهرس غير ملزم بملء كل الخانات إذا تعذر عليه الأمر　　　　**التوقيع**

كلمة اليوم العالميّ للغة الأمّ♥

ــ **مقدمة:** إخواني الحضور، إنّنا نعيش حدَثاً فريداً من نوعه؛ حيث تلتقي أركانُ الهوية الوطنية في هذا اليوم الخاصّ، احتفاءً باليوم العالمي **للغة الأمّ**، وأيّ حدث حصلَ، بحضور هذه الثُّلّة من الرسميين ومن الباحثين، ومن المُهتمّين بالفعل الوطني الانسجامي في إطار تعدّدية لغوية مُتكاملة، فأنْعِمْ به من حدثٍ**!** فماذا عساني أقول:

تجسيداً لليوم العالمي **للغة الأمّ** الذي أقرّ الاحتفاء به بتاريخ 21 فبراير من كلّ سنة من قبل هيأة الأمم المتحدّة، ها هي المجالس العليا التابعة لرئاسة الجمهورية؛ تحتفي بالمناسبة؛ حيث يلتئم المجلس الأعلى للغة العربية، والمحافظة السامية للأمازيغية والمجلس الإسلامي الأعلى خصيصاً لإحياء المناسبة. ويسعدنا أن نتكامل في الحديث عن أهمية المحافظة على **لغة الأمّ** الحاملة للهُوية الوطنية والإحساس الذاتي الطبيعي والتي شرّعت العديد من الدول في تأسيس هيآت ومجالس من أجل إيجاد تدابير لحماية لغاتها، بالتركيز على **لغة الأمّ**؛ باعتبارها حاضنة للهوية والاعتزاز والتفاخر، وهي لغة يتلاغى بها الوليدُ ويرضعها من أمّه في بداية تكلّماته. **ولغة الأمّ** هي لغة المنشأ والاستعمال واللغة الجامعة، ومن هنا وقع الاختلافُ في تحديد دقيق في هذا المصطلح.

إنّ **لغة الأمّ** تتدفق من متلاغيها اندفاقاً، لا يمكن أن تكون مثل اللغة الأجنبية؛ حتى لو أتقنها إتقاناً؛ فتكون شخصيتُه مفتعلةً. **ولغة الأمّ** هي تلك التي ازدوجت بها شخصية الإنسان، فأصبحت توأمَهُ، وبقية ما أجاده من لغات لا تعدو أن تكون محفوظات يعود إليها عند الحاجة، كما أنّ استعمال **لغة الأمّ** مع المعارف لا تحتاج

♥ـــ أُلْقِيَتْ هذه الكلمة بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة الأمّ 21 فيفري 2017م. المكتبة الوطنية وبذات المناسبة أنجزنا يوماً دراسياً بمعية المحافظة السّامية للأمازيغية.

إلى وسائط ولا إلى جسور، فالكلام يجري جرياً خفيفاً دون تكلّف، فبيني وبين ابن لغتي تكون أبواب النفس مُشرّعة، ذلك أنّ الشّخص عندما يتكلّم **بلغته الأمّ** يكون صادراً عن صميم أناه ويكون هو في صفاء ذاته، وعندما يتكلّف الكلام بلغة غريبة عنه، يكون كمن خرج من ذاته وتلمّسَ وجْهاً آخر أوشابَ ذاتَه الصّائبةَ بعضُ العَكْر.

وعلى العموم، فقد أصبحت اللغات الوطنية تتبوّأ مشروعية حقّ الإيكولوجية العامّة للكائن، ويُهتمّ بها اهتماماً لمواصلة التناسل والتطوّر؛ وصولاً إلى الإنتاج وإلى الوحدة **لأنّ وحدة الأمّة من وحدة اللغة.** ومن هنا أضحت اللغات الوطنية عاملاً من عوامل تشكيل المرجعيات الوطنية، هذا من جهّة، ومن جهّة أخرى، فإنّه بقدر ما تكون اللغات الوطنية مُتطوّرة ومُوحَّدة بقدر ما تكون الأمّة مُنسجمة.

وهكذا نحن في بلدنا نحتكم إلى **لغتين أمّ**، بحكم التلاغي والوظيفة والدمج العفوي فقد علّمنا التاريخ بأنّ المازيغيين والعرب في هذه البلاد قد عاركا معاً الكثير من المطبّات والتحدّيات؛ ممّا أعطى شعباً واحداً مُدمجاً تجاوزَ كلَّ الصعوبات في صيرورة تاريخية مشتركة، وكانت الطريق الأنجع لإبداع الحلول وتجاوُز مُعيقات التكامل؛ بدءاً من التصاهر اللغوي إلى القواسم المشتركة المستقبلية. وقد استطاع هذا التصاهرُ كسرَ إيديولوجيا الإثنية ومصطلح الإيديولوجية التغريبية الزائفة، والتي تنظر إلى الأصول نظرة احتقارية من خلال خلق نماذج لتزوير التاريخ، ويقول (مولود قاسم) "وفي مجال تزوير التاريخ هناك عدد لا يُحصى ممّن يحاولون أن يشكّكونا في تاريخنا ويذبذبونا في حاضرنا ومُستقبلنا، ولذا علينا أن نحذرَ ونختارَ ونحتاطَ، علينا أن نقرأ كلّ شيء بشرط الحذر والاحتياط واليقظة؛ وذلك لأنّ التاريخ هو أساس الإيديولوجيات كلّها، وليس بهذه الموضوعية والعلمية والنزاهة والحياد والتجرّد، وغير ذلك ممّا يدْعون إليه[1]" ويؤكّد ذاتَ الأمر الباحثُ الجامعي (محمد العربي ولد خليفة) بأنّ "الإسلامَ والعربيةَ

---

[1] ـــ مولود قاسم، مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا. الجزائر: 1986، المؤسّسة الوطنية للكتاب ص: 18.

والأمازيغيةَ يعني الجزائرية بنظرة غير إقصائية أو تقسيمية للنخبة، وينبغي تجاوز التوزيع حسب اللسان المستعمل؛ **فالعربية في الجزائر لغة جامعة، وليست عِرقاً ولا إيديولوجية حزبية والأمازيغية لغة تراثنا**". وهنا يمكن القول إخواني بأنّ اللغة في الحقيقة ليست مسألةً ولا مشكلةً، وتأتي مَهَمّة الباحثين والمؤرّخين في تنقيح وتصحيح ما لم يكن في مكانه؛ باعتماد الموضوعية العلمية.

إخواني الحضور، لا ننكر بأنّ الشعب الجزائري قد عانى من الرومان والوندال والبيزنط، وعاشَ أياماً عسيرة مع الأتراك، واستعماراً شرساً مُدَمّراً مع الفرنسيين، ويقول المؤرّخون بأنّ البربر خسروا في حروبهم مع البيزنطيين في منتصف القرن السادس للميلاد خمسة ملايين (5000000) من الأنفس. وعندما جاء الفتح الإسلامي رافعاً تلك المحبّة والمودّة بين البربر والعرب؛ امتزجا واختلطا بِسُرعة تُضاهي سرعة الفتوحات؛ وكان لذلك أثره الخاصّ في إعادة تشكيل الروح الجزائرية تشكيلاً حضارياً مُتميّزاً. وبذلك أعطى الحدثُ الإسلاميُ للمجتمع الجزائري صورةً جديدةً في التاريخ؛ صورةَ التكامل ومعالجةَ التحدّيات الحينية والبينية والقادمة علاجاً موضوعياً؛ كان غرضَه الوصولُ إلى الانسجام الجمعي والعيش معاً، وذلك كلّه من خلال التماسك الاجتماعي والثقافي التي أطّرتها **الثقافة الإسلامية**، ممزوجة بتلك القيَم الحضارية المازيغية، وما تبعها من صُوَر الأعراف المُستحسنة التي أطّرت بدورها ثقافتنا الوطنية المُمثّلة في: الاحتفاء الوطني بيناير/ نظام الوزيعات/ الاحتفاء بالمولد النبوي الشريف/ الاحتفاء بعاشوراء/ التعاون في خدمة الشأن العامّ/ نظام الفقارة/ التضامن في الملّمات والوفاة/ نظام ثاجماعيث... دون الحديث عن الجانب اللساني المتداخل؛ حيث الأرومةُ اللغويةُ تجمعهما؛ فالأعداد هي ذاتها في اللسانين، والأزمنة ذاتها والألفاظ الدينية تقريباً عربية 100%، والأمثال والحِكَم نسبة كبيرة متداخلة في الأداء وفي المعنى... أليس كلّ هذا مَدْعاةً للتأمّل في فِعْل الأجداد الذين تبَنّوْا العربيةَ خياراً استراتيجياً والإسلاَم ديناً مثالياً، والتراثَ استمراراً وطنياً. وهكذا، **فبالأمازيغية نبقى وبالعربية نرقى وبالإسلام لن نشقى، بثلاثي العروةِ الوثقى، فأنعمْ بهذا التكامل من خلال هذا الملتقى!**

إخواني الحضور، باسمي وباسم الفريق العامل في المجلس الأعلى للغة العربية نروم في لاحقٍ من الزمان أن تتكاملَ أعمالُ هذه المؤسّسات في شكل محاضـــرات وندوات وترجمات في اللغتين الوطنيتين والرسميتين، ويقع تقاسمُ الأعباء في ترقية **اللّغة الأمّ، ولغة الأمّ** في مُقاربات فكرية لسانية على غرار هذا اليوم الذي نســتمع إلى نخبة وطنية عالمة؛ سبقَ لها أن قدّمت محاضرات في هذا المجال، وما هي إلاّ البداية والبداية تعني إذابة الجليد الذي كان بين بعض النخبة التـــي تضـــع بعــض المُضايقات الشكلية في مجال التكامل، وعهدي بأنّ الباحث ينشد الموضوعيةَ، وذلك ما نستهدفه من خلال هذا اليوم الذي يكون فاتحـــة لعهـــد انســـجامي يـــدخل فـــي المصالحة الوطنية ومع الذات اللسانية **تجسيداً لبرنامج فخامة رئيس الجمهوريـــة السيد عبد العزيز بوتفليقة.**

وإنّنا لشاكرون للأساتذة المحاضرين، ولهؤلاء الذين شاركونا بمعارض لوحاتهم وتحياتنا للشعراء، والمُبدعين الذين سوف يُشنّفون آذاننا بما ستجود بـــه قـــرائحُهم. وتحياتنا للأمين العامّ للمحافظة السامية للأمازيغية، وإلى فريقه، وتبنّيهم هذا العمـــل التكاملي، بل كانوا السبّاقين للدفع إلى إنجاز التجربة بروح وطنية تحمـــل صـــفات الإخلاص والوفاء لفعل السلف، فهم الخلَفُ الذين باركَهم السلفُ. والشكر كلّ الشكر لمعالي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي رحَّبَ بالفكرة بل شجَّعنا على تجسيد هذا الاحتفاء، وكان يؤكّد السيرَ في هذا العمل لتحقيق المُنجز التكاملي فـــي لوحـــة مُتكاملة، فأنْعِم به من مُشجّع! بل سبَقَ أن عمِل معاليه في إطار هذه الخريطة بعقد سلسلة من الندوات في رحاب المجلس الإسلامي الأعلـــى، وكانـــت تـــروم الـــدفع بالثلاثي المقدّس إلى التجسيد والتكامل.

ولا يفوتنا التنويه ورفع آيات العرفان والتقدير والتبجيل لمعالي الوزراء ولنواب الشعب ولإطارات الدولة وللباحثين ولكلّ القائمين على ازدهار الجزائر، ولكلّ مـــن يخدم هذا المكان الذي فتح لنا هذا الفضاء لنلتئمَ في هذا المحفل العلمي، ولكلّ مـــن حضرّوا وحَضَروا، ولرجال الإعلام الذين يُغطّون الحدث بروح تشـــجيعية، وإنّنـــا مَمْنونون للخدمات الجيّدة التي تُصنَع من إعلاميينا، فهم لُمَعُ وطننا، والعِولُ علـــيهم

في نقل الأحداث بموضوعية، والعملُ على الدفع بها لتنالَ موقعَها لدى الســـامعين. والتحيّات الخالصات لكلّ الذين سَهِروا من أجل أن يحصل النجاحُ في هــذا اليــوم **والنجاحُ صناعةٌ جماعيةٌ** وباركَ الله في جمْعنا هذا. والسلام عليكم جميعاً.

كلمة أُلْقِيَتْ في جامعة البليدة♥

إنّه لمن دواعي سرورنا أن نتقاسم **الاحتفاء باليوم العربي للغـــة الضـــاد**؛ فـــي البليدة مدينة الورود والجمال، مدينة العلماء من أمثال الشيخ بابا عمر مفتي الجزائر الأسبق وفي مدينة المجاهدين الأشاوس. ومحفلنا هذا؛ يحتضنه صـــرحٌ أكـــاديمي مُسمّى بجامعة المجاهد (علي لونيسي) رحمه الله. وإذا كان الاحتفاء باليوم العالمي للّغة العربية كونها تراثاً إنسانياً؛ فإنّ الاحتفاء **باليوم العربي للُغة الضـــاد** يؤكّـــد أنّ العربية لها ما لها من القيمة المشتركة باعتبارها تراثاً عربياً مشتركاً، يتساوق ذلك واحتفاءَنا الأخير باليوم العالمي للغة الأمّ في الحادي والعشـــرين (21) مـــن هـــذا الشهر، والذي يُكمّل حلقة الانتماء من المحلية إلى الإقليمية فالإنسانية.

إخواني الحضور، ماذا أُحدِثكم عن العربية التي تعلمون أنّ لها الماضي المشرق ما لها، وتكتنز من التراث ما هو من اللؤلؤ؛ فهي التي أعطتِ للعالمَ الخوارزميـــات ونظارات الهيثميات، وجراحات الزهراويات، ومنتـــوج جـــابر بـــن حيّـــان فـــي الكيمياويات وفتوحات ابن قتيبة في المنهجيـــات، وابـــن ســـينا فـــي الجراحـــات والإدريسي في الكرويات وعباس بن فرناس في الفضائيات، ونظام علم الاجتمـــاع الخلدونيات، وقصّة ألف ليلة وليلة العجائبيات... ولا نقف على الإطلال الماضيات بقدر ما نريد أنّ للعربية من العظمة ما لها للنهوض أو تلمّس أسباب الازدهار مـــن جديد، وما كان احتفاؤنا بهذا اليوم العربي إلاّ لإعادة الثقة للناطق بالضاد، والتفاؤل بالوضع اللغوي رُغم بعض الهنات، ولكن علامات النهوض ظاهرة فتفاءلوا خيـــراً وهو جزء من النهوض فعلاً.

♥ أُلْقِيَتْ الكلمة في جامعة علي لونيسي بالبليدة بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد. البلدية: 28 فيفري 2017.

إخواني الحضور: لا شكّ أنّ الألكسو واعيةٌ بالتحدّيات الكبرى التي تحيط بالعربية في عصر العولمة الثقافية؛ والتي تُمثّل ظاهرةً مُهدّدة للهوّيات والخُصوصيات وللتنوّع اللّغوي والثقافي، وهذا ما دفَعَها إلى دعوة الدول العربية إلى إقرار يوم **عربي للغة الضاد** يكون في أوّل مارس من كلّ سنة؛ ابتداءً من عام 2007 وضرورة الاهتمام بها في مجالات الثقافة والمعرفة التي أصبحت المعيار الحقيقي لتقدّم الأمم وازدهارها عن طريق التحكّم في التقانات، ووضع البرمجيات وتشجير باب الصرفيات، وعقلنة النحويات والاستفادة من الترجميات؛ وصولاً إلى فتح باب الإبداعات.

أيّها الجمع الكريم، إنّنا لا نريد أن تكونَ احتفائياتُنا رقْماً جديداً في سلسلة الاحتفائيات الشكلية، ولكن نروم من هذا اليوم الدراسي طرح مسائل العربية العالقة طرْحاً علمياً وتجنّب عرض المشكلات التي أبدع فيها بعضُنا، ونتوجّه رأساً لإبداع الحلول، وتقديم الوسائل الكفيلة بالإجراءات إجابة عن هذه المشكلات وإلى المنهجية بصورة علمية أكاديمية بِمُراعاة ما يتماشى والغايةَ الكبرى؛ وهي خدمة اللغة العربية.

أيّها الجمع المُوقّر، إنّ الجزائر هي البلد الوحيد الذي يمنح اللغةَ مَوقعاً رسمياً كبيراً وعياً منها بأهميّة المسألة اللغوية، ولذلك خصّصت لها ثلاث هيئات تابعة لرئاسة الجمهورية؛ وهي المجمع الجزائري للّغة العربية + المحافظة السامية للأمازيغية+ المجلس الأعلى للغة العربية الذي أصبح مُؤسّسة دُستورية، ودُعّمَ بمهامَ جديدةٍ تتمثّل في:

- العمل على ازدهار اللّغة العربيّة؛
- العمل على تعميم استعمالها في الميادين العلميّة والتكنولوجيّة؛
- العمل على الترجمة إلى العربية.

وإنّ ما يقوم به المجلس هو ترجمة لبرنامج **فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة** في إطار تجسيد المواطنة اللغوية، فأكرِمْ بها من مُواطنة! والمجلس يقوم على رِفد العربية لتزدادَ في القيمة المضافة المعرفية بدرجة أولى ويدعو إلى ضرورة منحِ العربية موقعَها الحقيقي المنسجم مع الدستور والواقع في الدرجة الثانية.

ولا تعني دسترةُ المجلس أنّ مَهمّة تطوير اللغة العربية وتحويلها إلى لغة المعرفة مقتصرة على هذه الهيئة؛ بل إنّها تشمل وتخصّ الجميع، ولا يتمّ هذا إلا بتكاثف الكلّ وبخاصّة من يُهمّه الأمر من المثقّفين والأكاديميين وأعضاء المخابر في مختلف التخصّصات، بما فيها العلمية والتقنية، لأنّ الآداب واللّغات وإنْ كانت الخلفية والمنطلق للّغة العربية، فإنّ للعلوم والثقافة أهميةً لا تقلّ عن الآداب، ولاسيّما في عصرنا الحالي الذي أصبح فيه المقياسُ الحقيقي للتطوّر هو مدى تحكّم اللّغة في الثقافة وفي العلوم وفي ولوج مجتمع المعرفة، وكذلك الحصول على المواصفات النوعية الأكاديمية العالمية في التصنيف الدولي الخاصّ بمواصفات الإيزو/ ISO في الجودة الأكاديمية.

إنّ المجلس الأعلى للغة العربية ينطلق من مبادئ ومرجعيات؛ ومن أهمّ مبادئه أنّه لا توجد لغة مُتقدّمة أو مُتخلّفة بذاتها، وإنّ التقدّم والتخلّف من صفات الناطقين بها والعربية تقدّمت وأصبحت لغة الإبداع في العلوم والفنون والآداب في عصرها الزاهر وكانت لغة عالمية بمفهوم العولمة الآن وتراجع منتوجُها في المجالات المعرفية عندما أُصيبَ العالمُ العربي والإسلامي بالركود والفتن والتسلّط الأجنبي. وعليه، فإنّ اللغةَ العربية بما تملك من إمكانات ذاتية لقادرة على استيعاب العلوم والمعارف، وبإمكانياتها الحالية إحدى اللغات المعتمدة في هيأة الأمم المتّحدة، واللغة الأولى في ستّة عشرة (16) دولة أجنبية، واللغة الثانية في ستّ وعشرين (26) دولية أجنبية والثالثة في الاستعمال العالمي، والرابعة على الشابكة، والثامنة في لغات العلم، ولغة العبادة لأكثر من مليار ونصف من المسلمين، فأَنعِمْ بها من عربية تفرض وجودها العددي عاماً بعد عامّ!

السادة الأساتذة الكرام، إنّ المجلس الأعلى للغة العربية من خلال مهامه يحتكم إلى آليات يُمارس من خلالها أنشطته، فهو ينأى عن منطق الشعبوية والانسياق وراء الأحكام العاطفية التي تنحو نحو السوداوية المفرطة، وإنّما يعتمد سياسة علمية هادئة تتلمّس مواضع الخلل والداء؛ فيقترح الحلولَ ويقدّم الاستشارات، بعد تلمّس كلّ المضايقات والهنات، وما يحتاج إلى سدّ الثغرات. ومن وراء ذلك يعمل على توسيع الاستشارات مع النخبة الوطنية التي تقترح الأفكار وتقدّم الحلول، ولهذا فالعهدة في كلّ

هذا تقع عليكم أنتم الأكاديميين أو الباحثين أو مسؤولي المشاريع، وعلينا حملُ أمانة التحسين والجودة وعلى الطلبة تقع أمانة القبول بالتغيير للأحسن. فنجتهد جميعًا لنضعَ الدواءَ المناسبَ ونقول الحقيقة العلمية، ونزرع الأمل الذي يتبع بالعمل ونعالج الأمور بما هو أليَقُ، وفي ذات الوقت لا ننكر الصعوبات، ولكن لا نبقيها دون تقديم العلاجات.

ولهذا، زملائي الأساتذة، أمامنا جملة المضايقات التي نروم أن تُعالج في المخابر وفي الاجتهادات البينيات، وعلى مستوى الاستشارات، ومن حقّ العربية علينا أن نبوئِها المكانةَ التي تستحقّها بين اللغات، بالإبداع فيها وبها وملاحقة تقنيات العصر، ورفع المضايقات التقنية في قضايا الشكل، وفي تطوير مجال الذكاء الصناعي، وتخصيص محرّكات تتعرّف على خصوصيات العربية، وفي إبداع المصطلح العلمي، وفي التشجير الآلي وفي المحتوى الرقمي، وما له علاقة بالترجمة الشخصية أو الآلية. وكلّ هذا الاجتهاد يدخل في القيمة المُضافة للرفع من مردود تصنيف العربية بين لغات العالم وفي ذات الوقت يدخل في تصنيف الجامعة بما لأُطرها من إبداع، وبما يحوزون من جوائز عالمية.

أيّها الجمع الموقّر، من لم يشكر الناس لم يشكر الله، لذلك؛ نشكر معالي وزير التعليم العالي على اختياره هذه الجامعة، وما كان الاختيار صُدفة، بل لغرض علمي ونفعي؛ حيث تحتكم هذه الجامعة الفتيّة لكفاءات وطنية مشهود لها بالعلمية والإنتاج بل إنّ بعضًا من إطارات هذه الجامعة من القامات والخبْرات العالمية التي تُستشار في المنظّمات الثقافية العالمية فأنعمْ بهم من كفاءات! ويمتدّ الشكر للفاضل رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور (شعلال) الذي لا يبرح يسأل عن تنشيط أيام دراسية مع المجلس وعهدي أنّه كان يصرّ على هذه الشراكة العلمية، ونقرّ له بذلك الحماس الفيّاض فهنيئاً سيدي مدير الجامعة على هذا المسار العلمي لجامعة علي لونيس ويتواصل الشكرُ لأخي العزيز الدكتور (بوحساين) الذي عرفناه منذ أمد طويل، فهو من المُخلصين الأكْفاء والعاملين والعالمين الذين يحملون همّ تطوير العربية منذ عرفناه فأنت يا سي (بوحساين) من الأفضال، واللهَ نسألُ أن يمدّك بالصحة بمئات الأرطال؛ لتبقى من سدنَة العربية، فبُورك في نشاطك. والشكر يكبر أمام زميلاتي

وزملائي الذين لولاهم ما كنّا هنا، وهم الجيل الذي حمل أمانة تفعيل الجامعة، وإنّي أنحني إجلالاً لمقامكم جميعاً وأقرّ أنّ مقامَ تصنيف جامعة البليدة وطنياً لم يكن إلاّ بأفعالكم العلمية التي تشهد على أنّكم قدّمتم قيمةً مضافةً للبحث العلمي، وأسهمتم في مُخرجات الإطارات الجزائرية وهذا شرفٌ كبيرٌ، فأنتم من الكبار، فأكرِمْ بكم من كبار! ولا يمكن أن نقف هنا إلاّ بتنويه كبير لهذه الوجوه الشابة وجوه الأمل، رجال المستقبل، شباب اليوم، طلبة هذه الجامعة فعليكم العِولَ، وانشروا الأمل، وكونوا أبناء عصركم ومصركم، وافتحوا نوافذ غرفِكم لتتهوّى، دون أن تسمحوا للرياح أن تهزّ كيانَها، لا تنغلقوا دون التحكّم في الكيترة والمنطقة والفسبكة والتوترة واليوتيوبية واللوَيْحَة والسمرتفونية، وأفيدوا منها واعملوا على تطويرها وبناء المحتوى الرقمي التماثلي، وتجويد مكانزنا التراثية، بل وافتخروا بها؛ وبخاصّة عندما تقرّبون متوننا القديمة لتقانات العصر، واستغلالها في الخصوصية الضامنة لنُفّاخ العربية والعُروبة التي تتماشى مع المُزُوغة والإسلام.

وأريد التأكيد على دور الطالب الجامعي الذي نروم أن يكون صاحب مشاريع ومقترح أفكار ومتجذّر في أصوله، فأتمثّله كالشجرة التي تغيّرُ أوراقَها، ولكنّها لا تغيُّر جذورَها فكونوا الخلفَ المُضيف لخير السلف المُنيف وأضيفوا ما لم يكن عند السلف لبناء حضارة الاستمرار، فلو لم تكن البذرة لما كانت الثمرة، ولا تكونوا سبَهلَلاً في لغاتكم، بل لا تتقادعوا باللحن كما يتقادع الفَراشُ في النار، اخْرجوا من سقطات لواهجنا، وخليطِ لغات أحيائنا ولا تَسقُطوا في الهجينِ اللغوي، أو تقبلوا دعوى تقريب الفصحى من لغة الشارع، فتصبحَ بعد ذلك اللغةُ العربيةُ تجتلب أمشاجاً من شوب اللغات، فتكونَ لغةً تُخترَق ولا تَخْرِق ولا تَحرِق. اعملَوا على الرفع من الفصاحة، ولا تُنزِلوا العربيةَ من الربوة العالية، ولا تجعلوها في المَنسِية والزموا دواوينها وما أنزلها اللهُ من القداسة، ووظّفوا الكلامَ الصحيح، واكشَحوا الكلامَ الفاسد وأبْدعوا في محتوى جلالة الملكة، فلا لذّةَ في كلام جديد إذا قيسَ على مُحاكاة الببغاوية.

وأخيراً، باسمي وباسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية، نُثمّن جهودكم ونشدّ من عزيمتكم، ونبقى نقدّم لكم وُدَّنا للشراكة المستقبلية فلنتكاثفْ وليَعضدْ بعضُنا بعضاً لنخدمَ لغتنا العربية لساناً وتُراثاً وثقافةً، ولِنستغلّ المساحةَ الواسعةَ الماديةَ والمعنويةَ التي توفرّها لنا الدولةُ؛ لنجعلَ من لغاتنا لغةَ العلم والمعرفة والحياة، بإقرار إلزامية الرجوع إلى مؤسّساتنا المفتية في الشرعية اللغوية؛ حيث ثغورُ اللغة واجبٌ حراستُها منّا وعلينا جميعاً.

وإنّي لكم شاكر على هذا اليوم الدراسي، الذي ظهرت مخائل النجاح من البداية ونسأل التوفيقَ للجميع، ومن خلال هذا المنبر أُعلن بدايةَ الأشغال ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾التوبة. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة أُلْقِيَتْ في اليوم العالميّ للغة الضّاد♥

إنّ اللغات وسيلة للتواصل البشري، ولكلّ أمّة/ شعب لغةٌ ينماز بها عن غيره وعبرها يتدافع أمام الآخر، ويفتخر بما له من خصوصيات لغوية تجعله حاملاً لسمات لسانية هي الهُوية التي يعمل على الارتقاء بها، وكلّما ارتقى ارتقتْ لغتُه وكلّما انحطّ انهارتْ لغتُه، وقد تدخل في باب الهُجران. لكنّ الشعوب المُنافحة للغاتها تصمد أمام الصدمات وحركية التاريخ، وتبقى مُعتزّةً بلغاتها وتنافح من أجلها لإعادتها إلى الإعمار من جديد فتعتزّ أيّما اعتزاز بأصالتها، وتعمل جاهدةً من أجل الحضور الوطني والدولي للغاتها حيث الزمانُ دولٌ، فلا قبولَ للأمر الواقع الذي ليس واقعاً لأنّه قابل للتغيير.

وعهدنا في هذا الأمر أنّ العربية رُغم ما عرفته من هزّات وهنات، ها هي اليوم في هذا الزمن تعود بعودة الاعتزاز الداعي إلى العمل على ازدهارها، وإلى تركيم الإنتاج الموصِل إلى النوعية، وتراها تحتلّ مكانةً بارزةً على خريطة اللغات وعلى مستوى امتدادها الجغرافي وعلى مستوى عدد الناطقين بها كلغة أولى أو ثانية، وعلى مستوى مقامها الديني والتراثي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

إنّ العربية من اللغات الأكثر في عدد الناطقين بها، وهي الأولى عالمياً كونها لغة الحضارة الإنسانية، وليست لغة العرب أو لغة المسلمين فقط، فقد كتب فيها وبها العربُ وغير العربِ، كما كتبت، وتتلى بها الديانات السماوية، وهي خامس لغة من اللغات الستّ العالمية المتداولة في الأمم المتّحدة وفي وكالتها العالمية وهي لغةٌ واسعةٌ للعمل الثقافي بلا نكران لما لها من مقام بين اللغات ولما تحوز عليه من

♥ــ أُلْقِيَتْ الكلمة بمناسبة اليوم العربي للغة الضاد. المكتبة الوطنية في 1 مارس 2017 وهذا في إطار اليوم الدراسي المشترك مع وزارة الثقافة.

معارف، حتى برزت الحاجةُ إلى أن تمدّ جسور التعاون المشترك بينها وبين اللغات العلمية، وليقعَ الاهتمام بها، وتأتي تلك اللغات بما لها من منظّمات لتخصّص لها أياماً يُحتفى بها؛ وبخاصّة أنّ بعض المنظّمات الدولية قد واجهت عوائق عملية في استخدامها داخل أروقتها، وفي الفضاء الاجتماعي الذي تعمل فيه.

وفي كلّ ذلك المخاض الدولي؛ فإنّ المجلس الأعلى للغة العربية بدأ يضع خطَطَه الاستراتيجية، وبرامجَه التنفيذيةَ في أهمية العمل مع الوزارات الوطنية ومع المجالس العليا ومع الإدارات المحلية، ويقيم جسور حسن التأدية البينية مع كلّ من يطلب منه الاستشارة في إطار إنجاز المشاريع المشتركة، ومنها ما نشهده اليوم من الاحتفاء المشترك مع وزارة الثقافة التي فتحت لنا قنواتِها وفضاءاتِها الثقافية لتحقيق الأهداف المشتركة، ومن ذلك دعم فعاليات **الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد**؛ حيث رحّب معالي وزير الثقافة بتنشيط مُشترك لهذا اليوم الدراسي ودعا إلى مزيدٍ من الفعاليات العلمية؛ لتعزيز قيمة العربية، ودراسة واقعها بُغية تجسيد الخطط والمشاريع المستقبلية. ويسعد المجلسُ الأعلى للغة العربية، أيّما سعادة وهو يشرف على مدّ هذا الجسر مع وزارة الثقافة؛ باعتبارها حاضنة للثقافات الوطنية وللتراث الوطني المادي وغير المادي وكلّ ما يخدم تعزيز المواطنة اللغوية ونروم أن يقع مثيلاً له مع كثير من الوزارات التي نقدّم لهم نداءً من خلال هذا اليوم بأنّنا مستعدون لتقديم أفكار نوعية في خدمة العربية بل وفي حسن الأداء، كما نستفيد عندما نتلقى طلب استشارة بخصوص عمل المجلس ونعمل جاهدين أن نكون في مستوى خدمة هذه اللغة الشريفة.

إخواني الحضور؛ ماذا أُحدّثكم عن العربية؟ إنّ العربية لها عدّة عُشّاق يتنافسون في طلب وُدّها، فأكْرِمْ بهم من عُشاق! عُشّاق ينظرون إليها على أنّها علامة فارقة ينماز بها الشعب العربي، فلا تسامحَ فيها مهما كان مستواها. عُشّاق يهيمون بها ويعبدونها ويبدعون في منتوجها الأدبي إسوة بالسلف الصالح. عُشّاق يخترعون فيها وبها لتكون لغةً علميةً من الطراز العالي لتستجيب لمتطلّبات العصر. عُشّاق يأملون أن تستفيد من اللغات الأجنبية وتنفتح على الترجمة منها وإليها. عُشّاق

ينافحون من أجلها ولا تقرّ لهم العين إلاّ ويرونها لغة المحيط والإدارة والمحاسبة وتكون لها السيادة في كلّ المؤسّسات الوطنية. عشّاق يدفعون عنها مختلف الحوادث اللسانية ويمقتون الهجين اللغوي. عُشّاق يروْن ضرورةَ التبادل الأصلي بينها وبين المازيغية لكشف خبايا التأثير والأثر؛ وصولاً إلى حقيقة الأرومة اللغوية. عُشّاق غيورون مُخلصون مُنافحون فما موقع المجلس أمام هؤلاء العُشّاق؟

لقد ارتأى المجلس الأعلى للغة العربية أن يجمع كلّ آراء العُشّاق؛ لأنّها تدخل في استراتيجيته الآنية والقادمة، ويحاول أن يكون في مستوى تلبية مُختلف الرغبات بما له من مشاريع ومُبادرات هادفة إلى الدعم العلمي والمعنوي للغة العربية، وحثّ مختلف الجهات على تقديم الأفكار ذات العلاقة بازدهارها، وجعْلها مُعمّمة في العلوم وفي التكنولوجية وفي مجال الترجمة لسدّ الثغرات.

إخواني الحضور، إذا حدّثكم عن العربية سوف أحدّثكم عن أهميّة **الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد**، كوْن العربيةَ تعكس الهُوية، وتنقل الفكرَ والحضارةَ وتمثّل الأبعادَ السياسية والامتداداتِ العالميةَ، ولا بدّ أن أذكِّرَكم بما يلي:

إنّ العربية لغةُ عمل في المنظّمات العالمية منذ 1973م، ليس كونَها اللسانَ الناطقَ للمجتمع العربي، بل هي لسان الحضارة الإنسانية الأقدم الذي بقيت دواوينُه دون تشويه.

إنّ العربية لها أهميّة في حضورها في مختلف المحافل العلمية الوطنية والعربية والدولية وما لها من رصيد معرفي مشترك لا يوجد في غيرها من اللغات.

إنّ العربية لها أهميتُها الخاصّة؛ كونها لغةً مشتركةً وموحّْدةً وجامعةً، ولها فضل نزول القرآن بلسانها، وهو ديننا الحنيف والمقدّس.

إنّ العربية لما لها من خصوصيات ومواصفات طبيعية قابلة للتعامل مع المناطق الشجَرِية التي تتعامل بها الآلاتُ التقانية المعاصرة.

إنّ العربية لها ما لها من الحضور في المؤسّسات العربيـــة، وفـــي الجامعـــات الغربية وفي الوكالات الأممية، ونعلم بأنّ في مقرّ الجمعية العامّة للأمم المتّحدة هيأة تهتمّ بالمناطق المتلاغية بالعربية كلغة أجنبية أولى أو ثانية.

إنّ العربية بما لها من مخابر تقوم على رِفدها، وبخاصّة تلك الروافــد العلميـــة الوطنية والعربية والدولية؛ كونها لغةً لها من الخصائص الطبيعية ما يجعلها لغـــةً عالميةً تعود إلى ازدهارها وتتفوّق، وهذا ما تستشرفه كُبريات الدراسات الميدانية.

إنّ العربية بما لها من دعوات العناية بدراسة البيئة اللغوية النموذجية التي تكون مُعبّرة عن استعمال طبيعي حقيقي؛ يكون نموذجـــاً يُحتـــذى فـــي البيئـــة العربيـــة والعالمية.

إنّ العربية بما لها من أهميّة التعامل مع الوظيفة الرمزية عند تحديـــد الســـلوك اللغوي في العلاقات البينية أو العلاقات الدولية، بإقرار مبدأ المساواة اللغوية وحـــقّ التنوّع اللغوي وتشجيع التعددية اللغوية؛ ضمن الوظائف اللغوية وحسب المقامـــات والخصوصيات والحمولة الثقافية.

إنّ العربية باعتبار إرثها الحضاري ومخزونها الثقافي وحيويتها ومقياس تفاعلها مع المحيط العالمي هي القادرة على نقل الأفكار الحضارية التي تُعبّر عن الميزات والخصوصيات للأمّة العربية.

إنّ العربية لما لها من موقع الندية أمام لغات العلم ولغات العولمـــة، فـــلا يقـــع الصمود إلاّ بها؛ لما لها من حمولة معرفية جاذبة قائمة أصلاً على الخدمات اللغوية منذ قديم الزمن، وازداد بنزول القرآن، فحصل الازدهارُ الذي لا مثيل له في أيّـــة لغة من لغات العالم.

إنّ العربية لما لها من خصوصيات صرفية ونحوية وثقافيـــة، ومـــا لهـــا مـــن مُؤهّلات صامدة أمام تكنولوجيات العصر، حتى أمام النـــانوتكنولوجي، فتســـتجيب لكلّ المسارات الذكية التي تحملها الطرق السيّارة للتقانة، بما لها من تشبيك عولمي

مُرقمَن، وما يُضخّ في مُحتواها بصورة مُطّردة بلْهَ الحديثَ عمّا تحمله من روائــع وموسوعات ومعاجم؛ تجعلها بحْراً لا ينضب؛ تُفيد منها كلّ اللغات.

هذا قليل من الكثير، ممّا يمكن الحديثُ فيه عن موقع العربية، ومع ذلك فمــا لا يُدرك كلُّه لا يُترَك جلُّه، فلإدراك كاملٍ لأثر هذا الفعل الثقــافي لهــذا اليــوم يقــع الحديثُ عن مستقبل العربية في ظلّ التواصل المعرفي والتوثيق بالعربية وأهميــة التنوّع اللغوي في التعبير عن الفضاءات الحيوية للمجتمعات، ودور العربيــة فــي خلق التنمية المستديمة والاقتصاد القائم على تحقيق مجتمع المعرفة.

ومع كلّ ذلك فإنّ المجلس الأعلى للغة العربية يعمل بِتَؤُدّة مَضــمونة علــى أن يكون له حضورٌ في مجال تطوير فعاليات العربية بــ:

1ــ إنتاجِ أفكار وتقديمها لمن يهمّه الأمر، والداعية إلى تطوير العربيــة علــى مستوى متْنها وأدواتها وموادها اللغوية المُعاصرة.

2ــ العملِ على حمايتها من التهجين والتجاوزات المشينة، واقتراح البدائل النوعية.

3ــ تدبيرِ مزيد من شؤونها، وتدارس مختلف التحدّيات التي تواجهها في وطنها والإسهام في بلورة مشروع وطني مُتكامل لترشيد الحقل اللغوي، تُسهم فيه فعاليات مدنية وثقافية ومؤسّسات أكاديمية واقتصادية وتقنية.

4ــ مزيدٍ من الندوات والمؤتمرات والأنشطة التــي تعمــل علــى ازدهارهــا واقتراح البدائل النوعية المطابقة للمواصفات العلمية الدولية.

إخواني الحضور، نرجو أن تكون هذه الفعالية الثقافية مفتاحاً لأعمــال علميــة لاحقة والتواصل الدائم في خدمة الشأن العامّ، ونروم منها تجسيد برنــامج **فخامــة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة** في العمل على ازدهار العربية مــن خلال الاهتمام باللغات الوطنية في مسعى تفاعلي يُراد له إنزال اللغتين الرســميتين ضمن التعدّدية المشتركة التي تزيد من متانة المجتمع الجزائري لما له من عُــرف

في سابق من الزمان، وما حصلَ الضيمُ اللغوي أبداً، وهذا عبْر ما بناه السلفُ الصالحُ، فهل نكون فعلاً خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ؟

وختاماً أزكي خالص الشكر والعرفان لمعالي وزير الثقافة الذي يرعى الثقافة وإلى فريقه النشيط، ونشهد لهم بأنّهم يتقنون فنّ أداء المهام الثقافية على ما يرام فأقول: بورِكتِ الجهودُ البينية، وشُدّدت خطواتُ المخلصين، وأخلص الشكرَ لكلّ الذين حضّروا وحضروا ولمن سوف يحاضرون في هذا اليوم الدراسي وأقول: عهدي أن تبقوْا معنا مُخلصين، وذلك ما يخلق فينا عزيمةَ المزيدِ من الحضور في مختلف الفعاليات الوطنية والدولية. والشكر يمتدّ إلى الصِّحافيين الذين يعملون على أن تنالَ أقوالُنا وأفعالُنا مقامَها اللائق، فأنْعِمْ بهم من صحافيين يعملون على خدمة الوطن! وتحياتي الخاصّة إلى أولئك المُخلصين من جنود لا تنام عيونُهم فهم حرّاسُ هذا الوطن المُفدّى، فالله نسأل أن يحفظَهم ويزيدَ من هممهم. والسلام عليكم جميعاً.

كلمة أُلْقِيَتْ بمناسبة اليوم العربيّ للغة الضّاد♥

إنّه لمن دواعي النجاح المضمون لهذا اليوم الدراسي أن يكون في جامعة الأمير عبد القادر، وفي مدينة العلم والعلماء، مدينة قسنطينة الشمّاء، مدينة المازيغيين الأحرار. فماذا تنتظرون أن أحدثَّكم عن اختيار هذه الجامعة؛ ليحتفيَ المجلسُ الأعلى للغة العربية، بمعية هذا الحصن العتيد الذي يُضاهي في الرِفعة العلمية مقامَ الأزهر والزيتونة.

إنّ ترشيح معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي **للاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد** في هذه الجامعة لم يكن ترشيحاً عشوائياً؛ إنّما بُنيَ على ما لهذه الجامعة من أساتيذ وكفاءات وطنية وباحثين قدّموا بَصْمات الجودة في أعمالهم الأكاديمية. نخبة متميّزة تحوز عليها هذه الجامعة، وهي التي قامت على رِفد العربية منذ بدأت هذه الجامعة الإسلامية في دفع مُخرجاتها إلى سوق العمل فكانت تلك المُخرجات ذات تأهيل عالٍ، ولها من الدراية اللغوية ما أضافتْ للعربية من إضافات محكّمة كان لها ما كان من الفعالية في الضبط والدقّة والتحرّز والتحقيق والحضور في الوطن وفي خارج الوطن.

لقد جاء ترشيح هذه الجامعة لتحتفيَ في الأوّل (1) من مارس لعام 2017 تجسيداً لتلك التوصية التي أقرّتها الألكسو في سنة 2007 بسنّ الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد، وهذا إقرار من الوصاية أن يكون هنا، لما لهذه الجامعة من عُرف علمي ينماز بصورة خاصّة في حسن أداء المواطنة اللغوية، فأنعِمْ به من فعل مُتميّز، وفي جامعة مُتميّزة!

♥ــ أُلْقِيَتْ الكلمة بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد. قسنطينة: 2 مارس 2017، في إطار الشراكة مع جامعة الأمير عبد القادر. وأنجزنا بالمناسبة يوماً دراسياً.

لقد جمعت هذه الجامعة بين المحاسن، وحطّ المجلس الأعلى ثقله فيها ولم يُراهن على حصان قد يعثُر، بل ربحَ البيعَ من البداية، وما أجملَ أن تركب رهانَ الجودة في جامعة الجودة.

إخواني، كلّكم تعرفون قيمة اللغة الوطنية والرسمية، وتعرفون مقام العربية في حياة الأمّة؛ باعتبارها الأداةَ التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم، وعبْرها تقيم روابط الاتّصال بين أبناء الأمّة الواحدة، وبها يتمّ التقاربُ والتشابهُ والانسجامُ، فلا شكّ ودون منازع بأنّ للعربية خصائصَ لا توجد في غيرها، ولهذا لها المَقام العلِي في مجتمعنا، وتُعامل مَعاملةَ خاصّةً؛ حيث أنزلَها الاستعمالُ والوضعُ اللغوي مكانةً مُقدّسةً منذ مجيء الفاتحين لهذه الأرض، بل باركَها الأجداد بأن أبدعوا فيها وبها وعملوا على تعلُّمها وتعليمها وإتقانها والإنتاج فيها، وازدادت قيمتها المعنوية والرمزية في أنفسهم بفعل الزمان، ووقع احترامُها أيّما احترام.

وفي كلّ هذا لا ننكر أنّها تواجه تحديات حقيقية تتطلّب جهوداً مكثّفة ومستمرّة لفترة؛ حيث تناقصت فيها مجموعة من المواد العلمية، ولم تستطع مُتابعة مُستجدات العصر في زمن من الأزمان، وكان كلّ ذلك في هذا الوقت من موجِبات الاستدراك تُشارك فيها جهات مُتعدّدة حتى تواكبَ العربيةُ مقتضياتِ الراهن. والراهن يتطلّب زيادةَ مخزون محتواها الرقمي، وسرعةَ الوصول إليه، وإنّنا بحاجة إلى أدوات تقنية ومعلوماتية تعتمد تطبيقات وبرمجيات وأنظمة معالِجة؛ تتلاءم مع خصائص العربية، وتحليلها، وبخاصّة محرّكات البحث العربية والمعاجم المعاصرة المُحيّنة باستمرار. ومن الضروري البحث عن آليات التواصل بفعل ما تعيشه اللغات العلمية من فَيَضان المعلومات، ويجب علينا دراسة المستجدات ووضعها في إطارها الصحيح، وإضفاء الحيوية عليها، ومُسايرة حتمية التطوّر وروح العصر.

إخواني الحضور، مرّة أقول: إنّنا اليوم نحتفي باليوم العربي للغة الضاد، وهذا عرفان لما لهذه الجامعة من إطارات تقوم على خدمة البحث العلمي، وما لهم من مخزون المحتوى الرقمي من خلال أبحاثهم الخاصّة، ومنتوجهم الوظيفي الذي

يغذي نهم الطالب. وأعرج في هذا القول بأنّ من أهمّ أسباب النهوض بالجامعات وتطويرها تفعيل دورها في النشاط العلمي، والجامعة لها رهان وطني تكسبه بما لها من رُتبة وطنية وبعَددِ الأبحاث العلمية، وببراءات الاختراع وبمخزونها الشابكي. الجامعة بما لها من مناهج حديثة تتواءم مع تقدّم المعرفة الإنسانية والعناية بالتأليف الأكاديمي والتحرّر من سلطة المُقرّر الجامعي الضيّق الذي يُحجّم أحياناً المعرفة، وفي آخر الأمر يتحوّل إلى مُلخّص يتوارثه الطلبة. الجامعة بما لها من جودة التعليم، وتُقاس بكفاءة الخريجين ومدى فوزهم بالجوائز الوطنية والعالمية. الجامعة بما لها من نوعية أعضاء هيأة التدريس؛ من حيث تمكّنُهم وكفاءتهم ونتاجهم البحثي، ومدى الاستشهاد بأبحاثهم بالإضافة إلى الاهتمام بمُخرجات البحث العلمي، ويتضمّن الأبحاث المنشورة في أفضل وأعلى المجلات التي لها السمعة العالمية، وأفضل الأبحاث ما كان تطبيقاً مُضيفاً. وأصدقكم القول بأنّ هذه المعايير متوفّرة بنِسَب مُعتبرة في هذه الجامعة كما أنّ رصيدَها الطلابي يتوفّر على معطيات عالمية قياساً لتلك الأبحاث الميدانية التي رصدت حُسن أداء طلاب جامعة الأمير، وفي عيّنة معتبرة أشادت بنوعية الخريجين، وبنوعية المستوى العلمي المتميّز، وتلك شهادات معتبرة جعلت جامعة الأمير تنال المقامَ القابل للمواصفات العالمية. فمزيداً من التألّق زملائي الأساتيذ، ومزيداً من السمعة العلمية التي أنتم جديرون بها في المحافل الوطنية والعالمية.

وأمّا بخصوص الطلاب أقول: عوّدتنا قسنطينة على الصدارة، فما محمد فرح والطبيبة زهرة هني، والمبدع صالح ناصري، ومقرئ قسنطينة إلاّ عينات النشاط الوطني في إطار إحراز الجوائز العالمية، والذين تفتخر بهم الجزائر، فأنْعِمْ بهم من رجال المستقبل! ومع ذلك يجب بذل المزيد من الحصول على جوائز أعلى.

إخواني الطلاب، ومن خلالكم أتوجّه للمتصدّرين بتحايا المجلس الأعلى للغة العربية على هذا التصدّر والنجومية، كما أتوجّه لكم بالتحيات الخالصات وأحثّكم على بذل المزيد لتحقيق النجاحات، وأقول لكم:

ــ ارفعوا سقف الطموحات، وعليكم الاجتهادَ فهو سرّ النجاح؛

ــ انظروا للمستقبل الواعد بالأمل المصحوب بالعمل؛

ــ أسقطوا من قاموسكم السين وسوف وقد كان... فهي ممهّدات التكاسل وبداية الفشل؛

ــ لا تقولوا (كان أبي) إلاّ نتيجة لما تُضيفونه، وعند ذلك افتخروا وقولوا: **نحن الخلف لخير سلف.**

وهكذا نريدكم أن تكونوا كما قالها علاّمة الجزائر (ابن باديس) ونحن نشرف على الاحتفال بيوم العلم الذي نروم أن يكون قيمة مضافة في الاعتزاز بلغة الضاد فنريد منكم ربح الوقت كما كان السلف يستثمر في الوقت؛ لأنّ الزمن بطيء جداً لمن ينتظر وسريع جداً لمن يخشى، وطويل جداً لمن يتألّم، وقصير جداً لمن يحتفل، لكنّه الأبدية لمن يحبّ عملَه، فأين محلّكم من كلّ هذا؟

زملائي الأساتذة، إنّنا ممنونون لكم، وبما سوف تقدّمونه في هذا اليوم الدراسي الذي نستمع فيه لثلّة من الباحثين الذين يفتحون الآفاق في معالم حسن الأداء اللغوي لعربية القرآن، وعربية الحضارة البشرية، وعربية القارات، وعربية التقانات المعاصرة، وعربية المستقبل فهل نكون أكْفاء وفي مستوى خدمة هذه اللغة؛ لغة الضاد؟ ونعمل على حلّ تلك المُضايقات التي تنتظرنا، وهل نعمل أن تكون العربية لغةً يُنشَد وُدُّها، ويقع الاستثمار فيها، ويتدافع عليها الطلبُ من غير الناطقين بها وهل يقع كلامنا في محلّه ليكون قيمة مضافة لا يقع في سوق القول المكرور، وهل يمكن القول بأنّنا نعمل من أجل النوعية والندية لهذه اللغة التي تنتظر منّا الكثير؟

هذا قليل من الكثير مما يمكن الحديث فيه عن موقع العربية أو عن مستقبلها ومع ذلك فما لا يُدرك كلُّه لا يُترَك جلُّه، فلإدراكٍ كاملٍ لأثر هذا الفعل الثقافي لهذا اليوم يقع الحديث عن مستقبل العربية في ظلّ التواصل المعرفي والتوثيق بالعربية وأهمية التنوّع اللغوي في التعبير عن الفضاءات الحيوية للمجتمعات، ودور العربية في خلق التنمية المستديمة، والاقتصاد القائم على تحقيق مجتمع المعرفة، وبكلّ هذا نسأل أنفسنا هل تعود العربية إلى سالف ازدهارها؟

تلكم هي الأفكار التي نروم أن تكون مَحلّ مشاريع وطنيـة وعربيـة؛ نعمـل بالشراكة مع الجامعات، ومع المُختصّين، وعهدي في هذا اليوم الدراسي أن يكـون مفتاح التواصل البيني للعمل في شراكة وطنية؛ بُغية الوصول إلى استكناه القضـايا اللغوية العالقة ومُعالجة القضايا الشائكة، وليس ذلك بعزيـز إذا وقعـت مُـؤازرةُ المُؤسّسات الوطنية في خدمة الشأن العامّ، مع المنتجين للأفكار في قضـايا خدمـة الهوية والعربية هوية وطنية وتدخل في الشأن العامّ، ألا نمُدّ لهـا أيـدينا جميعـاً لتجسيد لغة الهوية الوطنية؟ وهذا الفعل من الخطط العلمية التـي يقـوم المجلـس الأعلى للغة العربية على تجسيدها؛ من خلال خريطة طريق مُستقاة مـن **برنـامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقـة** وعهدنا على تجسيدها وفـق مُتطلّبات التوجيه والترشيد والتدبير، ونحن في هذا الاتّجاه فاعلون.

أكتفي بهذا المَقول، وأسكتُ عن الكلام المُباح، وأتركه لمن يُحدّثنا عـن الإقامـات التقنية وعن تشكيل اللغة المعاصرة، وعن الفَهْرَسَة الإلكترونية ومدى إسهامها في حفظ أمثل للنصّ الأدبي الرقمي، وهذا مبتغانا في تحقيق الجودة اللغوية فـي ظـلّ الواقـع الافتراضي الشبكي الذي لا مقامَ للغات لا تنتصرُ للحداثة المرتبطة بالأصالة.

وفي الختام أُزكي خالص الشكر والتقدير لصاحب الفضل معالي وزير التعلـيم العالي والبحث العلمي على حسن الاختيار والتوجيه السـديد، وإلـى البروفسـور (السعيد دراجي) مدير الجامعة، وإلى فريقه النشيط، وإلى كلّ الأساتيذ الحاضـرين وبخاصّة الذين سوف يُرافعون عن أبحاثهم العلمية الصارمة الجادّة وإلـى أولئـك الذين يُشنّفون آذاننا بمُتَع الشعرِ، وما تجود به خواطرُهم من فَـذْلكاتٍ أدبيـةٍ؛ لأنّ المقامَ مقامُ الاحتفاء. والشكر يتواصلُ ويمتدُّ إلى كلّ الحاضرين والفاعلين في هـذا اليوم الدراسي، وإلى كلّ الطلبة وإلى كلّ القنوات التي تنقل أصواتنا، وتعمل جاهدة من أجل السبق والجودة، فأنْعِمْ بهم من صِحافيين! وإلى تلك العيون التـي لا تنـام وهي تسهر من أجل التِئامنا، ومدِّ جسورِ التواصل المعرفـي، فـنحن لهـم مـن الشاكرين، وإلى كلّ الفاعلين العاملين في العلَن وفي الخَفَاء، فنحن مَدينون لهم لمـا

يُقدّمونه من جلال الأعمال. وفي الأخير نسأل اللهَ أن يسدّد خُطانا، ويزيــدنا نــوراً على نور، وبالتوفيق من الله يحصل النجاح.

والسلام عليكم يا مِلاح.

كلمة أُلْقِيَتْ
في اليوم العربيّ للغة الضّاد بجامعة أسعيدة♥

ينال المجلسَ الأعلى الشرفُ بأن يَحطَّ اليوم في هذه الجامعة، ويكون طرَفاً في الاحتفائية التي تُقام بمناسبة **الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد**، بترشيح هذه الجامعة من معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ولم يكن الترشيح صُدفة بل كان مدروساً ومختاراً لما لهذه الجامعة من كفاءات ومخابر وإمكانيات علمية؛ تضمن النجاح لمثل هذه الفعاليات. وفي هذه السانحة يجب ردّ الأفضال لذويها ونرفع لمعالي الوزير آيات الشكر والتقدير على تعاونه الدائم مع المجلس الأعلى؛ والذي سبقَ أن أسهم في شراكة علمية، وبالذات في إحياء اليوم العالمي للغة العربية في الثامن عشر (18) من ديسمبر الماضي، كما قد أمر قواعده في جامعات: بومرداس، وتيزي–وزّو، والمدرسة العليا للأساتذة باستضافة البروفيسور (علي القاسمي) في سلسلة من المحاضرات بدعوة من المجلس، ونرجو في لاحق من الزمان أن يتواصل هذا التعاون في إنجاز ملتقيات وأيام دراسية، ولمَ لا يمسّ مثل هذا التعاون جوانب الفكر والطبع والترجمة، وإقحام المخابر الوطنية لتكون شريكاً مع المجلس الأعلى للغة العربية. كما أتوجّه بالشكر الخاصّ إلى السيد المحترم رئيس جامعة أسعيدة على احتضانه فكرة إحياء هذه الاحتفائية، وإلى فريقه الممتلئ حيوية؛ حيث وقعت السرعة في التهيئة اللازمة لهذا المحفل. وقد كان اختيارُ السيد رئيس الجامعة لمخبر (الترجمة والتأويل في ظلّ التواصل المتعدّد اللغات) اختياراً مدروساً، هذا المخبر الذي تترأّسه الفُضلى الأستاذةُ (عمارية حاكم)

♥– أُلْقِيَتْ الكلمة بالنيابة عن رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة العربية. جامعة مولاي الطاهر بأسعيدة، في 6 مارس 2017، في إطار اليوم الدراسي المشترك بين الجامعة والمجلس الأعلى للغة العربية.

التي عهدنا فيها الجمع بين المحاسن: العلم والجدية والإخلاص والجودة والتوجيه وخدمة الشأن العامّ، وبابتسامتها المعهودة، واستقبالها الحارّ. ويمتدّ الشكر إلى الإخوة المحاضرين الذي استجابوا للاحتفاء، ولأساتيذ الجامعة الذين حضروا معنا وجنّدوا طلابَهم، وبكلّ الحاضرين كلّ بدرجته وبِصوْن مقامه. والشكر الجزيل للطلبة الذين حضروا والذين سوف يحضرون، ولولاهم ما كنّا هنا فنرجو الاستفادة والإفادة والمذاكرة، واغتنام الفرص في مثل هذه المناسبة.

الزميلات والزملاء، إنّ الاحتفاء **باليوم العربي للغة الضاد** الذي أقرّته الألكسو سنة 2007م يكتسي أهمية خاصّة هذه السنة، حيث يأتي في إطار التعديلات الدستورية التي بادر **بها فخامةُ رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة** وهذه التعديلات عزّزت من مكانة المجلس فأصبح هيأة دستورية، وأُوكِل له المهامُ التالية:

- العمل على ازدهار العربية؛
- العمل على تعميم استعمال العربية في العلوم وفي التكنولوجية؛
- العمل على الترجمة من اللغات الأجنبية.

ومن وراء كلّ هذا يعمل المجلس على تحقيق هذه الأهداف الدستورية؛ بتعاضد الكثير من المؤسّسات ذات العلاقة، وبخاصّة الجامعة لما لها من فضاءات البحث والإنتاج والتكوين. ولذا فإنّنا نُعلّق الآمال على أن تنالَ العربيةُ المكانةَ اللائقةَ بها في الجامعات، باعتبار الجامعات حاضنةً للمتون اللغوية وللأبحاث التطبيقية والدراسات الميدانية، فنجاح اللغة العربية في الجامعة نجاح لها في سوق اللغات العالمية. وعلى هذا الأساس، فإنّ الجامعات الوطنية والمجلس الأعلى للغة العربية يعقد أمثال هذه الشراكة البينية للإسهام في تحقيق التنمية الشاملة التي ستظلّ عرجاء إذا لم تستند على اللغات الوطنية والرسمية، وقد أثبتت الأمم الناجحة أنّها استثمرت في لغاتها وبلغاتها فحقّقت ما لم تحقّقه اللغات الأجنبية التي كانت لها السيادة قبل لغاتها، كما أنّ ولوج مجتمع المعرفة لم يحصل في أيّة دولة إلاّ باللغات الوطنية.

إخواني، كان علينا أن نفتح باب الحديث عن لغة الضاد في مثل هذا اليوم ونشفع ذلك ببعض الفذلكات التي يستدعيها المقام، لنقول: كثُرت السهامُ على العربية طعناً ولكن خاب

من يحملها، كما كثرت التشويشات والتعطيلات وتأخير التعميمات، ونعلّق عليها كلّ التخلّفات، ونخفي تقاعسَنا وإهمالَنا للغاتنا الوطنية والرسمية، وفي ذات الوقت تحتفي الأمم وتفتخر بلغاتها، وننكر نحن بأنّ العربية وزّعنا دمَها، وألغينا الاعتزاز بها ولم ندخلها في مجال العلوم، ونقول: إنّها لغة الآداب ليس إلاّ. لقد أغفلنا خدماتها، ولم نُشر بأنّها الواقية من الضياع والتي هو هي شريان الحضارة، وسفينة تبحُر بأشرعة الحروف العربية نحو موانئ الأمان والخلود، وهي الأرومة التي تحافظ على مفصل الإيمان والعقيدة، بل هي النسَغ الذي ينقل غذاءَ العقل والروح من الجذور العميقة لوجودنا إلى شجرة الحياة فالعربية شجرة تغيّر أوراقها، لكنّها لا تغيّر جذورها، وبهذه اللغة اجتمع لنا أكثر من ستين (60) ألف مُجلّد في خزانة قرطبة، ولم يكن القرن الثامن قد انقضى وهذا كلام المستشرق (لوسي انلوكلير). وكان حَرِياً علينا -نحن الباحثين-معرفة التحدّيات التي تواجهها وما يعْتريها من نقص مرونتها في ظلّ ثورة الاتّصالات وكيف نجعلها تصدّ محاولات الغزو الثقافي واللغوي بالعلم والتجارب، ونعمل على استيعاب الدروس الجديدة لعلم اللغة الذي يبحث في قابلية تطبيق المنطق الرياضي على اللغات البشرية، ونسير بها إلى الأمام، ولو بخطى الهوينى، شرط أن تكون مضمونة.

أيّتها الأستاذات، وأيّها الأساتذة والطلبة، إنّ مسألة تطوير العربية ليست مرتبطة بالمؤسّسات العاملة على تطويرها فقط، بل منوط تطويرُها علينا جميعاً، رغم أنّ المختصّين أولى، ولكن لا بدّ من إشراك المجتمع اللغوي الذي يتنفّس هذه اللغة ويدرك إشكالاتها، ويطرح على نفسه أسئلة الخطر: **ما موقع العربية من اللغات المهدّدة بالانقراض؟ وهل العربية في خطر؟** وفي ذات الوقت نلوم أفكارنا على تسامحنا اللغوي وعدم متابعة فِعْل السلف الذين قالوا: العربية وضع واستعمال؛ أي العربية **نظام وحرية** واللغة تُعلَّم في ذاتها ولذاتها، وأنّ السمعَ أبو الملكات اللسانية ولذلك فالخطّة البتراء يحتاجها الإصلاح اللغوي، وإلاّ سيطبع إدراك البقية إلى الهاوية وإلى استقطار المعارف الشائعة التي لا يتقوّى بها عقلُ اللغة في بحر العولمة المسجور. وعهدي بأنّ هذا لا يردعه إلاّ بصُنع أفكار مبتكرة نافعة، فلا منجاةَ ولا عاصمَ لنا اليوم إلاّ بإصلاح ألسنتنا وما تقوله كلماتنا من عوَج؛ باستنفار

أولي العزم الذين أعرقوا في البحث عن كنوز الفصحى؛ لإقحام ديــاجي التشــتّت اللغوي، والعودة بأبناء جلدتنا إلى الصواب، ومضــاعفة فصــل الخطــاب، وزرع الأمل بدل القنوط، وأنّ الخيرَ قادمٌ لا محالةَ.

إخواني الحضور، من خلال هذا نقول: هل عملنا في وقتنــا المعاصــر علــى تكوين شعراء مصاعقة؟ وهل وسّعنا آفاق مبدعينا في العلوم؟ وهل حاربنا الفســاد اللغوي؟ ونعلم بأنّه إذا فسدت اللغةُ تفسد المعاملات، وهذا (كونفوشيوس) لما ساءت أحوالُ الصين دعا إلى تصحيح اللغة، كما أغفلنا جانباً هامّاً وهو ربط اللغة بــالفكر المبدع، لأنّ تمام الربط هو الذي يخلق الأفكار الأبكار والأثمار الناضــجة؛ وهــي التي تحوز على البيان في شتى مناحي الحياة. كما كان حرياً بــأنّ طــرح أســئلة التطوير ضرورة، فهل عملنا على الرفع من مكانة العربية كي لا تجتلــب أمشــاج الألفاظ من شوب اللغات الأجنبية؛ لتُصبحَ تخترِق ولا تُخرَق، وهــل أبقينــا علــى علوّها في الربوة العالية ولم نُنزلها إلى الأسفل؛ بدعوى تقريبها إلى لغة العوام؟ هل أبعدناها عن سقطات لواهجنا، وخليط لغات أحيائنا؟ هــل حرســنا ثغورَهــا مــن التبدّلات المارقة؟ وهل اتّبعنا الكلام الصحيح، وكشَحْن االكلامَ الفاسد وأبعدناها عن المحاكاة التقليدانية التي لا لذةَ في كلام جديد إذا قيسَ على مُحاكاة الببغاوية.

إخواني، بعض منّا يعمل على التعطيل، فكيف لمن أُلقي في الماء مكتوفاً ونقول له: إيّاك إياك أن تغرقَ في الماء، وما نزال في بحوثنا نبحث عن حجَــر ســنّمار وبذلك ضاعت منّا الفصاحةُ، فجعلناها سبَهللاً، نطوي عنقَها ونلوي رجليها، ونقول لها: كوني هكذا، ونتقادع باللحن كما يتقادع الفَراش في النــار واليــدّ الواحــدة لا تصفّق إلاّ بأختها والرمية لا تكون من غير رامٍ وما نزال نبحث في استبدال الكلام بالكلام، فتلك هي الطامّة التي لم نخرج منها ولو بــالمُلام. وكــان يجــب رصــد امتداداتها تاريخاً وواقعاً واستشراف مستقبلها؛ باعتبارها اللغة المصيرية لغة الحياة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية، وتعزيز ما من شأنه تثبيتهــا والاهتمــام بامتداده، والعمل على تقريبها للراغبين في تعلّمها والتنبيه تجاه تدافعها مع اللغــات الأُخر، والسير بها كلغة الأمّة وفق خطّة استراتيجية معلنة تعزّز محلّهــا الــوطني

والدولي، وتحيي ثقافتها بما يُطاوع مقتضياتِ العصر والوعي بموقع العربية في سياق التدافعات الفكرية العديدة التي تناقش اللغات ومصيرها، وكما يقول (كينش هيل) "حينما تفقِد اللغةَ تفقد حضارةً، وعند ذلك تفقِد ثروةً عقليةً وعملاً فنياً".

إخواني، لا نسوّد الوضع، ولكن هو لوم للضمير الجمعي، ليحصل التغيير فالعربية بخير، وأنّ كثيراً من الأوضاع اللغوية تحسّنت، ولكن ما أحوجنا إلى تكاتف الجهود من جديد، ونعمل على فتح بيوتنا ليتجدّد الهواءُ، دون أن نسمحَ للريح بهزّ كياننا، ولا يعني هذا أن ننغلق دون استعمال اللغات الأجنبية، أو ما له علاقة بمنتوجات العصر، مثل: الكبترة والمنطقة والفسبكة والتوترة واللويحة والسمرتوفونية، بل أن ننغمس فيها ونعمل على تحسين لغتنا بها، كما نعمل على حسن توظيفها لبناء المحتوى الرقمي للغتنا وزيادة تجويدها، واستغلالها في الخصوصية الضامنة لنُفاخ العروبة. إنّ العربية بحاجة إلى التفتّح العلمي، وإلى الاستفادة من اللغات، ولا يعني الذوبان فيها. إنّ العربية تحتاج إلى مشاريع كثيرة وتقديم الرأي القادح الذي لا يترك ريباً إلاّ وضح الأمر وقدّم الحلّ. وإنّ أحسن هدية يمكن تقديمها للغة العربية هي الاعتزاز بها، والعمل على استعمالها وتوظيفها في جميع ميادين الحياة اليومية، وهذا كفيل بحلحلة الكثير من النقائص والصعوبات ورفع المُضايقات. ولذلك نحن مُتفائلون من الوضع اللغوي، رُغم بعض الهنات لكنّ علامات النهوض ظاهرة، عندما ترى وتسمع الحديث عن المكانز، والبحث في المدوّنات المرقمنة، وفي الذكاء الصناعي والبرمجيات والترجمة الآلية، والصناعة المعجمية، واستعراض خطوات تنشيط اللغة العربية في ظلّ روافدها الذاتية وطرائقها التربوية، وترى مشاريع الدكتوراه في اطّراد ومُخرجات الجامعة في ازدياد، فيحدونا الأمل بأن تجد العربية روافدها الثقافية في الإرث الكبير ممّا خلّفه لنا علماء اللغة والمبدعون والشعراء وأهل الفكر والمعمار العلمي، فلا تطفيف في بنائها ولا في مضمونها، وإنّما هو إقرار بأنّها لغة العلم في الماضي، فكيف تضيق عنه في الحاضر. وكان على هذا الجيل التعرّف على فعل السلف واستيعابه واستكمال بنياتها بناءً على معطيات العصر وواقع التقدّم، ومُتطلّبات مُجتمع المعرفة.

وكان علينا كذلك استشراف مستقبل العربية في ظلّ مستقبليات العولمة التي لا تقبل الكرسي الشاغر، **فلغة مُقعدة لغة مُنقرضة، ولغة مُفتقدة لغة مُتخلّفة، ولغة غير علمية تبقى أسيرة الماضي**، وعلّمنا الأجداد أنّه لا يوجد المستحيل ولا يوجد في اللغة جنين يعمل على تخلّفها إنّما يوجد فكر مُتحجّر يعمل على تعطيلها، وذلك ما نروم الخروجَ منه، والعملَ على أن تنالَ لغتُنا مقامَ الندية والزيادة عمّا كانت وما عليها من زُبر الحديد من اللغات العلمية. وعلينا قطفَ ثمارها بالعمل والأمل و**الصبر**، كما قال القدامى:

دبِبْتُ للمجدِ والساعونَ قد بلغُوا جهدَ النفوس وألقَوْا دونه الأُزرا
فكابدوا المجدَ حتى ملَّ أكثرُهم وعانقَ المجدَ من أوفى ومن صَبَرَا
لا تحسبِ المجدَ ثمراً أنتَ آكلُه لن تبلغَ المجدَ حتى تلْعَقَ الصبرا

أيّها المحفل العلمي، لقد أطلتُ في هذا الاسترسال الذي دفعني إلى تطريس هذا الاستبسار والذي جرى تحبيره ودون اقتدار، لما في القلب من الفيضان، الذي يؤدّي في بعض الأحيان إلى التيهان، ولكن نحمُدُ اللهَ أنّ المخلصين يعملون وأنّ الجادين يُنتجون وأنّ في هذا الجمع من الباحثين المُبدعين، ولنقول لهم بُورِكتم بركةَ المُتميّزين. ولا بدّ من التنويه بالأعمال اللسانية والتربوية والترجُمية والتواصلية وما يتبعه من التعددية اللغوية والتي تُنجز في هذه الجامعة فلعمري لها قيمة مُضافة، بما يُخطّط في السياسات اللغوية أو السياسات التربوية، وما يُنجز في جامعة سعيدة من توحيد في وضع وتوثيق المصطلحات.

وأختم لأقول: أيّها المحاضرون، إنّ الشكر لكم عابقٌ على البحث في موضوعات هذا اليوم الدراسي، ولكم كلّ الامتنان على حرصكم ومتابعة إنجاز مَهمّات الازدهار اللغوي للعربية، وتقديم مُقاربات علمية، وحُلول إجرائية؛ تُفضي في النهاية إلى زيادة القيمة العلمية التي تحملها العربية، ونقول لكم: زِيدُونا تألّقاً زِيدُونا.

وفّقنا الله جميعاً لخدمة هذه اللغة، وسدّدَ خطانا، وأثابَ مسعانا، وباركَ اللهُ فينا وفيكم وحفّتِ الملائكةُ مَسْعاكم، والسلام عليكم.

كلمة أُلْقِيَتْ في جامعة سيدي-بلعباس♥

إخواني الحضور، دعوني أقول: إنّه لمن دواعي سرورنا أن نحضر هذا اليوم الدراسي حول اللغة العربية، والذي أحسنتم اختيار توقيت هذه الفعالية التي تأتي بمناسبات هامّة عربية ووطنية. فالمناسبة العربية تخصّ اليوم العربي للغة الضاد الذي سنّته الألكسو منذ سنة 2007م وتُوصي بضرورة **الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد**، تعزيزاً للغة العربية التي حملت من تراثنا ما حملت، فهي الماضي التليد وهي الحاضر المجيد وأحقّ بهذه اللغة التكثير من المناسبات العربية والعالمية. ومن المناسبات الوطنية نحن في بداية شهر الربيع؛ وهو شهر الأمل والاخضرار والخيْرات، وهو شهر الشهداء، وفيه حصل الانتصار على العدو المغوار، ويعقبه يوم العلم، في شهر العلم والتراث، فيا له من الجمع بين المحاسن في هذا الشهر.

إخواني ماذا أُحدِّثكم عن موضوع هذا اليوم الدراسي، الذي أجد إشكاليته مهمّة للغاية (اللغة العربية وتحدّيات العصر) وهي إشكالية مردودِ العربية في الراهن ودورها أمام اللغات، وفي ظلّ التقانات المعاصرة، وكيف يمكن أن ترفع للعربية عنها تلك المضايقات التقنية، لتستجيب للمعاصرة في ظلّ التجاذب اللغوي أمام اندحار وانقراض اللغات، وفي ظلّ حرب اللغات، وكيف يمكن للغة أن تزدهر وهل تنتحر أو تصبح في ما مضى من اللغات، بل كيف تتجذّر فيها الهوية العربية الأصيلة، وما هي أبعاد المواطنة اللغوية وإلى أيّ حدّ يمكن الرهان على اللغات الوطنية وما هي الحدود الدنيا التي لا تسامح فيها... هي أفكار يمكن أن تُطرح في هذا اليوم، ونروم أن نستمع إليها جُملة وتفصيلاً بُغية الإفادة والاستفادة والمُذاكرة.

♥ـ أُلْقِيَتْ الكلمة بالنيابة عن رئيس المجلس الأعلى للغة العربية. جامعة جيلالي اليابس بسيدي-بلعباس، في 7 مارس 2017، في إطار اليوم الدراسي حول لغة الضاد.

وإذا كانت هذه الإشكالية على هذا المنوال، دعوني أقُل: إنّنا –نحن الجامعيين– كيف يمكن لنا أن نقدّم الوصفة العلمية لجامعاتنا في المقام الأوّل وكيف يمكن أن تتصدّر، بل ما هي الوصفة العلمية التي تصدّرت بها جامعة آراهوس بفنلندة. بالفعل نالت هذه الجامعة الريادة بما لها من: – كفاءات عالمية – حصولِها على الجوائز العالمية – طلابٍ يَحوزون على التفوّق في لغتهم وبلغتهم – تفوّق في المحتوى الرقمي كثرة البراءات، الإحراز على الجوائز العالمية... وذات الشيء في إيرلندا وبريطانيا والسويد وأمريكا والهند واليابان وكوريا الجنوبية... فما موقع جامعاتنا من هذا التصنيف؟ ومهما يحمل التصنيف من توجُهات سياسية، فإنّ جامعاتنا لا تلاحق الركب، فأين الخلل؟

ولهذا أطرح مجموعة من الأفكار، وهي عبارة عن تساؤلات، نروم أن تأتي إجابات من الباحثين في لاحقٍ من الزمان:

ـ كيف تنال جامعاتنا الصدارة؟

ـ كيف تنال موقعاً في التصانيف العالمية لتصبح جامعات معيارية؟

ـ كيف تحوز على الجوائز العالمية؟

ـ كيف تحصل فعالية الجامعات مع المُتغيّرات؟

ـ كيف تتماشى الجامعات الوطنية مع العوْلمة؟

ـ كيف تتماشى الجامعات مع الشبكات العالمية؟

ما محلّ الأستاذ الجزائري في التصنيف العالمي؟ وما دور الطالب الجزائري في ذلك؟

ـ كيف يكون للغة العربية موقع في هذا المخاض؟

وإنّ الإجابة عن هذه الأسئلة كبيرة وكثيرة، ولكن يمكن الخلوص إلى ما يلي:

ـ النجاح صناعة جماعية؛

ـ ضرورة تفعيل المخابر الوطنية لأنّها من تفعيل الجامعة؛

ـ تفعيل هيأة التدريس الوطنية بناءً على المواصفات الدولية؛

ـــ تفعيل الطلاب ليكونوا شريكين في أداء الدروس+ في تقديم الخِدْمات.

وإذا وقع الحديث عن الجامعات المعيارية، وكيف تنال الصدارة، فما موقع جامعة سيدي–بلعباس في التصنيف الوطني؟

تتصدّر جامعة سيدي–بلعباس بما لها من تنافس وطني: باب الزوار/ تلمسان/ سيدي–بلعباس. فمنذ عامين تصدّرت بناءً على المواصفات التالية:

ـــ تصنيفها بين الجامعات العربية والمغاربية؛

ـــ ما تحوزه من المحتوى الرقمي الذي جعل مردود وزارة التعليم العالي يأتي في الرتبة الثانية بعد وزارة البريد وتكنولوجيا التواصل؛

ـــ كفاءة مُخرجيها؛

ـــ ما تحوزه من جوائز وطنية؛

ـــ الكفاءات الوطنية في هيأة التدريس بما لهم من الأستاذية؛

ـــ سرعة الاستجابة للتقانات المعاصرة؛

ـــ التعامل البيني بالشابكة؛

ـــ عدد الأبحاث والأطاريح وبراءات الاختراع؛

ـــ ما تحوزه المنطقة من صناعات متطوّرة؛

ـــ المشاريع والأبحاث المرتبطة بـ: علوم الطاقات المتجدّدة + علوم التربية+ علوم البيئة.

أمام هذه تصدّرت جامعة سيدي–بلعباس، ولا تزال بين الريادة أو ما يقرب منها فنعمَ الجامعة هذه! وإذا كان التصدّر لها؛ فإنّه ليعود إلى القائمين عليها وبخاصّة الأساتذةَ الذين يعملون بعلمية من أجل السبق والتطوير وطلب النوعية فأنْعِم بكم أيّها الزملاء!

وإذا كنتُ قد ركّزت على تصنيف الجامعات، فالأجدر بي أن أخصّ (مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية) ولماذا؟

لأنّي أراه يجيب عن رهان الجودة في التربية والتعليم. وبصرت بأنّه يراهن على جودة التربية ويعمل على الانتقال من التعليم التقليدي إلى التعليم المعاصر وربّما التعليم عن بُعد وهو رهان العصر، كما أنّ المخبر عهدناه يعمل بالمشاريع ويقدّم أفكاراً نوعية. وفي ذات الوقت فهو مختبر عتيد يعمل على حسن الأداء التربوي باللغة العربية.

وأنتقل إلى النقطة الموالية، ما موقع اللغة العربية في هذا الزخم الحضاري الذي تفتقد فيه اللغة المُقعَدة، واللغة التي تفتقِر إلى العلم، لغة في طريق التراخي والتراخي نافذة الإهمال، فهل هذا هو الحلّ؟ ونعلم بأنّ العربية تتطلّب منّا الآتي:

ـ الاعتزاز بها؛ باعتبارها لغة الأمّة، ولغة الدين والدولة والدنيا؛

ـ العمل والعمل ثمّ العمل المصاحب بالمشاريع والأمل؛

ـ تركها في عليائها لنصعد نحن إليها، ولا نريد أن تنزل إلينا؛

ـ حملها على خوض غمار العولمة، والتماهي مع اللغات؛

ـ الترجمة منها وإليها، ودفعها إلى النمطية العالمية في إنتاج المصطلح والترجمة الآلية؛

ـ مزيداً من المختبرات اللغوية والهيآت المحافظة على متنها والعاملة على تطويرها؛

ـ حلّ إشكالاتها التقنية الضرورية، وإنتاج المصطلح الموحّد؛

ـ الإبداع في أدبها وعلومها، وفي كثرة براءات الاختراع؛

ـ تكاتف جهود الجميع؛ لأنّ العربية قضية عامّة.

وكلّ هذا يستدعي الرهان على:

1ـ بناء مدرسة الجودة، وقاعدة أساس.

2ـ إعلام معاضد مُنافح مؤازر للاعتزاز باللغة والمواطنة اللغوية.

3ـ تعاضد الوزارات والهيآت اللغوية لبناء قاعدة معرفية.

4ـ استصحاب المشاريع التنموية بمشاريع تدعيم العربية.
5ـ الشراكة العامّة كلّ في اختصاصه؛ وصولاً إلى الخدمة النوعية في المجال اللغوي.
6ـ الدعم المادي المقبول لتجسيد المشاريع.
7ـ السيْر بالمراحل بعد إجراءات التقييم والتقويم.
8ـ استشراف اللاحق من الزمان، وبناء مشاريع على الآماد الثلاث.

وفي هذا اليوم، ينال المجلسَ الأعلى الشرفُ بأن يكون هنا، ويسهم في هذا اليوم الدراسي الذي يُنظّمه (مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية). هذا المجلس الذي سنّ خريطة طريق في تطوير العربية، والرفع من مستواها العلمي وأدائها تجسيداً للمادة الثالثة (3) من دستور 2016 والتي تنصّ على **العمل على ازدهار العربية**، وها هو المجلس يشهد هذه الفعالية العلمية بعدما عاد من جامعة الطاهر مولاي بسعيدة؛ وقد احتفى باليوم العربي للغة الضاد. ها هو المجلس الأعلى معكم جاء ليحضر في هذا المحفل العلمي ويستفيد من أفكار الباحثين والعاملين على خدمة العربية. جاء المجلس وهو يمدّ يده لكلّ الأساتذة والباحثين بُغية التعاضد وانتقاء الأفضل، ونشدان الحقيقة وتدبير الأفكار، واستكناه الفصل والوصل، وهذا ما يُخطّط لتحقيقه للوفاء **ببرنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة** في إطار تفعيل البحث الجامعي وفق ما يخدم التنمية المستديمة؛ في ظلّ انفتاح الجامعة على المحيط الاجتماعي والاقتصادي. ولا يخفى عليكم بأنّ الجامعة كان عليها أن تخدم المحيطَ بكلّ حقوله، وتكون قاطرةَ التوجيه، ومنتجةَ المُسيّرين، وحاملةَ المشاريع وكان عليها تحقيقَ هذا في نظامها العلمي والبحثي الوطني والعالمي؛ لتكون في مستوى النديّة للجامعات المعيارية المُنتجة للمعرفة التي أصبحت عُملة يُراهَن عليها؛ باعتبارها تعمل على إنتاج مُجتمع المعرفة.

هذه كلمة المجلس الأعلى للغة العربية في هذا اليوم الأغرّ، ونرجو أن نكون في مستوى طموحات كلّ العاملين على خدمة **لغة الضاد**، في **يوم الضاد** وبورك في ما

تقومون من أجل **لغة الضاد**، وهي اللغة التي تُؤوينا وتَجمعنا وتُوحّدنا، وهي هُويتنا ومَفخرتنا وإِرثنا وعِزّتنا وغراؤنا. والسلام عليكم جميعاً.

الحقّ في الثّقافة♥

ــ **ديباجة:** باسمي، وباسم المجلس الأعلى للغة العربية، أوجّه التحايا الخاصّة لهؤلاء الذين حضّروا لهذا الفعل النبيل المتمثّل في تنشيط فعالية (الحقّ في الثقافة) في مناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للشعر المُصادف 21 مارس من كلّ سنة. وبدعوة كريمة من جمعية الكلمة للثقافة والإعلام، نسعد بهذا الفعل الثقافي الذي يدخل في ربيع الثقافة الجزائرية، وما يلحقه من شهر التراث. وهكذا تقرن هذه الجمعية بيوم خاصّ؛ وهو الذكرى الأولى لدسترة (الحقّ في الثقافة) المنصوص عليها في دستور 2016. وهذا الدستور الذي بادر به فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، ونجد فيه إضافات نوعية لم تكن في سابق الدساتير ويقرن هذا اليوم بتكريم خاصّ لفخامته؛ وهو جدير بألف وسام؛ لما يوليه من رعاية للشأن العامّ.

إخواني، وردت كلمات (حقّ/ الحقّ/ حقوق/ الحقوق في دستور 2016 في خمسة وخمسين (55) موقعاً، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يدلّ على الربط العميق بين الواجب والحقّ؛ فالواجب يستدعي الحقّ، والحقّ مرهون بأداء الواجب. ويجدر بنا التذكير في هذا المقام، بأنّ الفرد –أيّاً كان– له حقوق طبيعية كفلها الحقّ الإلهي بالفطرة، وهي هبة من الله لكلّ فرد من الجنس البشري، لا تُنزع منه، ومن حقّه أن يكون على دراية بها، في حين يجب على المجتمع وقوانينه وسلطاته أن تُؤمِّن الشروطَ المناسبةَ لجعْل ممارستِها وصيانتِها أمرًا ممكنًا، مع محاربة الحواجز التي تحُول دونها أو تَنتهِك حرمتَها هذا من جانب ومن جانب آخر، فإنّ هناك حقوقاً يحرزها الإنسانُ بعمله، وتُمثّل الحقوقَ الطبيعيةَ الأساسيةَ المرتبطةَ بنشاطه أو

♥ــ أُلْقِيَت الكلمة بمناسبة اليوم العالمي للشعر. فندق الأمير بشراڤة. بتاريخ 21 مارس 2017.

وظيفته؛ وهي حقوق فردية مُكتفية بذاتها، وليست مُطلقة وأحياناً تخضــع لقــوانين المجتمع الذي يعيش ذلك الفرد. وللتذكير بحقوق الأفراد المحفوظة، هي:

1ـ الحقّ في الحياة.

2ـ الحقّ في الحرية.

3ـ الحقّ في الكرامة والإنسانية.

4ـ الحقّ في المِلكية الخاصّة.

5ـ الحقّ في الزواج وتكوين الأسرة.

6ـ الحقّ في الثقافة.

-**الحقّ في الثقافة:** باعتبار أنّ الثقافة مرآة الشعوب، فهي المِحرار الذي يُقــاس بها مدى وعي الشعب ومساهمته في المنجز الحضاري، فقد كانــت الكثيــر مــن الشعوب تُولي الأهميّة الكبيرة للفعل الثقافي باعتباره مرتبطاً بالازدهار والحضـــارة ومؤشّرَ بناء الأوطان. ولذلك نجد في دساتير الأمم التركيز علــى هــذا الجانــب والتأسيس له دستورياً؛ بحكم الدستور يصون الثقافة التي هي شيء مشترك، لا بــدّ أن تَمسَّ كلَّ شرائح المجتمع ومن حقّ الفرد أن تضمن الدولةُ حقوقَه الثقافيــةَ كــي يُؤدّى واجباتِه عن وعي ودراية. ولهذا، فإنّ دستورنا في مادته 48 ينصّ على مــا يلي "الحقُّ في الثقافة مضمونٌ للمُواطن".

وتأتي مشاركةُ المجلس الأعلى للغة العربية في هذه الاحتفائية في سياق جهوده للإسهام في تطوير والنهوض بالحقّوق الثقافية، فمن حقّ الإنسان الطبيعي أن ينــال التعليمَ اللازمَ بلغته؛ قصد تهذيبه وتثقيفه، ومن واجب المجتمع والسلطة أن تضــمنَ هذا الحقّ في تربية مدرسية صالحة. وإلى جانب متعلّقات الثقافة، نجد حفظَ التراثِ الماديِ والمعنوي؛ باعتبارهما رافديْن من روافد الهُوية الثقافية الوطنية. وهذا مــا تسعى إليه الدولةُ بما أُوتيت من إمكانات من أجل ضمان الاعتراف بالتراث الثقافي غير المادي واحترامِه والنهوضِ به في المجتمع، لا سيّما عن طريق القيام ببرامج

تثقيفية للتوعية، ونشر المَعلومات المُوجّهة للجمهور؛ وبخاصّة الشبابَ؛ في بـرامجَ تعليميةٍ وتدريبيةٍ مُحدّدةٍ في إطار الجماعات والمجموعات المعنية.

ولا نريد التفصيلَ في الأمر، بقدر ما يتّضح ذلك من الدستور الـذي يُكـرّس صراحةً **(الحقّ في الثقافة)** ويُسند للدولة ضمانَ وصولِ هذا الحقّ إلى كلّ الساكنة وبذلِ العنايةِ في تشجيع الإبداع الثقافي، والذي يجب أن يكونَ وطنيا هذا من جهّـة ومنفتحاً على الثقافات الأخرى من جهّة أخرى، وهذا ما يدخل في تـدعيم الثقافـة الوطنية بما لها من خصوصية، وتدعيم الحقّ في الثقافة بـالحقوق المجـاورة لـه بتكريس بعض المُرفقات من مثل:

- حقّ حماية الثقافة؛
- حقّ الإبداع؛
- حقّ الانفتاح على الحضارات؛
- حقّ احترام حضارات الشعوب؛
- حقّ حماية البيئة...

وممّا يمكن التركيزُ عليه في خاتمة هذا الحديث، التذكير بما ينْماز به الدستـورُ الجزائري في هذا المجال بأنّه ينصّ على **الحقّ في الثقافة**؛ باعتباره حقـاً أصـيلاً للشعب الجزائري، وهذا الحقّ هو الذي صنعَ الجزائـرَ واسـمَ جزائـر الشـهداء. ولذلك، فالحقّ الثقافي هو خدمة عامّة، وتضمن الدولةُ وصولَها لمُستحقيها، وليست سلعةً تخضع لاعتباراتِ الربحِ والخسارة. وإذا أردنا لهذا الوطن أن يستعيدَ ازدهارَه الثقافي والحضاري أكثر فأكثر؛ علينا الوقوفَ وراء تثمين **الحقّ في الثقافة**، ومـا يتعلّق بها من موضوعات: اللغة والإنتاج الثقافي، والفنّي، والمشاركة فـي الحيـاة الثقافية والتراث الثقافي، وحقوق المِلكية الفكرية وحقوق المؤلّف، بالإضـافة إلـى موضوعات أخرى...

ولا بدّ من التنويه بصاحب الفضل **فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيـز بوتفليقة** الذي سهِر أن يكون دستورُ 2016 يحمل خصوصية **الحقّ فـي الثقافـة؛**

وهي من حقوق المواطنة، على اعتبار أنّ الثقافةَ في كُنْهها تشكّل العمــودَ الفقــريَ لكلّ نشاط إبداعي؛ لأنّ الثقافة هي في جوهرها تعبير عن رأي مُعيّن في شكل من أشكال المواطنة. وهكذا نرى ضمانَ الدولة هذا الحقّ الدستوري بمــا يتــدعّم مــن الحقوق الأخرى الملحقة كالحقّ في الإعلام، والحقّ في النفاذ إلى المعلومة. وفــي كلّ هذا؛ فإنّ قراءة عامّة لفصول الدستور الجزائري نراه يقرّ **بالحقّ فــي الثقافــة** ويدعّم ذلك بجملة من الحقّوق والحريات المُجاورة له وما علينــا إلاّ تفعيــل هــذا الحقّ؛ عبر الإطار القانوني الذي يشجّع على الفعل الإبداعي المُضيف لا المُنيــف. والسلام عليكم.

كلمة أُلْقِيَتْ
في ملتقى -لغة الفلاحة- في الجلفة♥

أودّ في البداية أن أُعرِب لكم عن سعادتنا لانتقال المجلس الأعلى للغة العربية إلى هذه الولاية المُجاهدة والتي سجّلت بطولات خالدة، عبر أمجادها التالدة. ولاية الجلفة العتيدة، بما لسهوبها المديدة وما تعرفها من حَراك مأمول بفعل مسيّريها الأصول. دون الحديث عمّا يعرف به ساكنة الحضنة والهضاب العليا، من شيَم عُليا، فأنْعِمْ بهم من ساكنة أهل الشهامة! وأصحاب الفخر والفهامة!

إنّ المجلس الأعلى للغة العربية الذي شرّفني فخامة السيد رئيس الجمهورية بإدارته تعزّزت مكانتُه في دستور 2016 بأن أصبح هيئة دستورية له قوّة الاقتراح والمبادرة بالمشاريع مع المؤسّسات والوزارات، ومع أطراف وطنية بُغية النهوض اللغوي والبحث عن أفضل السبل لتطوير العربية وتحسين منتوجها وتحبيبها وتعميم استعمالها في مختلف فنون المعرفة. وفي هذا الإطار، فإنّ المجلس عقد اتّفاقية تعاون مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري؛ لإنجاز **أدلّة باللغة العربية في قطاع الفلاحة** وما يتعلّق بمنجزات وضع القواميس المتخصّصة، وجمع المدوّنات اللغوية بمسكوكات ومصطلحات الفلاحة؛ وبخاصّة تلك التي يكثر تداولُها والنظر إليها من زاوية التحليل والنقد والتقعيد، مع تعرفه تلك المصطلحات من تطوّر عبر التاريخ، وما يتمخّض من ألفاظ وتراكيب جديدة، إضافة إلى ذلك الكمّ المسكوكي من الألفاظ الفلاحية الخاصّة بالبيئة الجزائرية. وفي هذا المجالس نسعى

♥ـ أُلْقِيَتْ الكلمة بمناسبة الملتقى الوطني حول **(لغة الفلاحة)** المنظّم بين وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري والمجلس الأعلى للغة العربية. الجلفة 29 مارس 2017 في المعهد التكنولوجي المتوسّط الفلاحي المتخصّص.

إلى فتح ورشات لجمع المستعمل اللغوي الوظيفي في ميدان الفلاحة، وهو ميدان غني ويحتاج إلى تطويره وتحسينه وجمعه في أدلّة وظيفية يستعملها الباحثون والمختصّون وأهل الفلاحة في الحالات العادية لتكون مصطلحاتها ومسكوكاتها تجري في لغتنا بصورة طبيعية جداً.

ولهذا الغرض جاء هذا الملتقى الوطني، وتمّ اختيار ولاية الجلفة لعقده في عاصمتها؛ لوجود إطارات كُفأة في هيئة التدريس في هذا المعهد التكنولوجي المتوسّط الفلاحي المتخصّص، ومن خلال أساتذة جامعة الجلفة، ومراكز البحوث ونأمل في مزيد من الشراكات العلمية مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري؛ والتي أسهمت بشكل إيجابي في ما نُنجزه اليوم. ومن خلالكم نزجي خالص الشكر والتقدير لمعالي وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري؛ على تلك التسهيلات والتيسيرات التي قدّمها للمجلس الأعلى للغة العربية من أجل أن يُعقد هذا المؤتمر، بلْهَ الحديثَ عن تلك الفرقة المتخصّصة التي تجتمع في رحاب المجلس من أجل إنجاز بعض الأدلّة ذات العلاقة بلغة الفلاحة وإليهم يعود الفضل في هذا الملتقى، وقد سهروا على إشكالياته وفرضياته وعلى وضع لِجانه واقتراح المحاضرين، ولولاهم لما كنّا اليوم في هذا المحفل العلمي فلهم منّا كلّ التحايا والتقديرات المشكورات.

إخواني الحضور، كلّكم تعرفون ما يشكّله قطاع الفلاحة من الأمن الغذائي إن لم نقل إنّه قاطرة حقيقية للتنمية الوطنية في المقام الأول، وله أفضال على التنمية العالمية؛ لما يقدّمه قطاع الفلاحة من صناعة فلاحية يستطيع سدّ رمق الكثير من البشر. كما يعدّ هذا القطاع المَصْدر الأساس لخلق اقتصاد متنوّع وتنافسي، حيث الفلاحة والزّراعة من أهمّ القطاعات الاقتصادية التي تعتمد عليها الدّول في توفير الغذاء وفرص العمل. ويرتبط بالزّراعة مفهوم الفلاحة، فالفلاحة هي الأنشطة التي تتعلّق بالإنتاج النّباتي والإنتاج الحيواني، وأما الزّراعة فتختصّ فقط على الإنتاج النّباتي والمحاصيل الزّراعية. والفلاحة مهمّة جداً في دفْع عجلة الصّناعة والتّجارة معاً، فقد تطوّرت أساليبها ومفاهيمها وأدواتها تطوّراً واضحاً من الأساليب التقليدية

إلى الأساليب العصرية، حيث اختلفت الأدوات الزّراعية اختلافاً كثيراً، فما هي أدوات الفلاحة القديمة؟ وما هي أدوات الفلاحة المعاصرة؟ وما هي الأداءات اللغوية للغة الفلاحة؟ وما هو خاصّ بلغة المنطقة؟ وما يُقال في منطقة لا يُقال في أخرى؟ وكيف استطاعت اللجانُ العلمية تفعيل النشاط الفلاحي عبر ذلك المنتوج المتنوّع؟ وكيف انتقلت لغة الفلاحة من أسلوب بدوي، إلى أسلوب حضاري؟ وهل يمكن الاعتماد عليها كما هو الحال عليه؟ وما هي الرهانات اللغوية الجيّدة التي يمكن اعتمادها ليحصل لنا التفاهم مع الآخر؟

إنّ الرهان الآن يقع على المختصّين، كيف نكسب هذا الرهان التنافسي؟ وما هي آلياته المعاصرة؟ وبأية لغة يحصل ذلك؟ تلكم بعض الفرضيات التي يمكن أن تظهر من خلال ما يطرحه المختصّون. وفي هذا المقام، أرى أنّه لا يمكن أن يحصل التمكين اللغوي الجيّد إلاّ بتطوير القطاع الفلاحي في صوره المعاصرة، من خلال الاستثمار أولاً في الموارد البشرية وتنمية قدراتها، واستيعاب كلّ تطوّر لغوي يحصل في المجال الفلاحي، والتحكّم في التقانات اللغوية الحديثة وتطويعها وتحديث لغة التواصل بما يخدم المواطنةَ اللغويةَ؛ لأنّه لا تطوّر نوعي ولا تنمية دون توظيف اللغات الوطنية، وجعلها لغات عمل وتخاطب. ولعلّ من بين الصعوبات التي تعترضنا اليوم مشكلة توظيف وتوحيد استعمال المصطلح الفلاحي في هذا القطاع المتعدّد اللغات (لغة التقني لغة الفلاح، لغة البيطري، ولغة الإداري...) فهل اللّغة العربية الموظّفة لدى هذه الفئات صالحة لتوصيل المفاهيم العلمية والتقنية والمعاني الحديثة إلى مُستعمليها؟ وهل يمكن لها أن تكون لغةً قادرةً على التعبير عن المدلول النظري أو العملي التطبيقي بمفهومه الحديث؟ أم يمكن اللجوء إلى لغة وسطى لحلّ الإشكال؟

وإيماناً من المجلس الأعلى للغة العربية، بضرورة أداء المهام المنوطة به تطبيقاً للنصوص المحدّدة لصلاحياته، في اقتراح أفكار علمية، وتقديم يدّ العون المنهجية والمساعدة لمختلف القطاعات في حدود الاختصاص، والعمل معاً على تعميم استعمال اللغة العربية، وتذليل العقبات اللغوية التي تعاني منها وحلّ

الإشكالات المطروحة لازدهارها في الميادين العلمية والتقنية، فإنّه يعمل بكلّ ما أوتيَ من جهد علمي ومادي من أجل تقديم أفكار في هذا المجال، بعقد الشراكات العلمية مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري، ومع مختلف القطاعات عن طريق إنجاز منصّات علمية تخصّص لقطاعات تطلب منه المشورة، وفي ذات الوقت يقترح على من يهمّه الأمر خريطة طريق لإنجاز ما يراه ضرورياً أو مُلحاً حسب حاجة المجلس التي يخوّلها له القانون، وما يراه يحتاج إلى تجسيد تطبيقاً لمهامه الكبرى وهو. **العمل على ازدهار اللغة العربية؛** وهي المهمّة الكبرى التي يعلّق عليها الآمال لتعميمها في مختلف القطاعات.

ومرّة أخرى ارتأينا تجسيد شراكة علمية مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري من خلال تنظيم الملتقى الموسوم **(اللغة العربية وتحدّيات استعمال المصطلحات التقنية في المجال الفلاحي)** بهدف تسجيل الإنجازات التي تمّت من قبل وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري، والوقوف عند النقائص والصعوبات التي تواجه المصطلح العلمي والتقني في الميدان الفلاحي وتقديم الأفكار ذات العلاقة، والعمل على التفعيل المصطلحي لآليات إنتاج نمطي للمصطلح، علّه يُسهم في تفعيل جديد للغة العربية من منظور التوظيف الجيّد ووفق بنيات قاعدية تمزج بين قواعد اللغة العربية وخاصيات الاستعمال الميسّر وفق اللغة وضع واستعمال. ويهدف الملتقى إلى:

- التعرّف على أنظمة المعارف العلمية، وتشخيص واقع المصطلح العلمي والتقني في القطاع الفلاحي؛
- وضع منهجية جمع جديدة وتبويب المصطلحات المتداولة في المجال الفلاحي؛
- الإسهام في وضع مصطلحات علمية وتقنية لمواكبة التطوّر في القطاع الفلاحي؛
- المساهمة في إنجاز ترجمة موحَّدة للمصطلح اللغوي الفلاحي؛
- العمل على إنجاز قاموس وظيفي للمفاهيم والمصطلحات العلمية والتقنية للقطاع الفلاحي.

أيّها الحضور الكرام، إنّ المجلس الأعلى للغة العربية وبالتعاون مع وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري، يسعيان إلى توسيع استعمال اللغة العربية في مختلف مرافق الحياة الفلاحية، والعمل على ازدهارها وتطويرها وترقيتها لتواكب التطوّراتِ العلميةَ والتكنولوجيةَ السريعةَ، والوصول إلى تلك اللغة المشتركة التي يفهمها التقني والفلاح والمهندس والبيطري وتاجر الخضر والفواكه... في إطار تعاضد بيني لتحقيق استراتيجية خدمة الشأن العامّ، واللغة من الشأن العامّ. وإنّنا نرى بأنّ هذا القطاعَ من أهمّ القطاعات الأكثر ثراءً في المصطلحات ويستدعي لغة مشتركة، وهي التي تكون لُحمة بين المنتج والمستهلك بين الفلاح ومُخترع الآلات، فكلّما كانت اللغةُ المشتركةُ واحدةً اقتربَ الفهمُ وزاد الإنتاجُ وتسارعت وتيرتُه ويحصل الفهمُ الدقيقُ. ذلك ما نستهدفُه من خلالكم أيّها المُختصّون، فنروم الوصولَ إلى تقديم وصْفات علمية؛ تكون واسطةَ العقد في لغة الفلاحة التي نحتاجها جميعاً؛ وصولاً إلى لغة موحّدة لا لبْسَ فيها، تجعلنا جميعاً نُولي الأهميّةَ التي يستهدفها هذا القطاع الذي يحتاج إلى دعمكم وتعزيز وطني من قبلكم وإلى تعاضد الجميع؛ لربح إنتاجية القطاع الفلاحي، وزيادة منتوجه، إنْ لم نقلْ زيادة حجم صادراته.

إخواني إذا سمحتم لي يجدر بي التنويه بما أنجزته وزارة الفلاحة والتنمية الريفية والصيد البحري من أعمال سابقة، وعهدي بها أنّها أنجزت في مرحلة متقدّمة، وكان لها بعض الصدى وطنياً، ولدى الدول العربية، وفي وقتنا المعاصر تحتاج إلى تحديث وإلى إضافات، فقد جدّ الكثير في لغة الفلاحة التي تطوّرت عبر الزمان، ونسمع الآن كلمات ومسكوكات من مثل: نباتات الأزهار ــ أشجار الزينة ــ فلاحة البساتين ــ المشاريع الفلاحية ــ الاستثمار الفلاحي ــ الزراعة الصحراوية ــ الفلاحة الريفية ــ العقار الفلاحي ــ الطماطم الصناعية ــ الامتياز الفلاحي ــ نموذج الري الأكثر استدامة ــ المستثمر الوهمي ــ بنجر السكر ــ منح القروض ــ أملاك الدولة ــ الدعم الفلاحي ــ الأمن الغذائي ــ التقويم الفلاحي ــ التقويم الأعجمي ــ المنكوش ــ التقويم الأمازيغي ــ الشُعب الأساسية

الفلاحية ــ الأشهر الفلاحية ــ أيام الزبر ــ التعشيب ــ الشاعوب ــ الحاشوشة ــ الكالوشة ــ تجهيز الأرض ــ النباتات المحروقة ــ التنوّع البيولوجي ــ الماكنة ــ قنوات الري ــ شبكة الريّ ــ التذرية ــ فول الصويا ــ الشوفان ــ الحفارة ــ مشط الأرض ــ اليد العاملة ــ صناعة الزيوت. التصنيع الفلاحي ــ التكبيس ــ ترشيد استعمال المياه ــ دعم البنك الفلاحي ــ السقي المحوري السقي بالتنقيط ... وهنا أغفل الكثيرَ من الأسماء ذات العلاقة بالخضر والفواكه وأسماء بعض المصنوعات الفلاحية، وما يترتّب عنها من الصناعات العجينية، وما يلحقها من تلك الأسامي الملكونة، وتلك التسميات الهجينة، والخليط اللغوي الذي أشبعت مصطلحاتُه هذا الميدانَ الواسعَ. هي بضع كلمات تُستعمل في واقعنا الفلاحي ونقرأ بعضها في مؤلّفات أساتذتنا، ونجدها موظّفة في صحفنا فإلى أيّ مدى تنال الاستعمال الفعلي؟ وما هو موقعها من القاموس اللغوي؟ وإلى أي مدى لها أن تنال صورة التوحيد المصطلحي؟

تلكم هي بعض الانشغالات التي يعالجها هذا الملتقى، إلى جانب المشاريع الكبرى التي تكون محلّ مناقشة، ونأمل أن تتدخّل المخابر المتخصّصة، ووحدات البحث الوطنية؛ لفتح مشاريع في هذا المجال وتكوين أُطُر مُتخصّصة؛ حفاظاً على اللغة المُوحِّدة والجامعة، وسعياً إلى الرقي بلغة الفلاحة إلى صورة الفهم الصحيح وعدم التضارب بين الدال والمدلول، والخروج من الاعتباطية المصطلحية، إلى مداليل واضحة يُراد منها التوحيد المصطلحي الذي تقبله الآلات المعاصرة، وفق برمجيات التنميط المصطلحي. ولا شكّ أنّ مؤسّسات عربية سبقَ لها أن أنتجتْ مصطلحاتٍ موحّدةً في هذا المجال، من مثل مكتب تنسيق التعريب ولكن يَحدونا الأملُ بأنّ عملنا سوف ينماز عنها بما يُلاحق من تقانات العصر وما تحمله بعض المصطلحات من خصوصيات جزائرية، وما نصمّمه من القواميس التي نستهدف أن تكون لها الصدارة في ما تحمله في متونها.

وعلى العموم، فليست بالمسألة التي تُفسد للودّ قضية، بقدر ما يمكن تبادل الأفكار من خلال هذا المحفل العلمي، ولا ننسى الاستفادة من نجاحات لغات الأمم

ولا نبدأ في كلّ مرّة من الصفر، وهذا ليس من الحضارة، فنحن نروم الاستمرارية المتجدّدة التي استقينا محاورها من **برنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة**. والذي كان الحارسَ الأمينَ على أنّ اللاحقَ لا ينسى عملَ السابقِ وأنّ الفضلَ يعود للسابقِ، ولولا العجلةُ لما كانت السيارةُ، ولولا النارُ لما كان الحديدُ، ولولا الشيخُ لما كان المريدُ، ولولا الكُتّابُ لما كانت الجامعةُ.

أرجو أنّنا قدّمنا ما يمكن أن تقعَ عليه الانطلاقةُ الأولى، ونأملُ أن تتواصلَ الأعمالُ قيدَ الإنجاز مع استكمالِ تسطيرِ المشاريعِ القادمة. واللهَ نسأل التوفيقَ لبلدنا، والازدهار للغاتنا الوطنية، وشدّ العزم لفرقنا والنجاح لملتقانا، والبشرى الحسنة لحضورنا. ولكم منّي ومن إطارات المجلس الأعلى للغة العربية كلّ الودّ وخالصِ التقدير، وعظيمِ الشكر على الاستجابة السريعة لحضور هذه الفعالية فأنتم جميعاً من أصدقاء المجلس، ومن العاملين على ترقية المواطنة اللغوية فأنتمُ الكرامُ فأَنْعِمْ بكم يا كرام! وعهدي أنّ الكرامَ سينتصرون، وأنّ الأرضَ يرثِها عباديَ الصالحُون.

وفي الأخير أُعلِنُ افتتاحَ أشغالِ هذا الملتقى الوطني بقوله تعالى﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾التوبة. والسلام عليكم جميعاً.

كلمة أُلْقِيَتْ في جامعة قسنطينة♥

الحمد لله حمداً طيّباً مباركاً، وبعد؛

باسمي، وباسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية أنوّه بأهميّة الموضوع المختار لهذا المحفل العلمي، وفي هذه المدينة العتيقة؛ مدينة ابن باديس العظيمة أقف كثيراً في رحاب الشيخ المصلح، الذي يرى المستقبل بأفكار المفلح، وقد أخذ راية المعارف باليمين، واشتهر بالبروز بين العاملين فأُلهم حسنَ التدبير، بأن أقام منهاج العربية على الضبط والتقدير، وكان سبيله في ذلك موازين البيان، وخصّها بالمنهج من مذاهب اللسان، وأطلق لها أعنّة الفصاحة؛ فأنشط عُقُلَ شواردها صراحة، وميّزها بمعاني الجلالة.

إخواني في هذا اليوم المشهود، السادس عشر (16) من أفريل الذي يصادف يوم العلم، يوم وفاة عالمنا الهُمام، الذي وقف مع ثلّة من أصحابه شامخين؛ يذودون عن فسحات الدين، وتوسّع العربية المكين، وانتدبوا أنفسهم قانعين، رغم عثار ذلك الزمان الضنين، واستصرخوا الشعب الجزائري، فما خذلوهم، بل كانوا الحماة فدافعوا عن الحمى حتى أخرجوا العتاة، وبلّغوا البلاد شواطئ النجاة.

أيّها الحضور، يتقدّم المجلس الأعلى للغة العربية بالتحايا الخالصات وبأجمل التهاني المُخلصات للسيد رئيس جامعة الأمير، وإلى فريقه على المُنجز العلمي في الثاني (2) من مارس لهذا العامّ، الذي نالت أصداؤه كلَّ هامّ، فكانت المعيةُ المنجَزةُ ألمعيةً، وسجّلت النجاح البهية، ونبارك لأنفسنا الشراكة البينية وعلى هديها نسير

♥ــ أُلْقِيَتْ الكلمة في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، بمناسبة انعقاد الملتقى الدولي حول (ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية) في 16– 17 أفريل 2017 تنظيم مشترك: المجلس الأعلى للغة العربية+ جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة.

في هذا الربط الجديد، بأن نزيد في تشاركنا ونستزيد، ونلتقي اليوم للحديث عن ترجمات معاني القرآن، من لغة عدنان إلى مازيغية الأجداد، ومن لَحِقَهم حساب الأعداد. فالشكر وألف شكر يا سيدي رئيس الجامعة، ونروم أن تتعاضد جهودُنا دائماً لخدمة الشأن العامّ، واللغة شأن عامّ، فأنعم به من خدّام الشأن العامّ!

أيّها الجمع الكريم، أقف قليلاً لأتحدّث عن المشاريع الثنائية، ونحن بحاجة إلى تمتينها وتكثيفها والتخطيط لها، والوعي بنتائجها؛ حيث الشراكة الناجحة، لا تكون إلاّ بالمشاريع التي تأخذ حسن التدبير وما يلحقها من حسن التسيير. وهذا عهدنا في المستقبل، بأن نعمل على التخطيط الدقيق، دون إغفال التفصيل العميق. الله نسأل أن يعيننا على تحقيق المراد، للظفر بغايات الأجواد. وأن يضاعفَ لنا مع السابقين ثواب السبق، ويزيدنا مع اللاحقين كرامات الحقّ. وهكذا، يتشرّف المجلس الأعلى للغة العربية أن يمتّن العلاقات العلمية مع جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، ومع المعنيين بشؤون العربية ويمدّ يده لكلّ طالب يبغي وجه التعاون؛ الذي يخدم العربية بحثاً ودراسةً وتصحيحاً واستشارةً ومنهجاً.

إخواني، أنتقل إلى موضوع هذا المنتدى الذي لا أريد التفصيل فيه، ولا أريد الإطالة فقد طرّست محاضرة تُلقى في وقتها، ولكن يمكن التركيز في هذا المقام بأنّ ترجمة معاني القرآن سنّةٌ حميدةٌ فعَلَها السلف، ما بالُ الخلَفُ لا يَحْذونها بالإضافة، وهي من الأشياء التي لا مجال للإسراف في الحديث عن محاسنها؛ لعالمية القرآن الذي يجب أن يكون لمعانيه موقعٌ في كلّ الألسنة البشرية، والألسنة متعدّدة وهبنا الله إياها آيةً ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الروم: 22. وفي هذا المجمع وغيره دعوة إلى ضرورة توسيع الترجمة إلى كافة اللغات فما موقع ترجمات معاني القرآن إلى المازيغية؟ وما هي المواقع التي حقّقتها الترجمات قيد الاستعمال؟ وهل هناك دراسات التقييم والتقويم؟ الا توجد انتقادات أو استدراكات عليها؟ وما هي أولويات الترجمة إلى المازيغية؟ وما هي الصيغ اللغوية المناسبة للترجمة؟ وما هو الحرف المناسب لكتابة تلك الترجمات إلى المازيغية؟ هذه وأخواتها من الانشغالات التي

نروم أن تجيب عنها المحاضراتُ التي تقدّم من أفـذاذنا العلمـاء، ومـن صـنّاع ترجمات معاني القرآن إلى المازيغية الذين كانت لهـم أفضـال السـبق والظفـر بحسنات الفعل الترجمي، وبخاصّة أولئك الذين حملوا أمانة الترجمـة علـى أنّهـا استكمال للأصل، من حيث تتبّع خصائص اللغـة العربيـة، ومـن حيـث كتابـة الترجمات بالحرف العربي.

إخواني، كنت دائماً أقول: إذا أردتم أن تكـون المازيغيـة لغـة الجزائـريين فحرّروها من بعض المتشدّدين وهي ليست دعـوة شـرقية أو غربيـة، بـل رأي جزائري يريد الاستقرار والتواصل، ويريد الازدهار لأوطاننا المغاربية، وقد قَدّمتُ الكثير من الدراسات في هذا المجال، ومع ذلك أعترف بالقصور والتقصير؛ ولكنّي أسمح أن أقول: هذا ما زبّره من قبلي، وقد أفتوْا علمياً بحكمة ترتيـب المسـبّبات على الأسباب. ويقول خبراء المازيغية إنّ ما يزيد على سبعين من المائة من ألفاظ المازيغية أصلها من اللغة العربية، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ علـى أنّ كـلا من العربية والمازيغية عاشتا في وئام وانسجام ولا يجب أن نحمل أية عقـدة مـن الحرفين التيفيناغي والعربي رغم أهميّة خطّها التيفيناغي وهو أولى بها من غيـره والذي يراه البعض بأنّه لن يكتمل حقّها العلمي إلاّ به. وصـراحة أقـول: إنّـه لا مستقبل للمازيغية خارج حروفها أو الحرف العربي. وإنّه لا بدّ أن تعطـى الكلمـة للمختصّين والخبراء ليفتوا في المسألة بما يعتمدونه مـن المرجعيـات الحضـارية والعلمية والتاريخية، ونظر إلى المسألة نظرة إيجابية حيث المازيغية لغـة وطنيـة ورسمية لها مكانتها في دستور 2016، وفي **برنامج فخامة الرئيس عبـد العزيـز بوتفليقة** والمجلس الأعلى للغة العربية من مهامه العمل على أن يتعامل مع اللغات الوطنية تعامل تبادل المنافع؛ للوصول إلى انسجام وطني لغوي نوعي. وإنّنـا فـي المجلس الأعلى للغة العربية نلتزم بمهامنا الدستورية ونحترم الهيأة المشرفة علـى الأمازيغية، ونعمل معها في إطار حسن تدبير المواطنة اللغوية.

إخواني؛ إذا كان في نيتنا خدمة الذات الثقافية اللسانية المازيغية، فننظـر إلـى النموذج اللغوي المازيغي؛ فهو شبيه إلى درجة كبيرة جدا باللغة العربيـة واللغـة

القبطية واللغة العبرانية؛ وهذه النماذج اللغوية لم توضع هكذا اعتباطاً؛ بل انطلاقاً من التشابه في الأصوات بين العربية والعبرية والقبطية والمازيغية، وعليه وضعت هذه اللغات في نفس النموذج. إنّها ليست أفكار نمطية أو توحيدية، أو هي إلغاء لأفكار المختصّين، هي أفكار نريد من ورائها الوصول إلى مازيغية توحِّدنا وتقرِّبنا من ديننا ومن اللغة الجامعة وننظر من خلالها إلى ما نُجنيه من:

أولا: الوحدة الوطنية والانسجام الجمعي.

ثانياً: وطننة الأمازيغية لغة الجزائريين.

ثالثاً: أبجدية التيفيناغ أصيلة.

رابعاً: أبجدية الحرف العربي متقاربة.

هذا غيض من فيض، أريد من خلال هذه الافتتاحية أن أقول: إنّنا لا بدّ أن نسعى إلى رسم خريطة طريق تجعلنا كباراً مثلما كان سلفنا الصالح كباراً تجعلنا نواجه التحدّي المعاصر بلغة العصر، ونرجو أن تكون العبرةُ بعموم الكلام لا بخصوص الأسباب؛ لأنّ الأسباب -في بعض الأحيان- لا تدخل في باب ردّ الاعتبار، بل تزيد المِحَن على الإحَن، فهي بلاء تبيد ومحنة تزيد.

إخواني الحضور، هذا كلامي الأوّل، رَتّبته بحسب مُقتضيات الأحوال وما اقتضته الحكمةُ من مُسبّبات الحال، على أنّ الدالّ على الخير كفاعله وعسى أن ننتفع من كلّ قول يعمل على تمتين الوحدة الوطنية، وأن نختلف في الرأي وفي المنهجية، لكن أن يجمعنا مكانُ الوصول، نختلف ولا نخالف نقبل رأي الآخر ضمن متعلّقات تراتبية خدمة الوطن. والسلام عليكم جميعاً.

كلمة أُلْقِيَتْ بمناسبة احتفاء جمعيّة (اقرأ)♥
تعليم المرأة عند جمعيّة العلماء المسلمين

ــ **ديباجة:** يحصل الشرف أن تبادر رئيسة (جمعية اقرأ) إلى عقد لقاء تكريمي وهذا بمناسبة الأحداث العلمية الكثيرة لهذا الشهر، فمن يوم العلم إلى شهر التـــراث وإلى ربيع الثقافة الوطنية، فيا لها من مناسبات تلاحقت وتزاحمت في حلقة جامعة اقرأ واقرأ ثمّ اقرأ، وهذا هو الفعل العلمي الذي تقف وراءه (جمعية اقـــرأ) اقتـــداءً بجمعية العلماء المسلمين التي أعطت للإصلاح الاجتماعي الأولوية؛ لأنّـــه قـــاطرة القضاء على كلّ الآفات، فكما يُقال: شعبٌ يقرأ؛ شعبٌ يتحضّر/ شعبٌ يقرأ؛ شـــعبٌ لا يستعبد/ أمّة تقرأ؛ أمّة تنال العلا.

إخواني الحضور، عند الحديث عن دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التربية والتثقيف وتنشئة الأجيال الصاعدة على حبّ التعليم والتحلّي بالنُبل وفضائل الأخلاق والصبر والمغالبة والمجاهدة وحفظ النفس والمال والعرض، وكلّ ما يدخل في باب تكوين المواطن الصالح، فلا جدالَ في ما قدّمته الجمعية من قيمة مُضـــافة في يومها، ولا تزال آثارُها في ذلك الجيل الذي كوّنته في رحاب معهد ابن بـــاديس بقسنطينة ومع تلك الوفود التي كانت توفدها الجمعية إلى الزيتونة وفاس والقـــاهرة وبغداد والكويت للتعليم والتثقيف ونيل الشهادات؛ بُغية الوعي والتطـــوير والترقيـــة والنهوض باللغة العربية والعودة إلى الوطن للتعليم وتسلّم المشعل. فلقد اســـتثمرتِ

♥ــ أُلْقِيَتْ الكلمة بمناسبة احتفاء جمعية (اقرأ) بيوم العلم. قصر الثقافة في 18 أفريل 2017.

الجمعيةُ أيّما استثمار في التعليم، ولم يكن خاصّاً بالذكور، وإنْ كثُر عددُهم حسب طبيعة تلك المرحلة، ولكنّ للبنات نصيبًا مُعتبَرًا بلْهَ الحديثَ عمّا أسّسته من:

1ـ مدارس البنات: رُغم أنّ تعليم البنات في ذلك الوقت كان يفتقِر إلى المُتمدرسات ولكن سرتْ حركةُ الإصلاح في الاهتمام بنصف المجتمع، فلا يمكن أن ينجح الإصلاح بطرف دون آخر، وعبّر عنه ابن باديس بمثابة الطير الذي لا يمكن له أن يطير بجناح واحدة، فلا بدّ له من جناحين كي لا يسقط وإلاّ فهو ساقط. ولقد كان الأمر في البداية صعباً؛ حيث وقع التركيز على منهجية إقناع الأولياء وعلى تصحيح المفاهيم وإعادتها إلى نقائها، ومسايرة تطوّر العصر بما لا يتنافى وقِيَم الدين. وبعد موافقة الآباء على إرسال بناتهم إلى المدرسة؛ وكانت الخطوة التي أذابت الجليد؛ بأن فُتِحَتْ أقسام للذكور وأقسام للإناث. ولم يقف الأمرُ عند هذا الحدّ؛ بل كانت تدعو الجمعيةُ في برامجها لانخراط البنت في كلّ نشاطات المدرسة، وفي فِرَق الأناشيد والمسرح، والإسهام في إحياء المناسبات الدينية. وفي ذلك المخاض استطاعتِ الجمعيةُ أن تفتح مجموعةً من المدارس الخاصّة بالبنات ومن أشهرها: مدرسة عائشة في تلمسان، ومدرسة تهذيب البنات في البليدة ومدرسة شريفة في الجزائر.

ولم يقف تخطيطُ أعضاء الجمعية في هذا الأمر، بل كانوا يرومون تشجيع الطالبات للتعليم في البلاد العربية، ولكن صدمت التشجيعات بعدم وجود أقسام خاصّة لتدريس البنات، حتى وقع ابن باديس على السيدة (عادلة بيهم) حفيدة الأمير عبد القادر، ووقع الاتّفاق على إيفاد عشر (10) طالبات وهنّ: سليمة بن البرج سليمة حافظ، نعناعة ونيسي، حليمة ونيسي، فاطمة صويلح، فلة بوالبارود الرامضة بوعبد الله، فاطمة رودسي، عائشة دمق، ياسمينة دمق. ومع ذلك لم يتحقّق التخطيط بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية. وفي هذا تقول الأستاذة زهور ونيسي: "... إنّ العلاّمة الراحل كان حريصاً الحرص كلّه على تعليم المرأة وتخصيصه لساعات معيّنة من الدروس التي كان يقدّمها للنساء والفتيات ورغبته في إرسال مجموعة من الطالبات إلى سوريا لمدرسة حفيدة الأمير عبد القادر لإتمام دراستهن لولا أنّ

الأجل وافاه، مؤكّدة أنّ ابن باديس لعب دوراً عظيماً في تعليم المرأة، وهو أوّل من فتح لها أبواب العلم والمعرفة، وأوّل معلّمات في الجزائر تتلمذن على يــده هــنّ: نعناعة بشكري، ونعيمة عمروش، وحورية عربية، رحمة الله علــيهن، بقســنطينة كأوّل رائدات للتعليم بالجزائر".

2ــ تأسيس جمعيات نسوية: ما كان يجب أن ننظر إلى تأسيس جمعية للنســاء بالمنظور المعاصر؛ حيث المتغيّرات لا تقبلُ المقارنة، وأنّ أوجهَ الشبه بعيدةٌ، ومع ذلك فتذكر المصادرُ بأنّ جمعية العلماء عملت على تأسيس جمعيــات مــن مثــل: (جمعية نهضة المرأة المسلمة) و(جمعية الفتاة العربية المسلمة) والشعار الذي كانت تحمله الجمعيات النسوية آنذاك: "أرشدونا إلى الطريق الذي يمكننا تتبعــه لنتحمّــل مسؤوليتنا معكم في النهوض بأمّتنا حتى تحتلّ مكانَها اللائق بين الأمــم المتقدّمــة ونُشيد مجدَ إفريقيا الشمالية". وفي الحقيقة؛ فإنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد أسهمت بشكل مباشر في تطوير وترقية المرأة، حتى لمعت أسماءٌ فــي مجــال التعليم والصحافة والعمل الخيري، رغم أنّ بعضَهن كنّ يعملن في الخفاء أو بأسماء مستعارة، فبقين في الكتمان الذي أدخلهن قاموس النسيان. وهناك من بقين يقــاومن التغييب، وفرضْن أنفسهن بالعلم والكتابة من مثل الأستاذة القاصّة (زهور ونيســي) أطال الله عمرها. وكانت لُمعةً نجمةً ساطعةً وعملت في التعليم والصحافة، ونالــت رتبةَ معالي الوزيرة. وما أعرف أنّ لها رصيداً من القصص والروايات والمذكّرات من مثل: الرصيف النائم – على الشاطئ الآخر – من يوميــات مدرســة حــرة – لونجا والغول – عجائز القمر – روسيكادا– مسار امرأة.

3 ــ برنامج الجمعية في ترقية المرأة: لقد توزّع نشاط الجمعية على الركائز التالية:

1/3ــ الإصلاح الديني.

2/3ــ الإصلاح الاجتماعي.

3/3ــ التربية والتعليم بالمجان.

4/3ــ الإقناع والحجّة.

5/3ـ تأسيس الجمعيات الخيرية.

6/3ـ الإعلام والتصدّي للاستعمار.

7/3ـ التصدّي للطرقية والتدجيل.

وفي كلّ هذ البرنامج الكبير والطموح، كان التخطيط هو عُمدة الجمعية؛ بالتركيز على **الشباب والمرأة**؛ ليقع إصلاح فعلي للمجتمع، ولا بدّ من الاستثمار في تغيير الذهنيات الذي لا يأتي دون مسح الجهل والتخلّف، وقد تجلّى ذلك في شواهد عديدة نذكر منها قول (مصطفى حلوش) "... ومن المؤسِف المُحزن أن تكون الأمُّ هي المدرسة الأولى جاهلةً لا تُعلَّم، وناقصة لا تُكمّل، وآسف من ذلك وأحزن أن يُضاف إلى جهلها ونقصانها جهلُ الرجل ونقصانُه، فتُبقي مدرسةَ الأسرةِ عاطلةً، لا من ناحية الرجل ولا من ناحية المرأة...لهذا إنْ أردنا حياةً هنيئةً وسعادةً راضيةً أن يكون الدينُ أساساً للتعليم وأن يشمُل الرجلَ والمرأةَ على السواء، وأن يكون التطبيقُ فيه أكثر من النظر". وما يمكن أن يستنتج من هذا بأنّ الجمعية كانت تراهن على تعليم المرأة لمحاربة الفقر والجهل والاستعمار؛ لما تمثّله المرأة من رمز للمستقبل؛ فهي مصدر الشخصية الوطنية التي تجب المحافظةُ عليها حتى لا يستغلها الاستعمار لصالحه أو يمسَخ مقوّماتِ شخصيتها. فأوّل ما كان يراه ابن باديس قوله المعروف "إذا أردتم إصلاحَها الحقيقي فارفعوا حجابَ الجهل عن عقلها، قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإنّ حجابَ الجهل هو الذي أخّرها". ونرى فكرة ابن باديس في المسألة جادة من منظور أنّ جهل المرأة قضية خطيرة، بل مشكلة اجتماعية وحضارية في آن واحد، وتعني المجتمع كلّه فلا بدّ من التنادي لعلاج المشكلة من منظور التجنيد الفعلي الجمعي للإصلاح الذي يبدأ من محاربة الجهل لدى المرأة. وهذه هي خريطة طريق الجمعية منذ ظهورها وهي تحاول جاهدة توفير العلم، بكلّ ما تتوفّر عليه من وسائل وإن كانت محدودة آنذاك ولكنّها تعمل على تهيئة الظروف والمناخ النفسي والاجتماعي، والثقافي للنهوض بالمرأة الجزائرية. وبذلك، فرغم الصعوبات التي اعترضتها إلاّ أنّ هذه الصعوبات

لم تثن من عزيمتها لبعث صحوة متعددة الجوانب، أو نهضة جديدة في المجتمع الجزائري، وكانت المرأة الجزائرية تمثل جانباً هاماً في الإصلاح الاجتماعي.

إخواني، من بين المنغصّات التي كانت تقلق ابن باديس، هذا السبات في الجهل الذي مسّ شريحة هامّة في المجتمع الجزائري، فكيف يمكن مسحه وإحداث قطيعة مع الجهل، ولا يكون إلاّ بما للجمعية من اهتمام بموضوع تعليم المرأة، لأنّها شقيقة الرجل؛ وتشكّل نصف المجتمع، وهي الركن الركين الذي يقوم عليه بناء الأسرة؛ فإهمال تربيتها وتركها جاهلة هو هدم لهذا الركن، وتفكيك لبنية الأسرة وإضعاف لقدرتها على الاضطلاع بمسؤوليتها التربوية والاجتماعية. ولذلك أولى ابن باديس تعليم المرأة اهتمامًا كبيرًا، مدركًا الخطر المحدق بالأمّة الجزائرية إذا تُركت المرأةُ بغير تعليم.

إخواني، مهما يكن الأمر في الماضي الذي كانت البنت الجزائرية لم تنل التعليم بشكل عامّ، فإنّ بصيص التعليم آنذاك هو الذي أنار على الجزائر الحديثة بأن تعمّ إلزامية التعليم كلّ الجزائريين، وأنّ الفضل للسابقين الذين تركوا بصماتهم في هذا الميدان. وإنّ المرأة الجزائرية بفضل المخلصين الآن لها تعلّمت وأخذت النصيب الأوفر من التعليم، ولها مكانة بارزة على كلّ المستويات، وأضحت أكثر وعياً والتزاماً، وتنال مواقع التصدّر والرفعة والقيادة فهذه قائمة صغيرة من تلك الأسماء اللامعة في بلدنا وفي الخارج: (أحلام مستغانمي+ زهرة هني+ عائشة باركي+ خليدة تومي+ نادية لعبيدي+ ربيعة جلطي+ إنعام بيوض+ زينب الأعوج) وأملنا كبير في هذه الأسماء لينتجن الأفكار، ويقمن بإنجاز المشاريع التي تخدم مدرسة الحياة المعاصرة، فلا مستقبل دون تخطيط، ولا تطوّر دون أصالة ولا انتصار دون صبر ولا حياة سعيدة دون تعب ولا تسهيلات دون تذليل الصعوبات.

ـ **خاتمة:** رأيتُ أن أختمَ قولي بمُلح من الأدب، وليس إمتاعاً لذوي الألباب والأرب وما أقوله حقيقة، ولا تظنّن أنّه تسلية. فلقد لبّيتُ الدعوةَ، وهذا ما اقتضته الحكمة؛ لأقول لهذه المرأة الفحلة بأنّك رجلة تتكلّمين في الأفكار، يا عائشة الأبكار.

فنادراً ما نجد من ينظر إلى الأعلى، ويروم غاية المنتهى يا سيّدتي نبارك لك نشاطَك في السهول وفي الأعالي، وتستهلين كلّ التعالي.

سيّدتي، بجمعية اقرأ البسيطة؛ نلتِ المقامَ، وفُزتِ بنساء هِمام، فأرى كلّ الثلاثاء العرائس، يقصدن المدارس، ويحملن الحقائب ناضرات، إلى معلماتهن واصلات ولذلك حيّيتُ المبادرة، فأنت تزرعين البذرة؛ التي ستُصبح تمرة، فربِحَ البيعُ، ربحَ البيعُ، وهو من الريع، باستثمارك في التربية وقطفك للثمرة، وهذا فِعْل السلف فسوف يكتب عليك التاريخ بأنّك من الخلف، خلف يراهن، على سلف لا يداهن فكلّكم ناجِح، وكلّكم فالِح. ونشهد لكِ بما شهِد الذين قالوا:

ومليحةٌ شهدتْ لها ضَراتُها والحسنُ ما شهدتْ به الضراتُ

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفُضّلت النساءُ على الرجال

فلا التأنيثُ لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال

يا سيّدتي باركي، واصلي الدربَ على التمام، فأنت في الخطّ المُرام، فقد تعوّدتِ السيرَ في الطريق الممهّد، وأعرف أنّك لا تقبلي إلاّ الطريق المُمدّد وعهدناك أنتِ كما أنتِ، مناضلةَ رفْع الأمية ترومين مسح الجهل عن الأمّة فبورك في الجمعية وبارك الله في هذه الندوة، وشكراً لكلّ من فكّر في هذا اللقاء، بأن جمعنا على الصفاء. وهكذا نكبُر ونتعلّم وننجح ونُحبّ، والدنيا تُعلّمنا: لن نتعلّم دون أن نخطأ ولن نتعافى دون أن نتألّم، ولن ننجحَ دون أن نفشلَ، ولن نحبَّ دون أن نفقد، وليس كلُّ سقوطٍ نهاية، فسقوطُ المطر أجملُ بداية، فأُنعِمْ بها من جمعية اقرأ! وأنعمْ بها من امرأة أربأ!

مِنْ العربوفونيّة إلى العربوآسيويّةِ♥

ــ مقدّمة: يعدّ تعليم اللّغة العربية لغة ثانية مجالاً متخصصاً في مجـــال اللّســـانيات التطبيقية. ويدعو القول بهذا التّخصّص إلى افتـــراض وجـــود فـــروق تميّـــزه عـــن تخصّصات أخرى نحن في حاجة إلى تحديـــدها والتصـــريح بهـــا، وعمـــل الأدوات المنسجمة معها؛ سواءً على مستوى إعداد المقـــررات، أو وضـــع الكتـــب التعليميـــة المستخدمة في التدريس، أو وضع المعاجم ذات الصّلة بتعليم العربية لغة ثانية. كما أنّنا بحاجة إلى مزيد من استعمال التقنيات الحديثة في تعليم العربيـــة لغـــة ثانيـــة؛ حيـــث تطوّرت اليوم وسائل التعليم وأصبحت تعتمد تقنيات حديثة متطوّرة فإلى أيّ مدًى أفـــادَ تعليم العربية لغة ثانية من هذه التقنيات، سواء على مستوى الاختبارات في المقـــرّرات أو على مستوى إعداد الدروس وأدائها؟ كما أنّ العربية بحاجة إلـــى صـــناعة المعجـــم الخاصّ بها كلغة ثانية؛ حيث نلاحظ أنّ التّجارب المعجميّة المهتمّة بهذا المجال قليلة لا تكاد تذكر. فما أسباب ذلك؟ وهل من محاولات جديدة بهذا الشأن؟

تتحدّث المداخلة عن ضرورة التفكير في آليات تعليمية أخرى لتوصيل العربيـــة لغير أهلها، وبخاصّة للمتعلّم الذي يملك لغته الأولى، فلا شكّ أنّه يلتزم بخصائصها وفي كلّ مرة يعود إليها، أو يجري المقابلات، وكيف نعمل على إمداده بما يحتـــاج إليه من ألفاظ ومسكوكات ومصطلحات ولغة... لغة تحت الطلب لغة اختصاصـــية. وقد جرت الكثير من التجارب مع الفرنسية والإنكليزية، وأثمرت مزايا كثيرة ولكنّ في محصّلة التجربتين أنّ العربية هي التي تستقبل وتتأثّر فهي المستقبلة دائماً. ومن خلال هذه المداخلة نروم اقتراح بديل – نزعم أنّه نـــوعي– وهـــو الخـــروج مـــن

♥ــ ألقيت المداخلة في الملتقى الدولي المنظم مـــن قـــبل (المـــؤتمر الـــــدولي للغة العربيـــة) دبـــي: 1–4 مايو2017، فندق الروضة بدبي.

التجارب الفاشلة التي عاشتها العربية من لغات القطبين القديمين: الفرنكفونية والأنكلوفونية. رُغم أنّ العربيةَ عايشت الإسپانوفية، وغيرها من اللّغات الشرقية، ولم تتماهَ ولم تذُبْ فيها، بل كان لها وقع في ترك بصماتها في تلك اللّغات. ولكنّ اللّغتين: الفرنسية والإنگليزية تركتا أثراً في كيانها.

وبالنسبة للموضوع، فإنّ كلمة (العربفونية) أطلقها (Jack Lang) مدير المعهد العالي العربي IMA في ندوة حول الفرنكفونية، بحضور جُلّ النُّخبة الفرنكفونية العربية، وكان يدعو فيها إلى حوار الندّ، أو حوار المُكافئ، والخروج من التبعية أو الاضطهاد الفكري الذي تُمارسه الفرنسية على لغات الشعوب التي خرجت منها سياسياً ولم تخرج فكرياً. ولذلك نقترحُ من خلال هذه الندوة العالمية العمل **بمنهجية تدريسية جديدة** وهي أن نتّجه إلى جمال الشرق وإغوائه، وأن نعملَ على ترميم جسر التواصل القديم بين العرب والآسيويين، ويكون البدءُ بالاتّصال اللّغوي التربوي/ الديداكتيكي، فاللّغة هي فاتحة التكامل، وبخاصّة في وقتنا الحالي الذي نشهد فيه الإقبال الكبير على تعلّم العربية في آسيا؛ حيث تُنشَدُ العربيةُ في ذاتها لما تحمله من دين ودنيا، وهناك من ينظر إليها على أنّها لغة حاملة لثقافة وحضارة عريقة، فلا بدّ من إدراك المفاهيم التي تشكّلت منها العقلية العربية القديمة والمعاصرة، وهذا ما يسمح لهم باتّخاذ اللازم عند صناعة القرار. ولهذا رأينا استبدالَ (العربوفونية والإنگلوساكسونية) بكلمة (العربوآسيوية) وهذا لاعتبارين:

ــ **الاعتبار الأوّل:** للخروج من التبعية الغربية في تعليمية اللّغات الأجنبية الغربية فنحن لا ننتمي إلى الغرب، وحضارتنا شرقية، فقد عِشنا مع الغرب ما يقرب من قرنين فلم نستفدْ منه شيئاً يجعلنا في موقع المقابل المكافئ.

ــ **الاعتبار الثاني:** لإعادة التجارب التدريسية الناجحة مع الآسيويين، ووضع ميكانيزمات التكامل والتعايش والتعامل مع آسيا؛ بحكم ما يجمعنا من قواسم مُشتركة وبدون شكّ سوف تحصل الاستفادةُ البينيةُ، وقد يحصل المقابلُ المكافئُ

ويُضاف إلى ذلك أنّ تعليمَ العربية في آسيا يعمل على ترسـيخ الهُويّـةِ العربيـةِ الإسلاميةِ عند الشعوبِ الإسلاميةِ الآسيويةِ، واكتساب لغة دينهم.

وأمام هذا، كان لا بدّ أن يقعَ الحديثُ عن بعض الخصائص اللّغوية التي جعلتنـا نقع في شرنقة اللّغاتِ الغربيةِ، وتتماهى فيها، بفعل ما تحمل من تجاذبٍ أو غزوٍ أو تبعيةٍ؛ تجعلنا لا نخرج من فقه المصالح المرتبطة بالغرب دون غيره من الشـعوب وأنّ المنفذَ للعلم لا يقطر إلاّ من اللّغتين: الإنگليزية/ الفرنسية، ومن هنـا سـوف نعمل على توضيح بعض القضايا ذات العلاقة بالموضوع في هذه النقاط:

1ـ التجاذب اللّغوي القديم والحالي: يدخل هذا الموضوع في الحديث عن التجـاذب اللّغوي للغة القطبين القديمين: قطب فرنسا، وقطب بريطانيا، وهما مـن الأقطـاب التـي تُهيمن ثقافياً على الوطن العربية بهاتين اللّغتين فقط. فكانا بحـقّ مـن الأقطـاب التـي استثمرت في الوطن العربي لدرجة الاحتواء وتقسيمه إلى تيارين معروفين هما:

1/1ـ تيار الفرنكفونيـة: وهو النّمط الفرنسي المُستحوذ على شـمال إفريقيـا وبعض الدول الإفريقية وما له من امتدادات في أوربا وأمريكا الشمالية. وهذا التيار له امتدادات كبيرة في 56 دولة اتّخذت الفرنسية لغة الرسمية أو لغة التعامل العلمي أو لغة النّخبة أو اللّغة الأجنبية الأولى.

2/1ـ تيار الأنجلوساكسونية/ الإنجلوفونية: وهو الامتداد اللّغوي للإنگليزيـة في بلاد المشرق العربي، ودول الخليج، وكلّ الدول التي تنضـوي تحـت التـاج البريطاني وسابقاً كانت تسمّى ببلاد لا تغربُ عنها الشمس؛ حيث لغتُها موجودةٌ في كلّ بقاع العالم. والآن أضحت اللّغةَ العالميةَ المُعولمةَ التي تستحوذ على ما نسـبته 97% من دِفْق الشابكة.

وفي ظلّ هذين التيارين المُتجاذبين، كانت كلُّ الدول العربية مناطق نفوذ أجنبية لهما، بل امتدّ نفوذُ اللّغتين في القديم، فلم تتركا للعربيـة فرصـة الظهـور بحكـم الاستعمار وما يفرضه من قوّة ومسخ وإلغاء، وفي الحديث يقوم على فرض أنماط وسلوكات تَدخُلُ في وضع البرامج المدرسية، وغلق مدارس، وفتح شُـعَب حسـب

المخطّط له، وأخذ النماذج الغربية على أنّها نمـاذج عالميـة، مثـل نظـام LMD المطبّق عندنا وفي بعض الدّول العربية، والأخطر من كلّ هذا خلق نمطـين مـن المثقفين: معرّب ــ مزدوج/ فرنكفوني ــ أنجلوفوني. وجعلت هـذه الـدول مـن نخبتنا، وهم الرؤوس لا يفهمون لغة الشعب، والشعب لا يرقى إلى فهم لغة النّخبـة فحصل التفريق بين ولَدَيْن (2) من أب وأمّ واحدة. ونعرف أنّ هذه الدول سـبق أن أجرينا معها تجارب كثيرة، فاستفدنا بعض الاستفادات، ولكنّها لـم تُمكّـن الـدول العربية من إنتاج العلم في أوطانها، بل كانت وما تزال تريدونا أن نكون مُستوردين لا مُنتجين. والحقيقة تُقال فإنّه لم تستفدْ دولةٌ من الدول العربية إلاّ الفتـات اللّغـوي ممّا تتكرّم به الفرنكفونية/ الأنجلوساكسونية من مِـنَح دراسـية، وبعثـات علميـة وصناعات تجاوَزَها الوقتُ وبراءات اختراع غير ذات جدوى، وتبشـيرات لغويـة مُخيفة وإقامات لسانية، وما يلحق ذلك من تركيع لغوي للغة العربية.

وفي هذا التركيع؛ أسهمت بعضُ النّخبة الوطنية في بقاء الوضع اللّغوي على ما هو عليه أثناء الاستعمار ورأت أنّ العصرنةَ لا تكون إلاّ باتّخاذ اللّغـات الأجنبيـة لغات علم، وأنّ العربية لا علمَ فيها، وتبقى فقط لغة التـراث والشـعر والتـآبين. ويتناسى هؤلاء بأنّه **لم تقمْ قائمةٌ لأمّةٍ بغير لغتها/ لغة الأمّة، ولم ترتق أمّةٌ خارجَ اللّغةِ الوطنية**. ولكن بكلّ أسفٍ نرى نخبتَنا غارقةً في التماهي مع لغة الأجنبي/ لغة العدو بالأمس وهنا العُقدة التي لا تزال تعْلِق بالنّخبة العربية وبذلك نرى الفرنسـيةَ والإنكليزيةَ تشتعلان في دُوَل الاستقلال أكثر من دُوَل الاستعمار.

وكما هو منصوص عليه في العنوان، فإنّنا لا ندعو إلى الخروج من التيـارين القديمين إلى تيار ثالث؛ وهو التيار الآسيوي، ونبقى من التُّبَع، لا وألف لا، بقدر ما أروم أن ننحوَ نحو منهجية تدريس جديدة في منظومة التعامل الجديدة مع الآسيويين لعدة اعتبارات، وهي:

أولاً: جرّبنا التيارين القديمين فلم يُجدِيا شيئاً، ولم يُقـدّما للعربيـة إلاّ التبعيـة والتخلّف بل هما عبارة عن سرابٍ بَقيعةٍ، أو سحابات غير ماطرة.

ثانياً: تعايشت العربية في ما مضى من الزمان مع لغات الهند وفارس وأفغانستان وآسيا الوسطى وأرخبيلات ماليزيا، إندونيسيا، الفليبين، وأثّرت فيها لدرجة أنّ الكثير منها اتّخذت حروفَها للغاتها.

ثالثاً: تُصنّف العربيةُ من اللّغات الشرقية، وقد حصلَ الأخذُ والعطاءُ بقوة مع: الفارسية والطورانية.

رابعاً: الدعوة إلى إحياء نظام حضاري قديم، يحصل فيه التكامل اللّغوي بين العرب والآسيويين المسلمين، وكان لهم في العربية أثر واضح، أغنوا العربية واستفادوا منها في ترقية لغاتهم؟

خامساً: إنّ الصين العملاق، بلد صناعي بامتياز، وهو اليوم يحتلّ الصدارة والجالية الصينية تزداد يومياً في البلاد العربية، واللّغة الصينية لغة علم وحضارة.

سادساً: عندما كانت العربية في تواصل علمي مع اللّغات الشرقية، كانت العربية لغة العالم.

سابعا: ما يلاحظ الآن بأنّ الفارسية تحتلّ الرتبة الرابعة في المحتوى الرقمي في الشابكة؛

ثامنا: إيران+ تركيا من الشعوب النامية المتقدّمة في عصرنا الحاضر، وهما من القِوى الاقتصادية الكبرى من بين 20 دولة ذات الاقتصاد الجديد. بأيّة لغةٍ حصل لهما هذا التقدّم؟ لم يكن إلاّ باللّغات الوطنية.

تاسعاً: لا يعني هذا أنّنا نستجدي باللّغات الآسيوية، بل أن نتمثّل المنهجيات العلمية التي استخدمتها في الرقي اللّغوي، وفي الخروج من التبعية اللّغوية.

عاشراً: تعاملنا مع لغات آسيا؛ يعني إحياء تراثنا، أو ترجمة تراثنا الكبير المدوّن في اللّغات الآسيوية، وبخاصّة التركيةَ والفارسيةَ والهنديةَ.

حادي عشر: تعاملنا مع آسيا؛ يعني استثمار العربية في تلك الكتلة البشرية الكبيرة بما فيها: بلاد السند القديمة + بلاد الصين والبنغال+ تركيا + إيران.

ثاني عشر: تعاملنا مع آسيا، يعني انفتاح العربية على العمالة الآسيوية الموجودة حالياً وعددها يتجاوز ثمانية (8) ملايين، والعمالة القادمة لا شكّ أنّها تزداد. فتصوّروا لو أنّ كلَّ هندي يتعلّم كلمة عربية في كلّ يوم، ويعمل على تعليمها لعائلته، ألا تنتشر العربية في ظرف قصير، ويكون عليها الطلب، وتكون البديل النوعي في الاستثمار وهذا ما تقوم به بريطانيا؛ حيث تدرّ عليها الإنگليزية سنوياً أكثر من اثني عشر (12) مليار جنيه استرليني.

ثالث عشر: تعاملنا مع الآسيويين مطلب ديني، فنسبة كبيرة من هذه الكُتل البشرية مُسلمون فكما يقول ابن تيمية "إنّ نفس اللّغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب فإنّ فَهْم الكتاب والسنّة فرْض ولا يفهم إلاّ بفهم اللّغة العربية، وما لا يتمّ الواجبُ إلاّ به فهو واجبٌ[1]" فالعربية واجبة لحفظ الدين، وتعليم الدين، وفهْم الدين. ومن هنا، فإنّ الوقت يداهمنا للتفكير في طريق التفعيل الذي يأتي بمحاكاة هؤلاء الآسيويين؛ رُغبة في الإفادة والاستفادة (تبادل المصالح المُرْسَلَة) وهذا مطلب شرعي فحيث وُجدت المنفعةُ فثمّ شرعُ الله. ولكن يجب أن لا ننقطع عن العالم الغربي، بل علينا أن نقف بالنّدّية للاستفادة من تقنياته الحديثة، ولا نبقى مكتوفي الأيدي في أنّنا نستقبل ونأخذ دون أن نعطي بل يجب التفكير في وضع آليات التواجد تحت شمس الكون؛ بأن نكون بلغتنا لا بلغات الغير، وأن نكون بما تنتجه لغتنا، وبما تقدّمه نظرياتها من تحديث هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أن نتوجّه إلى الاستثمار بلغتنا في الشعوب الآسيوية الذي يأتي عن ثلاثة طرق وهي:

الطريق الأوّل: التعليم المحلّي للجاليات أو للبعثات الطلابية أو التعليم حسب الطلب ويكون وطنياً ويتّخذ منهجيات مُختلفة، وطرائق معاصرة، وحمام لغوي خاصّ.

---

(1) ــ أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن. بيروت: 1982، دار الكتاب اللّبناني، ص 255.

الطريق الثاني: وهو التعليم الانتقالي التكويني: أن ينتقل الفريق إلى بلد الراغب تعليم العربية، وهناك يحصل تكثيف الدروس، وفق برامج معيّنة باستعمال لغات التخصّص.

الطريق الثالث: هو استعمال الوسائل الحديثة؛ سواء بإنشاء موقع المعلّم، أو وضع برامج آلية أو بإنتاج CD أو التواصل عن بُعد عن طريق الأقمار الاصطناعية.

3 – الرهان على تهيئة تحديث العربية للأجانب: ينبغي أن يكون العمل مُنصباً على تحديث اللّغة وخاصّة في مجالات المعرفة والتكنولوجيا، وإنّ الكثير من النّخب العربية تكوّنت في تلك المجالات باللّغات الأجنبية، فهم الآن يعيشون التشظّي اللّغوي في أوطانهم، وهو ما أدى إلى انشطار بين قسم كبير من النّخب وعامّة الشعب وانحسار المعرفة وعدم انتشارها بين سكان المدن والأرياف. ويحوي التحديث اللّغوي إصلاح تعليمها وربطها بالحياة العملية للمتعلّم وبالاحتياجات الاُقتصادية والفنية ومن ثمّ، من الضروري أن يحصل توطين المعرفة بها، عن طريق استيعاب العلم المعاصر، وكذلك أن تحصل النقول العلمية عن طريق الترجمة. ولا يكون ذلك إلاّ بالتغلّب التدريجي على الفجوة العلمية والتكنولوجية. وهذا لا يمكن أن يحصل إلاّ بتحديث العربية على مستوى تحديث تعليمها وفق اللسانيات التطبيقية. ويضاف إليها مجالات العربية بما لها من الدالات الثلاث: دين، دولة، دنيا. وهذا يقع على عاتق المعلّم الذي عليه أن يبدع آليات التعليم المعاصر لتبليغ العربية لغير الناطقين بها، كي يقبلوا بها، وإلاّ ينفرون منها لأنّها غير جذّابة. وهكذا القول يكون تكراراً فإنّ العربية هي لغة الأمّة العربية فكيف تكون نداً للغات الأمم الأخرى، فكان لا بدّ أن تقوم بدورها التربوي لتلبّي المطلوب من متعلّميها الأجانب، فإنّه من المفيد أن تكون جاذبة وليس طاردة لغة علمية معبّرة عن واقع لغوي. ولا يكون ذلك إلاّ بحسن طرائق تدريسها وتقريبها وتيسيرها.

ومن هنا، يجب التذكير بأنّ العربية هي اللّغة الأولى بين العرب المسلمين وغير المسلمين، وهي لغة أولى أو ثانية عند الكثير من المسلمين في مختلف القارات من المهاجرين والسكان الأصليين، غير أنّ هذا الانتشار الواسع لا تسانده سياسة لغوية يمكن أن تنطلق أساسا من دول المنطقة وجامعتها العربية التي أصدرت سنة 1964 لائحة ميثاق الوحدة الثّقافية التي بقيت بعد حوالي نصف قرن في حدّها الأدنى؛ وهو الاتّفاقات الثنائية ومناسبات عواصم الثقافة العربية. وكما يقول (محمد العربي ولد خليفة) "إنّ العناية باللّغة بهدف تهيئتها ونشرها، لا يكون فقط عن طريق مراسيم وقوانين بما فيها دستور الدولة، على أهمية تلك القوانين في فتح الباب والتعريف بالطريق الصحيح الذي يعلن عن إحدى العلامات المميزة في البطاقة الشخصية للشعب والأمّة[1]".

4 ـ دور الآسيويين غير العرب في الحِفاظ على اللّغة العربية: لا ننكر إسهاماتِ الآسيويين المُسلمين غير العرب في تدريس وإمداد العربية بِزادٍ علميٍ مُتنوّعٍ، وهذا منذ الفتوحات الإسلامية إلى الآن، فمن خلالهم اكتسبت العربيةُ مكانةً عاليةً، بل هم الذين تنازلوا عن لغاتهم لصالح العربية والفضل يرجع إلى القرآن الكريم، وإلى تلك الخدمات الجليلة التي قدّمها المُخْلِصون من المسلمين الذين **كانوا من جنس العربية لِساناً وعَملاً ولم يكونوا من جنسها دماً**؛ حيث انصهروا في الهُوية العربية الإسلامية، فشمّروا على سواعدهم لخدمة الدّين والعربية، فالأسماء لا تُحصى، ويكفينا في هذا المجال ذكر المؤسّس الأوّل لقواعد العربية (سيبويه) الفارسي الفذّ، دون الحديث عن أولئك الذين جمعوا كتب الحديث الصحاح؛ فهم من خِيرة الآسيويين المسلمين الشرقيين. ولا نغفل الدور الهامّ للاستعراب ولأصحاب الموسوعات وللمترجمين وللمسيحيين الذين يرجع إليهم الفضل في انتشار العربية بين العباد والبلاد على مرّ العصور وتباين الأجيال، فكانت لهم بَصْماتٌ واضحةٌ

---

[1]ـ في محاضرة له بمناسبة اليوم العربي للغة العربية: 1 مارس 2012.

في كلّ المجالات "وقد قامت الأمّة الإسلامية منذ العصـــور الأولـــى علـــى جعـــل الاستعراب مَورداً لا ينبض في إمدادها بالحياة والنماء لا في دينها فحسب بل فـــي أدبها من شعرٍ ونثرٍ، فنبغَ في علوم الدين وفنون الأدب جمٌّ غفيـــرٌ مـــن الأعـــاجم وتولَّى مناصبَ الفتوى والقضاء والإدارة والحكم رجالٌ منهم كثيراً[1]". فمهما يكـــن من أمر فإنّه لا يمكن إنكار دور الاستشراق في معناه العامّ، فـــي مســـألة توجيـــه الدراسات العربية القديمة والحديثة إلى منهجية البحث الرصينة، وأُفدنا منها الكثير. وهذه ثمرة من ثمرات يمكن أن يُحقّقها تعليمُ العربية لغير الناطقين بها من المسلمين وغير المسلمين في وقتنا المعاصر. ولذا يجدر بنا الانتباه إلى تلك المواطن الجديدة التي يمكن أن تتعاملَ معها العربيةُ وتستفيدَ منها، وفي ذات الوقت أن يعـــودَ إليهـــا إشعاعُها لآسيا العملاقة علماً وحضارةً وبشراً.

5 ــ **المنهجية التدريسية الجديدة:** لا أقصد أن نعيدَ منهجية الفرنكفونيـــة مـــع الآسيويين، بقدر ما أريد وضع ميكانيزمات في منهجيات التدريس تكون فعّالة مـــع لغات آسيا بحكم خبرتها ومعالمها العلمية، وما تقوم به من تفعيل في العالم وكـــان ذلك تحت الاعتزاز بلغاتها التي كانت مُتخلّفة وأضحت الآن تقف النـــدّ للنـــدّ أمـــام اللّغات المُنتجة للعلم. ولهذا أروم الانفتاحَ على لغات الدول الآســـيوية ذات البُعـــد العلمي المُتميّز، وبحكم القُرب والتّماس والتبادل التجاري والتجاور السكني، بوضع **استراتيجية تدريس لغوية عربية تفاعلية** من خلال الإفادة والاســـتفادة، للوصـــول إلى التكامل في حضارتنا الشرقية ويكون كما يلي:

1/5 ــ التّعامل اللّغوي مع الصـــين: حيث نجد الصـــينَ قـــد فتحـــت أبوابَهـــا وصناعاتِها للعالم العربي والآن تعمل على تحسين علاقاتها مـــع العـــالم العربـــي.

---

[1] ــ هاني إسماعيل محمد "تعليم اللّغة العربية لغير الناطقين بها فـــي ترســـيخ الهُويـــة العربيـــة، رؤيـــة استشرافية" مجلة مركز جُمعة الماجد للثّقافة والتّراث. الإمارات العربيـــة المتّحـــدة: 2015، العـــدد الواحـــد والتسعون (91) ص 40.

والصين من البلاد العِمْلاقة عالمياً، فاقتصادها ينمو أكثر من كلّ الدول، فقد نجحت في لغتها المشتركة أفضل من الهند التي تعتمد اللّغة الأجنبية بالإضافة إلى ما تبذله من أجل تعليم العربية وما تقوم به من فتح مؤسّسات التربية والتعليم فنجد فيها معهدَ نينغشيا للعلوم الإسلامية وفيه يوجد (قسم اللغة العربية بكلية اللّغات الأجنبية في جامعة نينغشيا وكلية اللّغة العربية بتونغشين والمدرسة الكويتية، ومدرسة اللّغة العربية للبنات، ومدرسة وجين للغة العربية وغيرها...).

أقف كثيراً للحديث عن ضرورة التعامل مع الصين، والعبرة في تعليم العربية لغير الناطقين من بلد **الصين** الذي قال فيه الرسول ﷺ "**اطلبوا العلم ولو في الصين**" الصين الآن بلدٌ عملاقٌ، نهض مُؤخّراً؛ يحوي أكبرَ الجامعات العالمية وفيه أقسامٌ للأدب العربي، وفيه مجمعُ اللّغة العربية الذي تأسّس في العام 1985. وفي الصين تمّ إنشاء قسم اللّغة العربية في خمس جامعات إقليمية، وأغلبها في المناطق الواقعة غرب الصين؛ حيث وجود القوميات المسلمة. في الصين فُرَص التوظيف لمتعلّمي العربية سهلة. في الصين تجارب ناجحة لتعليم العربية للصينيين؛ وقد أثبتت فعالياتِها عبر المترجمين وعبر تلك البطاقات التي يُرسلونها بالعربية مع سلعهم الكثيرة. الصين بلدٌ عجيبٌ يجب كسب جانبه المادي والمعنوي واللّغوي؛ باعتباره سوقاً مستقبلية كبيرة. ومن هنا يحسن بنا استثمار العربية في توسّعنا التّجاري مع الصينيين؛ باعتبارهم ثاني أكبر دولة في العالم مساحة، وأول دولة من حيث السكان، ومن الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن ولغتها من اللّغات الستّ في الأمم المتحدّة، ودولة رأسمالية تنشد الاستثمار في الدول الفقيرة، وترمي إلى خلق أسواق استهلاكية لمنتجاتها. **وإنّ الصينيين الآن ينظرون إلى العرب على أنّهم طاقة كبيرة، ولذلك استثمروا في تدريس العربية في بلادهم، وكانوا يعلمون أنّهم سوف يخرجون إلى العالم العربي**، وأنّ سِلِعَهم سوف تغزو أسواقه. ولهذا حصلتْ لهم منهجيةٌ ناجحةٌ في الاستثمار في اللّغة العربية؛ منهجيةٌ تجب عَلْمَنَتُها وتسويقُها والعمل على تحديثها أو تكييفها وفق الزمان والمكان، ولا يكون ذلك إلاّ بالعمل على توسيع التبادلات العلمية والثّقافية والتقنية مع الصين، إلى

جانب المصالح المرسلة في الاقتصاد والتجارة بشكل تضـمن تحسّـن العلاقـات وديمومتها. وبذا يمكن توظيف القيمة الاقتصادية العربية في استخدامها فـي عـالم التجارة مع كلّ الأجانب؛ حتى تُسهم في قهر الفقر والجهل من خلال عائداتها. وهذا الأمر يتطلّب الدراية بمعرفة فلسفة التّسويق وكيفيات التّسويق وكيفيات الترغيـب، ومرادفات التأكيد... وهذا كلّه موجود في الخصائص البلاغية للغة العربية.

2/5 ــ إعادة التواصل اللّغوي مع تركيا: تملك تركيا لغةً تبادلتْ مع العربية أيام التأسيس والمِحن، والأخذُ والعطاءُ، وسبقَ للتركية أن دُوّنت بالحرف العربي والتـرك شعب مُسلم، وهم يُحبّون العرب بل يذُوبون في القرآن الكريم. وفي كلّ ذلـك، فـإنّ العربيةَ تتمتّع بمكانة عالية لحاجات الأتراك إليها في جوانب: التراث المشترك، الدّين المشترك التاريخ المُشترك، المصير المُشترك. ولذا فهـم ينظـرون بعـين القداسـة للعربية، ويأملون من العرب أن يُقدّموا خِدْمات تعليم العربية في تركيا، وأن يقومـوا على خدمة العربية إسوة باللّغات الأجنبية المتطوّرة، بل هم يحنّون إلى إغواء الشرق بما يحمله من تهويمات مشرقية مسلمة، بدل تلك الإغراءات التي تأتي باستمرار مـن أوربا، وهي إغراءات الهيمنة والتكابر والاحتواء. فهنا يجب أن يحصلَ السبق لكسب الأتراك، بدل ذوبانهم في حضارة الغرب.

3/5 ــ الانفتاح اللّغوي على إيران: من الدول التي قامت بقوّة بلغتها وأبنائهـا فهي دولة نووية وصناعية، ولها اكتفاء ذاتي في كثير من الأشياء. ولغتها مرشّـحة لتكون لغة العولمة بعد الألمانية والآن تُترجِم كلَّ ما ينتجه العالم إلى لغتهـا. ولهـا آفاقٌ واعدةٌ كما كانت لها علاقات علمية مع العربية. والفضل الكبير للفارسية فـي أنّ العربية تنال مواقع مقبولة في الشابكة لأنّها تُكتب بـالحرف العربـي. إيـران المعاصرة بلد صناعي ولها كفاءات علمية، ولها منهجيـة حديثـة فـي التواصـل اللّغوي، فهي من الدول التي تملك أكبر نظام عالمي في الترجمة الآلية، فـالأحرى بنا أن نستفيدَ من تجاربها، وهي تجارب ناجحة وظاهرة في لغتها الفارسية.

6ــ المنهجية التدريسية الجديدة: وهي تدخل في الطرائق الديداكيتيكيـــة الجديـــدة ذات العلاقة بتعليميات اللّغات الأجنبية، وما تقوم عليه من تدريس اللّغات الأجنبية وفق:

ــ تدريس خصائص اللّغة؛

ــ تدريس اللّغة لأغراض معيّنة؛

ــ تدريس اللّغة وفق التقابل اللّغوي؛

ــ تدريس اللّغة ضمن منظومة المعجم الضيّق والخاصّ؛

ــ تدريس اللّغة حسب الطلب.

ومن خلال هذا، فإنّي آمل من المختصّين التفكير في إنجـــاز اتّفاقيـــات لســـانية تربوية جديدة مع الآسيويين، وإعادة النظر في التخلّي عن الآسيويين لغوياً، ويكون البدء من النُّخبة العربية التي تبادر بعقد التواصل المقطوع من جديد، بل يمكـــن أن تأتي الفكرة التجريبية من مراكز التعليم المكثّف للغات بعقد اتّفاقيات التعاون العلمي أو اللّغوي شرطَ أن تبنى هذه الاتّفاقيات على مقاربات ندّية تكاملية ويكون التعامل اللّغوي البيني في خدمة التواصل والتكامل بـــين الشـــعوب العربيـــة والآســـيوية؛ للوصول إلى منظومة جديدة وهي التي أدعو إليها **(منظومة العربوآسيوية)** وهـــذا عن طريق جسر اللّغتين: العربية + اللّغات الآسيوية، وتكون مُحـــدّداتها تـــدريس العربية في الجزائر أو في الصين مثلاً، مع دفتر التحمّلات الذي يجـــب أن يـــنُصّ على المُحددات العملية والعلمية التالية:

1/6ــ وضع استراتيجية لغوية عربية للاستثمار في تعليم العربية فـــي آســـيا: وهو بُعد استثماري كبير في هذا الوقت الذي تعرف فيه العربيةُ توسّعاً في القارات الخمس، وما يعكسه واقعُ العولمة من الإسلامفوبيا والتطرّف، والإرهاب، والربيـــع العربي. ولهذا فالعربية دخلت سوقَ الاستثمار من هذه البوابة المعرفيـــة والفكريـــة ولما تُمثله من أهميّة تجارية تفرضها مُعطيات النفط والبترول. معطيات معاصـــرة حديثة، فيحتاج الأجنبي إلى التعامل معها بِمُعطى أهلها، ومُعطى الأهل هو التعرّف على اللّغة العربية. ومن هنا أضحت العربيةُ مُعطىً تجارياً من غير أهلها لمعرفـــة

أهلها؛ في خصائصهم، وفي تفكيرهم، وفي طرائق عيشهم، أضفْ إلى ذلك مُعطيات التّبادل التّجاري والديبلوماسية والسياسة، وفتْح شركات الاستثمار أو فروع الشركات، وما يتبع ذلك من أمور الجَوْسسة. كما أنّ البلاد العربية أرضٌ بِكْرٌ، وفيها الكثير من الثروات الباطنية، فتحتاج إلى الاستثمار في كلّ شيء فهي سوق واسعة؛ وهذه السوق تحتاج إلى معرفة اللّغة العربية لتبادل المصالح المُرْسَلَة.

2/6ـ التركيز في الاستثمار اللّغوي على العَمَالة الكبيرة التي تُوجد حالياً في دُوَل الخليج، فإذا وقع الاستثمار فيها؛ يعني الفتح الكبير للغة العربية في آسيا. بل إنّه استثمار مَعنوي ومَادي، وفي ذات الوقت استثمار في توسيع الأداء اللّغوي للعربية وهذا يكون عن طريق:

- دورات تكوينية مدفوعة الأجر؛
- دورات إغماسية مدفوعة الأجر؛
- دورات لغوية مُكثّفة؛
- إقامات عند العائلات...

3/6 ــ العمل على تحقيق الاستثمار اللّغوي والمادي، والتوسّع والانتشار والسمعة العالمية، كما يعني أنّ العالمَ العربي سوف تتجّه إليه الأنظارُ، وأنّ الدول الأجنبية سوف تَستثمِر في تعليم وتطوير العربية، مع ما يُصاحب ذلك من روابط التواصل ونشر الإنتاج العربي في حضارة مَشرقية مُمتدّة الجذور، وهي بين المغرب العربي والمشرق العربي، ودول آسيا غير العربية، وإجراء دراسات تقابلية مع اللّغات الأخرى، وقد يصل ذلك إلى إسقاطِ نظرياتٍ عربيةٍ على نظريات لغات الآخرين ويستفيدُ الطرفانِ. ولهذا هناك شروطٌ مُتلازمةٌ تستدعي وضعَ سياسة لغوية تدريسية استثمارية شاملة؛ تُرسَم من خلالها الخطواتُ اللازمةُ التي تُحقق استثماراً لغوياً ناجحاً، بدءاً من اللّغة العربية، وإلى طرائق تعليمها، ثمّ العملُ على ترويجها واستثمارها. ولهذا نحتاج إلى:

- تحقيق الوعي اللّغوي والثّقافي والحضاري؛

- تنفيذ مخطّطات لغوية وتربوية بهدف إنجاح عمليات الاستثمار؛
- اقتراح منهجيات تدريس نموذجية، تصلح للتواصل اللّغوي السريع والفعّال؛
- وضع استراتيجيات تعليمية مَدروسة تصُون اللّغةَ العربيةَ وتُرغِّبُ فيها.

ويجب كذلك أن نعطيَ الأولوية للغات هذه الشعوب الآسيوية، ونعطيَ للعربية مكانةَ تواجد في هذه البلاد، ونضع في الحُسبان جانب التوسّع الديني. حيث إنّ شعوبَ تركيا وفارس، وجماعات معتبرة من الصين مُسلمون، فأحقّ بالعرب أن يعملوا على أن تصلَ العربيةُ إلى كلّ الساكنة في آسيا لفهم الدين.

7ـ منهجية التدريس الجديدة: وتقوم هذه المنهجية على آليات التدريس وفق خصوصيات ديداكتيكية مُعاصرة، باعتماد المنهج التقابلي، وتعليم العربية وثقافتها لغير الناطقين بها، ويمكن أن نجيبَ هنا عن السؤال التالي: ما هو المطلوب مِنّا – نحن المختصّين–ديداكتيكياً تجاه تعاملنا اللّغوي مع هؤُلاء الآسيويين؟ يبدو لي بأنّ المنهجية التدريسية الجديدة تُبنى على الآتي:

1/7ـ إلزامُ مُدرّس تعليم العربية للناطقين بغيرها استعمال لغة عربية فصيحة مُيسّرة وتَفادي الشرح أو الحديث باللّهجات.

2/7ـ مُراعاةُ حاجات المُتعلّمين في كلّ مناحي الحياة: الاجتماعية/ السياسية/ الثّقافية/ السياحية/ الدراسية...

3/7ـ تفويجُ المُتعلّمين حسب الخُصوصيات والحاجات اللّغوية المطلوبة لكّلّ مُتعلّم.

4/7ـ إجراءُ سلسلة الدروس بطريقة الحوارات العلمية، والندوات الدراسية والعيش في الحمامات اللّغوية؛ لكسب الاستعمال العفوي للغة العربية، واستعمال الأجهزة المُعاصرة لتبليغ العربية في صورتها الطبيعية المقبولة.

5/7ـ خلْقُ جوّ مُناسب طبيعي لكلّ الحوارات والأحاديث العفوية، وتمثيل ذلك كلّما استدعى الأمرُ.

6/7ـ التكثيفُ من الحوارات، وتَتْبَعُها سِلْسِلاتٌ كثيراتٌ من التمارين الشفاهية والكتابية والحوارات البَيْنِية.

7/7ـ توظيفُ/ استعمالُ الحروف الجديدة التي تُوجد في اللّغات الشرقية ولا تُوجد في منظومة الخطاطة العربية.

8/7ـ استعمالُ الطرائقِ الحديثةِ في تبليغ النّحو العربي، وربطه بالاستعمال اللّغوي المُيسّر وربطه بأمثلة من واقع المُتعلّم، كلّ في اختصاصه.

9/7ـ مُراعاةُ منهجياتِ التدريس حسب المستويات اللّغوية للدرس اللّغوي: الصرفي/ الدلالي/ المعجمي/ التركيبي.

10/7ـ مُراعاةُ استعمالِ اللّغة في مختلف مقاماتها، والعملُ بمصطلحات لُغات الاختصاص.

ـ **التوصياتُ**: نحن هنا نُخبة وطنية تعمل على إنتاج الأفكار، ولا نملك سلطة القرار فإنّنا نقترح على من يُهمّه الأمر النظر في هذه التوصيات:

1ـ البحثُ في كيفية ترسيخ الهُوية العربية الإسلامية في البلاد الآسيوية من خلال تقديم منهجيات حديثة لتعليم العربية، وتقديم وَرَقات عمل في منهجية تدريس النّحو مشفوعة بوضع طرائق في إعداد المُعلّمين الأكْفاء.

2ـ الدعوةُ إلى الاستثمار في تعليم العربية لغير الناطقين بها، وإلى فتح مخابر لغوية تختصّ في إعداد المناهج العلمية والوسائل التعليمية المختصّة بتعليم العربية للأجانب.

3ـ الدعوةُ إلى التنافس في فتح المواقع الإلكترونية ذات العلاقة بتعليم العربية لغير أهلها.

4ـ دعمُمراكز التعليم المكثّف للغات بوسائل ديداكتيكية مُعاصرة؛ لضبط مسار تعليم العربية لغير الناطقين بها.

5ــ الدعوةُ إلى تأسيس منظمة للمستعربين الناطقين بالعربية لغة أولى أو ثانيــة وهم يعدّون بمئات الملايين بهدف تعزيز انتشار العربية وأدبياتها وفنونها بمنأى عــن السياسات والإيديولوجيات القطرية.

كلمة تأبين في الشّيخ الحاج صالح♥

ــ **ديباجة:** باسمي الشخصي -طالب المغفورِ له- عبد الرحمن الحاج صالح وأقول كلمةَ حقّ في هذا العزاء، وأبدأ من قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾الفجر. فأستاذنا رحمه الله، تركَ الصدقاتِ الجارياتِ، ونِعمَ الصدقاتُ علمٌ يُنتفع به.

ــ **كلمة غفران:** نحن في هذه الدنيا ضيوف، فلا نحزن عليها، فالضيوف لا بدّ أن يغادروها، ولا يَطيب لهم المُقام فيها، فقبورنا تُبنى، وربّما ما تُبنا، ويا ليتنا نتوب قبل أن تُبنى؛ حيث الدنيا عيشُها قصير، وخيرُها يسير، وإقبالُها خديعة وإدبارُها فجيعة، ولذاتُها فانية، وتبعاتُها باقية، فهل اعتبرنا؟ ومع هذا، نستغفر الله ونسأل السدادَ، والموتُ حقّ وسنّة الحياة، وكان علينا أن نزرعَ الضحكَ ونقنعَ بالقليل؛ فإنّه الكثير إذا اقتنعنا، والكثيرُ قليلٌ إذا طمِعْنا، والبعيدُ قريبٌ إذا أحببْنا والقريبُ بعيد إذا أبغضْنا وبالرضا تحلو الحياة وبالابتسامة تهُون المُشْكلات وبالاستغفار تُقضى الحاجات وبالدعاء تتحقّق المُستحيلات.

شيخنا رحمك اللهُ، إنّ بلدك الجزائر عظّم مقامَكم، وأنتم جديرون بالاستحقاق الذي أسبغه عليكم **فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة**، بتلك التعزية التي أشاد فيها فخامتُه بمقامكم العلمي، وبما قدّمتموه للوطن العربي من مشاريع وأفكار تُحسب لميزان حسناتكم. ومن خلالكم يتمثّل هذا الفعل في اهتمام الدولة الجزائرية بالعلماء؛ فهم القوّة المبثوثة في جسم الدولة، فيحصل لهم التكريم

♥- كلمة عزاء ألقيتها في اتّحاد المجامع اللغوية العربية والعلمية بتاريخ: 8 مايو 2017، في مقرّ الاتحاد في مدينة 6 أكتوبر. وهذا بمناسبة تأبين فقيدي مجمع اللغة العربية وهما: فاروق شوشة + عبد الرحمن الحاج صالح.

في الحياة، ولا تنسى أفكارهم في الممات. وعهدي أنّ المسؤولين في وطننا يُعظّمون العلماءَ ويشجّعونهم ويتّخذونهم مستشارين في تقديم الأفكار، أو حصول معضلة، وكذلك يستقدمونهم ويكرّمونهم؛ فهم لُمُع الأمّة وهُداتها. وأنت يا شيخي منهم، فكنتَ جديراً بمقامك، بما لك من علمك وعالميتك، وما أنتجته ممّا يخدم الشأن العامّ.

ــ **شيخي مع المجمعيين:** أراك اليوم بين المجمعيين، وأنت حيّ بينهم، ومع من لا يتنكّرون لأصحابهم عندما يكونون أحياء، وعندما يموتون يصبحون لهم أوفياء والأمّة العظيمة هي التي يحترم فيها العالمُ عالِماً، ويستذكرونهم وهم رموس؛ لأنّهم من العقول الراقية التي تتكلّم في الأفكار فقد تعوّدوا السير في الطريق الممهّد؛ فيصعب عليهم أن يقبلوا مَطبّات الطريق. فهم يشهدون أنّك كنت دائماً تُعطي وكنت دائماً تنصح وتُوجّه، وكنتَ دائماً تزرع وتأمَل، ولم يَخِب ظنُّك، فقد تركتَ زملاءك المجمعيين فها هو اليوم يذكرون خِصالَك.

يا شيخي، إنّه ليترفع منهم صوتُ المعنى لا الصوت فقط، فإنّ ما يجعل الزهر ينبت ويتفتّح هو المطر لا الرعد، فهم الطيّبون الذين لا تتغيّر صفاتُهم حتى ولو تغيّرت أحوالُهم؛ فالكريم يظلّ كريماً حتى لو افتقر؟ وهكذا علّمتهم الحياة، فيقولون: إنّها سنّة الحياة، والموت حقّ، ولا بدّ من فراق؛ شئنا أو أبينا حيث لن نتعافى دون أن نتألّم، ولن نتعلّم دون أن نخطأ، ولن ننجح دون أن نفشل، ولن نحبّ دون أن نفقد. أيّها المجمعي لقد افتُقدتَ، فعجباً كيف نبكيك، والبكاء للضعفاء، فأنت لست ضعيفاً أنت أيّها المجمعي لا تزال تُطرِب مثل الكبار، لأنّك من سلالة الكبار، من سلالة الخالدين، والخالدون لا يموتون. أنت أيّها المجمعي مجموعةٌ طريفةٌ من المعاني التي يشير إليها اسمه، ويفتقر الزمانُ لأمثالك، ولو عرف الناسُ قيمتك ما باعوك بكنوز كسرى وقيصر، ولكن هي دورة الحياة التي تقول: لا بدّ من المغادرة وسوف تتكسر المغازلُ، وتبقى الذكرى في الأذهان ويُخلّدُها الزمان، بما تركتَ من علم، وما كنت تسديه من توجيه، وما كنت تقول في محافل هذا المجمع: عليكم بالتراث، وتمسّكوا بالأصالة؛ فهو منجاة من تدمير الأمّة، وعليكم الاهتمام بالرفع

من مستوى التعليم؛ لأنّ تدمير أمّة لا يحتاج إلى قنابل ذكية، بل يُعتمد فيه على تخفيض نوعية التعليم... وكنت تنصح وتقول: لا تقفوا في عمق التراث، دون الإبحار على ضفاف الحداثة فهو النقلة النوعية المعاصرة التي تخلق الاستقامة في العلم، والجمع بين المحاسن ولا تبيعوا الثمين بلا ثمن؛ كي لا تشتروا الرخيص بأغلى ثمن. واليوم نراك مع الصفوة التي تحمل الهمّة وتنشد الرفعة، وتخرج للعلن وتقول ما قيل:

وفرزُ النفوسِ كفرزِ الصخورِ ففيها النفيسُ وفيها الحجرُ

وبعضُ الأنامِ كبعضِ الشجر جميلُ القوام شحيح الثمر

وبعضُ الوعودِ كبعض الغيومِ قويُّ الرعد شحيح المطر

وكم من كفيفٍ بصيرِ الفؤاد وكم من فؤادٍ كفيفِ البصر

وخيرُ الكلامِ قليلُ الحروف كثيرُ القطوفِ بليغُ الأثر

ــ **شيخي المغفور له:** من خلال موقعي كطالب، أقول: إنّ زملاءك يؤبِّنوك وأصدقاءَ يشهدون بمنافع علمك، ويَدْلون بشهادات وفاء، فأنت حيّ بيننا، فنعمَ العالِمُ أنت، وهذه الوجوه لا تتنكّر لعلمائها وديدنهم في ذلك تلك الحكمة التي تقول: "إذا أردتَ أن تزرع لسنة؛ فازرع قمحاً، وإذا أردتَ أن تزرع لعشر؛ فاغرس شجرةً وإذا أردتَ أن تحييَ رجالاً؛ فاستثمرْ في الزملاء. شيخي لقد أحييتَ، وأينعَ القطفُ وكان حقاً على من كانوا يُعوّلون في أبحاثهم عليك ألا ينسوْك. وكاتبُ هذه التعزية يُقرّ بأنّك أهديتَ له اهتمامَك خلال اثنتي عشرة (12) سنةً، وكان يجالسُك طالباً خجولاً يخاف عالِماً صارِماً، يخاف أن تصدر الفرطاتِ والغلطاتِ ومن ثمّ يُحاسب عليها حساباتٍ، ولكنّه لا ينكر أنّه أخذ الكثيرَ الكثيرَ من علمك الذي لولاه ما كان هنا هذا اليوم.

شيخي أنا من الطلبة الذين ظلّ كتِفُهم يتّسع لأستاذي بكلّ رحابة وصدر وكانت بيني وبينك علاقة علمٍ على ما يُرام، وما كان يمكن أن يحدث التغيير المنيف؛ لأنّنا صادقان في مشاعرنا، ونادراً من يبقون كما عرفناهم أوّل مرّة، وأشهد أنّني قمتُ

بالواجب، إقراراً بأنّ لُقياكم ودروسَكم أنبتتِ الثمْرَ وأنتم زرعتم النبتةَ، ولولا النبتةُ ما كانت الشجرة. وأقول في حقّكم ما قاله المتنبي:

أبلغْ عزيزاً في ثنايا القلب مَنزلةً إنّي وإنْ كنتُ لا ألقاه ألقاه
إنّ طرْفي موصول برُؤيته وإنْ تباعدَ عن سكنايَ سُكناه
يا ليتَه يَعلَم أنّي لستُ أذكرُه وكيف أذكرُه إذْ لستُ أنساه
يا مَنْ توهّمَ أنّي لستُ أذكره والله يعلم أنّي لستُ أنساه
إنْ غابَ عنّي فالروح مسكنُه من يسكن الروحَ كيف القلبُ ينساه

ـ **شيخي واللسانيات:** في البدء كنتَ تقول لنا: (علم اللسان) ثمّ تميل إلى وزن (اللسانيات) قياساً على (الرياضيات) وأنت من الذين رضعوا علم الرياضيات التي أنتجت اللسانيات، فلُقبت بأبي اللسانيات التي كانت صناعَتَك، ولم يكنِ اللحنُ حرفتَك، وعنك تعلّمنا السيميائيات والتداوليات، وعرفْنا هانس وأوستين وغوفمان وسوسير وتشومسكي. وكنتَ دائماً تذكر الحقائق المنطقية، وأحياناً تميل إلى القياس أو الرجحان، وتقول: هذا ما فعله العربُ في المثال المنطلق من الباب، وصولاً إلى الحدّ والمنوال.

شيخي فكرُك العلمي أوصلَكَ إلى اسكتناه التراث، وعرفتَ الفكرَ الغربيَ ومن ذلك ناطحتَ دو سوسور، وأبنْتَ عيوبَ البنوية، وخالفتَ بعض شَجْرَيات شومسكي، وكشفتَ بأنّ النظريةَ الخليلية الحديثة أصلحُ لقراءة تراثنا قراءة معاصرة. وقد قيل لكم مرّة: كيف تَحقّقَ لكم ذلك، فقلتم: أخذتُها من ذلك الحكيم الذي قيل له: من أين تعلّمتَ الحكمةَ؟ قال: من الأعمى؛ حيث لا يخطو خطوة حتى يتحسّسها بعصاه. فأنا تحسّست مواطن المنطق في تراث العرب، وفي سرعة الاستجابة في وسائل الغرب، ومزجتُ بينهما وصولاً إلى الربط بين الأصالة والحداثة، وكلاهما ينطبقان على بعض، وكذلك الرغيف الذي لا ينشطر إلى شطرين لا يُشبِع.

ــ **شيخي واللغة العربية:** ممّا درستُه وما رصدتُه عــن شــيخي وهــو يلقــي محاضراتِه ويكتب أفكارَه، وأشهد بأنّه كانت تؤلِمُه بعضُ الهنــات التــي تخــدش العربيةَ، وهي تصدر من الخاصّة، ويقول: إنّ هؤلاء يســتهينون بمكــوّن الهُويــة الوطنية، وهي عربية القرآن، والعربية لا يجب أن تُلصَــقَ بهــا هــذه الأخطــاءُ والركاكةُ والتهجينُ، وتجب المحافظةُ والزيادةُ في تألّقلها. فلا شكّ أنّ اللّغة العربية أهمُّ مكوّنٍ حضاري ضَمِنَ للعرب انسجامَهم الفكريَ وأمْنَهُم الثقافي قرونــاً عديــدة ارتكازاً على وَحْدة المرجعية اللّغوية في العلوم والمعارف، وفي انسجام تــامّ مــع أنساق لغوية في التواصل العامّ. وإنّ أمرَ اللّغة العربية اليوم أضحى في البدء وفي الختام قضيةً استراتيجية ومصيرية، وليس تَرَفاً فكرياً، أو ردودَ أفعالٍ عاطفيــة لأنّ اللّغة ليست مجرّدَ ألفاظٍ وتراكيبَ وصيَغٍ وأساليبَ فحسب، بقدر ما هي مكوّنٌ مــن مكوّنات الأمّة وقوامُ وجودها المعنوي، وأساسُ امتدادها الفكري والتاريخي وحجَرُ زاوية أمنها الثقافي والحضاري؛ باعتبارها السجّلَ القديمَ التــي حفظَــت للعــرب مُقوّماتِهم الثقافية والتاريخية والحضارية والتراثية والنفسية والرمزية عبر الزمــان فهي بحقّ صمَّام الأمان في ترابط المجتمع وتماسكه وانسجامه واستمراره. ومــن خلال ذلك كان المرحوم يدعو إلى:

ــ إلزاميةِ استعمال اللّغة العربية في جميع المُعاملات الإدارية؛

ــ توظيفِ اللّغة العربية في مجال التــدريس بمختلــف المراحــل والأســلاك والمؤسّسات التعليمية وخاصّة في التعليم العالي؛

ــ إيجادِ مؤسّسة وطنية تعمل على خدمة اللغة العربيــة، وتمكينِهــا مــن اتّخــاذ القرارات العلمية اللازمة لتعزيز اللغةِ العربية، وتعميمِ استعمالها في جميع المجالات؛

ــ العملِ على أن تكون القوانينُ المُنظِّمةُ لوسائل الإعلام بمختلف أنواعها مُنســجمةً مع بنود الدستور وقوانينِه في شأن اللّغة العربية، ومحاصرةُ الفوضى اللّغويــة الســائدة في هذه الوسائل، التي تتاقض أهداف تكوين الناشئة في السلامة اللّغوية؛

ــ رفضِ الدعوة إلى التلهيج، لأنّها دعوة إلى التفرقة، ورسمِ الأخاديد بين مكوّنات المجتمع العربي وإهدارٍ للطاقات التي يجب أن تُصرف في خدمة اللّغة العربية الجامعة.

ــ **شيخي والمشاريع الكبرى:** أتمثّله مرجعيةً دالةً على نوعية المثقّف المتضلّع في العربية والمُتقن للغات الأجنبية من الطراز العالي، وذلك ما أكسبه النظرياتِ الاستشرافيةَ في بناء المشاريع الكبرى ذات العلاقة بالنظرة المستقبلية؛ لتحسين الوضعِ اللساني من خلال تلك المشاريع، فمن الرصيد الوظيفي المغاربي إلى الرصيد اللغوي العربي، وإلى توحيدِ المصطلحات اللسانية، وإلى الذخيرة اللغوية وإلى حوسبة العربية... وكلّها مشاريع تحمل أملَ التطوير بحُسن التدبير. شيخي أنت بحقّ أجدرُ أن يُطلب في أعمالك الجدّ، ويُوقَفَ عليها الحدّ، وهي مراحل يجب أن تُقطعَ. فالصرامةُ العلمية لك هي الطريق السليم، والتطبيق الميداني هو التقييم والتقويم، ومن ثمّ مواصلة البناء على ما مضى لا البدء في كلّ مرة على هوى.

ــ **من أقوال شيخي:**

ــ لا تُسهِموا في بناء المَطبّات، وبعض المَطبّات تعمل على التعطيل وليس على التحذير.

ــ لا خيرَ في شباب لا يعمل على التطوير، ولا يقبلُ فضلَ التغيّير أو حُسنَ التدبير.

. لا قيمةَ لخشبٍ أمام الذهب، ولكن إذا أوشكتَ على الغرق، فالخشب لا يذهب والذهب يذهب.

ــ سِرُّ نجاحِك أن تعملَ على التغيير الذاتي؛ فابْدأْ بنفسك.

ــ ليس هناك عصا سحرية للنجاح، فالنجاح يَحظى به المكافِحون، فلا شيءَ يتحقّق بالصُدفة، بل يتحقّق كلُّ شيء بالتِماس الأسبابِ.

ــ من كان على صواب، وتمكّن من التراث، سيجد المضايقات، ففي البداية يتجاهلونه ثمّ يستهزئون منه، ثمّ يحاربونه، وفي الأخير ينتصر.

ــ من الصعوبة أن تُغيّرَ المألوفَ، ولكن ليس من المستحيل، فاقصدْ إلى قِمم الأشياءِ تُدركها. ولا تنسَ ما يقوله الشاعر:

تجري الرياحُ كما تجري سفينتُنا نحن الرياحُ ونحن البحرُ والسفنُ

إنّ الذي يرتجي شيئاً بهمّته يلقاه لو حارَبْته الإنسُ والجنُّ

ــ **شيخي الجليل:** لقد افتقدكَ زملاؤُك في هذا المقام، وأرى الوحشةَ قائمةً، مع تلك الهمّة الثابتة من زملائك، ولكنّي متفائل بالخير؛ لأنّ ما زرعتَه من الصلاح ستثمر بكلّ فلاح فأنت العبدُ الصالحُ الفقيرُ إلى الرحمان، ستعود كما يعود الشهداء بالركبان، وستحمل أفكارُك ثمار النجاح، بما لها من ركائز ملاح ولكن أنعِمْ بها من رواح!

ــ **خاتمة:** أيّها المجمعيون، من خلال هذه الكلمة البسيطة، رأيتُ أن ألمِّح بمُلَحٍ من الأدب، ليس إمتاعاً لذوي الألباب والأرب، لكن رأيت ذلك ضرورة؛ لأنّ القلوبَ تمُلّ كما تمُلّ الأبدان، ولذلك ابتغيت لها طرائفَ الحكمة الطنّان. وفي هذا اليوم التأبيني الخاصّ ينال القاعةَ ما هو من الخاصّ؛ فنهديه لروح شيخنا الحاج صالح الهُمام، الذي نروم أن ينالَ أجرَه على الدوام، ويكون منهاجاً نستذكر فيه علماءنا، ونجعل هذا عبرةً لأولادنا، علّنا نزرع ثقافةَ الاحتفاء بمن يستحقّون الاحتفاء كي لا يتجاهلُ اللاحقون فضلَ السابقين، وتكون من ثقافة العاملين فالحضارة تُبنى على التراكم، وما يزيد قيمة في التقاوم فالسابقُ يَضع لبنةً واللاحقُ يُضيف لبنةً، وهكذا دواليْك إلى كلّ من حواليك.

أيّها المجمعيون: رحمَ اللهُ الشهداء، وباركَ اللهُ فيكم، وأدامَ عِزّكم، اللهَ نسألُ التوفيقَ والسدادَ، ونِعْمَ الحضورُ أنتم، ونقول لشيخنا: نمْ هَنيئاً، وقُرّ عيناً، وغَفَرَ اللهُ لنا جميعاً والسلام عليكم.

المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة♥

المقدمة: أبدأ هذه المقالة باقتطاف أربعة أبيات من قصيدة قالها الشاعر (محمد البُرعي) في حقّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقوله الحقّ والصواب إذ يقول:

يا مجمعَ الفصحى وحصنَ تراثها   لا زلتَ ظلاً للبيان ظليلاً

قد كنتَ منذ نشأتَ قوّةَ عزّها   تقضي لاحقاً عليك نبيلاً

واليوم قد هبّتْ عليها عُجمةٌ   كانت على لغة البيان وبيلاً

فانهضْ وخذْ بيد البيان فإنّه   لم يرضَ غيرُك للبيان كفيلاً

هذا المجمع اللغوي الذي فكّر وقدّر ثمّ طمح يوم تأسيسه في **إنجاز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية** ولكنّ ظروفاً حالت دون ذلك، واستبدل المشروع بإنجاز (**المعجم الكبير♥♥**) ويكبر الإجلال في هذه المؤسّسة اللغوية الكبيرة تبنّيها لاتّحاد المجامع اللغوية العربية مقراً ونفقةً ورئاسةً، فأعظمْ به من تبنٍّ! واليوم على عاتق اتّحاد المجامع العربية إنجاز **المشروع العملاق**، مشروع العصر؛ وهو إنْجاز **المعجم التاريخي للغة العربية**؛ مشروع تقادمت فكرتُه وطالت غربتُه، وتأتي أيادٍ كريمة تبعثه، وهذا من خلال المكرمة السخية لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتّحاد وحاكم الشارقة؛ الذي تبرّع بتمويل بناء مقرّ لاتّحاد المجامع اللغوية العربية بالقاهرة بالإضافة إلى تمويل إنجاز المعجم

♥ـ محاضرة ألقاها رئيس المجلس في رحاب اتّحاد المجامع اللغوية، بمناسبة انعقاد دورة المجلس العلمي للمعجم التاريخي. القاهرة: 9 مايو 2017.

♥♥ـ لقد راعى المعجم الكبير إلى حدّ ما بعض الخطوات العلمية التي ينشدها المعجم التاريخي من مثل: أصل الكلمة، استعمالها، ترتيب المادة حسب المعاني، التدرّج في المدلولات من الحسّية إلى المدلولات المعنوية، الاستشهاد من خلال النصوص بالشعر والنثر، مراعاة اختلاف العصور ترتيب الشواهد تاريخياً...

التاريخي للغة العربية. ومن هذه المكرمة من يدّ سـموه تأسّست **هيـأة المعجـم التاريخي** بالقاهرة، كما تأسّست هياكل الهيأة، ونُصّبت في مقـرّ المجمـع اللغـوي بالقاهرة يوم 2 فبراير 2008م. ومن هنا نقول: إنّ المعجم التاريخي للغة العربيـة هو مشروع النهضة العربية في كلّ مرافقها، وهو المشروع المعاصر الذي يجـب أن نوليه ما يستحقه من أهميّة لعدّة اعتبارات حضارية ودينية وخلقية وفكرية، وله أبعاد عميقة في محيطنا الواقعي، ومن هنا فإنّ:

- المعجم التاريخي عمل جبّار، سوف يكشف عن كنوز العربية، وعن معارفها التي ظلّت مجهولة كما يؤرّخ للعربية على اعتبار أنّهـا ديـوان لتـاريخ العـرب والمسلمين؛
- كلّ من فكّر في هذا المشروع الحضاري مشهود له بسعة الأفق والنظر إلى المستقبل بعين الحداثة وإلى اللغة العربية بعين التحديث، عاكساً امتدادها وأصداءها الإنسانية، ويشهد له التاريخ أنّه موسوم بالغيرة والصدق والإخـلاص والأحـقّ أن يخلد اسمه؛
- من بعث مشروع المعجم التاريخي في الوقـت المعاصـر –بعـد البيـات الطويل– لهو شخص حضاري يحتاج إلى تمجيد وتكـريم، ويشـهد لـه بـالغيرة والتحدّي، وأنّه رجل أصيل؛
- الذين يعملون في هذا المعجم سيكونون جنوداً لخدمة العرب والعربيـة فهـم قافلة إعادة صياغة البرنامج الإصلاحي للغة العربية، فنِعْم هم ونِعْم ما يَقْدُمون عليه من تسجيل وتدوين لحضارة عظيمة، ولكشف لغوي هام ولإصلاح لغوي معاصر؛
- نجاح مشروع المعجم التاريخي يعدّ مدخلاً للتشجيع، ودخول حقـل الجـودة وأسواق المنافسة، مع مواجهة التحدّيات من خلال تفتّح علمـي ورزانـة فكريـة ومرونة عقلية؛

➢ اهتمامنا بالمعجم التاريخي؛ يعني أنّنا نحتكم إلى التاريخ الذي يظهر لنا قِـدَم العربية، وتتجلّى لنا فيها السيطرة العامّة على العلوم وأولوية الترجمات فيرينا ذلك مساحة العربية من الذيوع في المهجر وعبر بلدان الشرق الأدنى؛

➢ الاهتمام بالمعجم التاريخي للغة العربية يعنـي تحليـل مقاصـد الإصـلاح والتحديث على المستوى الثقافي العربي والإسلامي، فالحاجة ملحّة لتطوي المسـاق المنهجي الذي اتّجهت إليه الدول العربية في وقتنا الحاضر إلى تطعيم علمي يلحقها بآليات العصر، ووفق ما تقوم به الدول الغربية في مجال الاهتمام بلغاتها؛

➢ العرب سيقومون بهذا الإنجاز، وسيكونون في مستوى لغتهم التي لا تـدانيها لغة على وجه الأرض.

إنّ المعجم التاريخي للغة العربية سيكون مرآة للحياة العربيـة بكـلّ جوانبهـا وسيربط حاضر العرب بماضيهم فهل يصبح الحلم حقيقة؟ وهل نعمل بالفعل والقوّة على تجسيد مَعْلَمِنا الحضاري المعاصر؟ وهل يمكن الإلمام بكلّ تراثنا فـي هـذه المَعْلَمَة الجامعة؟ وهل نكون في مستوى التحدّي لترسيخ عربيتنـا فـي شـموخها بوضع آليات الانطلاق؟ وهل تفعّل آليات اللغة العربية من خلال المعجم التاريخي؟ وهل نستطيع إنجازه في أقرب الآجال وفي أقلّ وقت ممّا هو متصوّر؟ وهل يقـع استغلال التقانات المعاصرة؟ وهل نطمح لغد أفضل بوجود مدوّنة محوسـبة للغـة العربية وفي أشكالها المتنوّعة؟ وهل يمكن أن نستدرك التأخير؟ وهَلْ وهل وهل... وما ذلك بعزيز؛ إذا صدقت النيّات وشُدّت العزائم.

لقد شرّفني رئيس اتّحاد المجامع اللغوية العربيـة، ومجلـس الأمنـاء للمعجـم التاريخي للغة العربية بتعييني عضواً في المجلس العلمي للمعجم التـاريخي للغـة العربية؛ نظراً للجهود العلمية التي أقدّمها لخدمة اللغة العربية، ولِما أنجزتـه مـن أعمال وخِبرات في مجال إشكاليات المصطلح والمصـطلحية وصـناعة المعـاجم والحلول المقترحة لتنميط المصطلح العربي خاصّة العلمي منه، ومن خـلال هـذا التعيين يعني أنّ مجلس الأمناء فسح لي مكاناً في هذا العمل العلمي الموقّر تحـت

مظلة **المشروع العِملاق**؛ مشروع القرن المعاصر، وأعبّر بصدق عن هــذه الثقــة الغالية التي طوّقت عنقي وأرجو أن أكون في مستوى هذا الانتساب. وأعاهد نفسي على بذل جهدي لخدمة أغراض هذه المؤسّسة؛ مرتسّماً خطى السابقين ما لم تكــن خطأً، ومواصلاً العمل إلى أن يأتي أكلُه.

لقد حضرت الجلسات العلمية الأولى للمجلس العلمي في مقرّ المجمــع اللغــوي بالقاهرة بالزمالك أيام 2ـــ8 فبراير 2008م♥. ولما بدأ النقاش حول تعريف المعجم التاريخي وعن أهدافه، وخصوصياته ومتنه، وكلّ متعلّقاته رأيت سوء فهــم عنــد بعض الزملاء، كما رأيت تضارب الآراء لدرجة التباين ولقد بدتْ صــورة غيــر مستقرّة عند بعض أعضاء المجلس العلمي، حيث يغفل البعض منهم الآليات العملية لوضع الترتيبات الأولية لهذا المشروع الطموح، كما يفتقر بعضهم إلى تمثّل فكــرة المعجم التاريخي بقوّة، إضافة إلى غياب المفهوم العلمــي لخصــائص ووظــائف

♥ـــ **إليكم القائمة الاسمية بأعضاء المجلس العلمي:**

ـــ كمال بشر، مديراً عاماً للمؤسّسة،	مصر
ـــ إبراهيم بن مراد، عضواً،	تونس
ـــ أحمد بن محمد الضبيب، عضواً،	السعودية
ـــ أحمد شفيق الخطيب، عضواً،	فلسطين
ـــ بكري محمد الحاج، عضواً،	السودان
ـــ رمزي منير البعلبكي، عضواً،	لبنان
ـــ سمير محمود أحمد الدروبي، عضواً،	الأردن
ـــ صالح بلعيد، عضواً،	**الجزائر**
ـــ عبد الهادي التازي، عضواً،	المغرب
ـــ على الصادق حسنين، عضواً،	ليبيا
ـــ علي القاسمي، عضواً،	العراق
ـــ مازن المبارك، عضواً،	سورية
ـــ محمد حسن عبد العزيز، عضواً،	مصر
ـــ مصطفى حجازي عضواً،	مصر
ـــ ممثل عن المجمع العلمي العراقي،	غائب.

وأهداف المعجم التاريخي والفروق المنهجية بـين المعجـم التـاريخي والمعـاجم الخاصّة أو العامّة، والفروق بينه وبين دوائر المعارف وكذلك الفروق بينـه وبـين الموسوعات، بَلْهَ الحديث عن الجوانب الأخرى من مثـل: عـدم وضـوح مـنهج الحيازة/ عدم وجود طريقة البرمجة/ عدم تقدير أهمية المشروع ومدة إنجازه. وقـد يكون بعض الأعضاء معذورين لعدم اختصاصهم، وبعضهم لم يكونوا على اطلاع بفكرة المعجم التاريخي بتاتاً. ومن هنا انبريتُ بهذا العمل لتوضيح احتيـاج اللغـة العربية للمعجم التاريخي وتحديد مفهومه، وخصائصه وأهدافه وكيفيات الإنجـاز؛ مروراً بالإجراءات التي رأيت ضرورة تبنّيها في المشروع في مبدأ الأمر إلـى أن يستجدّ الجديد.

كان في نفسي رغبة في تقديم مقالة (مقاربة) علمية باستقراء الأفكـار السـابقة والتصوّرات التـي قـدّمت فـي مجـال المعجـم التـاريخي؛ بغيـة التوضـيح والمساهمة وإزالة ما كان غامضاً، إلى جانب ضرورة وضع المعجم التاريخي على محكّ الاختبار؛ بالشروع فيه، بعد هذا التأخير الذي مسّـه، ولا شـكّ أنّ عمليـات الشروع سوف تكشف عن ثغرات وسوف يقع سدّها، كما سيقع اسـتدراك المنسـي وإضافة الجديد الطارئ، والمهمّ الآن أن تحصل الانطلاقة الواثقة. وسـوف أركّـز القول على الخطوات **الإجرائية والمنهجية** التي تجعل المشروع يـدخل المراحـل العلمية والعملية بخطى واثقة وقوية، وفي نفسي رغبة صادقة في تقـديم ممارسـة بسيطة لحِرفة المعاجم، والتي تعمل على تحسين الأداء العلمي للمعجـم التـاريخي للغة العربية، وهذا عبر الطموح الطافح لتحقيق المشروع القومي المعطّل منذ أمـد بعيد وسبق أن دعوت في ملتقيات **الذخيرة العربية** إلى تكـاتف جهـود الـذخيرة العربية –التي تُنجز في الجزائر– مع المعجم التاريخي للغة العربية –الذي بـدأت معالمه تظهر– إلى الإفادة من بعضهما البعض، أو دمج المشروعين في مشـروع عربي واحد؛ كي لا يتكرّر العمل وتضيع الجهود والأموال.

لقد رأيت ضرورة الإدلاء بما بصُرت به من دراية متواضعة في أمر المعجـم التاريخي للغة العربية فالجهد جبّار، يحتاج إلى سواعد تفلّ الحديـد ويحتـاج إلـى

انطلاقة صارمة في مسألة وضع المنهجية الدقيقة والبرمجة الآلية (الحاسوبية) فهما باب الوقوف على الأرض الصلبة، فإذا اختلّ المنهج أو البرمجة أو الطريقة يبقى العمل ناقصاً، وتحدق به آيات النكران. ولكنّنا الآن نحتاج في هذه المرحلة إلى وجوب الانطلاق في مشروع القرن، أو مشروع الألفية الثالثة، فالانطلاق هو الذي يوضّح بعض المعطيات التي يجب أن تُسلك، كما يُجلي الكثير من الالتباسات، فلا بدّ أن ننطلق في مَعْلَم حضارتنا وسياج هُويتنا في القرن المعاصر.

إنّ عملي هذا مساهمة في إبداء رأيي في كيفيات الإنجاز، وفي المبادرات والأفكار والخطوات التي تتّخذ في عمل المعجم التاريخي وهو في خطواته الأولى إلى المرحلة النهائية، وعسى أن أفيد ببعض الأفكار التي قد تعمل على التصويب أو التوجيه، فما خاب من استشار، ووسّع الفكرة واستنار.

سأقسم العمل إلى جزأين أساسين هما:

ـ **الجزء النظري:** وفيه أستعمل لغة المرافعات والمنافحات بالحديث عن احتياجنا للتأريخ للغة العربية وما يلحق ذلك من تعاريف، ومواصفات ووظائف المعجم التاريخي... وما يتبع ذلك من استراتيجيات وظيفية تسهّل علمية إنجاز معجمنا التاريخي، وهذا بوعي الأهمية التاريخية والعلمية لهذا المعجم والنقيصة الكبيرة التي تعاني اللغة العربية من عدم وجوده، دون مقارنة العربية باللغات الأخرى التي تحتكم إلى المعجم التاريخي، والعربية لا تتوفّر عليه، ويضاف إلى ذلك أنّ كلّ تأخير فيه يسبّب نقصاً في المعلومات.

ـ **الجزء التطبيقي:** سيكون الحديث فيه عن الإجراءات العلمية والعملية والمنهجية العلمية والتطبيقية التي أرى ضرورة تبنّيها في هذا المعجم، وما هي مستلزمات مراحل الإنجاز إلى غاية الإخراج، وسوف أتجاوز ثقافة الكلام وتقديم التوصيات، إلى ثقافة الفعل والإنجاز، والاتّجاه إلى تحديد المشروع وصناعة برامجه وإنتاج تقنياته، وهي الخيار الأمثل لدخول مسارات الفعل بالقوّة.

الجزء النظري

إنّ تدوين تاريخ اللغة العربية يعني تدوين لعبقرية لغة لا مثيل لها في التاريخ لغة شهد بعظمتها المعاندون دون الحديث عن المخلصين لها، لغة خدمها بقوّة عرب وكثير من العجم، فبالعرب بقيتْ وبغير العرب ارتقتْ، وهذا للخصوصية التي تحملها ولا توجد في اللغات الأخرى؛ لغة خدمها وأنصفها كثير من المستشرقين؛ فهذا (جرونباوم) يقول في مقدّمة كتابه (تراث الإسلام) "إنّ اللغة العربية هي محور التراث العربي الزاهر وهي لغة عبقرية لا تدانيها فيها لغة في مرونتها واشتقاقها، وهذه العبقرية في المرونة والاشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتّسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب، وأتاحت لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة كما يقول المستشرق الألماني بروكلمان الذي أرّخ للفكر والتأليف العربيين في العصر الجاهلي حتى الآن في سلسلة كتبه الشهيرة وتاريخ الأدب العربي، يقول: إنّه بفضل القرآن بلغت اللغة العربية من الاتّساع مدًى لا تكاد تعرفه أيّ لغة[1]". فإذا وقع التنويه باللغة العربية من قبل المخلصين الذين يعرفون القيمة العلمية والروحية لهذه اللغة، فيعني ذلك الإنصاف ثمّ الإنصاف، كما لم ينكر المعاندون ذلك، رغم ما يبدونه من أقوال على هذه اللغة التي يرون فيها –في الوقت المعاصر– أنّها لا تلبّي آليات العصر، وأنّها تجاوزها الوقت، ويعني –في نظرهم– التخلّي عنها؛ لأنّها لا تستجيب لآليات المعاصرة، ويقبحون فيها هذا البعد الزمكاني الذي لا يوجد في كلّ اللغات، ومن هنا يرون فجوة كبيرة في صعوبة السيطرة على مدوّنتها الطويلة والضخمة، ويعني ذلك صعوبة التأريخ لها.

يمكن أن نقول: إنّه ليس بالأمر اليسير السيطرة على مدوّنة اللغة العربية في القريب العاجل، فليست المسألة مسألة سنة أو سنوات، فالعمل يحتاج إلى سنوات

---

(1)ــ ع/ محمود حافظ، كلماتي مع الخالدين. القاهرة: 2006، مطبوعات مجمع اللغة العربية بمصر، ص 37ــ38.

طوال، وإلى أحقاب متعاقبة؛ حتى تستوي الأمور خلقاً سوياً، ولكن ليس بالمستحيل حصولُ ذلك وليس صعباً ربط الحلقة القُدمى بالمعاصرة وكلّ ما نحتاجه هو **الجمع المحوسب** الذي يردم هذه الفجوة الطويلة، فمن السهولة أن نتابع أعمال السلف في متابعة الجمع الشامل الذي خضعت له اللغة في البدايات الأولى، وهذا ما يراه الأستاذ صادق عبد الله أبو سليمان؛ والذي يقترح استدراك ذلك عن طريق الحوسبة الآلية، فيقول "ويتمّ بمراجعة جمع القدماء لها، ومتابعة جمعها بعد عصور الاحتجاج حتى اليوم، ومواصلة هذا العمل بعده، وسيوفّر هذا الجمع المحوسب للغة العربية معلومات لم يكن من السهل الحصول عليها بالعمل البشري المحض؛ حيث سيظهر الاستقراء المحوسب للغة العربية تأريخاً شاملاً للغة في المفردات والتراكيب والأساليب، وسيكشف عن قديمها الذي خفّ استعماله أو انقرض أو استمرّ في العصور التالية وسيفصح عمّا جدّ فيها في مراحل العربية المتعدّدة، وليس لها وجود في المعجمات العربية التي تقيّدَ واصفوها بفلسفة اللغويين القدماء في دراسة اللغة، ولا سيّما تقيّدهم بأصول نظرية الاحتجاج، حيث سيعين على الكشف عن ملامح التغيّر في اللغة؛ كظهور ظواهر صوتية أو صرفية أو تركيبية جديدة واختلاف دلالات الألفاظ والتراكيب في العصور أو البيئات العربية المتنوّعة وسيمكن العلماء بأوامر محوسبة من ترتيب اللغة زمكانياً، وتصنيفها سياقياً وعلمياً...إلخ.[1] ". وهكذا نرى بأنّه لا يوجد المستحيل في تقادم عهد العربية أمام التقنيات المعاصرة فيمكن استدراك التأخير إذا وقع الاهتمام بتوظيف الآليات الحديثة، أي الرقمنة المعاصرة، وتشقيق خصائص اللغة العربية، ضمن الفعاليات التي حُوسبت بها اللغات في الوقت المعاصر، وهذا ما نراه على سبيل المثال في معجم الذخيرة الفرنسية أو الموسوعة البريطانية...

---

[1] ـ "نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها" مجلّة المجمع الجزائري. الجزائر: 2007، العدد 6، ص 60 ـ 61.

إنّ المعجم التاريخي للغة العربية المنتظر، فعلاً سيكون معجزة العرب أجمعين فيحتاج إلى تناول المسائل عن طريق الجمع والضمّ والعمل الدؤوب والطلب الحثيث من بدايته إلى النهاية: تصنيفاً ونقلاً وتدويناً وتفسيراً وشرحاً وسرداً وإلحاقاً واستقراءً وتخريجاً... كلّ لفظ مهما علا وانحطّ، كان مستعملاً أو مُماتاً مهجوراً أو عقماً أو نادراً أو نادياً... يحتاج المعجم التاريخي المنتظر إلى تتبّع المادّة إحصاءً وعداً وشرحاً وتفصيلاً، وتعليلاً، وتأويلاً... كما يحتاج إلى تناول كلّ لفظة بدراسة تطوّر دلالتها ومدلولها، وبنائها واشتقاقها، ووزنها، وتصريفها وإلحاقها، يحتاج كلّ لفظ إلى مراعاة اعتباطيته وتكييفه، وتصويته، وتعقيبه واستدراكه، وتحقيقه وتمكينه، وتذكيره، وتأنيثه وإفراده، وتثنيته وجمعه، وتقييده وإطلاقه. إنّ المعجم التاريخي لا يستثني جنساً أدبياً ولا يغفل علماً من العلوم ولا فنّاً من الفنون فالمشروع وإن كان لغوياً فهو متعدّد الوجوه "بحسبان أنّ التأريخ للغة هو تأريخ للحياة العامّة في تطوّرات مسيرتها منذ أن نطق الناس بهذه اللغة أو تلك[1]" إنّ عمل المعجم التاريخي للغة العربية ليس المقصود منه الفهرسة، بل يستهدف دراسة التطوّرات الدلالية عبر العصور بالتدقيق والتمحيص وإعمال النظر.

1ــ احتياج العربية إلى التأريخ للغة العربية: إنّ المعجم التاريخي ضرورة لا غنى عنها، فهو الأداة الوظيفية المتعدّدة الأهداف، وذاكرتنا التي تضبط رصيدنا المعرفي ومرجعنا الأمين؛ يؤرّخ لقضايانا ويؤصّلها من خلال ما فيه من شواهد على نمو اللغة العربية الطبيعي والمجتمعي. والتأريخ للعربية يجب أن يأخذ أبعاده **القومية والعلمية والحضارية والتربوية**، بغية الكشف الدقيق عن المراحل التي عرفتها اللغة العربية في غابر أزمانها، والمراحل التي مرّت بها إلى الوقت

[1]ــ عبد العزيز بن عثمان التويجري "المعجم التاريخي للغة العربية في ضوء متغيّرات الألفية" بحث ألقي في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2006.

الحاضر الذي سايرت فيه الوضع الحالي ومعطيات القرن الواحد والعشرين ومن هنا فإنّ المعجم التاريخي:

- سيؤكّد هُويّتنا من خلال دراسة اللغة العربية، والعمل على التأريخ لها ولا شكّ أنّ هذا له دور في التعبير عن تلك الهُوية، باعتبار رصيد الأمة العربية الفكري وذاكرتها اللغوية والثقافية هي **اللغة العربية**؛

- سوف يسدّ المعجم التاريخي فراغاً في قلّة المصادر والمراجع، وسوف يجيب حقيقة عن كلّ خصوصيات اللغة العربية بعمق وبدقّة متناهية، مركّزاً على النواحي التطوّرية، دون أن تخرج عن نظامها اللغوي العامّ؛

- ستُوضع العربية بفضله موضع اللغات العالمية الحيّة التي أنتجت معاجمها التاريخية؛

- سيؤكّد المعجم التاريخي الروابط اللغوية الجامعة بين مستعملي اللغة العربية ويوضّح مدى ارتباط هذه اللغة بأهلها وحضارتهم، وبالأجناس الذين خدموها عرباً كانوا أم غير عرب؛

- سيؤكّد المعجم أصالة اللغة العربية وعمقها السحيق، وسيساعد على دراسة اللغة العربية دراسة علمية ووصفها وصفاً لسانياً دقيقاً، ويجيبنا عن قدمها بين اللغات العروبية؛

- سيعرّفنا المعجم التاريخي على العربية القُدمى، وعلاقتها باللغات العروبية (السريانية، الثمودية الصفوية، الحبشية، النبطية، العبرية، الكنعانية...)؛

- سيدحضّ المقولة الخاطئة: السامية أمّ اللغات؛

- سيكون المعجم التاريخي مرجعاً لكلّ المطالب، وسيلبّي رغبات كلّ باحث في اللغة العربية؛

- سوف يجيب كلّ سائل عن أيّة لفظة، شاهد، مسكوك، مثال، وصف حيوان جماد... قيل في اللغة العربية؛

➢ سيمكّن من تدقيق قواعد اللغة العربية، كما يساعد الباحثين في كلّ الاختصاصات من إنجاز أبحاثهم بشكل دقيق؛

➢ سيمكّننا من تدقيق معاجمنا المدرسية، ومن تصحيح شواهد العربية؛

➢ سيمكّننا من الوصول إلى المادّة الأصل في اللغة العربية، والوصول إلى كلّ المظان، ويكون مادة لوضع المعاجم المتخصّصة؛

➢ ستدخل العربية عبره ميدان الصناعة المعجمية، وسوف يكبر فيها الاهتمام بما تملكه من زاد معرفي قديم حديث؛ يكشف عن أصالتها وعلميتها.

بإنجازنا لهذا المعجم يمكن أن نقول: إنّنا نستطيع تحرير تاريخ معجم اللغة العربية بصورة متكاملة متّصل الحلقات، مستوعب لكلّ الجوانب، وبه يكتمل وعينا بلساننا المبين، وندرك صراعه من أجل البقاء والازدهار.

إنّ التأريخ للغة العربية لذاتها يستدعي تأريخاً يستتبع مراحل نشأتها في البداية فنحاول التعرّف على ظروف **نموّها وارتقائها وتغيّرها وتطوّرها**، من خلال ماضيها الطويل بمنعطفاته العديدة وخطوطه المتشابكة المعقّدة، وتحدّياته الكثيرة المتلاحقة، كما يستدعي ذلك الرجوع إلى البلاد التي ساهمت في دراسة وترقية وحفظ تراث العربية؛ والذي يتوزّع على كلّ من مصر ـ بلاد الشام ـ العراق ـ الجزيرة العربية ـ إيران وآسيا الوسطى ـ المغرب العربي ـ بلاد الأندلس ـ الدولة العثمانية والبلقان ـ شبه القارة الهندية جنوب شرق آسيا ـ شرق إفريقيا وغربها ـ جزر القمر ... ومن خلال كلّ هذا نرى كيف صارعت اللغة العربية من أجل البقاء والازدهار في مختلف البلاد وكيف لا يزال هذا الصراع مستمرّاً في بعض هذه البلاد.

إنّه عندما نؤرّخ للغة العربية لا نقف عند تصوير الوضع الماضي والحاضر فالعربية غنيّة بمعجمها كلّ الغنى، كما يقول (نولدكه) "إنّا ليتملّكنا الإعجاب بغنى معجم اللغة العربية القديم..." بل نذهب إلى ما هو أبعد؛ فنستشرف آفاق مستقبلها ذلك ما يخطّط لدعم ما يتوقّع في المستقبل، وهذا ما يطرحه الأستاذ محمد سالم

الجرح، في بحث له موسوم (التأريخ للعربية أهميّته ودراساته ومناهجه) فمن خلال سؤال طرحه: لماذا نحتاج إلى التأريخ للعربية؟ ويردّ ضرورة التأريخ إلى أسباب ثلاثة هي:

1ـ "الربط بين اللغة العربية المجيدة، والقرآن الكريم، ثمّ التكريم والتقديس اللذين نالتهما العربية جرّاء هذا الربط، وسيبقى القرآن "معلماً تاريخياً بارزاً في تطوّر اللغة العربية، وكان هذا التطوّر نتيجة انتقال العرب من عصر التفرّق القبلي إلى عصر التوحّد في ظلّ الراية الإسلامية. وقد دخلت منذ ذلك الحين في اللغة العربية مئات من الألفاظ الجديدة، ومثلها من ألفاظ قديمة اكتسبت دلالة إسلامية فلا بدّ من وقفة متأنية عند الألفاظ والاستعمالات القرآنية لتعرّف دلالاتها ومواطن استعمالها[1]".

2ـ معرفة تاريخ العربية ييسّر علينا بيانها، وهذا على خلاف دراسة نحو اللغة أو صرفها أو بلاغتها أو عروضها أو معجمها وأدبها.

3ـ التصوّرات المتاحة عن الظاهرة اللغوية، تحفزنا إلى التأريخ للغة، فتصوّر لنا انتماء اللغات الإنسانية إلى سلالات وأسر وفصائل ومجموعات، وهذا أمر لم يتمثّله الأقدمون على نحو ما نتمثّله الآن[2].

إنّ التأريخ للغة العربية يعمل على:

> تعميق فهمنا لطبيعة اللغة العربية العريقة؛

> التعرّف على كلّ ظروفها وأصولها، وما عرفته من تفاعل مع غيرها والتعرّف على مستوياتها؛

---

[1]ـ إحسان النصّ "قضايا التعريف الدلالية في المعجم العربي التاريخي" بحث أُلقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والسبعين، سنة 2006.

[2]ـ مجلّة مجمع اللغة العربية. القاهرة: 1975، الجزء الخامس والثلاثون، ص 90ـ110.

- إبراز جوانب تميّزها؛
- التمكين الجيّد في تقديم حلول لما يواجهها من صعوبات؛
- جعلها لغة علمية تعيش راهنها في مختلف العلوم.

2ـ تعريف المعجم التاريخي: إنّ المعجم في التعريف العامّ هو: ديوان يجمع بين دفتيه مفردات اللغة مرتّبة وفق نظام معيّن، ومقرونة بضبطها وشرحها والاستشهاد عليها. وإنّ ما أشير إليه في التعريف التقليدي هي الملامح اللغوية **فالمعجم التاريخي يُعنى بالتطوّر التاريخي الذي يدور في فلك التتبّع لمدلول الكلمة عبر التاريخ؛ من تطوّر، وتدرّج، وحركة، وتنوّع سياقي، مؤيّداً ذلك بالشواهد على اختلاف أنماطها وبيئاتها**. فالمعجم التاريخي ديوان العربية؛ لأنّه يضمّ ألفاظها وأساليبها، ويبيّن تاريخ استعمالها أو إهمالها، كما يظهر التطوّر الحاصل في معانيها ومبانيها عبر العصور. وهناك تعاريف كثيرة حول هذا المعجم، وإنّ ما يقع عليه التركيز في هذا التعريف مستخلص من خلال أهداف وخصائص المعجم التاريخي، وما أراه من سبيل يخدم غرض المعجم التاريخي ويعرفه الأستاذ علي القاسمي "... هو نوع من المعاجم يرمي إلى تزويد القارئ بمعلومات عن أصل الألفاظ وتاريخها ومعانيها من خلال تتبّع تطوّرها منذ أقدم ظهور مسجّل لها حتى يومنا هذا، وذلك يعني أمرين:

الأول: أن يضمّ المعجم التاريخي كلّ لفظ استُعمل في اللغة، سواء يُستعمل في الوقت الحاضر أم لا.

الثاني: أن يوثّق المعجم تاريخ كلّ لفظ في شكله ومعناه، واستعماله ممثلاً لهذا اللفظ بعدد من الشواهد[1]". ونرى الأستاذ القاسمي يوضّح المَعْلَم الهام في المعجم التاريخي بأنّه يضمّ كل لفظ استعمل في اللسان العربي وما عرفه من تطوّر دلالي

[1]ـ ع/ موقع Google بتاريخ 28 فبراير 2008.

عبر الزمان مقروناً ذلك بالشواهد، فهذا جزء أساس في أهداف المعجم التـــاريخي وهناك جوانب أخرى يكشفها المعجم التاريخي في تراثنـــا القـــديم بغيـــة التأصـــل الحقيقي للغة العربية التي عرفت زماناً قديماً، وتطوّرات في ألفاظهـــا واحتكاكهـــا بغيرها من اللغات.

إنّ المعجم التاريخي في دلالته اللغوية يبحث عن الأصول اللغويـــة، والعلاقـــة العضوية بالأصول القديمة؛ حيث يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها، بـــل ومنـــذ ولادتها إلى وقتنا الحاضر. ومن هنا يجب أن نتقدّم إلى تراثنا؛ بدءاً من نقيشـــة رم الثاني الذي كتبت حروفه بعدة رموز، إلى نقش أُسيس، فنقش يُؤطر، وإلى نقيشـــة النمارة وما ولاها من النقوش، وأن نعود إلى اللهجات العروبية القديمـــة ونقوشـــها بالعمل على إحصائها والإحاطة به، ودراسة خريطة اللهجات والهجرات، ولا بـــدّ في هذا المقام من العودة إلى أهل الاختصاص للتعرّف علـــى اللهجـــات العربيـــة القديمة بالشكل الذي يطرحه المختصّون:

اللهجتان العربيتان الأكديتان:

- اللهجة العربية الأكادية البابلية؛
- اللهجة العربية الأكادية الأشورية.

اللهجات العربية الكنعانية:

- اللهجة العربية الكنعانية (الفينيقية)؛
- اللهجة العربية الكنعانية (البونيقية) ؛
- اللهجة العربية المو آبية و(الأدومية).

اللهجات العربية الكنعانية العمورية بفرعيها:

- اللهجة العربية الكنعانية العمورية الإبلانية؛
- اللهجة العربية الكنعانية العمورية الأجارتية.

اللهجات العربيات الآرامية بفروعها:

- اللهجة العربية الآرامية النبطية؛
- اللهجة العربية الآرامية التدمرية؛
- اللهجة العربية الآرامية المنعدية؛
- اللهجة العربية الآرامية الحضرية؛
- اللهجة العربية الآرامية السريانية؛
- اللهجة العربية الآرامية لمعلولا وبخعة وجبعدين.

اللهجات العربية العدنانية:

- اللهجة العربية العدنانية الفصحى؛
- اللهجة العربية العدنانية الثمودية؛
- اللهجة العربية العدنانية الصفائية؛
- اللهجة العربية العدنانية اللحيانية و(الديدانية).

اللهجات العربية القحطانية بفروعها:

- اللهجة العربية القحطانية السبئية؛
- اللهجة العربية القحطانية المعينية؛
- اللهجة العربية القحطانية الحضرمية؛
- اللهجة العربية القحطانية الأوسانية؛
- اللهجة العربية القحطانية القتبانية؛
- اللهجة العربية القحطانية الحميرية؛
- اللهجة العربية القحطانية الثمودية؛
- اللهجة العربية السينائية.

اللهجات القحطانية النقوشية والمحكية حتى الآن:

- اللهجة العربية القحطانية المهرية؛

- اللهجة العربية القحطانية الشحرية (الجبالية، الاحكيلية، الشحوحية)؛
- اللهجة العربية القحطانية السقطرية؛
- اللهجة العربية القحطانية الهوبيوتية؛
- اللهجة العربية القحطانية البطرحية؛
- اللهجة العربية القحطانية الحرسوسية.

اللهجات العربيات البربرية:

- اللهجة العربية البربرية اللوبية؛
- اللهجة العربية البربرية الأمازيغية؛
- اللهجة العربية البربرية الطوارقية؛
- اللهجة العربية البربرية الشلحية؛
- اللهجة العربية البربرية الريفية.

اللهجات العربيات المصرية:

- اللهجة العربية المصرية الهيروغليفية؛
- اللهجة العربية المصرية الديموطيقية؛
- اللهجة العربية المصرية الهيراطيقية؛
- اللهجة العربية المصرية القبطية.

ويبقى الباب مفتوحاً لكلّ اكتشاف لهجي أو نقشي[1]، أو للهجات المتقارضات مع اللهجات العربية، وهذا في حدود ما يمكن الوصول إليه باعتبار أنّ هذه اللهجات العربيات القديمة تنتمي في جذورها إلى **العربية الأم** ولكن تنقصنا بعض دقائقها فيكون احتياجنا لها للاستئناس أثناء دراسة الأصول الأولى للغة العربية.

---

[1]ــ محمد علي مادون "النقوش(النقائش) ومدوّنات اللهجات العتيقة وقصة المدوّنة العربية الموحدة لنقوش اللهجات القديمة بين الإهمال والإمهال" مطبوعة وزعت في ندوة (نقوش اللهجات العروبية القديمة ــ ليبيا ــ طرابلس 5ــ 10ــ 2005) مجمع اللغة العربية بطرابلس. ليبيا.

وأما المعجم التاريخي يتعلق فقط بدراسة اللغة الفصحى وبدايات تأسيسها، كما لا يمنع هذا من الرجوع إلى ما خُطّ على أوراق البردي♥ وما كان مكتوباً على الورق، وما حُقّق، وما يزال مخطوطاً وأن نجلي المادّة اللغوية من حروفها إلى جملها، ومن أفعالها إلى أسمائها، ومن جذورها إلى زوائدها ومتمّماتها، ومن أصولها إلى مستحدثاتها، من مرفوعاتها إلى منصوباتها ومن مجروراتها إلى مسكوناتها...

إنّ المعجم التاريخي هو ديوان لكلّ الأحداث، ولتاريخ اللغة العربية في مختلف التخصّصات، وسجل واقعي للمعارف والخبرات، وللحياة عامة بكلّ مظاهرها، فهو رصد دقيق لتوظيف الكلمات العربية في كلّ الكتابات في مختلف القارات، وتصفّح لمعاني الكلمات من خلال نصوصها وسياقاتها عبر الزمان بكلّ استفاضة وشمولية بتغطية كلّ المجالات، وبالرجوع إلى كلّ النصوص المحرّرة باللغة الفصيحة. ولا بدّ أن نقف موقفاً دقيقاً لشرح آليات المعجم التاريخي بكلّ تفصيل، وهاكم ما استطعت حصره:

أولاً: نضع في الاعتبار أنّ المعجم التاريخي للغة العربية ليس معجماً عادياً ولا موسوعة مطوّلة بل هو ديوان لغة العرب؛ باعتبار أنّ اللغة العربية أوسع الألسنة لكثرة انتشارها وشموليتها، وكتب فيه العرب وغير العرب.

♥ـ يقول محمود فهمي حجازي في بحث له مقدّم إلى الدورة الثانية والسبعين في مجمع القاهرة سنة 2006 "البرديات العربية من أهمّ مصادر المادة إعداد المعجم التاريخي للغة العربية، عددها في مجموعات البرديات في عدد من مكتبات العالم نحو مائة ألف ورقة بردى ومنها مجموعة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، طبع عدد منها في ستّ مجلدات، نشرها العالم النمساوي (آدولف جروهمان) وكان إعادة نشرها باكورة عملي في دار الكتب 1994م. هذه المجموعات وغيرها تناولتها دراسات لغوية شتّى، ولكنّها لم تستوعب في معجم لغوي للبرديات العربية التي تمثّل مرحلة مهمّة في تاريخ تعريب مصر، وفيها كلمات أصبحت من رصيد العربية في مصر، ومن حقّ المثقف أن يعرف تاريخها".

ثانياً: مراعاة خصوصية هذا اللسان؛ من حيث قدمه وعلاقته باللغات العروبية القُدمى، إلى جانب أنّه لسان الوحي والناموس.

ثالثاً: لسان له سلطان عرب الجنوب عامة، ولسان حمير خاصّة، ولسان عرب الشمال الذي أصبح مثالاً يُحتذى بعد القرن السادس الميلادي.

رابعاً: لسان فيه ألفاظ أُميتت، وألفاظ هُجّرت، وألفاظ تبدّلت وتغيّرت دلالتها ألفاظ تحتاج إلى قيد شواردها.

ومن هنا فإنّ المعجم التاريخي للغة العربية:

- يسجل كلّ لغات (لحون) العربية المكتوبة، بدءاً من القدامى، فيبدأ من تلك اللغة المدوّنة والتي تمتدّ جذورها من دوحة لغة عاد وطسم وجديس ويعرب وقحطان وجرهم وقطراء، وغيرها من القبائل العربية فيسجّل لغة عدي بن زيد في الحيرة، ولغة أمية بن أبي الصلت في الطائف، وكلّ من عاشوا في بلاد الحيرة وفي بلاط الغساسنة في الشام، معجم يسجّل ما توارثناه من عربية الرهبان واليهود والنصارى وأهل الفرس؛
- يعمل على تشقيق أثل اللفظ من فصيلة ما من فصائل اللغات المنتشرة على صعيد شبه الجزيرة العربية، ثمّ خارج الجزيرة العربية؛
- يولي مسألةَ التعريف الدلالية أهميةً خاصّة، ويعالجها من جميع جوانبها وهو لبّ الأمر في المعجم التاريخي؛ لأنّه يغوص في حمولة اللغة عبر العصور والأزمان، وما عرفته المادّة من تحوّلات في المبنى والمعنى؛
- معجم شامل كبير موسّع "يتقصّى معاني اللفظ في مختلف العصور والبيئات، ولدى كلّ الطبقات الاجتماعية؛ سواء كان اللفظ عربيا أصيلاً فصيحاً، أو كان

معرّباً أو دخيلاً، أو مولّداً. تذكر معانيه كلّها دون إهمال معنى منها، مع مقارنة هذه المعاني في لغتها الأصلية في المعرّب والدخيل بمعانيها في العربية[1]"؛

➢ معجم لا يتوخّى الاختصار؛ لأنّ غرضه تسجيل وتصنيف وعدّ وتحليل كلّ لفظ عربي؛

➢ معجم لا يترك الرسائل ولا التصانيف المطوّلة والأسفار الكثيرة، ولا يهمل الغريب؛

➢ معجم لا ينسى تلك التصانيف التي ما زالت رهينة القماطر حبيسة القراطيس؛ الموزّعة في خزائن المكتبات بجميع المخطوطات؛

➢ معجم لا يستثني المنظومات والألفيات، وسائر الصنائع السجعية والمقامات، وما نجده في الأسفار الأدبية والتاريخية والعلمية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية والنفسية، دون أن ننسى السيَر، وكتُب الطبقات وكتب المعارف؛

➢ معجم لا يترك كتب معاني القرآن، ومجازه، ومشكله، وإعجازه وغيرها من المصادر، سالكاً التأريخ من القديم، والتدرّج في التأريخ إلى الآن؛

➢ معجم يتتبع كتابات الأئمة وعلماء العربية السالفين واللاحقين والخالفين حسب التسلسل المنطقي التاريخي؛

➢ معجم لا يترك قول شاعر من الشعراء، فلا يترك لفظة شعراء المعلّقات وسائر الجاهليين والشعراء الجاهليين المثقفين، والشعراء المقلّين والمخضرمين، وسائر الشعراء القرشيين وشعر المجهولين والشعراء الأكثر احتجاجاً بشعرهم، بدءاً بالأدنى فالأدنى؛

---

[1]ــ عباس الصوري "في المعجم التاريخي" بحث ألقي في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2006.

- معجم تلعب فيه الشواهد الدور الهام، ومنها تختار المداخل، ومن سياقاتها تخرج معانيها ومنها نستدلّ على تطوّرها عبر العصور؛
- معجم لا يترك لفظة من الألفاظ المسماة بالوحشية والمتناهية في الغرابة والندود، قصد التماس الأصالة والفطرة؛
- معجم يعود إلى لغة النثّار والشعراء: صعاليكها وشذاذها وخلعائها وعماريطها والشعراء اللصوص؛
- معجم يلاحق كلّ صغيرة وكبيرة مهما تلاحقت الأعصار، وتواردت الدهور.
- وأتدلف من جانب آخر للقول: إنّ المعجم التاريخي للغة العربية رصيد كبير وعظيم جمّ وهام، ويحتاج إلى تدوين يضع حداً للخلافات الدلالية واضطرابها وخبالها، ومن حيث وزنها وإفرادها وجمعها.

1/2ــ خصائصه: يتناول المعجم التاريخي التحديد الدقيق للكلمات واستمرارها أو اختفاءها، كما يعمل على تحليل لغة كاتب/ شاعر/ قاص/ روائي/ عالم/ خطيب/ طبيب/ جرّاح/ طيّار/ مهني... وإحصاء مفرداته بكيفية آلية ويعرّف عبد المنعم عبد الله محمد المعجم التاريخي قائلاً "ديوان يجمع مفردات اللغة مرتّبة وفق نظام معيّن ومشروحة مع مراعاة التطوّر الدلالي للفظ، بدءاً بالمعنى الحسّي، وتدرّجاً معه عبر التاريخ في ضوء الشواهد المتنوّعة مع الإشارة إلى مظهر التطوّر قدر الإمكان[1]".

إنّ المعجم التاريخي المنشود يستفيد من مثالب المعاجم القديمة، رغم اختلافه عنهم فلا يقف عند عصر ولا يدرس الكلمة مجرّدة عن نصوصها، ولا يضيق متنه بكلّ ما دوّن في العربية، فيضمّ القديم كلّه ويستوعب الجديد المتوالي ويبقى مفتوحاً لتعاقب الأجيال، يعمل على دراسة المستوى الدلالي للغة في ضوء مباحث وقضايا

---

[1]ــ "المعجم العربي التاريخي (مفهومه ــ وظيفته ــ محتواه)"مجلّة المعجمية. تونس: 1990 العدد 5ــ6 ص: 160.

علم اللغة التاريخي؛ بالرجوع إلى كلّ النصوص العربية، والإشارة إلى مصادرها ويدلّنا على الاستعمال الأول، ومن مستعمله وأين، ومتى، ومدلول اللفظ، وشيوعه أو عدم الشيوع. وإنّ المعجم المنشود كذلك لا يقف عند حدود جمع التراث، بل أن يستجيب للمعاصرة ويكون شاملاً وسهلاً ومجيباً لكلّ المرغوب، باستغلال التقنيات المعاصرة "وممّا لا شكّ فيه أنّ التطوّر العلمي والحضاري والمعرفي الذي وصل إليه العالم اليوم، والتقدّم الهائل في وسائل البحث وأدواته، يضاف إلى ذلك الحاجة الشديدة إلى اختصار الوقت والحرص عليه؛ أمام التسارع الكبير فيما ينشر في اللغة اليوم وحاجة الباحثين إلى متابعة ما أمكن منه، كلّ ذلك وغيره يتطلّب إعداد معجم عربي معاصر؛ يواكب النهضة المعاصرة ويفي بمتطلباتها، ويعين الباحثين ولا يستهلك وقتاً طويلاً عند الرجوع إليه ويشمل على جميع الألفاظ ويعتمد منهجاً دقيقاً في إيراد المعاني وترتيب الألفاظ، ويفيد من التطوّر الثقافي لتسهيل عملية الرجوع إليه[1]"، هذا من جهة ومن جهة أخرى، علينا الاحتجاج بالتجارب الناجحة من مثل التجربة الناجحة لمعجم أكسفورد التاريخي الذي سجّل مفردات اللغة من حيث مبانيها ومعانيها تأريخياً، فقد غطّى مفردات اللغة الإنجليزية تغطية شاملة؛ حيث سجّل تاريخ استعمال الكلمة ونمو معناها وصلاتها، كما سجّل الكلمات المهجورة، وحدّد آخر استعمال لها.

إنّ المعجم التاريخي له صفات حدّدتها تلك اللقاءات العلمية التي قامت من أجل التعريف العلمي للمعجم التاريخي، وكما تعرّفه أدبيات المعاجم التاريخية عند الأمم التي سبقتنا في إنجاز معاجمها التاريخية، فهو يُظهر تطوّر دلالات الكلمات ويرتّب المادّة (المداخل الأساس) ثمّ الفروع (المداخل الفرعية) ويعتمد الجذور في

---

(1)ــ رئاسة الجمهورية السورية، الموسوعة العربية، علي أبو زيد "المعجم المنشود" ط1. دمشق: 2007 المجلد التاسع عشر، ص 76ــ77.

تصنيف المادّة. ويقترح محمد فهمي حجازي أنّ كلّ مدخل في المعجم التاريخي يحسن به أن يتضمّن المعلومات التالية:

أـ صيغة الكلمة وتدوينها.

ب ـ تأصيل الكلمة.

ج ـ نوعها من حيث أقسام الكلمة.

د ـ المجال التخصّصي لاستخدام الكلمة.

ه ـ مكانها التاريخي (بائد، مستعمل، عامي...).

و ـ صيغها التعريفية (الجمع، التصغير، النسب... إلخ).

ز ـ تاريخ أقدم نصّ وردت فيه الكلمة.

ح ـ دلالات الكلمة من خلال النصوص الموثّقة

ط ـ شواهد دالة على المعاني في ضوء نصوص من الكتب وترتّب تاريخياً وتكون قائمة الكتب المشار إليها في آخر المعجم[1]".

كما يظهر المعجم المعاني الحقيقية للألفاظ العربية في صورتها الأولى وفي مختلف تطوّراتها، وأثر الاحتكاكات اللغوية، وعامل الاقتراض من اللغات الأخرى ويستدعي الوصول إلى كلّ النصوص، وفي مختلف البلدان والبيئات ويتعرّض إلى كلّ المجالات والمفاهيم، وإلى المشترك، والمترادف، وإلى الصيغ المركّبة والمسكوكات، والاستعمال الحقيقي والمجازي، وغيرها من الصوَر البيانية.

3ـ أهدافه: يبدو لي بأنّ للمعجم التاريخي للغة العربية عدة أهداف، ويمكن تلخيصها في هذه النقاط:

- الاطلاع على كلام العرب وحضارتهم؛
- معرفة ما حصل من تطوّر في الدلالات العامّة والخاصّة لكلّ لفظ؛

[1]ـ "المعجم التاريخي ومتطلبات المثقف المعاصر" بحث أُلقي في الدورة الثانية والسبعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2006.

- ➢ معرفة ما هجر من ألفاظ وما استحدث؛
- ➢ معرفة المصطلحات ودلالاتها عبر الزمان؛
- ➢ معرفة المباني والمعاني والصيغ والتراكيب والجوانب البلاغية لألفاظ اللغة؛
- ➢ معرفة الحقول الدلالية لألفاظ اللغة؛
- ➢ معرفة اللفظ الأصيل والمولّد والأجنبي؛
- ➢ معرفة زمن استعمال اللفظ، ومن استخدمه، وأين، وفي أي عمل، وعدد تكراره؛
- ➢ الترسيخ العلمي للغة العربية، ووجود مدوّنتها الكبرى، وتغني عن كلّ المدونات العربية؛
- ➢ إنجازنا للمعجم التاريخي، يكون أرضية لاستخراج المعاجم الآلية المتخصّصة؛
- ➢ إفادة بمعلومات تخصّ الكلمة العربية عادية كانت أو مصطلحاً؛
- ➢ معجم يكشف عن تاريخ ظهور الكلمة، وبأيّ معنى، وما المصدر الذي وردت فيه، وما هي السياقات التي وردت، وما المجال المفهومي الذي تنتمي إليه وكيف تطوّرت دلالتها؛
- ➢ إفادة بمعلومات تخصّ الجذور؛
- ➢ إفادة بمعلومات أجناس الكلام؛
- ➢ إفادة بمعلومات عن الحروف والصيغ وما له علاقة بالعروض؛
- ➢ إفادة بمعلومات تخصّ الجانب الحضاري أو العلمي؛
- ➢ إفادة بكلّ ما له علاقة بالجانب اللغوي...

4 ـ إكمال الخطوات المنجزة في مجال المشروع: يجب أن لا نبخس بضاعة المتقدّمين في ما كتبوه عن المعجم التاريخي للغة العربية، أو كلّ عمل خدم أو يخدم جانباً من جوانب المعجم التاريخي سابقاً ولاحقاً فوجبت الاستفادة من كلّ الأفكار التي قُدّمت منذ أن كان المشروع حلماً أو تصوّراً، فالحضارة تبنى عن طريق

وضع لبنة إثر لبنة، فيجب أن نكمل العمل حيث انتهى الأوّلون والمتقدّمون. تقول الروايات بأنّ أفكاراً ظهرت قبل العالم المجمعي August Fischer (1865ــ1949) حول ضرورة إنجاز المعجم التاريخي، ولكن (لفيشر)– الأستاذ بجامعة ليبزج– فضل إثارة قضية المعجم التاريخي للغة العربية أمام المؤسّسات العالمية، وهذا أسوة بالمعاجم التاريخية المنجزة في اللغات الأجنبية، وكان هذا قبل انضمامه لعضوية مجمع القاهرة؛ حيث سبق أن "عرض مشروعه على جمعية فقهاء اللغة الألمان في مؤتمرهم بمدينة بازل سنة 1907م كما عرضه على مؤتمرين استشراقيين **بكوبنهاغن** سنة 1908م وفي أثينا سنة 1912م وعندما عرض مشروعه في **كوبنهاغن** وافقت اللجنة المجتمعة على القرار التالي "ترحب اللجنة الإسلامية لمؤتمر المستشرقين الأممي الخامس عشر(15) **بمشروع أ فيشر** الذي يرمي إلى تأليف معجم للغة العربية الفصحى يلائم روح العصر، ويعبّر عن موافقتها عليه بالإجماع[1]" كما نشير بأنّ المؤتمر الثاني قد حضره الأمير أحمد فؤاد وإليه يعود تكوين مجمع فؤاد الأول للغة العربية[2]". ولقد استفاد فيشر من أعمال مستشرقين، ومن نصوص مستقرأة، ومن مؤلفات ومخطوطات عربية قديمة، ومن التصوّر العامّ للمعجم التاريخي للغة الإنجليزية، ومن المعجم الفرنسي Littré، ومن ذلك بدأ يعدّ عدّته وخاصّة بعدما أصبح مدير القسم العربي الإسلامي لمعهد أبحاث الاستشراق "بدأ في تجسيد فكرته عام 1914م عندما صار مدير القسم الإسلامي لمعهد أبحاث الاستشراق، وقد استعان في جمع مادته ببعض تلاميذه، وبخاصّة (برجشتراير Bergstrasser) و(شخت J Schacht) (جمع الأول لغة القرآن والثاني لغة صحيح مسلم) وساعده (جروهمان A Grohmann) بالألفاظ

[1]ــ ع/ إحسان النصّ "مشروع المعجم التاريخي للغة العربية مسيرة وتاريخ" مجلّة مجمع اللغة العربية. دمشق: 2007، المجلّد الثاني والثمانون، الجزء الأول، ص 80.

[2]ــ محمد رشاد الحمزاوي "تاريخ المعجم العربي (متع) في نطاق العربية: المبادرات الرائدة" مجلّة المعجمية. تونس: 1990، وقائع ندوة (المعجم العربي التاريخي: قضاياه ووسائل إنجازه) نوفمبر 14ــ17 نوفمبر 1989.

التي عثر عليها في أوراق البردي العربية القديمة، وأهداه (كرنكـو F Krenkow) مجموعة من مفردات اللغة الواردة في الشعر العربي القديم[1]". ومن يومها يجمـع المادّة، وقد استوفى قسماً منها، وفي سنة 1936م يعرض فكرته على مؤتمر مجمع القاهرة وأعطى له المجمع الضوء الأخضر لمواصلة مشروعه بكلّ عفوية، حتـى لقبوا هذا المعجم باسمه في أول الأمر (معجم فيشر الخاصّ) ولقد بذل **فيشر** جهـداً لوضع معجم عربي على هذا الأساس وقضى أربعين (40) سنة في جمـع مادتـه وتنسيقها حيث لقي عمله اهتماماً في جميع البيئات العلمية. وعهد إليه مجمع اللغة العربية بنشر هذا المعجم، ولكن الموت حال بينه وبين إتمام عمله. وقد أحياه بعـد ذلك من الألمان الأساتذة: (**شبيتالر، وكريمـر وأولمـان**) فـي جامعـة **تـوبنغن Tubingen** فقاموا بجمع المادّة التي تركها فيشر وغيره من العلمـاء، واسـتعانوا بعدد من أهل التخصّص في هذا الميدان، وخرجت أول كراسة من تلـك الأعمـال سنة 1957م (من أول حرف الكاف). ولكن عمل هؤلاء الأساتذة لم يكن يسير على منهجية فيشر، فلهم تصوّر مخالف يقرب إلى صيغة المعاجم المتخصّصة لا غير.

لقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد وفاة **أوجست فيشر** جزءاً صـغيراً كما نشر "المقدمة التي كتبها **فيشر**، وقسماً من حرف الألف إلى مادة (**أبـد**) إلـى جانب نشره لنموذج أعدّه في صورة تقرير عن المعاجم العربيـة المقدّمـة، وفيـه الدعوة إلى وضع **معجم لغوي تاريخي**، ولقد حدّد تصوّره لما ينبغي أن يكون عليه المعجم التاريخي للغة العربية؛ حيث يشتمل على كلّ كلمة وجدت في اللغة العربية بلا استثناء، وتعرض كلّ كلمة حسب وجهات نظر سبع هي: **التاريخية الاشتقاقية التصريفية، التعبيرية النّحوية، البيانية، الأسـلوبية**[2]. ويلخـصّ محمـد رشـاد

---

[1]ــ أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجمع، ط1. القاهرة: 2002، عالم الكتب، ص 305.

[2] ــ لمزيد من التفصيل ينظر النموذج في أمانة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وينظر التفصيل فـي عمـل قدّمه حلمي خليل في مجلّة المعجمية التونسية حول (وقائع المعجم العربـي التـاريخي: قضـاياه ووسـائل إنجازه) تونس: 1990، مجلّة جمعية المعجمية، العددان 5ــ6.

الحمزاوي فكرة فيشر من خلال الوجهات السبع بأنّــه "...أراد أن يقــدّم تصــوّره للنصّ المعجمي التاريخي، ولقد ركّز تصوّره علــى مفهــومي الجمــع والوضــع وخصّص للجمع نصيب الأسد، فلقد طرح مسألة التعريف الــدلالي فــي الوجهــة التعبيرية، وأضاف إليها التعريفات الاشتقاقية. ومن ضــمنها التعــاريف الصــوتية والصرفية والنّحوية والبيانية والأسلوبية، ممّا يوحي إلينا أنّه أراد أن يلــمّ بجميــع عناصر النصّ المعجمي في جميع أبعاده، مع التركيز على النواحي المهمّة من كلّ تعريف مثال ذلك الاهتمام بالصيغ الشاذة والاحتجاج بشواهد عدة[1]". وعلى الرغم من أنّ معجم **فيشر** لم يخرج إلى حيّز الوجود؛ فإنّ اهتمامه بنشــر معجــم للغــة العربية قد حمله على التنقيب في أمّات كتب النّحو العربي، وشروح شواهده لجمــع المادّة اللازمة لبدء عمله. و"كانت حصيلة ذلك كتابه (الشواهد النّحوية) الذي نشره في سنة 1945م وهو يعدّ أداة طيّبة لدراسة هذه الشواهد[2]". إنّ للعــالم **أوجســت فيشر** تكويناً جيّداً في مجال المعجمية، ويبدو أنّه كان ينوي بنــاء معجمــه علــى منهجية معجم أكسفورد للغة الإنجليزية OED، ومن هنا كان تصوّره يقــوم علــى بناء **المعجم اللغوي التاريخي** للغة العربية، فقد ســنّ منهجيــات لعــلاج المعجــم التاريخي وحصرها في **سبع وجهات نظــر** واعتمــد كــلّ النصــوص المكتوبــة والنقائش؛ بدءاً من نقيشة النمارة في القرن الرابع الميلادي، وكذلك المخطوطــات مهما كانت اختصاصاتها ومبانيها.

ومهما يكن من أمر إطلاق تسمية معجم **فيشر المعجم اللغوي التاريخي** الــذي يراه بعض الباحثين ثابتاً بهذه التسمية، والتي لم نجدها خلال بحثنا، وحيــث يــرى بعضهم أنّها من بين المثالب التي تسجّل على عمل فيشر، إلى جانب أنّــه معجــم تاريخي للآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري فقط أي يتعلّق فقط بعصر

---

[1]ــ النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي، د ط. تونس: د ت مؤسّسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، ص 239.

[2]ــ مجمــع اللغــة العربيــة، المجمعيــون في خمســة وسبعيــن عــاماً. القاهرة: 2007 ص 576ــ577.

الفصاحة. ومهما تقوّلت الأقوال حول الفعل العلمي والحضاري الذي قام به فيشر فإنّ ما تركه يعدّ وثيقة هامة لابدّ من الوعي بها. ولا بدّ كذلك أن يؤخذ البعض منها موضع الحسبان في منهج العمل الطموح، **ولفيشر** الفضل الكبير في أنّه أعطى فكرة تدوين المعجم التاريخي للغة العربية، وينبغي وضعها موضع التقدير.

إذاً كانت فكرة إصدار المعجم التاريخي مشروعاً منذ ثلاثينيات القرن الماضي عندما تأسّس مجمع اللغة العربية سنة 1932، وقد وضع ضمن أهدافه فكرة إنجاز المعجم التاريخي الذي يؤرّخ لكلّ ألفاظ اللغة العربية بدءاً من العصر الجاهلي إلى الآن، فنصّ المرسوم التأسيسي للمجمع في المادّة **ب** على "**أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيّر مدلولاتها**[1]" وهذا تماشياً مع اللغات الحيّة التي عملت على إنجاز معاجمها التاريخية من مثل: معجم أكسفورد للغة الإنجليزية، والمعجم التاريخي للغة الفرنسية، ومعاجم كثيرة للغات... وهذه الفكرة كانت حلم بعض المثقفين العرب الذين رأوا أهمية إنجاز هذا المعجم، وهذا ما علّق عليه رئيس المجمع (محمود حافظ) بقوله: "أمنية قد تبدو بعيدة المنال، ولكنّها عزيزة غالية، كثيراً ما طافت بأخيلتنا وداعبت أحلامنا وهي التصدّي لإنجاز معجم شامل عملاق في مختلف فروع العلم والمعرفة، تتكاتف في عمله الدول العربية ومجامعها اللغوية وجامعة الدول العربية التي سبق لها أن أسهمت بجهود معجمية في هذا السبيل[2]". ورغم هذا الحلم إلا أنّ الفكرة قد تتجسّد إذا كان وراءها طالب، فهذا الأستاذ مراد كامل ينبّه إلى ضرورة وضع معجم تاريخي للغة العربية وهذا من خلال المقدّمة التي كتبها في كتاب جرجي زيدان (اللغة العربية كائن حيّ) ويقول: "ومن هنا نرى أنّ النقص في دراسة تاريخ اللغة العربية واضح، إذا وازنّا بين ما تناولته كتب اللغة في الواقع، وما كان ينبغي أن نتناوله... فمهمّة العالم اللغوي أن يحصر الألفاظ ويجمعها كلّ كلمة على حدة، عن أصلها واشتقاقها، وعن درجة قدمها وعن وجودها في اللغة العربية

---

[1]ــ إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً. القاهرة: 1962، ص 62.

[2]ــ كلماتي مع الخالدين. القاهرة: 2006، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص: 101.

وحدها، أو اشتراكها فيها مع أخواتها السامية أو بعضها، وعن مصدرها إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولّدة... ومن تغيّر شكلها أو معناها، وبهذا يكون لكلّ كلمة في اللغة تاريخ وترجمة لحياتها ويتكوّن المعجم من هذه الكلمات وتواريخها[1]". وإذا كان هذا رأي الأستاذ مراد كامل فهو مصيب في قوله والذي كان يجب أن يؤخذ مأخذ الجدّ في البداية لكسب الوقت. ولا نعدم الجهد العلمي الذي قام به مجمع اللغة العربية من خلال الدورات الثلاث لدراسة المعجم التاريخي وهي:

- الدورة الواحدة والسبعون؛
- الدورة الثانية والسبعون؛
- الدورة الثالثة والسبعون.

وما قامت به الجمعية المعجمية التونسية من بحوث هامة في ندوة لها حول: المعجم العربي التاريخي: قضايا ووسائل إنجازه. كما لا نغفل الجهد العربي المتميّز للأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في مشروع: **الذخيرة اللغوية**، والذي أصبح يسمى (**الذخيرة العربية**) بعد أن نال موافقة جامعة الدول العربية في الدورة السادسة عشرة (16) بالجزائر سنة 2005 (إنترنت عربي♥). ولا ننسى أنّ

---

[1] ـ ينظر مقدّمة كتاب جرجي زيدان.

♥ـ هناك نقاط تلاق بين المشروعين، وكان يجب التنسيق بينهما كي لا تتكرّر الأعمال ويمكن الإشارة إلى المواصفات العامة للذخيرة العربية: ما يخزّن من شيء نفيس يلتجأ إليه وقت الضرورة، وما يخزّنه العلماء والباحثون من نصوص قديمة وحديثة في ذاكرة الحاسوب أي فهرسة كامنة شاملة شبكية لكلّ ما أنتجه الفكر العربي من الجاهلية إلى يومنا هذا فتتيح البحث عن مفردة أو صيغة أو بنية أو تركيب أو عبارة جامدة، أو أيّ شيء يخصّ اللغة في نصّ واحد أو عديد النصوص، بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتّى الميادين. وسيُلبى طلبُك في سرعة الضوء؛ للعثور على المعطى العلمي الدقيق والمضبوط وعن السياق، ومدى تكرار الكلمة أو النصّ في نصّ واحد أو عدة نصوص، وهذا كلّه يتمّ بوجود منطاق (Logiciel) متطوّر أُعدّ لهذا الغرض، يعمل على الإجابة عن أيّة معلومة مطلوبة؛ حيث تلمس أزرار الكپتار بتقديم سؤال، فيجيب بكلّ دقّة وفي أسرع ما يمكن.

مشروع الذخيرة العربية قد وضع موضع التنفيذ في الحيازة، وقد خزّن منه الكثير والمشكلة فيه أنّ جهده توزّع على كلّ دولة عربية؛ فكلّ منها تقوم بتخزين منتوجها، وكذا تمويل العاملين عليه، ويبدو لي بهذه الطريقة سوف **يضيع دمه بين الدول العربية** كما يُقال، لأنّ هذا ما يعيق سرعة إنجاز العمل، وعدم المتابعة. ولا ننسى الآن ما ينجز في كثير من البلاد حول تاريخ اللغة العربية، ومنها المشروع الذي تنجزه فرقة بحث في جامعة إسرائيلية ثمّ ما ينجز في بلاد الخليج، وما أنتجته وزارة المعارف السعودية، وما تقوم به بعض الشركات في حوسبة بعض المدوّنات مثل شركة صخر للإعلام الآلي وشركة العالمية، وشركة التراث في الأردن، ومما يقوم به بعض الأفراد الخواص، مثل مدوّنات شركة نبيل علي، إضافة إلى تلك الندوات العلمية التي أنجزت في بداية الألفية الثالثة؛ ومن ذلك نجد اللجنة الرباعية المشكّلة من: **إبراهيم بن مراد، محمد حسن عبد العزيز، علي القاسمي، أحمد بن محمد الضبيب**؛ الذين قدّموا جهوداً كبيرة عبر لقاءات علمية، وتوصّلت هذه اللجنة إلى تقديم الخطوط العامّة لهيأة المعجم التاريخي، كما أنّ الأستاذ محمد حسن عبد العزيز قد ألّف كتاباً حول المعجم وسَمَه (المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج) وفيه يحكي قصة حبّه وعشقه ودفاعه عن المعجم التاريخي. فكتابه قصة منافحة منذ مدة عندما كان يوجّه طلابه للتخصص في قضايا المعاجم، وقد ناقش تحت إشراف ثلّة من الباحثين الذين قدّموا مفاتيح كبرى للمعجم التاريخي، وله أفكار هامة يستفاد منها. ولا بدّ من الاستفادة بقوّة من مشروع الخطّة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية التي أعدّها الأستاذ علي القاسمي♥، بتكليف من اللجنة

♥ـ عندما نقول علي القاسمي في مجال المعجم نشير إلى أنّ له دراسات معتبرة في علم المعاجم ومقالات منشورة في مجلات دولية من مثل: مجلّة اللسان العربي، مجلّة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، مجلّة الجمعية المعجمية التونسية، مجلات المجامع... كما أنجز عملين معجميين هامّين وهما:

1ـ علم اللغة وصناعة المعجم، ط 1، 1975.

2ـ معجم الاستشهادات 2001.

الرباعية في لقائها بالقاهرة يومي 4-5 مايو 2006 فهو خطّة إجرائية شاملة جامعة مانعة، ويجدر التنويه بها لما لها من شمولية ودقّة علمية.

ومن خلال هذا التأريخ يجب الاسترشاد بتلك الأفكار، ليتواصل العمل بعمق ولا نبدأ في كلّ مرّة من جديد، أو نعود إلى نقطة الانطلاق، **فنعم للمراجعة لا للتراجع.** ويحقّ التنويه في هذا الوقت بالحراك العلمي الذي أبداه اتّحاد المجامع اللغوية العربية في ترسيم هيأة المعجم التاريخي للغة العربية. ولا جدال اليوم في أنّ مشروع المعجم التاريخي للغة العربية ضرورة قومية كبرى، ويستدعي الوقت الخروج من التنظير والأماني إلى الملموس، بعدما وقع الإحساس بالحاجة إلى هذا المعجم مع الألفية الثالثة وخاصّة ونحن نملك الوسائل والطاقات البشرية التي بها يمكن الشروع في إنجاز هذا المشروع المعطّل، والآن أصبحنا نملك **هيأة المعجم التاريخي** التي يجب أن تعضدها مؤسّسات أخرى بالتشجيع والتمويل والمساعدة العلمية أو التقنية، كما يتطلّب المساهمة فيها كلّ من العلماء من مختلف التخصّصات.

5 ــ رفع الصعوبات: قبل الغوص في أعماق الموضوع يجدر بي الوقوف عند بعض الصعوبات التي تبدو لي بأنّها تحتاج من البداية إلى الرفع النهائي كي لا يلتبس الأمر ويبدو لي بأنّ رفعها باب من أبواب وضع أرجلنا على الأرض الصُلبة، وباب من أبواب الانشراح والنجاح في العمل، وهي:

1/5ــ الاقتناع بأنّ المعجم التاريخي لا يُغني عنه المعجم الكبير: هناك من لم يقتنع بفكرة إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، على أساس أنّ مجمع القاهرة ينجز الآن المعجم الكبير فهو يُغني عن المعجم التاريخي كما يرى الأستاذ ناصر الدين الأسد؛ والذي يقول: إنّ **فيشر** بفكرته إنجاز معجم للغة العربية لبّه أن يلائم روح العصر، ويفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر، ولم يستعمل (المعجم التاريخي) ومن هنا فإنّ المعجم الذي أراده فيشر هو معجم كبير للغة العربية الفصيحة يفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر، فيريد **فيشر** معجماً كبيراً لا يفتقر

إلى ما تفتقر إليه المعاجم السابقة من مادة لغوية. ويواصل –ناصر الدين الأسد– بأنّ استعماله –فيشر– لكلمة (التاريخي) دون أن يقرنها بما يحدّها بل جعلها في ثنايا كلام آخر يفهم منه أنّه يقصد جمعاً مستقصياً للألفاظ في محيطها التاريخي التراثي المستعملة في كتب المعارف والعلوم العربية والإسلامية وعم الاقتصار على ما ورد في المعاجم المؤلفة منذ العين إلى المعاجم الحديثة...[1] إنّ الأستاذ ناصر الدين الأسد قد يكون محقاً من وجهة أنّ فيشر أشار إلى تطوّر الكلمة تاريخياً؛ وهذا عبر العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وأنّ ما نشره ليس معجماً تاريخياً بل معجم كبير للغة العربية؛ لأنّه كان محدداً بزمن دقيق. ولكن يجب أن نربط الأمور ببعض القضايا الأخرى؛ ففكرة المجمع المصري لم تكن مثل ما كان قد خطّطه فيشر، بل كان يخطّط لاستكمال بدايات **فيشر**، والفكرة كانت قائمة بعد وفاة **فيشر**؛ إلا أنّ الإمكانات لم تسعف المجمع مواصلة العمل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن نعمّق مفهوم **الوجهة التاريخية** عند **فيشر**، والتي أنزلها المنزلة الأولى ففي مقدمة المعجم يوضّحها كما يلي: "فالوجهة التاريخية للكلمة تجاوز كل وجهات النظر هذه في القمّة ذلك لأنّه إذا أخذنا اللغة على أنّها دائمة التطوّر فلا شكّ أنّ لكلّ كلمة تطوّرها التاريخي الخاصّ. ويجب أن يوضّح هذا التطوّر التاريخي بمقتضى ما لدينا من وسائل، وهذه الوسائل قاصرة، ونحن – في الواقع– ملزمون بأن نقتصر على استغلال موارد ومصادر كثيراً ما تكون متعارضة وغير وافية، لذلك وجب الحرص والعناية بتقييد كلّ كلمة وعبارة وصلت إلينا فعلاً والانتفاع بها؛ وليس معنى هذا أنّ من الضروري إثبات كلّ الشواهد التي وردت على كلمة ما في المعجم، إذ إنّ هذا قد يؤدّي إلى البلبلة عند إثبات كلمة كثيرة التداول. كما يتطلّب تطويلاً لا موجب له، بل يجب الاقتصار على إثبات الشواهد ذات الطابع الخاصّ أعني تلك التي تدلّ بحال من الأحوال على الأطوار

---

[1]ـ ينظر البحث الذي ألقاه في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 2006 والموسوم: المعجم الكبير للمجمع يُغني عن المعجم التاريخي اللغوي (بتصرّف).

التاريخية للكلمة، إلا أنّ التحقّق من استخراج هذه الشواهد ذات الطابع الخاصّ لابدّ من إمكان مراجعة كلّ المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة، فإنّه بهذا وحده يمكن تحديد قيمة كلّ شاهد لمعرفة الأطوار التاريخية العامّة للكلمة وتراكيبها[1]". فواضح جداً أنّ **فيشر** أشار إلى تطوّر الكلمة وإلى الترتيب التاريخي رغم المحدّدات التي خصّها في حدود زمانية معيّنة ولكن لا يُغني المعجم الكبير في صورته الحالية عن المعجم التاريخي للغة العربية، ويجب أن نقيس ذلك على معجم أكسفورد للغة الإنجليزية؛ فهذا المعجم شامل يغطي كلّ مفردات اللغة الإنجليزية مع الإتيان بالشواهد الموثّقة، لذلك بدأً من سنة 1150م حتى صدور آخر طبعة 1970م فقد سجّل كلّ الألفاظ التي استعملت وبقيت، والتي هجرت، وجلّ طرائق هجائها المختلفة عبر القرون، إضافة إلى ما تقدّمه المعاجم من استعمال وبيان مختلف التغيّرات.

2/5ـ الأخذ في الحسبان طول النفس في الإنجاز: يجب أن نعلم مسبقاً بأنّ المدة الزمنية لإنجاز المشروع ستكون طويلة، وسوف تمرّ حكومات وحكومات ويأتي جيل أو جيلان أو أكثر، وأنّ المدة التقريبية أو الاحتمالية يصعب تحديدها وخاصّة في المراحل التأسيسية التي هي المنطلق، أو باب الدخول في الصناعة المعجمية، ولكن تطوّر اللسانيات، وعلم المعجمية، وصناعة المعاجم، ودخول الآلات العملاقة، من شأنها أن تقصّر المدة وتيسّر عملنا، فليس تدوين المعجم التاريخي معجزة الآن أمام معطياتنا المادية والفكرية والآلية وخاصّة إذا كان العمل على شكل فرق متنوّعة؛ وكلّ فرقة لها مهمّتها المحدودة، وندخل حرفة الصناعة المعجمية، وبذلك نستدرك التأخير ونعلم أنّ أمماً قضت سنوات وسنوات في تدوين معاجمها التاريخية، ولم تسجّل كلّ تاريخها، بل حدّدت فترة ضيّقة مثل القرن الفلاني لا غير، وهذا ما

---

[1] ـ أ فيشر، مقدمة المعجم التاريخي، ص 23.

ينطبق على القاموس التاريخي للغة الفرنسية التي لم تمسح كلّها واستمرّ العمل فيه ستين عاماً، كما أنّ المعجم التاريخي للغة الألمانية دام العمل فيه قرناً. ومن جهة أخرى يجب العلم بأنّ الزمن الحاضر كفيل بربح الوقت، وكسب رهان الإنجاز في وقت لا يطول مثلما عرفته المعاجم الأجنبية ونحن نعيش عصر التدفّق المعلوماتي، وعصر السرعة وعصر الآلات العملاقة التي تعمل على تقليص الوقت، ولكن يجب أن نعلم بأنّ هذا التقليص غير مبني على عمر دقيق "وخاصّة إذا علمنا أنّ (معجم أكسفورد) الإنجليزي استغرق إنجازه سبعين سنة، وضمّ أكثر من ثلاثة ملايين ونصف شاهد لغوي، وإذا علمنا أنّ المركز القومي الفرنسي في (نانسي) جمع في عشر سنوات(10) حوالي مائتين وخمسين مليون(250.000000) شاهد بمعدّات إلكترونية، وإذا علمنا أنّ معجم (روبار الكبير) يحتوي على مائة وعشرين ألف شاهد، وإذا علمنا أنّ المعجم عامّة يطعّم باستمرار فمثلاً بين طبعة معجم (فيهر) الأولى سنة 1958م وطبعته الرابعة سنة 1970م زيدَ رُبعُ المداخل تقريباً، وإذا علمنا أنّ تأليف المعجم يتطلّب معرفة بعلم المفردات أي (المعجمية) Lexicologie ومعرفة بصناعة المعجم أي المعاجمية Lexicographie اتّضح لنا أنّ المعجم عامّة أصبح عملاً مؤسّساتياً لا فردياً[1]". وفي هذه النقطة يمكن معارضة الواضعين للقانون بإطلاق التسمية على هذا المشروع اسم (الهيأة) وهذا يتنافى مع طول نفس المشروع ويحتاج إلى إطلاق تسمية (**المؤسّسة**).

3/5 ـ رصد كاف وكامل للتمويل: للمشروع نفس طويل، بمعنى أنّه يحتاج إلى تغذية تمويلية أقوى ورغم السخاء الذي قدّمه الأمير سلطان القاسمي، يبدو لي لا يكفي ذلك بل يحتاج إلى تمويل وهبات الأفراد وموازنات الدول وأموال المؤسّسات

---

[1]ـ أحمد العايد "دائرة المعارف الإسلامية أصل من أصول المعجم العربي التاريخي" مجلّة المعجمية. تونس: 1990، العدد الخاص بندوة: وقائع ندوة (المعجم العربي التاريخي: قضاياه ووسائل إنجازه) (5ـ6) ص: 56.

والمجامع، وأن تَقْتَطِع كلّ دولة عربية جزءاً مــن موازنتهــا لضــخّه فــي هــذا المشروع، وأن يكون التمويل وافراً ومغدقاً. ولا يعني الإغداق هنا التبذير، بل مــن الأهميّة بمكان أنّ أمثال هذه الأعمال ترصد لها ميزانيات مسبقة تكون في متنــاول الباحثين والكَتَبَة والمدقّقين والمراجعين، وكلّ من يقوم على أمــر هــذه المؤسّســة وهذا عن طريق دفاتر المهام والعقود التي تبرم مع المتعاملين كلّ في اختصاصه.

4/5 ـ كيفية الحصول على الكميّة الكبيرة من المعطيــات والمــدوّنات مــن العصر الجاهلي إلى الآن: إنّ المعجم التاريخي فهرسة كامنة شاملة لكلّ ما أنتجــه الفكر العربي أو العالمي باللغة العربية من الجاهلية إلى العصر الحاضــر، وهــو أوسع من الموسوعات ودوائر المعارف كلّها، فمادته تهفو إلى السعّة، وتضمّ كــلّ الألفاظ، والمعالجة يغلب عليها **الطابع الدلالي والتنوّع السياقي في ضــوء التتبّــع الامتدادي عبر العصور**، ومن هنا فلا بدّ من تصوّر أولي مضبوط عن المــدوّنات التي تُدرج في متن المعجم، وقد أبانت الأبحاث الجادة في هذا الشأن بــأنّ البدايــة تكون من سنة 200 قبل الإسلام، أو ما يسمى بالعصر الجاهلي إلى القرن الثــامن عشر الميلادي (18 م)، وحدّدوه بموت الزَّبيدي 1206 هـ. في هذه **المدة الزمنية الأولى** لا يكون المعجم نمطياً انتقائياً، فلا يفاضل بين المواد، بل يسجّل كلّ مكتوب وكلّ لفظة عرفتها العربية واستخدمتها منذ عهد نقوشها إلى التاريخ المذكور، فــلا يهمل النثر مهما قلّ، ولا يفاضل شعراً على شعر مهما كثر، بل هو مسح عام لكلّ قول مكتوب باللغة الفصحى♥. والأحرى الوصول إلى:

- النقوش الموجودة والتي استطاع البعض تشفيرها، وهي قليلة على كلّ حال؛

♥ـ لا يعني عدم إدراج العاميات معناه إلغاء وإسقاط جزء هام من الذخيرة، أو أنّ الدارجات دنسٌ مهجــورٌ أو لا يعتدّ بها، بل إنّ المرحلة الراهنة تقتضي الاهتمام باللغة العربية الجامعة والآحادية التي هــي ديواننــا الأول، ومستقبلنا المشترك، وفيها دوّن آباؤنا غُرر مفاخرهم وآدابهم ولم يبدعوا إلاّ فــي ظــلّ هــذه اللغــة الفصيحة، وقد يكون الاهتمام ببعض الدارج لردّه إلى فصيحه أو إلى أصله، وكيــف حــدث فيــه تصــرّف وأسباب ذلك الانحراف. وأما إذا وقع الاهتمام بالدارج فأيّ دارج نعتمده في العالم العربي والدارج دوارج.

- الألواح والنقود التي عليها الكتابات الأولى؛
- المصادر الأولى منذ بداية عصر التدوين والتي تعود إلى بداية سنة 48 هـ؛
- المراجع التي قامت على المصادر بعد ذلك؛
- كلّ الدواوين المنتجة في هذه الفترة؛
- كلّ المعاجم التي أُنجزت؛
- كلّ الموسوعات؛
- كلّ دوائر المعارف؛
- كلّ إصدارات المراكز العربية والأجنبية عن اللغة العربية؛
- كلّ المدوّنات التي سُجلت أو طُبعت،
- كلّ ما خُزّن في الشابكة، أو ما سُجّل على الأقراص؛
- كلّ الرصيد اللغوي الوظيفي المغاربي، والرصيد اللغوي العربي؛
- كلّ مخزون الذخيرة العربية، ومدوّنات صخر، ومدوّنة مركز جمعة الماجد ومدوّنة المسبار ومدوّنة موسوعة الشعر العربي، ومدوّنة الورّاق، والتراث ومدوّنات المعاجم لمختلف المراحل الدراسية ومدوّنات قيد النشر...

وأمّا **المدة الزمنية الثانية**، فتكون من القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحاضر وهذه الفترة غزيرة في الإنتاج، ومتشعّبة في التخصّصات، ونجد فيها الجبال من المؤلفات ولا تعامل مادة هذه الفترة معاملة الأولى؛ فهي فترة كثر الإنتاج وتشعّب وخاصّة الصحف فيصعب متابعة كلّ إنتاج العصر وفي كلّ اختصاص، ومن هنا يقع الاختيار والانتقاء في كلّ المواد، وهذا لعدة عوامل:

- فترة غير مؤسّسة، فالمادّة الأصل في الفترة الأولى، وقد أخذت بالاعتبار دون انتقاء؛
- فترة تحتاج إلى عيّنات نوعية تكون هي المرجع والشاهد على لغة العصر الحاضر؛

➢ فترة تأخذ في الاعتبار لغة الصحافة التي أعطت للعربية الدفع القوي من النماء اللغوي؛

➢ فترة تدفّق سيل حاجات الحياة من الحضارة الغربية؛

➢ فترة تحتاج إلى أخذ العينات من الاجتهادات العلمية التي ظهرت في كلّ الدول العربية بعد الرجوع إلى المصادر الأساس والتي يقع الاتّفاق عليها من قبل المجلس العلمي.

5/5 ــ الرهان كلّ الرهان على وضع مناطيق (Logiciels) لعملية الحيازة والمعالجة والاسترجاع: في عصرنا الحاضر يجب أن لا يكون العمل بالجذاذات أو بالطريقة التقليدية، ونحن تغمرنا الآلات الحديثة والمناطيق المتطوّرة (البرمجيات). وبات حرياً بأنّ التحكّم في وضع المنطاق القارئ والمدرك للرصيد اللغوي العربي ويكون عالي السرعة والمعالجة، وبمحرك عربي متطوّر ويستجيب للمعالجة الآلية للنصوص العربية هو أمر ضروري قبل الانطلاق، فكلّ ذلك يسهّل كلّ العمليات ويدرك المصطلحات ويعرف التغيّر الدلالي، ويسقط المكرور ويتدرّج في المادّة. نحن بحاجة إلى منطاق متطوّر، وإلى أجهزة تستطيع تخزين الكمّ البلاييني من المعلومات، وتستطيع استعادتها تحت الطلب، وتنظيمها، وعدّها وإعطاء مدلولها وما طرأ عليها من تطوّر.

أؤكّد بقوة بأنّ الرهان المعاصر يقف في مدى استغلال هذه التقنيات للتخزين والعدّ والمعالجة التي تتطلّبها عمليات السرعة، أمام الكمّ الفيضاني المعلومات وللتراث الذي له عمق تاريخي كبير، ولكن لا يعني هذا إلغاء عمل البشر، فالآلات نحتاجها، ولكنّها لا تعوّض العنصر البشري تماماً، بل نحتاج إلى عناصر بشرية كثيرة تكون كفأة في عملها، فهي التي تدقق وتصحّح. وأمّا نقطة (استغلال التقنيات) فتحتاج إلى لقاء تشاوري بين رؤساء الوحدات ومجموعة من الحاسوبيين؛ حيث يشرح رؤساء الوحدات:

➢ معنى المعجم التاريخي: لغة اصطلاحاً؛

- عملية التخزين؛
- عملية المعالجة؛
- عملية الإحصاء؛
- عملية تطوّر الألفاظ؛
- عملية طرح المكرور؛
- عملية الاسترجاع؛

...

أي إنّ المعنيين بأمر الوحدات لهم تصوّر مبدئي عن ميكنة المعجم التاريخي فالأحرى أن يشرحوا فكرتهم للحاسوبين بغية وضع منطاق حسب الأفكار التي يقع التفاهم حولها، تسهيلاً لعملية التخزين، وهي العملية الأولى التي يجب أن يعدّوا إثرها متخصّصين في مجال الحيازة. وعلى الحاسوبيين أن يعملوا على برمجة آلية سواء على مستوى الحيازة اليدوية، أو الحيازة عن طريق الإنترنت، أو باستعمال الأقراص الممغنطة (C D) أو بالماسح الضوئي. وعليهم كذلك أن يجعلوا المناطيق قابلة للتطوير، ومفتوحة على احتمالات لاحقة تعمل على التطوير والتحسين والتصحيح؛ حتى تستجيب بشكل كامل لآليات المعجم التاريخي، هذا من جانب ومن جانب آخر، لا بدّ أن تقع الاستفادة من الصناعة المعجمية والاستعانة بالتجارب الناجحة.

الجزء التطبيقي

هو الجزء المكمّل للنظري؛ باعتباره تطبيقاً لحيثياته، ويتطلّب هذا الجزء الشروع في الإجراءات وتطبيق المنهج العلمي، خاصّة بعد وضوح الرؤية العامّة لمفهوم المعجم التاريخي الذي نكرّر القول في صفاته العامّة بأنّه: **جمع المدوّنة العربية باستقراء كلّ النصوص استقراءً؛ يتتبّع التطوّر التاريخي**. والأحرى بنا اتباع المنهج التأصيلي التاريخي المقارن للنصوص التي سوف تُنسخ، ولا ننسى المنهج الوصفي؛ حيث يصف كلّ النصوص والوحدات بالنظر إلى سنة ورودها

وتُحذف الاستعمالات المكرّرة ثمّ تُدوّن المعاني الجديدة فقط، بالاحتفاظ بالأقدم من العصر الجاهلي إلى وقتنا الحالي. كما يدرس المعجم نشأة المادّة وعروبتها أو تعريبها، وما يتّصل بها من عوامل النطق ويرتّبها تأريخياً بحسب ظهور الصيغ مع تقديم المبني على المعرب، والثنائي على الثلاثي والثلاثي على الرباعي والرباعي على الخماسي، واللازم على المتعدّي، والمعلوم على المجهول والمجرّد على المزيد، وكلّ التغيّرات الطارئة من خلال حروف الزيادة... ولا يتجاوز ذكر الأصوات، وما طرأ عليها من تغيّرات كما لا يتجاوز الأساليب والتراكيب الخاصّة الاصطلاحية التي اتّخذت دلالات معيّنة، كما يذكر اللفظ الذي استُخدم مرة واحدة ثمّ هُجر/ ما زال يُستعمل؛ بالإشارة إلى مصدره، وموطنه وقائله، ومعناه وما طرأ عليه من كلّ الجوانب اللغوية والأدبية، ولا يتجاوز المسكوكات، والمركّبات ودلالاتها وتطوّرها عبر الأزمان؛ حيث يتقصّى المعاني في مختلف العصور والبيئات ولدى كلّ الطبقات...

وأمّا **الإجراءات** المنصوص علها في العنوان؛ فالمقصود بها الخروج من التنظير والأماني، وما كان حلماً ذات وقت إلى مجال الأجرأة الفعلية التي تؤدّي بنا إلى تجسيد الملموس بفعل خطط واضحة محدّدة بزمن؛ أي ترجمة الحلم إلى سلوك قابل للممارسة. وأمّا **المنهج** فأقصد به وضع الترتيبات اللازمة ضمن الإجراءات الفعلية ذات الأبعاد والمرامي والأهداف؛ انطلاقاً من منهج علم اللغة الوصفي بالاستعانة بعلم اللغة التاريخي، والاستهداء بعلم اللغة المقارن، في تدوين المفردات والألفاظ، وهذا بوضع طريقة منهاجية يمكن بواسطتها معالجة المعطيات الجزئية؛ وصولاً إلى المعطيات الكليّة، وبرسم استراتيجيات ضمن الأبعاد الثلاثة: القصير والمتوسط والبعيد المدّة. وتعدّ هذه الاستراتيجية طريقة من طرائق حلّ المشكلات والهدف من ذلك تمكين المختصّين من التغلّب على كلّ الصعوبات التي سوف تنجرّ عن هذا الإنجاز الحضاري القومي.

1ـ الجوانب الإجرائية: يبدو لي بأنّ المعجم التاريخي للغة العربية يحتاج إلى **ثلاث خطوات كبرى** وعملاقة، فإذا استطعنا تجاوزها يمكن أن نقول: إنّ المعجم سينجز في القريب العاجل، ولا يحتاج إلى قرن أو أكثر، وهذه الخطوات هي:

ـ **الخطوة الأولى:** الوصول إلى تحديد المعالم الكبرى لتطوّر اللغة العربية خلال العصور.

ـ **الخطوة الثانية:** الوصول إلى وضع قائمة بأسماء النقوش والمخطوطات والمظان والمصادر الموثّقة التي تستقى منها مادة المعجم.

ـ **الخطوة الثالثة:** الوصول إلى صنع برمجيات حاسوبية (مناطيق) لتخزين ومعالجة وتصنيف وتحليل المدوّن، والإجابة عن أيّ طلب يخطر ببال الباحث في اللغة العربية.

إنّ التركيز في العمل لا يخرج عن هذه الخطوات، وهي الخطوات الأساس التي تجعل المشروع يدخل حيّز التنفيذ. وإذ أؤكّد مسألة **الخطوات الثلاث** باعتبارها المنطلق وخاصّة التحكّم الدقيق في إنتاج/ استيراد/ تكييف البرمجيات، فهي الأداة المنهجية التي تيسّر العمل وتقنّنه وتصنّفه، وتعمل على السرعة. ومن هنا أصبح الحاسوب في إنجاز المعجم التاريخي الأداة الهامة في إعداد المادّة بصفة عامة وعدم وجوده لا نستطيع التحكّم في حجم المدوّنة "المشكلة الأساسية في صناعة المعجم التاريخي تتّصل بحجم المدوّنة التي تؤخذ منها الكلمات والاقتباسات، فقد اعتمدت المعاجم التاريخية التي أنجزت مثل معجم أكسفورد الإنجليزي OED كما تعتمد المعاجم التي تنفذ حالياً للغات مختلفة ولمستويات لغوية مختلفة على مدوّنات ضخمة وصلت في بعض الحالات إلى عدة آلاف من المجلدات، تضمّ مئات الملايين من الكلمات المتتابعة في نصوص الكتب. وقد أصبح الحاسوب أداة ذات كفاءة عالية لتحقيق الطموح العلمي[1]". ويجب تأكيد مسألة حوسبة هذا المعجم؛

---

[1]ـ محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي. القاهرة: دت، دار غريب للطبع والنشر والتوزيع ص 74.

حيث يقع التركيز في هذا الوقت حول النظم الحاسوبية والبرمجيات باستدعاء المعنيين بالأمر للعمل على تطوير خدمات الإدخال والإخراج وتعريب التطبيقات الحاسوبية والبرمجيات، وتعريب نظم التشغيل للحواسيب[1]. وإنّ السعي لوضع برمجيات تخدم اللغة العربية أساساً؛ أي تشتغل بالحرف العربي فهي الأداة العصرية التي أضحت لا مفرّ منها، فعلى عاتق الحاسوبيين تركيز مجهوداتهم في تعريب التجهيزات على المطارف ذات العلاقة بالعربية، ثمّ البرمجيات المعتمدة في اللغات المتقدمة والأخذ في الاعتبار خصائص اللغة العربية، والمشاريع الكثيرة التي قدمت في هذا المجال بشكل جزئي ومن ثمّ لا يمنعنا من الاشتغال في بعض الأمور الأخرى من مثل:

1/1 ــ وضع **الرمز المختصر للمعجم:** وأرى ضرورة الإبقاء على مقترح المعجمية التونسية **(متع).**

2/1 ــ الاتّفاق على **الشعار الذي يحمله في المراسلات:** تفتح مناقصة في تقديم العروض، وترصد لجنة علمية لاختيار أفضل عرض يستجيب لأهداف المعجم.

3/1 ــ **إنجاز القانون الأساسي للعاملين:** ينظر فيه بحسب القوانين السارية حصراً في دولة المركز مع المرجعيات الإضافية للمؤسّسات العربية/ الدولية التي تتواجد في دولة المركز. وأرى المشروع الذي قدّمه الأستاذ علي القاسمي بخصوص (النظام الأساسي لهيأة المعجم التاريخي للغة العربية) في أبوابه الثلاثة ومواده الاثنتي عشر(12) مقبولاً وصالحاً إلى جانب (مشروع نظام الموظّفين) فإلى حدّ ما فهما معقولان من حيث الإلمام التام بكلّ المعطيات القانونية ويحتاجان فقط إلى تطعيم من قبل مختصّين في الإدارة والمالية لترجمة بعض النصوص وفق قوانين البلد المضيف حصرياً، وإلى ترجمة المخصّصات المالية إلى أرقام معمول

[1]ــ ينظر: مجلّة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس: 1996، عدد خاصّ بــ (اللغة العربية والنظم الحاسوبية والبرمجيات).

بها في المؤسّسات الأجنبية المتواجدة في الجمهورية المصرية. وعلى العموم فإنّ هذا الأمر ليس بالقضية المركز التي يمكن أن تعيق عملية المعجم ونحن نعلم أنّ عملية الحسابات ليست في المستوى الذي تتعطّل بها الأشغال.

1/ 4 ـ **فتح بوابة المؤسّسة في الشابكة الدولية لـ (متع):** بات حرياً أن تفتح المؤسّسة موقعها الخاصّ، وتحمل شعارها، وتضع فيه كلّ مستلزمات عملها الجاري إنجازه، وما هو في الطريق، ويوضع فيه في البداية:

- الكتاب التعريفي بالمعجم التاريخي للغة العربية (متع)؛
- كتيب في القواعد الفنية التي تراعى في المعجم.

ويكون هذا تهيئة للاحق من الأعمال التي سوف تضخّ لمن يهمّه أمر هذا المعجم.

وأرى من هذا المنطلق القاعدي بأنّ الأمور الأخرى لاحقة بحكم الوقت فقط ومن هنا يجدر بالقائمين على وضع الترتيبات الأولى إعطاء كلّ العناية لهذا الأمر فهو القاعدة التي يسير عليها المعجم التاريخي في لاحق من خطواته.

5/1 ـ **توفير الاحتياجات الدنيا:** أتصوّر في المرحلة الأولى أن يكون المنطلق بوضع القاعدة الأساس للمؤسّسة الفنية، والتي لا تتطلّب إلاّ الحدّ الأدنى ونعرف أنّ لكلّ بداية عثرات وصعوبات وأصعب الصعوبات في الانطلاق، وما أسهل العمل إذا حصل الانطلاق! وبالانطلاق تظهر الفراغات والأخطاء ويبحث لها عن حلول المهمّ أن ننطلق، وعند ذلك لكلّ حدث حديث. وأرى أنّ الحدّ الأدنى يكون بتوفير ما يلي:

- كَتَبَة حاسوبيين للجمع والحيازة؛
- حواسيب متطوّرة وعالية الجودة؛
- خطّ إنترنت متخصّص؛
- خطوط للاتّصالات؛
- خبراء لغويين يجمعون بين التمكّن اللغوي والإتقان القوي للإعلام الآلي؛
- مكتبة ورقية، مع مكتبة إلكترونية؛

- تجهيزات مكتبية أخرى؛
- البدء بالحيازة اليدوية، في انتظار إعداد مناطيق للحيازة.

2 ـ **وضع الكتاب التعريفي**[1]: والهدف منه توصيف عامّ لـ (متع) وأهدافه وخصائصه، وما سوف يقدّمه للغة العربية، ويمكن أن يجيب الكتاب التعريفي باختصار عن الآتي:

- مقدّمة: فكرة عامّة عن المعجم التاريخي للغة العربية (متع)؛
- أسباب تعثّر المشروع في الماضي، وإحياء الفكرة في الوقت الحاضر؛
- دواعي تأليف المعجم التاريخي، حدوده وأبعاده.
- ويتمّ التعرّض في هذه المقدّمة إلى تصوّر الثقافة والحياة العربية من خلال اللغة، يتيح الاطلاع على التعابير القديمة، وما عرفته من تطوّر إلى أن وصلت إلى وضعها الراهن، كما يتيح لنا هذا المعجم قراءة تراث اللغة العربية من خلال الممارسات اللغوية. فهو معجم يشمل تاريخ المفاهيم والأفكار والمؤسّسات وتطوّر العلوم من 200 سنة في العصر الجاهلي إلى وقتنا الحاضر.
- أهداف المعجم التاريخي؛
- لمن يعدّ هذا المعجم؛
- الإطار العامّ للمعجم؛
- حجم المعجم؛
- مداخل المعجم؛
- مراحل الإنجاز؛
- شروط العلماء المستكتبين؛
- الجهات المشاركة في المعجم؛

[1]ـ يمكن الاسترشاد في هذه النقطة بالكتاب التعريفي/ القواعد الفنية، الذي وضعته اللجنة العلمية لموسوعة أعلام العرب والمسلمين. تونس: 1999.

- آفاق المعجم.

3 ــ إنجاز كتيب في القواعد الفنية التي تراعى في (متع): وهذا الكتاب موجّه للعلماء المستكتبين في الحقيقة، ثمّ هو كتاب للمختصّين في المعجم وفي الصناعة المعجمية؛ يسترشدون به منهجياً أثناء تحرير المواد، ولا شكّ أنّه باطلاعهم على هذا الكتاب يبدون أفكاراً تصحيحية تؤخذ في الاعتبار في مراجعة النقائص، وفي تصحيح بعض الآراء ويستهدي به المستكتبون في إنجاز المطلوب منه، ويمكن أن يشمل الآتي:

- قيام المعجم على الدقّة في المعلومات، والموضوعية في العرض؛
- الإفادة المناسبة من الصورَ والجداول واستعمال الرموز والمختصرات وقت الحاجة؛
- الإشارة إلى أماكن استعمال علامات الوقف؛
- وضع قائمة بالمختصرات♥/ الشارات/ الرموز التي تعتمد أثناء الكتابة؛
- إنجاز قائمة بالمصادر الأساس للمعجم؛
- توضيح طريقة العرض والصياغة؛
- ذكر مواصفات اللغة المستخدمة؛
- الاتّفاق على المصطلحات العلمية المستعملة في المعجم؛
- الإشارة إلى حجم ونوع الجداول والخرائط الموظّفة في المعجم؛
- التدقيق ثمّ التدقيق في النقل، وهذا بمراجعة صارمة لكلّ المواد والاقتباسات؛
- تحتفظ الكلمة برسمها كما وردت في كلّ اقتباس؛ لأنّها تمثّل جانباً من ثقافة العصر ومعرفته؛
- الإشارة إلى طريقة الإحالات والهوامش؛

♥ــ إنّ مجمع اللغة العربية بمصر قد اقترح أو أنجز أعمالاً معتبرة في مجال رموز المراجع اللغوية التي يفضّل توظيفها. كما أنّ مجمع اللغة العربية الأردني قد أنجز مدوّنة في المختصرات العلمية. وأميل إلى أنّنا نعتمد ماله علاقة بمختصرات ورموز وشارت ما وقع الاتّفاق عليه من قبل المجامع.

- تحديد عدد الكلمات في المدخل الرئيس، وفي المدخل الفرع؛

...

ومن هنا فإنّه يطلب من المستكتبين الغوص في كلّ كلمة من كلمات اللغة؛ من حيث:

- كلّ صوت من أصواتها؛
- كلّ صيغة من صيغها؛
- كلّ اشتقاق من اشتقاقاتها؛
- كلّ تركيب من تراكيبها؛
- كلّ أسلوب من أساليبها؛
- كلّ مسكوك من مسكوكاتها؛
- كلّ مثل من أمثالها...

وهذا عبر مرّ العصور وكرّ الدهور، إضافة إلى:

- تجاوب كلّ كلماتها من حيث التواتر، الشيوع، الفناء، البقاء، التأثر والتأثر؛
- تتبّع الكليات دون نسيان التفصيلات والجزئيات؛
- تتبّع التغيّرات بما تحويه من نمذجات؛
- لا يكتفى بالنماذج إلاّ في العصريات.

4 ـ **الاستهداء بالمنجزات العلمية السالفة:** مثلما ذكرت سلفاً بأنّه لا ينبغي أن نبني في كلّ مرة بناءً جديداً، فهناك منجزات علمية مضبوطة تحتاج إلى تثمين وتجسيد في هذا المعجم التاريخي، فيجب أن لا نمرّ مرور الكرام على القرارات العلمية في خمسين عاما 1934ـ1984م، التي أنتجها مجمع اللغة العربية بالقاهرة باعتباره مؤسّسة تشريع لغوية، ولذا نستهدي بقراراته في: كتابة الأعلام الأجنبية وفي ترجمة المواليد والأعيان من نبات وحيوان وتعريبها، وفي ضع المصطلحات وفي الترجمة والتعريب، وفي وضع الرموز للمراجع اللغوية، وفي ترجمة الكواسع والصدور وفي اختصار صوَر الحروف الطباعية... كما يمكن الاهتداء في ترتيب المداخل وتفرّعاتها والألفاظ المعرّبة والدخيلة بمنهج المعجم الكبير، وفي

المختصرات يمكن العودة إلى الاجتهاد النوعي الذي قدمّته الموسوعة العربية الصادرة في سورية، أو ما قدّمه المجمع الأردني من اجتهاد في: مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية والعربية سنة 1985م... والذي يهمّ في هذه النقطة يجب أن لا نخلق ما هو كائن، بل علينا أن نضع هذه الإجراءات التي سبق لها أن وُضعت، ونسترشد بما يخدم لغتنا سواء كانت من مؤسّساتنا أو من مؤسّسات أجنبية، فيجب العمل بالذرائعية التي تخدمنا وترقّي لغتنا، فحيث وُجدت المصلحة فثمّ فائدة اللغة العربية. ولكن أؤكّد أمر الأخذ بالجهود التي قدّمتها المجامع على وجه الخصوص، فإنّها قدّمت اجتهادات وقرارات وتيسيرات فالأحرى بنا أن ننظر في تطبيقها في هذا العمل القومي مثل هذا أو في عمل يماثله، وإلاّ ما الفائدة من ذلك الركام المعرفي الذي يقدّم منذ 1919م.

5ـ كيفية الإنجاز: يجب أن تعطى الكلمة هنا للمختصّين والمعاجميين والحاسوبين، وإلى أهل الحرفات العلمية الدقيقة التي هي من اختصاص حرفييها وخاصّة في مجال وضع المداخل، وكيف يقع تصنيفها، وكيفية التعامل مع الفروع إلى جانب المعطيات العلمية الأخرى من مثل: الكلمات الأعجمية، تقسيم الكلمات أنواعها، كيفية تأصيلها، المجال التخصصي لها، تاريخ أقدم مسموع لها نظام كتابتها...

هذا، وأرى أنّ من المراحل الإجرائية التي تتطلّب التحضير الجيّد كذلك:

- تكوين فرق من الحاسوبيين المخزّنين للمادة؛
- تقسيم العمل إلى فِرَق متخصّصة؛
- توحيد منهجية البحث والتخزين؛
- تقسيم المادّة العلمية إلى عصور؛

إعداد مناطيق متعدّدة؛ تكون كما يلي:

1ـ الأول للتخزين.

2ـ الثاني: للتدقيق اللغوي.

3ـ الثالث: للتصفيف.

4ـ الرابع للإخراج.

- تجديد المناطيق باستمرار تلبية للمتطلّبات التي تفرضها المضايقات التقنية؛
- اقتناء أجهزة عصرية متطوّرة؛
- تنظيم العمل وتخطيطه وتنسيقه وتحديد مدّته؛
- تقسيم المادّة إلى قسمين: **القسم الأول** يبدأ من العصر الجاهلي في حدود 200 سنة إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. **والقسم الثاني** يبدأ من بداية القرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن.

ويرى الأستاذ علي القاسمي بأنّ مرحلة الإنجاز تتطلّب المنهجية التالية:

- تقسيم العمل إلى عصور تاريخية للمواد المجمّعة؛
- إعداد قائمة بالمصادر والمراجع والمخطوطات والمطبوعات الموثّقة؛
- إنشاء مدوّنة محوسبة؛
- استخلاص جذور الكلمات ومشتقاتها والتعبيرات التي تدخل فيها المدوّنة اللغوي؛
- تكوين قاعدة شواهد موثّقة على مداخل المعجم؛
- تحرير مداخل المعجم[1].

وهذه المرحلة تتطلّب الآتي:

1/5 ـ جمع المصادر: تجمع المصادر كلّها من العصر الجاهلي حتى منتصف القرن السابع الهجري (نهاية القرن الثامن عشر الميلادي في المرحلة الأولى). ثمّ الاتّفاق على المصادر التي تجمع منها المادّة والتي تخضع للانتقاء وتتعلّق بالقرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن. ونقف وقفة لنقول: إنّ الوصول إلى كلّ المصادر ليس صعباً، فقط يجب علينا توزيع المهام؛ بحيث يمكن ذلك إذا كان كلّ عضو في المجلس العلمي استطاع الوصول إلى جذاذات المكتبات وعاد إلى استكناه فهارس

---

[1] ـ علي القاسمي "المعجم التاريخي هل نستطيع أن ننجزه بعد مئة عام؟" موقع Google بتاريخ 28 فبراير 2008.

المصادر المتوفّرة، وإلى استعمال التقنيات المعاصرة في الوصول إلى كلّ المصادر. وهذه العملية بدورها تؤدّي بنا إلى القول بأنّه من الأهمية بمكان البدء بتكوين مكتبة خاصّة في مركز اتّحاد المجامع تكون في متناول الكتبة (الجمّاع) والمستكتبين ببلد المؤسّسة، وتكون سنداً علمياً للمدقّقين إضافة إلى البدء بتأسيس المكتبة الإلكترونية.

وإنّ الغرض من هذا هو تأسيس مدوّنات محوسبة، أو معجمات محوسبة وخاصّة ونحن نعيش تطوّر إمكانات الحواسيب، والتي تتطوّر عبر الأجيال وتزداد الإفادة منها باعتبارها أداة فاعلة للبحث والعدّ والاسترجاع، إلى جانب أنّها تعمل على إعداد بيانات وتجيب عن أسئلة "يقدّم الحاسوب خدمات كبيرة للبحث اللغوي والأدبي من خلال المعاونة في إعداد معجمات المدوّنات Corpusw Örterb Ücher والمقصود بمعجمات المدوّنات كلّ الأعمال المعجمية التي تقوم على الإعداد المعجمي لمجموع الكلمات الواردة في نصّ محدّد. وإذا كان التراث العربي قد عرف نماذج من هذا النوع تتمثّل –على الرّغم من الفروق التوجّه والمنهج– في معاجم ألفاظ القرآن الكريم، مثل: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ومثل غريب الحديث للهروي، ومثل: المصباح المنير للفيومي، وهو في غريب شرح الوجيز للإمام الشافعي في الفقه، فإنّ التوجّه المعاصر إعداد معجمات المدوّنات بأنواعها، له –في المقام الأول– طابع حصري شامل يخدم البحث العلمي، ويمهّد لأعمال تطبيقية، وليس مقصوراً على انتقاء الألفاظ الصعبة أو الغريبة، وهي أعمال تدخل في مجموعة أعمال معالجة البيانات عن طريق الحاسوب[1]". وإنّنا نحتاج في هذه المرحلة إلى تكوين **مدوّنات محوسبة** التي عن طريقها نجمع ذخائر العربية في عصورها الممتدّة وفي بيئاتها المتنوّعة "وممّا يأتي في مقدمة التصانيف إعداد المدوّنات المحوسبة التي تعنى بجمع ذخائر العرب من

[1]ـ محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي. القاهرة: د ت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ص 72.

النصوص التي تمثّل اللغة في أحد عصورها، أو بيئة من بيئاتها، أو مستوى من مستوياتها وهي مقدّمات طيّبة للاستفادة منها في تحديد الكلمات والتراكيب التي يذيع استعمالها بحسب المستويات وتصنيفها، وإرشاد الكتّاب والمؤدّبين من مؤلّفين ومعلمين ومعدّي برامج وإعلانات وغيرها، لغرض اطلاعهم وانتقائهم منها ما يعينهم على مخاطبة الفئات التي يستهدفونها، وييسّر سبل التواصل معها. وكذلك يشكّل النجاح في مجال تأليف المدوّنات المحوسبة مقدّمة لإنجاح إنجاز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ذاكرة العربية الممتدّة منذ كان حتى الآن، والمستمرّة حتى قيام الساعة، ومواصلة مدّه بما يجد من مفردات وتراكيب جديدة[1]". وبالفعل إنّ مرحلة جمع المصادر يجب أن تكون سريعة وأن تخضع لتقنية التخزين التي تحصل من قبل التقنيين في البرمجة كي لا يحصل التكرار، وكي لا يكون تضارب بين المصادر التي تخضع للمسح.

2/5 ــ إنجاز منطاق لتخزين تسميات المصادر ومتعلّقاتها: إنّ الكمّ الكبير من المصادر يحتاج إلى منطاق تدوّن فيه كلّ معلومات المصادر، تسهيلاً لعملية الإسناد وما له علاقة بذلك، وهذا المنطاق يجب أن يستجيب لمواصفات أصالة المصدر وعدم تكرار نفس المصدر، وحسن الترتيب... كما تتطلّب المرحلة استعمال الماسح الضوئي المتطوّر. ويجب أن نعلم بأنّ مرحلة الإنجاز تتطلّب بقوّة إعداد مناطيق متطوّرة؛ تسهيلاً لعملية المسح والمعالجة والإحصاء، ثمّ سهولة الوصول إلى المادّة في صورّها المطلوبة والتي بها تقترب المسافة بين المنتج وبين المعالج. **وهي عملية من الأهمية بمكان أن تأخذ الأولوية في هذه المرحلة.**

6 ــ مدّة الإنجاز: إذا نظرنا إلى المعاجم العربية القديمة مثل: المحكم لسان العرب الصّحاح، تاج العروس... وإلى الموسوعات ودوائر المعارف والمعاجم

---

[1] ــ صادق عبد الله أبو سليمان "نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها" مجلّة المجمع الجزائري. الجزائر: 2007، العدد 6، ص 63ــ64.

الحديثة، نجد تقريباً فرداً واحداً قام على إنجاز تلك المدوّنات الضخمة وبالوسائل التقليدية البسيطة ومع ذلك لم نجد تلك المعاجم قد فرّخت في أعشاشها ولا عاشت سنوات العمر تنتظر الإصدار، وهذا لوجود العوامل التالية:

- التفرّغ الكلي للعمل؛
- التشجيع المادي والمعنوي؛
- الإخلاص والجدّ؛
- النظر إلى القيمة العلمية للمنتوج؛
- الدعم من أولي الأمر.

واليوم تطرح بقوّة المدة الزمنية التي سوف يستغرقها إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، ومن هنا؛ فإنّه بالنظر إلى بعض المعاجم التاريخية التي لم تأخذ زمناً كبيراً وعلى سبيل المثال نجد معجم أستراليا التاريخي الذي لم يأخذ وقتاً كبيراً والمعجم التاريخي للغة العبرية الذي بدأ العمل فيه عام 1959 وأشرفت عليه أكاديمية اللغة العبرية، ويغطّي الفترة من القرن العاشر قبل الميلاد حتى العصر الحاضر، فإنّه لم يأخذ الوقت الكثير، ومعجم الذخيرة اللغوية الفرنسية الذي يغطي الفترة 1789ـ1960 واستغرق ثمانين سنة، كما أنّ معجم اللغة الهولندية ظهر أول عمل منه عام 1864 واكتمل في 25 مجلداً في ظرف قياسي ومعجم أكسفورد الذي أخذ سبعين سنة، رغم أنّه تشرف عليه جمعية لغوية وهي: الجمعية الفيلولوجية البريطانية "... قاموس جونسون الشهير الذي ظلّ على مدى عدة أجيال المرجع الأساسي في اللغة الإنجليزية لم يستغرق إعداده أكثر من ستّ سنوات. وكان العاملون في إعداده الدكتور صمويل جونسون وستة مساعدين معظمهم كتبة ومنتق واستشهادات[1]"... ونجد هذه الأعمال الضخمة قد أنجزت بطرائق وإمكانات جدّ بسيطة، ومع ذلك فإنّها تحكّمت في زمن الإنجاز. ولو عدنا إلى التخطيط الذي

[1]ـ أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجمع، ط1. القاهرة: 2002، عالم الكتب ص311.

قدّمه **فيشر** لإنجاز المعجم التاريخي، فقد خطّط لظهور العمل الذي يغطي مرحلة النقوش إلى القرن الثالث الهجري بسبع سنوات، ولم تكن له الوسائل الحديثة، ولا مؤسّسة ولا يحتكم إلى فرق كثيرة في الجمع والتخزين. ومع هذا أفترض أنّ مؤسّسة المعجم التاريخي سوف تقوم بتخطيط الفترة المحدّدة، كما يلي:

- سبع (7) سنوات من مرحلة النقوش إلى القرن الثالث الهجري؛
- سبع (7) سنوات من القرن الرابع الهجري إلى القرن السابع الهجري؛
- سبع (7) سنوات من القرن الثامن الهجري إلى القرن الثاني عشر الهجري؛
- سبع (7) سنوات من القرن الثالث عشر الهجري إلى الآن؛
- المجموع: **28 سنة.**

إنّ ثماني وعشرين سنة (28) أو أكثر بقليل؛ تكون كافية لإنجاز المعجم التاريخي وقد تولّد لديّ الإحساس بأنّ **الصدق والنيّة والاهتمام والتفرّغ وتوفير الوسائل** سوف تعيننا على تقليص هذه المدة. ويجب أن لا ننظر إلى منجزاتنا البِكر؛ والتي عادة تستغرق أمداً كبيراً، وهذا ما يخيف بعض الباحثين؛ حيث يعدون زمن ظهور المجلد الأول، ويقيسون عليه توالي المجلدات؛ مثل المعجم الكبير الذي ظهر الجزء الأول من الطبعة التجريبية سنة 1956، والذي احتوى على قسم من حرف الهمزة، وانتهى حرف الهمزة كلّه سنة 1970م. صحيح إنّه استغرق مدة غير عادية، ولكن يجب أن نعلم بأنّ الجزء الرابع (حرف الجيم) والجزء الخامس (حرف الحاء) قد صدرا في سنة واحدة عام 2000م. ولدينا تجربة أخرى بأنّ المجلّد الأوّل من الموسوعة العربية الصادرة في سورية قد استغرق العمل فيه إحدى عشرة سنة، ولكن بعد ذلك توالت المجلدات من 2 إلى 22 في أقل ممّا استغرقه المجلّد الأوّل. ويجب أن نعلم بأنّ البداية هي **التحديد والمنهجية والضبط والدقّة**، وتأخذ في العادة مدداً؛ أي إنّ الفترة الأولى حرجة إلى حدّ ما وتأخذ وقتاً ثمّ تتوالى المراحل الأخرى بسرعة، وخاصّة عندما تتّضح الرؤى والمنهجية وتأخذ الصناعة المعجمية طريقها الصحيح. فيجب أن نتفاءل ونشدّ العزم فقط، ولنبدأ.

7ـ مكمّلات أخرى: إنّ المعجم التاريخي يتطلّب نفساً طويلاً، كما يتطلّب أحياناً بعض المراجعة والتدقيق للمعلومات أو للشواهد، ومن هنا فإنّ **ميكنة** المعجم ضرورة معاصرة، وهي من متطلّبات الحداثة، حيث تسمح بالمراجعة دون إحداث تأثير على المادّة، أو تغيير في المتن، وكلّما ازددنا عملاً ازددنا بصيرة بحقيقته وباكتشاف ما لم نضعه في الحسبان، ومن هنا فإنّ الضرورة العلمية تقتضي الاجتماع الدوري للمجلس العلمي للمراجعة والمتابعة والتصحيح، والعمل على إيجاد الحلول الملائمة. وإنّه من الأهمية بمكان تقسيم العمل إلى فترات تسهيلاً للتخزين، وتكوين مدوّنة المعجم التاريخي الآحادي اللغة (متع) من نصوص مكتوبة وفصيحة، انطلاقاً ممّا كان لا ممّا يجب أن يكون، فالمعجم وصفي يبنى على قاعدة حاسوبية تاريخية؛ تراعي التغيّر الدلالي لشساعة هذه اللغة التي تنطلق من العصر الجاهلي، وتضمّ القرآن الكريم بمختلف قراءاته والأحاديث الصحيحة، وكلّ التفاسير، ثمّ لغة الأمويين والعباسيين، ولغة القرون الوسطى، ولغة الشعراء، ولغة الكتّاب، ولغة النقّاد، وأسلوب اللغويين، ولغة الروائيين ولغة الصحافيين؛ خاصّة الصحافة المعاصرة... مع الإشارة إلى الفصيح والمعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والمعرّب، والمنقول، والمولّد... وكلّ هذا يقتضي إعداد مناطيق جبّارة وأجهزة متطوّرة للتغلّب على التأخير الذي لحقنا، كما يقتضي العمل بكلّ الوسائل المتوفّرة وخاصّة الماسح الضوئي المتطوّر؛ والذي يستجيب لتصحيح النصوص الممسوحة باللغة العربية.

يقتضي المعجم بعض الشروط الخاصّة والفنية؛ والتي يقتضي ذكرها هنا وهي:

- يأخذ هذا المعجم ثلاث صوَر، وهي:

1ـ نسخ مجلدات ورقية مطبوعة.

2ـ صورة محوسبة (أقراص).

3ـ موقع (نسخة) إنترنت.

➢ وضع مقدمة توضيحية عن:

- التعريف بالمعجم التاريخي؛
- المنهج المتّبع؛
- دراسة لغوية عن ظاهرة التطوّر؛
- بيانات عن طريقة جمع المدوّنات؛
- بيان تفصيلي عن المداخل الأصول؛
- بيان تفصيلي عن المداخل الفروع؛
- تشفير للمختصرات المعتمدة؛
- بيان عن طريقة التهميش واستعمال المصادر.

➢ بيانات تفسيرية عن طريقة جمع المادّة، وأرى أنّ طريقة **فيشر** مقبولة إلى حدّ ما، مع إمكانية إضافة ما يراه المجلس العلمي، ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى الخطوط العريضة للخطوات السبع لمعجم **فيشر**، كما وضّحها الأستاذ إحسان النصّ (عضو مجلس الأمناء):

1ــ التاريخية: وهو أبرز ما ينبغي العناية به؛ لأنّ لكلّ كلمة تطوّرها التاريخي الخاصّ، ولابدّ من توضيح هذا التطوّر التاريخي.

2ــ الاشتقاقية: بيان توليد الكلمات والكلمات المعرّبة تردّ إلى أصولها قدر الإمكان.

3ــ **التصريفية:** تحديد الصيغ المتغيّرة للكلمة، وتصريف أفعالها، واختيار الصيغة المشهورة في تصريف الفعل أو الاسم.

4ــ التعبيرية: تعنى بتحقيق الكلمة أو معانيها، والمعنى الأول يؤخذ من اشتقاق الكلمة، ويقدّم المعنى العامّ على المعنى الخاصّ، والمعنى الحسّي على العقلي، والمعنى الحقيقي على المجازي، مع مراعاة المعاني الاصطلاحية.

5ــ النّحوية: تتناول جميع الصلات التي تربط كلمة بأخرى، وترتيب كلمات لها مواضع معيّنة في سياق الكلام، مع مراعاة المضمر أو المحذوف وتعدّي الفعل أو لزومه.

6ـ البيانية: تتّجه إلى بيان العلاقات التطوّرية لكلّ كلمة، والتراكيب والتعابير التي لم يطرأ عليها أيّ تغيير، والدواعي البلاغية لوضع الكلمات وترتيبها.

7ـ الأسلوبية: تعنى بالبنية اللغوية التي استعملت الكلمة أو التعبيرية أو التركيب استعمالاً عاماً مع مراعاة اختلاف الأساليب، ومنها لغة القرآن، ولغة الحديث وأسلوبا الشعر والنثر، والأسلوب التاريخي وأسلوب الفنون وغيره[1]".

وهذه الخطوات جدّ هامة، وهي التي تعمل على كيفية دراسة كلّ لفظة فهي منهج جدّ هام، ومع ذلك تحتاج إلى تطوير، لأنّه استُجدت أفكار بعد **فيشر**، فأرى ضرورة إدراجها، إضافة إلى أنّ دراسة المادّة حسب هذه المقترحات هي نوع من التمثّل المنهجي التاريخي الذي يُطلب في مواصفات المعاجم التاريخية كما يساعد هذا التوزيع على التحكّم في المادّة المجمّعة.

8 ـ الهيكل العلمي والإداري لمؤسّسة المعجم التاريخي: حسب المواصفات العلمية للمعجم التاريخي فإنّه يجب تغليب الجانب العلمي على الجانب الإداري ولذا أرى أنّ الأقسام المقترحة هي أقسام علمية وهي أساس تصفية المادّة العلمية في بدايتها، ثمّ نجد الوحدات الثلاث المقترحة لها الصورة العلمية البحتة كذلك ولا أرى ضرورة إطلاق تسمية (وحدة) على مصلحة المالية والإدارة العامّة وما له علاقة بالمكتبة فهي إدارة مساندة لجيوش من الحاسوبيين والأساتذة والمراجعين (المدقّقين) الذين تقع على عاتقهم مسؤولية إنجاز هذا المعجم الذي ننتظره بصبر. كما لا يغيب عن الذهن بأنّ المؤسّسة تحتاج إلى أجهزة وأقسام ومساندين؛ تسهيلاً لأداء العمل بشكل جيّد. وأقترح مبدئياً هذه الهيكلة:

---

[1]ـــ مجمع اللغة العربية السوري، مجلّة المجمع. دمشق: 2007، المجلد الثاني والثمانون، الجزء الأول ص 31 ـــ 32. وينظر كتاب محمد رشاد الحمزاوي (النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي) ص: 237 ـــ 239.

الهيكل العلمي والإداري لمؤسّسة المعجم التاريخي

⇓

الرئيس الشرفي

⇓

رئيس المؤسّسة

⇓

مجلس الأمناء

⇓

الأمين العامّ

⇓

المجلس العلمي

⇓

(3) رؤساء الوحدات

⇓

وحدة الجمع والتخزين	**وحدة** التصحيح	**وحدة** الإخراج الفني	إدارة الوثائق والمكتبة
⇓	⇓	⇓	⇓
1	2	3	4

⇓

إدارة المالية

⇓

الأقسام العلمية

⇓

1ــ قسم الحضارة العربية. 2ــ قسم العلوم الإنسانية.

3ــ قسم العلوم التطبيقية. 4ــ قسم العلوم القانونية والاقتصادية.

5ــ قسم الآداب واللغات. 6ــ قسم العلوم البحتة.

7ــ قسم العلوم الطبية. 8ــ قسم الرياضة.

9ــ قسم علم النفس والتربية. 10ــ قسم الفنون.

& ــ **توضيح في الوحدات:** تضمّ الوحدات الثلاث الحاسوبيين الــذين يُعــدّون خصيصاً لهذا الأمر ويكونون على دراية تامّة بخصائص اللغة العربية من حيــث: الصرف والنّحو والبلاغة، والبراعة التامّة في الحيازة والبرمجة، وما يلحــق ذلــك من عمليات تقنيات الحاسوب♥. ويكون على رأس كلّ وحدة أستاذ بدرجــة عاليــة جداً، ومهامه توجيه عمل الوحدة، ويراقب كلّ العمليات التي تنجز أثناء الحيازة.

&/1ــ وحدة الجمع والتخزين: وحدة تهتمّ بتخزين المادّة من المظان المختلفــة ويتعلّق عملها في الحيازة الأولية التي تأتي من المصادر، وتكــون عــن طريــق التصفيف، أو استعمال الماسح الضوئي.

&/2ــ وحدة التصحيح: هي وحدة خاصّة تقع عليها مسؤولية التصحيح والتــدقيق وتحتاج هذه الوحدة للتدعيم بأساتذة كبار متخصّصين في علوم اللغة العربية، ويكونــون متفرّغين للتدقيق فقط. وفي هذه الوحدة يحصل التدقيق من حيث معلومات:

- عن متن العمل؛
- عن منهجية الدراسة؛
- عن لغة الدراسة؛
- عن أصالة العمل؛
- عن الجوانب الفنيّة؛
- عن متعلّقات أخرى.

♥ــ أوصت اللّجنة العلمية المشكّلة من: إبراهيم بن مراد+ أحمد بن محمد الضبيب+ صــالح بلعيــد، بــأنّ مواصفات الجمّاع (الكتبة العاملون في الحيازة) في الوحدة الأولى تكون كما يلي:

1ــ أن يكون موظف الوحدة حاصلاً على درجة الباكالوريس أو الليسانس في اللغة العربية وآدابها.

2ــ أن يكون حاصلاً على شهادة تدريب في إدخال البيانات واسترجاعها (الحوسبة) أو له خِبرة في هذا المجال.

3ــ أن يخضع لاختبار يُجرى له في اللغة العربية، وفي استعمال الحاسوب، يكون كتابياً أولاً، ثمّ شفاهياً في مقابلة شخصية.

ويشترط في المدقّقين الإلمام الجيّد بفنون المراجعة اللغوية، بدءاً مـــن النقـــائش والمخطوطات، وما هو محقّق، وما يوجد في الصحائف، وما تحتويه المتون، ومـــا تحمله كتب التراث، والذي تتضمّنه الكتب المعاصرة، والجرائد، إلى جانب إتقـــان فنّ مراجعة الأبيات الشعرية، وفنّ تحقيق النثر... وكلّ ما لا يسع المصحّح جهلـــه من جوانب فنية. وتقع المسؤولية جسيمة على المدقّقين في أنّهم يدقّقون في مســـائل التصحيف، والتحريف والتعليق، والتخريج، وقضايا عديدة، ومن جوانب شتّى...

3/&ـ وحدة الإخراج: هي وحدة فنية، يقع العمل فيها بخصوص الإخراج وما له علاقة بتوظيف المختصرات، والبيانات، والاســتبانات، والصـــوَر، وتوظيـــف الخرائط والألوان، إلى جانب الجوانب الفنية والجمالية.

& ـ توضيحات في المهام العلمية للأقسام: إنّ مهام هذه الأقسام تتمثّل في الآتي:

- استقبال المادّة الخاصّة بها؛
- التدقيق في المادّة المستقبلة من حيث الاختصاص؛
- تحليل المادّة ودراستها بدقّة؛
- إجراء التعديل المطلوب، أو إبداء الرأي بالقبول، أو بالرفض؛
- توجيه المادّة المقبولة إلى مصلحة التخزين، وإن طلب التعديل تعـــود المـــادّة إلى صاحبها للأخذ بالملاحظات.

وأرى في البداية أن ينظر اتّحاد المجامع في تنصيب الأقسام التي تحتكم إلى كمّ من التآليف، على أن يلحق تنصيب الأقسام الأخرى في لاحق من الزمن. وإنّ كثرة الأقسام ضرورة تفرضها المادّة المتنوّعة الكثيرة، ويفرضها عامل الـــزمن وربـــح الوقت ولذا لا نستهين بهذه الكثرة؛ حيث وُجِدَ في معجم الذخيرة الفرنسية أكثر مـــن ستّة عشر قسماً وفي الموسوعة العربية بسورية تسعة أقسام.

إنّ هذه الهيكلة لا تعني في حال من الأحوال استقلال الوحـــدات بعضـــها عـــن البعض بل الغرض منها السيطرة القوّية على المادّة الكبيرة، وتوزيعها على الأقسام (الاختصاصات) تيسيراً للجمع والدراسة والتدقيق الجيّد لا غير. وإنّ غرضي مـــن

هذا التقسيم الهيكلي هو العمل في فريق متعاضد يكمّل بعضـــه الـــبعض، وســـيمرّ العمل وفق التراتب التالي:

1ـ تأتي المادّة العلمية عن طريق وحدة الوثائق والمكتبة، أو بواسطة المستكتبين.

2ـ يقوم الأمين العامّ بتوزيع المادّة–حسب اختصاصها– على الأقسام.

3ـ تُجْرى المراجعة الأولى من قبل القسم المختصّ.

4ـ تُوجّه المادّة إلى وحدة الجمع والتخزين.

5ـ يقوم أساتذة وحدة الجمع والتخزين بتدقيق شكلي في المادّة.

6ـ تخزّن المادّة في صورتها الأولى، ثمّ تسحب وتوجّه لقسم التدقيق اللغوي.

7ـ يقع التدقيق مرّة ثالثة للاستدراك/ للإضافة/ النظر في أخطاء التخزين.

8ـ تعود المادّة مرّة ثانية إلى وحدة الجمع والتخزين، لإجراء التصحيحات.

9ـ توجّه المادّة العلمية بعد ذلك إلى وحدة الإخراج الفنّي.

10 ـ تعرض المادّة وهي في صورتها النهائية على المجلس العلمي.

11ـ يفحص المجلس العلمي المادّة من كلّ جوانبها، ثمّ يؤشّر على صلاحيتها/ تصحيحها/ تعديلها/ رفضها.

12ـ توجّه بعدها المواد المقبولة في صورتها النهائية إلى الطبع.

13ـ تخرج المادّة في صوَرها الثلاث: مجلدات، أقراص، موقع المؤسّسة.

14ـ تبقى الصورة الأصل في الحاسوب لاستعمالها لاحقاً في النسخة الآلية (الإنترنت).

وسوف أعلّق قليلاً على هذه الأمور، ببعض المؤكّدات:

- لا بدّ من جبر النواقص قبل عرض العمل على اللجان المختصّة؛
- لا بدّ من الدقّة الصارمة لكلّ المواد التي يضمّها المعجم؛
- لا بدّ من التحرّز والتحرّج والدقّة المفرطة في تحقيق المواد؛
- لا بدّ من الحوار بين العلماء والمعدّين للمواد والمدقّقين؛
- لا بدّ من تكثير المراحل التي تمرّ بها المادّة، فهي باب من أبواب التصـــفية والمراجعة والدقّة.

صناعة المعرفة ودورها
في خدمة التّنميّة المستديمة♥

ـ ديباجة: بدعوة من أعضاء (منتدى رواد القراءة) لقول كلمة في التنمية المستديمة فقد لبّيت النداء وأشكرهم على الدعوة، وعلى حسن اختيار هذا الموضوع؛ لما له من أهميّة الاهتمام به في وقتنا المعاصر من قبل كافة ساكنة القارات؛ نظراً للدور الكبير الذي يشكلّه في التنمية البشرية، وآفاق الرقِي بالمجتمعات وإلى التحكّم في الآليات العاملة على الرفاهية المجتمعية، وتسهيل تقديم الخِدمات، والخروج من الإجهاد العضلي، وصولاً إلى نمط تعادلي للمجتمعات في ظلّ الزخم الآلي الذي تدّفقه الآلة وتعمل على تسهيل حياة المواطن بنمطية المدن الذكية والقرى الحضارية والتواصل البسيط، وإلغاء الحدود ومِلْك المنتوج للمستعمل، والإشراك في فِعْل النقلة الحضارية وبناء بعض مستلزمات اقتراح الأفكار، وفي الأخير وصولاً إلى مجتمع المعرفة. ولهذا أصبح موضوع **صناعة المعرفة** موضة العصر لما له من قيمة في مجتمعاتنا المعاصرة؛ حيث توليه الأمم المتقدّمة عناية أولية، حتى أصبح مادةً علميةً تُدرّس في استراتيجياتها كما أضحى سلعةً تُسهِم في رفع الرأسمال المعرفي، ويعمل على النهوض بالتنمية المعرفية التي تعتمد التقانات المعاصرة وفق بنيات تبادل السلع العينية كما كان في الماضي.

ورغم أنّ الموضوع شائكٌ ومعقّدٌ، حيث ينال مختلفَ الاختصاصات، ويمسّ كلّ الجوانب؛ فلقد عقدت من أجله العديد من الندوات والملتقيات والمنتديات وصدرت الكثير من التوصيات، وخرجت مجموعة من البيانات، وطبعت من أجله المَطْويات والمَجلات... وكلّها تأتي في إطار الحثّ على البُعد العالمي المشترك في ضرورة

♥ـ ألقيت المحاضرة في المكتبة الوطنية، بتاريخ: 13 مايو 2017، ندوة من تنظيم (منتدى رُواد القراءة).

الانتقال النوعي منثورة البخار، وريع البترول إلى وسائل التواصل الشبكي الخارقة للمسافات والمُقرّبة للقارات، والمتحكّمة في الأوقات، وكلّ ذلك كان بفعل الاستثمار في الموارد البشرية التي لا تنفذ وهذا ما رأيناه في كثير من الدول التي عرفت نقلات نوعية؛ وهي لا تملك البترول، وتسكن أراضي ضيّقة وكثيرها غارقة وغائرة، لكن بحسن الاستثمار في الطاقات البشرية، خلقت صناعةً معرفيةً، فنقلت مجتمعاتِها من رُتب دُنيا في الفقر إلى احتلال مناصب عُليا في الثراء المادي وفي الاقتصاد السلعي؛ فبعدما كانت دولاً مستوردةً أضحت تتحكّم في الطاقات المتجدّدة وتصدّرها، وتنال الصدارة في التحكّم في التقانات المعاصرة؛ بل في النانوتكنولوجي. ولفهم الموضوع كان لا بدّ أن تنشطر مُحدّداته وفق الآتي:

1ـ صناعة المعرفة: وتعني تلك الصناعة المعتمدة على تقنيات المعلومات؛ وهي الصناعات التقنية المتقدّمة التي تضمّ المجالات الإنتاجية ذات القيمة المضافة العالية والتي تعتمد أساساً على الفكر؛ أي الجهد العقلي البشرى الخلاّق؛ وهى تضمّ على سبيل المثال الاقتصاد المعرفي، وتقنيات النانو في تحقيق التنمية المستديمة للصناعات المعرفية، وذلك من خلال الصناعات المعتمدة على تقنيات الاتّصالات والمعلوماتية كوجْهٍ جديد تُستخدم فيه المعلوماتُ الوفيرةُ مورِداً استثمارياً، وسلعةً استراتيجية، وخدمةً كبرى ومصدراً للدخل الوطني ومورداً للقوى العاملة. ويمكن تلخيص الأمر في أنّ **صناعة المعرفة** هي صناعة تكنولوجية تتمثّل في خِدمات الاتّصالات، والخِدمات المالية والصناعات الدوائية والتعليم والبحوث والتطوير. ونجد فيها تقنيةَ المعلومات رأسَ المال الفكري بقوّة محرّكة للاقتصاد. وهذا النوع من الاقتصاد سيجعل المهن في المستقبل مرتبطةً بشكل مُعقّد بتقنيات المعلومات والاتّصالات بشكل مباشر. وهكذا يمكن القول بأنّ صناعة المعرفة ضرورة لازمة بل من متطلّبات الحياة المعاصرة، وتتطلّب مجالاتُها تحسينَ ظروف المعيشة لجميع الأفراد دون زيادة استخدام الموارد الطبيعية إلى ما يتجاوز قدرة كوكب الأرض على التحمّل؛ لحفظ الموارد الطبيعية والبيئية، والتنمية الاجتماعية.

2ـ اقتصاد المعرفة: يعتبر الرأسمال البشري أكثر الأصول قيمةً في الاقتصاد المبني على المعرفة وترتفع المساهمةُ النسبية للصناعات المبنية على المعرفة كلّما

زاد الذكاء الصناعي في صنع براءات الاختراع، وزادت التقانة في الاستعمال وزاد التحكّم فيها بدل الاستخدام الأعمى، والتي تتمثّل في الغالب في الصناعات ذات التكنولوجيا المتوسّطة والرفيعة، مثل الخِدمات المالية وخِدمات الأعمال. ويشكّل توليد المعلومات ونشرُها واستثمارُها مرتكزاً رئيساً لاقتصاد المعرفة. وهذا يشكّل بدوره هرمية من شبكة المعرفة مثل شبكات الجامعات وشبكات مراكز البحوث، وشبكات مؤسّسات المعلومات كالمكتبات، ودور النشر ومراكز التوثيق وشبكات الصناعات المختلفة، وغير ذلك من الشبكات الحديثة. وحدّدت متطلّبات ذلك في مضاعفة الجهود الوطنية لتعزيز الاجتهاد والتطلّع نحو العلم، والنزوع إلى التفكير، والبحث العلميين وتقوية البنية التحتية للعلوم والتكنولوجية، وتوسيع القاعدة التعليمية، وإقامة مراكز تميّز وإبداع، وتنمية ثقافة الابتكار وتوجيه استثمارات نحو البحث والتطوير، وخلق بيئة متينة لتعبئة الطاقات الإبداعية للشباب.

ومرّة أخرى؛ فإنّ اقتصاد المعرفة يقوم على أساس إنتاج المعرفة، واستخدام نتائجها وثمارها وإنجازاتها واستهلاكها بالمعنى الاقتصادي لمفهوم المستهلك المتحّكم في ما يستهلك أو يَستعمل، بإحكام العقل، حيث يزيد المنتوج دون ضررٍ بشري ولا جغرافي ولا تأثير سلبي. وبذلك تشكّل المعرفة بمفهومها الحديث جزءاً أساسياً من ثروة المجتمع المنظور، ومن رفاهيته الاجتماعية. وهناك من يعرف اقتصاد المعرفة على أنّه الاقتصاد المبني أساساً على إنتاج ونشر واستخدام المعرفة والمعلومات فاقتصاد المعرفة يعني التحوّل من التركيز على المواد الأولية والمعدّات الرأسمالية إلى التركيز على المعلومات والمعرفة ومراكز التعليم والبحث بشكل عامّ.

3 ــ التنمية المستديمة: هي تنمية فكرية أولاً، باستغلال الروبوتيك/ الآلية في الطاقات التي لا تعرف التلوّث، ولا تقوم على تغيير البيئة. وتلعب تقنية المعلومات والاتّصالات دوراً في تحقيق التنمية المستديمة؛ حيث نجد في هذا العصر المعارف والمعلومات عنصراً أساساً في نجاح التنمية المستديمة؛ باعتبارها مساعدة على التغيّيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية، كما تُساعد على تحسين الإنتاجية الزراعية والأمن الغذائي وسبل المعيشة في الريف... غير أنّه لا بدّ من نقل هذه

المعارف والمعلومات بصورة فعّالة إلى الناس؛ لكي تتحقّق الفائدةُ منهــا، ويكــون ذلك من خلال الاتّصالات، حيث تشمل الاتّصالات من أجل التنميــة الكثيــر مــن الوسائط مثل الفضائيات والإذاعات الريفية الموجّهة للتنمية المجتمعيــة والطرائــق المتعدّدة الوسائط لتدريب المزارعين، والشابكة للربط بين الباحثين، ورجال التعلــيم والمرشدين ومجموعات المنتجين ببعضها البعض وبمصادر المعلومات العالمية في ظلّ تنافسية عالمية في تنمية مستديمة مريحة دون كُلفة في الجهد العضلي، وفــي اقتصاد الوقت، واقتصاد المعرفة.

إنّ هذه المسألة تتعاظم بتعاظم المعرفة التكنولوجية في الاقتصاد؛ والتي غــدت سمة القرن الحادي والعشرين (21) المبنية على المعرفة (Knowledge-Based Economic). ونعلم بأنّ العالم في وقتنا يُعدّ عالماً مبنياً على المعرفة، ولذا يكــون الحرص على اكتساب التكنولوجية بتوليدها أو نقلها والسعي إلى توطينها. ولا يكون ذلك مُجدياً إلاّ بالتكامل بين مجالات النمو الاقتصادي، وحفــظ المــوارد الطبيعيــة والبيئية من أجل الأجيال القادمة من خلال إيجاد حلول قابلة للاســتمرار اقتصــاديًا للحدّ من استهلاك الموارد وإيقاف التلوّث والتنمية الاجتماعيــة، حيــث إنّ جميــع شعوب العالم بحاجة إلى العمل والغذاء والتعليم والطاقة والرعاية الصحية والماء.

وكان حرياً بنا –نحن المجتمعات الفقيرة إلى الآليات المعاصرة- العمــل علــى المشاركة والانخراط في الشؤون المدنية، والسعي للإنتاج وفق مواصــفات دوليــة وبجودة ملائمة، والتزام معايير الجودة البيئية مــن حيــث اســتخدام المخصّــبات والمبيدات، كما هو الحال في السلع الزراعية، أو استخدام الكيماويات في الإنتــاج الغذائي، وطرح الإنتاج في الأسواق الخارجية مُستوفياً لأحــدث تقنيــات التعبئــة والتغليف، وكلّ ذلك يكون بالدراسة الجيّدة للسوق المستهدف، وتصــميم حمــلات الدعاية والإعلان المناسبة، والاهتمام بخِدمات ما بعد البيع، كما هو الحال في السِّلَع الصناعية. ويمكن تلخيص هذا في أنّ التنمية المستديمة تقوم على ثلاث ركائز هي: الكفاءة الاقتصادية، الكفاءة الاجتماعية والكفاءة البيئية.

4 ـ **مجتمع المعرفة:** هو ذلك المجتمع الذي يقوم أساساً على نشـر المعرفـة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعـي؛ وصـولا لترقيـة الحالة الإنسانية باطّراد؛ أي إقامة التنمية الإنسانية. وبلغة الاقتصاد تعنـي إقامـةَ مجتمعِ المعرفة بتأسيس نمط إنتاج المعرفة عوضاً عن هيمنة نمط الإنتاج الريعـي الذي تشتقّ القيمة الاقتصادية فيه أساساً من مواد مخزونة، وهي قابلة للنضوب كما أنّ بعض المواد الخامّ تحمل الضرر الذي يعمل على تخفيض سنّ الحيـاة وعلـى إلحاق الأمراض. وبالتالي فإنّ تطوير استراتيجية مناسبة للمعرفة يتطلّـب وجـود نظام اقتصادي ومؤسّسي، وقوى بشرية ماهرة، وبنية معلوماتية ديناميكية لتسـهيل الانتقال الفعّال، ونشر ومعالجة المعلومات بصورة مناسبة، ونظام تربـوي قـوي لتشجيع الابتكار ومراكز البحث. إنّ بناء مجتمع المعرفة يعتمـد الأسـس التاليـة: **السبق في الإنتاج + تسهيل الوصول إلى المعلومة + خلق المدن الذكية + تنميط الرموز اللغوية+ العمل بنظرية الأقلّ جهد= مجتمع المعرفة.**

إنّ معالم بناء مجتمع المعرفة تتمثّل في:

1/4 ـ تعليم نوعي مجاني لكلّ فئات المجتمع، مرتبط بآخر صيحات التقانـة؛ يعني التعليم الإلكتروني لرفع القدرات التنافسية لقوة العمل المؤسّسـي، باسـتخدام النُظم الإلكترونية التفاعلية الحديثة عبر شبكات المعلومات.

2/4 ـ توفير تطبيب نوعي مجاني لكلّ الساكنة، بما يعمل على إطالة عمر الساكنة.

3/4ـ العمل على خلق المدن والقرى الذكية التي تعمل بآخر تقنيات الاقتصـاد في المجهود.

4/4 ـ الاستعداد الرقمي والذي يعني إيصـال خِـدمات الاتّصـالات لجميـع الأطراف في جميع أنحاء النظام المؤسّسي.

5/4 ـ توظيف الإدارة الإلكترونية والتي تهدف للعمل على تقـديم الخِـدمات لجميع العاملين في مكان وجودهم بالسرعة والكفاءة المطلوبة، والعمل علـى بنـاء مجتمع معرفي رقمي لا ورقي.

6/4 ــ تنمية صناعة تكنولوجيا الاتّصالات والمعلومات بهدف تعميم خِـدمات تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات بالمؤسّسة، وجذب المؤسّسات العالمية لتطـوير المعرفة والتكنولوجيا.

إنّ مجتمع المعرفة يُراهن بقوّة على دعامة أساس، وهي الاهتمام **بتفعيـل أجهـزة التربية والتعليم**؛ عن طريق تفعيل المنظومة المعرفية داخل أجهزة التعليم فهي المؤشّر الحقيقي أو الرأسمال البشري التي تهيئ الآلية الخصـبة والملائمـة لتطـوير اقتصـاد المعرفة، من خلال توفّر الباحثين واليد العاملة المؤهّلة والتي تُسهم في رفع الإنتاجيـة وبالتالي زيادة النمو المحقّق. ولا نلمح ذلك إلاّ من خلال المؤشّرات التالية:

1/1/4 ــ مؤشّر الابتكار والإبداع.
2/1/4 ــ تطوّر عدد الباحثين.
3/1/4 ــ نوعية التأهيل في درجات الباحثين.
4/1/4 ــ حصول الباحثين على الجوائز العالمية.
5/1/4 ــ عدد براءات الاختراع.
6/1/4 ــ نشر المقالات العلمية في المجلات المُعتمدة دولياً.

5 ــ **اللغة العربية والتكنولوجيات الجديدة:** للعيش في مجتمع المعرفة، كـان علـى النظام التربوي مُواجهة تحدّيات التربية والتعليم؛ بتوفير عرض مناسـب مـن الخِبـرات والمَهارات والجودة وما يتوافق مع مُتطلّبات الاقتصاد القائم على المعرفة؛ بـالتحكّم فـي التكنولوجيات الجديدة، والحرص على الارتقاء بمستوى التعليم بصورة مُستمرّة، ومعالجة ظاهرة هجرة الكفاءات، والتفكير الجيّد في حلّ المشكلات الأكاديميـة والإداريـة التـي تواجه مُؤسّساتنا التعليمية، وضرورة تبنّي هياكل جديدة للبرامج الدراسـية ذات محتـوى يتناسب مع طبيعة المراحل المقبلة. وفي كلّ هذا هناك مُسـتلزمات ملحقـة كـان مـن الضروري إعداد الخطّة المرحلية التي يقع الارتكاز عليها في تنمية جوانب الإبداع لـدى المتعلّمين؛ مثل استخدام الوسائل الرقمية الحديثة، إلى جانب معالجة مشكلة توفير الخدمـة التعليمية على نطاق واسع لعدد متزايد من المتعلّمين؛ باعتبارهم من صانعي القـرار فـي

الزمن القادم وفي الوقت ذاته توفير مستوى مرتفع من التدريب، وكذلك الرفع من قيمة البحوث الأكاديمية سواء على المستوى الجامعي أو الدراسات العليا، وضرورة الاستعانة بالتعليم المفتوح أو التعليم عن بعد كبديل مكمّل للدراسة التقليدية أو الحالية على اعتبارهما وسيلة اقتصادية لنشر التعليم؛ والذي نشهد تطبيقه اليوم في بعض الجامعات الجزائرية.

وفي هذه النقطة، كان حرياً عليّ الوقوف عند نقطة مُهمّة؛ وهي دور العربية في التكنولوجيات الجديدة التي أتاحت لمستعملي اللغة آليات جديدة في الإبداع والتلقي وبات من الضروري مساءلة موجّهات التفاعل بين اللغة العربية ووسائط التقنية وتطبيقاتها المختلفة، ولذلك يطرح في كلّ مرّة سؤال قدرة اللغة العربية على الارتهان إلى متطلّبات هذه الوسائط المعقّدة، وسرعة مواكبتها وتكيّفها وفق منظومتها الاصطلاحية المعقّدة الأمر الذي يثير إشكالات عديدة من قبيل الثقافة الرقمية في البلاد العربية ومدى تمكّن المستعمل العربي للمعلومات والبرمجيات وما تستدعيه من تمثّلات ذهنية وعمليات إدراكية تؤدّي إلى تغيّر منظومة القيم لدى الإنسان العربي. فنقول: إنّ العربية ليست بمعزل عن التفاعل مع الإمكانات الواسعة للشابكة وهي لغة طبيعية تحمل قابلية التنميط والتشبيك والتشجير، ولها ثقافة قُدمى مُعاصرة تستطيع من خلالها استيعاب كلّ مُتطلبات الحياة الشبكية المُعاصرة، ولكن دون العزف على مَقولة (كان أبي) بل يتطلّب الأمرُ الخروجَ من النمطية القديمة؛ باعتماد المتن اللغوي الذي يقبل التكيّف؛ وفق آليات النظريات اللسانية المعاصرة التي تقدّم الحلول النوعية من مضمون اللسانيات التطبيقية.

وكان علينا أن نبدأ، ومن ثمّ نخرج من الحلول الرومانسية، ونعمل بواقع اللغة العربية في ظلّ إبداعها المتنامي، وفي ظلّ إكراهات ومُضايقات العصر وضمن خياراتها الكثيرة والتي تمكّننا من الحفاظ على القيم اللغوية والإبداعية الكبرى والفاعلة وفي ميدان خيارات التأثير والتأثر، وأنّ اللغات تأخذ وتعطي وتتقارب في المنهجيات وفي طرائق التلقين، وفي نمطيات الذكاء الصناعي. فلا لغةَ أرقى من لغة، بل هناك شعوب تعمل لصالح لغاتها فتترقي، وهذا ما يجب وعيُه، ومن ثمّ العمل على فعله واحتذاء مناويله.

لا ننكر أنّ العربية لا تعيش مُضايقات، وهي ليست في قبْوٍ يحميها من الشـــابكة ونراها اليوم تعيش تحوّلات تَطال نظام اللغة، وقيَم الإبداع، وقد لا يستجيب بعضُها للحاجات النفسية والثقافية للمجتمع العربي وبخاصّة أمام معوّقات تـــرتبط أساســـاً بنمطية الكتابة في مقام، وبثقافة الاستهلاك في مقام آخر، وكذلك النقل عن القديم أو عن الثقافة المعاصرة في ظلّ الانجذاب اللغوي، دون الإسهام في الإبداع. وفي كلّ هذا هناك أمور تقنية مقاومة للغة العربية من أن تكون في مقامها العلمـــي، وفـــي الإفادة من الوسائط التكنولوجية وهذا ما يجب التغلّب عليه بخوض **غمار المحتوى الرقمي**، ولا شكّ أنّ القضايا العالقة سوف تُحلّ عندما يعيش الباحثُ العربـــي هـــذا الميدان الذي يدفعه لأن يكون، وإلاّ سوف ينقرض بنفسه، وذلك ما لا يكـــون؛ لأنّ العربية في عصرنا تعرف نقلات نوعية منذ 2000 ولم تكن تعرفها في سابق من الزمان وبالفعل لها انتشار وقبول واستعمال وعلمية وتواصل وتجديد وإبداع.

ــ **خاتمة:** باتَ لزاماً علينا وضعُ استراتيجية مبنية على تخطـــيط فـــي الآمـــاد الثلاث ودخول سوق المنافسة بالرهان على المعرفـــة، أو العمـــل علـــى صـــناعة المعرفة. ومن هنا فإنّ صناعة المعرفة ترتكز على تعزيز أنشطة البحث والتطوير لتعزيـــز تكنولوجيـــا المـــواد الجديـــدة، وتكنولوجيـــا المعلومـــات والاتّصـــالات والتكنولوجيات الحيويـــة، واعتمـــاد الآليـــات القابلـــة للاســـتدامة، وتحســـين أداء المؤسّسات، فضلاً عن استحداث أنماط مؤسّساتية جديدة تشمل مـــدن وحاضـــنات التكنولوجيا، وتعزيز بناء القدرات في العلوم والتكنولوجيا والابتكار، بهدف تحقيـــق أهداف التنمية المستديمة في الاقتصاد القائم على المعرفة ولاسيّما أنّ بناءَ القـــدرات هو الوسيلة الوحيدة لتعزيز التنافسية، وزيادة النمو الاقتصادي وتوليد فرص عمـــل جديدة وتقليص الفقر ووضع الخطط والبرامج التي تهدِف إلى تحويل المجتمع أيـــاً كان إلى مجتمع معلومـــاتي؛ يـــتمّ إدمـــاج التكنولوجيـــات الجديـــدة فـــي خطـــط واستراتيجيات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، مع العمل على تحقيق أهداف عالمية كالأهداف الإنمائية للألفية، وإعداد سياسات وطنية للابتكار واســـتراتيجيات جديـــدة للتكنولوجيا، مع التركيز على تكنولوجيا المعلومات والمعلوميـــات والاتّصـــالات.

كلمة أُلْقِيَتْ في تكريم الحاج صايب♥

ـ مقدّمة: من أين أبدأ الكلام، في حديثي عن الرجل الهُمام، الحاج الصايب الفضيل اسم على مسمّى بدليل. عرفته في التسعينيات، وهو يرأس تلك المجموعات من طلاب معهد الأيلولي، وهو يصول بهم ويُمالي. وتوطّدت العلاقاتُ على مراحل وتكاملت على مسائل، تهادينا خلالها التكامل وأنتجنا أحسن التعامل. وتمتّنت العلاقات وهو ناظرٌ للشؤون الدينية، بتيزي-وزو العتيدة؛ حيث كنّا نتنافس في المناسبات، وكلّ يتبارى لسدّ الفجوات. وأشهد له بسبق أخذ الكلام مصحوبة بفصاحة لا تُلام، وكان مدافعاً عن المجايلة، ولا يفتأ يقدّم المواطنة وكأنّي به شيخ عتيد، وهو في العمر شاب مديد ولكنّ حلمه أكسبه المزيد، وفي تواضعه في كلّ مرة يستزيد. ولا أنسى سماعي له بعد الأذان في القناة المحلية ودون استئذان، كما كان يطلّ علينا في التلفاز، لابساً برنوسه الممتاز يقدّم برنامجه (تشرعيث) وفي العُرف ثانصليث؛ ليربطَ الأصالةَ بالمعاصرة وأنّ ديننا زكّى الأصالةَ، في ما كان يقوم به الأجداد، فأنعم به من فعل الأنداد!

ويسير بنا الزمانُ، وتشتدّ الأزمةُ بمكان، حيث كان مخبرُنا يُعاني الفاقةَ؛ وهو بحاجة إلى النفقة ويحصل أن يصلَه الخبرُ، ويتّصل مُبسّطاً كبَر ما في الأمر ويقول في مدينة أسطيف رجل يُدعى **هبّاش الخيّر**، وهو اسم على مسمّى في كلّ خيْر ويقع الاتّصال وتفرج الغمّةُ في الحال. وممّا أذكره على هذا الفعل الكبير من الحاج الخيّر المنير، إذ قال لي: كيف تطلبني في أمر غيرِ يسير أمِن المعقول أن يَطْلُب بُناةُ القصور فوق الصخور، مساعدةً من أهل التمور. فعرفتُ أنّها فذلكةٌ تُقال، لأمر مَقضيٍّ في الحال؛ فاستجابُ الحاجُ الخيّر للطلَب وما دريتُ أنّه في

♥ـ كلمة أُلْقِيَتْ بمناسبة تكريم (مُحَنْدْ أُويذير صايب) في دار الثقافة، بتيزي-وزّو، في: 27 جويلية 2017.

الخير رَغِب، وكان في ذلك هذا الوسيط سي الصايب البسيط. ومن يومها كان الحاجان من الذين لا أراهم إلاّ قليلاً، ولكنّ القلبَ احتواهما كثيراً وانطبقَ عليهما المعنى المفيد، في ممّن تستفيد ويفيد، وتجعله من الفريد وارتبطا عندي بما لهما من إخلاص، في خدمة ما ليس من الإفلاس وتصوّرتُهما من البسطاء؛ الذين تُدهشك استقامتُهم، وتغريك صداقتهم. فالحاجان من هذا النوع الرفيع فلهما كلّ التقدير.

أيّها الحضور، ما جئتُ اليوم لأرميَ الورودَ على مُحَنْد أُويذير، ولا لأجامله ثمّ أستدير، ولكن حقاً عليَ أن أقول الحقيقة باقتدار، في رجل سيّر المراحل باستمرار وكان برنامجه التدبير، بحسن التسيير فنعمَ الرجلُ أنتَ! ونعمَ المُسيّرُ أنتَ! فبخٍ بخٍ. سي الصايب الذي نعرف أنّ له أياديَ بيضاء في هذه الولاية، فقد عهد نفسَه أن يكون حاضراً في كلّ تظاهرة، ويكون مُلبياً لكلّ خدمة وتلك سمّة سي صايب فأنتَ من الماء الصيّب، والماء الصيّب غيثٌ هيّبُ حيث نزلَ أفادَ، وأدّى إلى فيضان سواد. ويزداد في نفسي إكباراً، إذ أرى احتراماً من ساكنة حورا، فهل لنا فيك نصيب ممّا تحوز، أم ليس لنا أمام ساكنة بوزقن ما نفوز؟ والذين هم اليوم من الحضور قوّة جاؤوا يعضدونك دفعة، ويمدّون الولاية مهابة، فأَنعم بهم يا صاحب المفازة!

ـ سي صايب كما أتمثّله: إنّه شخصية مِعطاء، وفي كلّ مرّة يعطي، وفي كلّ مرة يُسدي، وإن جحده من يدري، فهو اليدّ العليا، المفضّلة على اليد السفلى بل هو الرغيف الذي ينشطر شطرين كي يُشبع، ومن ثمّ كي ينفع. سي صايب أعرف أنّه لا يتردّد فهو لا يفكّر سلبياً ولا يتبدّد، لأنّه يدرك أنّه إذا فكّرنا سلبياً تتراكم المضايقات عكسياً، وإذا فكّرنا إيجابياً تنهال المحسنات طردياً، فهو رجل ينتج الحلول، ويقدّمها لمن هو في رأسه غلول. سي صايب مثل النحل ساكت يصنع العسل، ويقول ما قيمة الدين إذا لم يُحررنا من الكسل. وكان الفيسبوكيون ينتقدونه ويسمّونه جوزيف، وينتقده بعضُهم جزافاً ويغيظهم كلامه وهو يقول: إذا واجهتك معضلةٌ فاتّخذ من العلماء موئلاً وجالسوا علماءَ الأمّة دائماً وعظّموا علماء الجزائر، وبهم نفاخر. أوَ ليسَ لنا الشيخُ حماني؟ ومن أمثاله عبد الرحمن الجيلالي؟ ألم تلدِ الجزائرُ مفتين في مستوى الأماني؟ وذلك ما سبّب له الانتقاد من بعض من

لا يرى غير الافتقاد. واعلمْ أيّها الأخ العزيز أنّه في البداية ينتقدونك من ثمّ يتجاهلونك، وقد يستهزئون بك، بل ويحاربونك، ولكن في الأخير تنتصر، طالما تستخر، وتتحدّث بعقلك قبل لسانك، وتنظر بضميرك قبل بصرك، وذلك سرّ نجاحك. أيّها الحاج الصايب، لا تكترث، ونعرف بأنّ الناس يتكلّمون عنك في ثلاث: عندما لا يملكون ما تملك، وعندما يعجزون أن يكونوا مثلك، وعندما لا يستطيعون الوصول إليك. فلا تنكسر ولا تُصَبْ بما يقولون فبعض الناس عندما تهتمّ بهم يظنّون أنّك لا تملك غيرهم؛ فيتكبّرون، وبعض الناس لا يلتفتون لتميّزك فيستهزئون، وبعض الناس إذا وضعتهم فوق قدرهم يتكبّرون هي حوادث هذا الزمان، وأنت أعلى من هؤلاء الندمان فارفعْ رأسَك عالياً، وأنت في علوّك باقياً.

ــ **سرّ نجاحه:** قد أبالغ إذا قلت بأنّ المدح لا يقبل التلميح، فالصراحة لا تقبل إلاّ التصريح، فنجاح الحاج أنّه يستأثر بالطلاب، فدأبه دأب من يرى بأنّه من أراد أن يزرع لسنة؛ فيزرعَ قمحاً، ومن أراد أن يزرعَ لعشر فيغرِسَ شجراً، ومن أراد أن يُحييَ رجالاً فيستثمرَ في الطلاب، ولا أخفي عليكم بأنّ الذين استأثرهم في ترجمة معاني القرآن، هم طلاب الجامعة بالعيان، وكانت بصماتُه ظاهرةً في الميدان، وبكلّ برهان بما ترجمه من معاني القرآن، مع الطلاب الفرسان. وأشهد أنّه كلّما ننجز لقاءً في الجامعة، يكون حاضراً بمعانٍ صادقة، مقدّماً خدماته الجليلة ومُحمّساً الحضور على التماهي في المناقشة، ويبدؤها بتفجير القاعة وعندها تشتعل الهامة. وأتخيّله يقول: لا تنسوا الاهتمام بلغة عدنان وما قدّمته للعربان، ولحضارة الرومان، وهي التي أفادت كلّ مكان، ولا تفرّطوا في مازيغيتنا فهي هويتنا وظلّنا ومعرفتنا وعقلنا ولسان حالنا، لا تقبلوا بأقلّ ما تستحقّ لغاتنا فالعالَم يحترمنا عندما نهتمّ بلغاتنا، وننتج العِلْم بلساننا، ونضع المعرفةَ في لغاتنا.

وكذلك أضيف للأفعال هذا الشيخ المنيف، بأنّ سرّ نجاحه يأخذ الأمور بعفوية هادفة؛ وأحياناً بروح سُخرية مانعة، وأراه ناصحاً، وفي مقامات مانحاً ويقول: لا تكثر الشكوى، فيأتيك الهمّ والبلوى وازرع البسمات ووراءها السعادات ولا تُسهم في بناء المطبّات، وتظنّونها من الممهّلات، فهي من المكسّرات، فلا خيرَ في من

يعمل على التعطيل، ولا يقبلُ التغيّير، وعاقبته سوء التدبير. وسرّ النجاح أن تعمل على التغيّير الذاتي وتكون أنت البادي، فليس هناك عصا سحرية للنجاح، فالنجاح يَحظى به المكافحون، ويقطف ثمارَه العاملون فلا شيءَ يتحقّق بالصُدفة، بل كلُّ شيء يتحقّق بتحضير العُدّة.

ــ **قبل الخاتمة:** شرّفني معالي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بقول كلمات في حقّ سي محند أويذير. ففي البداية يعتذر عن الحضور، ويقرئكم السلام أيّها الحضور وللمحتفى به كلمات قالها معالي الرئيس في الإعلام ويشيد بخصال الصايب المنّان وممّا قال: كان الحاج صايب من المقرّبين والخلاّن وما رأينا منه إلاّ الإحسان، فبوركت سنواتُ العِمران، ولا تزال في الذاكرة لم تدخل النسيان. ونشهد على هذا الإنسان، بأنّه كان من الفُرسان، في وزارة الشؤون الدينية ذات الميزان، وقد أدّى الأمانة بعِرفان وبحسن النوايا يعمل مع الإخوان، فحقّقوا غايات الوزارة ببُرهان، فهو وأمثاله ممّن يستحقّون الإحسان دون كتمان، فبورك فيك يا سي صايب وأنت بحاجة إلى تيجان، وستتوشّح في تيزي-وزّو الأمان بقلادة الاستحسان، ودامت أيامُك على الخير باطمئنان، وأنت للقلب من الجيران.

ــ **خاتمة:** إخواني الحضور، هي كلمات وفاء نقولها، بصدق وصفاء نعيدها فشكراً لمن فكّر في هذا التكريم، لمن يستحقّ هذا التوسيم، فمُحَنْد أويذير صايب أهلٌ لهذا الترشيح، وما يناله اليوم من التوشيح. فالأمّة الميّتة هي التي تتذكّر رجالَها عندما يموتون، والأمم العظيمة هي التي تحترمهم وهم أحياء خالدون. ويمتدّ الشكر للحضور على بقائهم أوفياء دون فتور، مع ما يعرفه اليوم من تنور. وهكذا إخواني نقول: ما أجمل أن تبقى القلوب على العهد حتى وإن طالت المسافاتُ، وكثرت المشكلاتُ فبالابتسامة تهون الصعوباتُ وبالاستغفار تُقضي الحاجاتُ، وبالدعاء تتحقّق المستحيلاتُ. فتفاءلوا خيراً لتُمنحوا النجاحَ وأعينوا المُستحقَّ على الصلاح. ويسكت الآن شهريارُ عن الكلام المُباح؛ لأنّ شهر زادَ أطلّ عليها ضوءُ الصباح، والسلام عليكم يا مِلاح.

كلمة أُلْقِيَتْ في سكيكدة بعنوان
(العربيّة وحركيّة التّاريخ)♥
الماضي المُغدِق، الحاضر المُقِلق، والمستقبل المُشرِق

ــ **مقدّمة:** إنّ الإنسان مثل الشجرة التي أساسها البذرة، وحاضرها الأوراق ومستقبلها الثمار، فلا يمكن للشجرة أن تكون شجرة إلاّ بالتواصل الثلاثي: البذرة & الأوراق & الثمار، والشجرة التي لا جذور لها لا تُنبت ورقاً ولا ثمراً إنّها شجرة ميّتة، وكذلك الإنسان لا يكون له مستقبل دون ماضٍ ولا حاضرٍ، فهو تواصل بين الأجيال. وكذلك اللغات تُعرف بالتواصل والتكامل؛ ففيها الماضي & الحاضر & المستقبل؛ ذلك أنّ العربية هي لغتنا الدينية والتاريخية والحضارية، لا يمكن أن نبقى على متنها القديم فقط، كما لا يمكن أن نهجرها بدعوى المُعاصرة ونصبح بلا جذور وبلا تاريخ. وهذه الدورة التواصلية مثلها مثل الأزمنة الثلاثة؛ فعند من يعيش الحاضر؛ سبقَ أن عاش الماضي ومن ثمّ عاشَ أو يعيش الحاضرَ الذي ينقله للمستقبل، فهو في دورة زمانية مُتواصلة، وكلّ إهمالٍ لزمن ما يُحدِث شرْخاً في الحياة. كما أنّ القطيعة بين الأزمنة الثلاثة مَضَرَّة، والوقوفُ في زمن ما مَهْلكة؛ وبخاصّةٍ في الزمن الماضي التاريخاني فهو مَقْبرة. وهكذا الأصالةُ، فلا اقتلاعَ للجذور، ولا قطيعةَ مع الماضي. فويلٌ لأمّة وأدتْ حاضرَها ومستقبلها في قبْوِ ماضيها، وويل لشعوب اجتَثَتْ جذورَها فنسيت ماضيها، ورفضها حاضرُها ولا يقبلها مستقبلُها.

تتناول هذه المداخلة الحديثَ عن اللغة العربية في أزمنتها الثلاثة، في إطار وصفي في الزمنين: **الماضي & الحاضر**؛ وصفٌ يتناول تحليل اللغة العربية

♥ــ أعدّت المداخلة للملتقى الوطني السادس للإمام مالك بن أنس، حول: اللغة العربية في الجزائر واقع تحدّيات وآفاق. مدينة سكيكدة، تنظيم جمعية الوفاء الثقافية، أيام:29 –31 جويلية 2017.

إجمالاً، وما عرفته من شدّ ومدّ، وتعرفه الآن من تحدّيات ومن تقدُّم وتوقُّف، ومن مُراجعة وتراجع ومن مختلف الانجذابات العاملة على زعزعة النّسيج اللغوي الداخلي والخارجي، وهذا من طبيعة اللغات التي تتنافس في ما بينها. وهذا ما عرفته العربية من المعارك والتناقضات فانتصرت في أكثر من موقع، وعرفت هزّات وتذبذبات في مواقع، ومرّت بأوقات عصيبة وعاشت المُغامرات الوجودية ورُميت بالتُهَم والسهام الفتّاكة على أنّها لغة مُتحفية لا تصلح إلاّ للزيارة، هذا من جهّة الوصف للزمانين، ومن جهّة التحليل الذي سينال **زمن المستقبل،** فإنّ الاستشراف سيكون بم آلات اللغة العربية حسب ما نراه من خلال فنّون المستقبليات، واستنطاق آليات الاستشراف الذي ينطلق من عماد العربية التي تعرف التطوّرات والتحسينات النوعية يومياً.

1ـ الإشكالية: إنّ العربية رُغم ما تناله يومياً من صدى النقود، وكلّ شيء يناله النقد؛ يعني إنّه في تحسّن، مثل الإنسان الذي يُنتقَد؛ يعني إنّه ليس فاشلاً ويحمل النظرةَ الإيجابيةَ للمسائل؛ فليس هناك فشل بقدر ما هنالك تجارب، وهذا ما يوجد في الطاقة الإيجابية للإنسان الذي يجب أن يحلُم؛ فالحلُم من أُسس النجاح، وهذا ما عاشته العربيةُ خلال دورات الزمن، وقد ثبتت وكانت مِطْواعة وعاشت الليونةَ التي جعلتْها أكثر تحكُّماً في النتائج وفي الإبداع، وكانت سبيلاً لتحقيق الامتياز، ومن ثمّ تحقيق الإيجابية للمتون اللغوية وما حملته من ذاتها وما أُفيدت من الأخذ، حتى أصبحت لغةً يُعتزّ بها في إطار الحمولة الفكرية والحضارية والتاريخية. بالفعل إنّ العربية لغةُ المتون القديمة والحديثة والموسوعات، لغة قُدمى قديمة، وأكبر لغة وأقدم لغة سامية عرفتها الحضارة الإنسانية. وفي كلّ ذلك هناك مخاض عربي حول الوضع اللّغوي الذي يكبر ويتقدّم وأحيانا يعود القهقرى. فما سبب ذلك المخاض؟ أيعود إلى اللّغة في ذاتها؟ أم يعود إلى العربي في ذاته؟ أم إلى مُستخدميها عامّة؟ فإذا عرفنا أسباب ذلك هل لنا أن نُعلن التطوّرات الحاصلة والقادمة للعربيّة في القرن الحادي والعشرين (21) لعربية العلم والمحتوى الرقمي لعربية يعود قوامُها إلى تلك العصور التي ازدهرت وعرفت الإبداع وكانت لغةَ

العالم؟ وهكذا نقول: ما هي آفاق هذه اللغة؟ وكيف نضمن مُواكبة المُستجدات مع العولمة اللّغوية المُستوطنة جَبرياً في اللغات الضعيفة؟ وكيف يكون للعربية موقع بين لغات العلم؟ وكيف تتماز عنها؟ بل كيف تعلو عليها وتصبح مرجعية كما كان قدماؤنا المبدعون مرجعيين لدى الأمم؟ وما هي الآفاق المستقبلية في ظلّ العولمة اللغوية التي لا تُقرّ إلاّ باللغات المُنتجة للعلم؟ تِلْكُم هي مجموعة من الإشكالات التي نعمل على تفصيلها من خلال مُحدّدات المداخلة:

2ـ **الدراسات السابقة:** لا ننكر بأنّ فيضاناً من البحوث والدراسات أُنجِزت في هذا الموضوع ويكفي أن نشيرَ إلى بعضها من مثل:

2ـ1ـ اللغة العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية .2009

2ـ2ـ اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جبور عبد النور مطابع نصّار بالقاهرة.

2ـ3ـ المدوّنات الإلكترونية: هي كثيرة جداً، بعضها يُستأنس بها، وكثيرها عبارة عن دردشات وأفكار ومنافحات. وعلى العموم، إذا دخلنا عالم الشابكة، فإنّه سوف تعطي لنا دراسات وأبحاثاً عديدة؛ حيث المواقع تزخر بدراسات علمية ومقالات اجتهادية. ووقوفنا في ذكر نماذج من هذه الأبحاث؛ لنقول للقارئ بأنّ هذه المداخلة لم تأتِ من فراغ، ولم تكن فاتحةً للآفاق، بقدر ما هي مُكمّلة لبعض الأبحاث في هذا المجال ولذا قلنا: إنّ المداخلة وصفية بحتة في باب **الماضي** وتحليلية نقدية في بابي: **الحاضر & المستقبل.**

3 ـ **الماضي المُغـدق:** إذا ذكرنا الماضي ووصفناه بالمُغدق؛ فيعني أنّ هناك إنتاجاً يقابله العطاء المُجزي وهذا ما كان جلِياً في قرون التقعيد وعصر الفصاحة والتي وصفت بقرون الإبداع والازدهار؛ فقذ تأسّس بيتُ الحكمة الذي عمل على ترجمة أمّات الكتب، وأضحى منارةَ العلماء في التنافس والإبداع، وغدا مسرحاً لحوار الأفكار، وفي ذات الوقت كان الخلفاء يُشجّعون المبدعين ويستقدمون العلماء، بل يتسابقون في انتقاء الكفاءات وجهابذة العلماء من كلّ الأقطار

ويفتخرون بأنّ عالماً نزول بفسطاطهم ودرّس في رحاب مساجدهم، كما كانوا يغدقون على المترجمين إلى درجة أنْ قيلَ للمأمون: كيف تغدق عليهم بوزن ما يكتبونه ذهباً، وعلى ورق أو لخاف أو عظام ثقيلة، وهذا تبذير؟ فقال: نُعطيهم ما يفنى، ويُعطوننا ما يبقى؛ يأخذون المُماة، ويُعطوننا الحياة.

3 ــ1ــ العربية بين الماضي & الحاضر: تبقى العربية اللغة الوحيدة التي لم تتقطع عن ماضيها؛ فقد أقامت حلقاتِ وصلٍ لاستدراك بعض الماضي واستكملت ما لم يكن وهذا على مستوى أدبها العربي الذي كان المنطلقَ. وكان فضلُ الأدب كبيراً في النهوض الحديث، وبخاصّة عندما حصل التبادل بين ضفتي المتوسّط من زمان الأندلس؛ حيث عرفت الثقافة حياةً غريبةً لم تكن تعرفها، كما حصل تشجيع تعلّم اللغات الأوربية، وعن طريقها عُرِفت المطبعةُ، وطُبِعت كتبٌ قديمة كانت في طريق الزوال كما كان إحياءُ الأدب العربي القديم بفضلها، في الطبع والتنافس وفي الإبداع، وأفادت الحضارتان الشرقية والغربية من تلك الجسور التي مدّت عن طريق الأندلس، فحصل التناغم العلمي بين اللغات، فكانت العربية سيّدة المقام. وزاد التبادل العلمي بين الضفتين عن طريق الاستشراق والاستعراب لدرجة أن طُبعت الآداب العربية والغربية بطابع التكامل في كثير من الإبداعات وبطابع التأثير والتأثّر، وأفادت العربيةُ من ذلك التلاقي في المناهج التي عوّل عليها العرب في تحقيق الرصيد التراثي العربي، وسهلت قراءة المتون العربية بل وصلت إلى الضفة الغربية، فأعمل فيها الباحثون بصيرتَهم، فأبدعوا في الأدب العربي أيّما إبداع.

وفي هذا الوقت، لا نعدم القول، ولا نخفي الحقيقة؛ بأنّ العربية الآن تُحظى بمكانة مرموقة بين لغات العالم؛ باعتبارها اللغةَ الأمَّ لما يزيد عن خمسمئة (500) مليون من العرب، ومليارين (2) من المتلاغين بها دينياً، واللغة الثانية (2) لسكان العالم الإسلامي، وعدد عواصمه ستّ وخمسون (56) عاصمة، وثالث لغات العالم من حيث سعة انتشارها في القارات الخمس، وهي لغة لستين (60) دولة، وإحدى اللغات الستّ(6) التي تُكتب بها وثائقُ الأمم المتحدة وتُستعمل في وكالاتها وإنّها اللغة التي اختارها الله لينزّل بها أفضل كتبه على أفضل رُسُله... وبالتالي، فهي إحدى اللغات

الحيّة والمتفاعلة مع باقي لغات الشعوب والأجناس والحضارات، وهذا عامل من عوامل الخلود والبقاء لما لها من خصائص ذاتية. أضف إلى ذلك أنّ اليونسكو اعتمدت يوم الثامن عشر(18) ديسمبر من كلّ سنة يوماً عالمياً للغة العربية، وأقرّت أنّ هذه اللغة يتحدّث بها اثنان وعشرون (22) عضواً من الدول الأعضاء في اليونسكو، لها صفة انمازية لا تتوفّر في اللغات الخمس (5) المعتمدة ولا بدّ أن تكون إلى جانب اللغات الرسمية في المنظّمة وهي اللغة الأولى في (الألكسو) ولها يومٌ خاصٌّ يسمّى يوم لغة الضاد؛ وهو الأوّل (1) مارس من كلّ سنة.

4 ــ **الحاضر المُقلق:** إنّ الحاضر حقبة زمنيَّة ذهبيّة، بما عرفه من قلاقل وانجذاب؛ خلق الصراعَ اللغويَ الذي أفضى إلى التنافس العلمي، كما أدّى ذلك إلى رفع بعض الطعون المُفضية في التشكيك فيها؛ بأنّها بدْوية ماضوية لم تقطع صلتَها بماضيها وهي لغة الكهنوت التي تخلو من العلمية، وكان يجب التخلّصُ من الفصحى، واعتماد العامية وسيلة التواصل اليومي، وهي لسان الأمّة... وأمّا بخصوص العلمية، فإنّه من الضروري اعتماد اللغات الحيّة، ويكون التنازل عن اللغات الوطنية وعن اللهجات في المواقف الرسمية وكذلك فضّلوا لغاتهم عندنا وقالوا: "لا ننسى أنّ لغتنا الفرنسية هي اللغة الحاكمة، فإنّ قضاءنا المدني والجزائي يُصدِر أحكامَه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تصدر بأعظم ما يمكن من السرعة جميعُ البلاغات الرسمية، وبها يجب أن تكتب جميعُ القيود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا". دون الحديث عن تلك المحاولات بخصوص كتابة العربية بالحرف اللاتيني والعمل على التقليل من قيمة اللسان العربي؛ باعتباره لغة ثانية في الأقطار العربية لما يعيشه من ثنائية لغوية تفرّق بين المسموع والمكتوب... علماً أنّ النزيهين من هؤلاء قالوا: "إنّ اللّغات الخمس التي كان لها دور رئيس في كلّ الحضارة الإنسانية هي الصينية القديمة والسنسكريتية والعربيّة واليونانية واللاتينية، كما قالوا: "... إنّ فضلَ العرب والعربيّة على الحضارة الغربية كبير جداً، وفضل كتاب الرزاي في الطبّ (لأبي بكر محمد بن زكريا) أفضل من كتب الغربيين لمدّة تزيد عن 400 سنة، وهم الذين نصبوا صورته في الباحة الكبرى لكلية الطبّ بباريس، وعلّقوا

صورته في شارع (Saint-Germain/ سان جيرمان). وهذه اللغة تحتاج منّا في الزمن الحاضر المقلق إلى تحقيق ما يلي:

4 ـ1ـ الاعتزاز اللغوي: وكان حرياً بنا أن نشير إلى جملة المتعلّقات بخصوص الحاضر المُقلق؛ لما للعولمة من تأثير في اللغات الوطنية، وكلّ الشعوب تُولي لغاتها القداسةَ والأهميّةَ، بلْهَ الحديثَ عن عبادة متنها اللغوي واحترامها من احترام الدين والتراث، ومن احترام تطبيق القانون والنظام؛ لما للغة من الشخصية والهُوية والتشكيل الثقافي الذاتي. فاللغة **حاملةُ الثقافةِ ووعاؤُها ولسانُ حالها، واللغة وعاءُ الفكرِ وأداةُ التفكيرِ والتعبيرِ والتواصلِ، ومُستودع ذخيرة الأمّة، واللغة هي الجسرُ الذي يصلُ الماضي بالحاضر والمستقبل.** إنّ اللغة الأمّ هي **الوطنُ الثقافيُّ الذي يصنعُ الوجدانَ ويثيرُ التفكيرَ، ويترجمُ الأحاسيسَ، وهي المسبارُ لكشف كنْهِ كلِّ شخصيةٍ. فما موقع العربية في نفوس أهلها وناطقيها؟ وما موقعها المعاصر أمام تجلّيات البحث العلمي والتقانة ورياح العولمة؟**

لا نريد أن نقع في القول المكرور من الإشارة إلى توصيات المؤتمرات والندوات وقرارات المجامع والمؤسّسات الثقافية، فهي عديدة، ونريد أن نخاطب الواقع لنقول: إنّ العربية بحاجة إلى دعم القرارات لتنال التطبيقَ، والخروج من التوصيات. العربية بحاجة إلى حُسن تعلّمها وتعليمها وتعميمها والبحث فيها وبذاتها ولذاتها، وعدم انغلاقها على نفسها، وأن تأخذ وتعطي، وتتبادل المنافع العلمية والأدبية وتنخرط في سلّم اللغات العلمية لتُفيد وتستفيد. نريد أن نقول: إنّ العربية لغتنا التي يجب الاعتزاز بها وهي لغة قرآننا المقدّس ليست لغةً عاقراً ولا لغة موات، بل تحتاج إلى من يخدمها، وواجب علينا **-حكاماً ومحكومين متخصّصين وغير متخصّصين، علماء ومتعلّمين، مُنتخبين وغير مُنتخبين- أن نحافظ عليها ونرعاها، ونتحدّث بها؛ لأنّها اللغة الخالدة التي تكفّل الله بحفظها ولكن ذلك لا يعني التقاعس عن الاهتمام بها؛ لتكون لغةَ حديثنا العادي والعلمي والأدبي وفي كلّ المحافل؛ لأنّ الحديث بها لا بغيرها شرفٌ ما بعده شرف.**

4ـ2ـ خوض تحدّيات العولمة: إنّ العولمةَ شعار التفوّق والإنتاج والشهرة وخوض التقانات وفتح الحدود، كما تعني "تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكلّ، وجعله على مستوى التسخير العالمي؛ بحيث ينقل من الحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن المراقبة. ويذهب الكثير من الدارسين إلى أنّ العولمةَ تعني هيمنة دول المركز وسيطرتها – في ظلّ نظام عالمي– على بقية الدول الأخرى في جميع المجالات الحيوية كوحدة سيبيرنية موجّهة" ومن المنظور اللغوي تعني السيطرة القوية على اللغات الأخرى الضعيفة وتهميشها في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية؛ حيث تحلّ محلّها اللغات الأقوى، وبصورة خاصّة اللغة الإنجليزية.

لا نريد أن نقرأ أو ننظر إلى العولمة من المنظور السلبي، ونقول: إنّها تقضي على خصوصياتنا اللغوية؛ فنجتنبَ الخوضَ فيها أو عدم التعامل معها وأن نبقى مُتحصّنين بخصوصياتنا كي لا نموت أو لا نذوب. وهذا رأي مُجانب للصوب؛ فالعولمة سلاح ذو حدين، فإمّا أن ننزوي ولا نستفيد ولا نفيد ويكتب علينا التاريخ بأنّنا كنّا رقماً صفراً (0) في الحضارة المعاصرة، وإمّا أن نكون ونقرّ بحقّ الاختلاف والتنوّع والاعتراف باللغات وبالثقافات، وبإسهاماتها في الحضارة الإنسانية الواحدة وتكون لغتُنا واحدةً من صُنّاعها فنعيش تحدّياتها الكبرى؛ بموقف الندية لنتحكّم في سوق اللغات ويكون للغاتنا موقع في خريطة اللغات. ونعود لنؤكّد بأنّ العربية عاشت عبر أزمانها الكثير من عولمات الحضارات الأجنبية؛ وكانت فاعلة فيها وفرضت نفسها وأثّرت، ووصلت إلى درجة أنّ لها مواقعَ مُملاةً لشروطها حتى أصبحت لغةَ العالم.

لقد واجهتِ العربيةُ في تاريخها أربعَ (4) محاولاتٍ صعبةٍ وممتحنة وخرجت منها قويّة وأشدّ شكيمة وأقوى عزيمة من ذي قبل، ولم تُضْعِفها تلك الحالات العصيبة، بل زادت في توسّعها حتى العصر الحاضر الذي واجهتها العولمة بما لها من مضايقات تقنية جديدة، ويمكن أن نطلق عليها مرحلةَ التحدّيات العولمية وهي خطيرة وتزداد شراسةً وقوةً يوماً بعد يوم، فكيف تكون المواجهةُ؟ كيف يمكن التغلّب على غول الفيضان الإعلامي من قبل وسائل الإعلام الذي يتوجّه نحو حرب حضارية؛ تكون فيها القيَم

الثقافية والرمزية هي الحدود القتالية. ونعلم بأنّ اللغة عنصر مُهمّ من عناصر الثقافة وليست العربية بمنأى عن التأثيرات والمؤثرات في مجال المصطلحات التكنولوجية وما له علاقة بالتجارة والصناعة وغيرها من المصطلحات الدخيلة، ومن تعريب بعض المسكوكات فهل أعددْنا سُبل المواجهة أو طرائق التفعيل داخل التحدّيات؟ وكان علينا أن نعمل لمواجهتها بالتكافؤ والبحث في منهجيات الحفاظ على العربية؛ بالعمل على تعريب "سوق العمل والتعليم والإدارة والإعلام وجميع المؤسّسات الوطنية والعربية، وسدّ الفجوة الهائلة بين اللغة العربية والمعارف والعلوم والتقنية والصناعة في جميع المجالات وربط اللغة العربية بجميع معطيات العصر وتطوّراته في الميادين كافّة. وتوفير الكتاب الجامعي في جميع التخصّصات العلمية في الجامعات العربية بالإضافة إلى التواصل المستمرّ والآني مع مراكز البحث، ودُور النشر العلمية، والجامعات في دول العالم المختلفة...وهي أمور في غاية الأهمية في سبيل رفع التحدّيات في اللغة العربية. ويضاف إلى ذلك كلّها لاطلاع على أحدث المخترعات والمكتشفات ونقلها للغة العربية والنهوض بالترجمة على مستوى الكوادر البشرية والتجهيزات التقنية. وفي المجال الأكاديمي، إنّ الحاجة تلحّ على دعم المكتبة العربية بالمؤلّفات الحديثة في جميع التخصّصات، وزيادة تدريب المترجمين والمعاجميين والتقنيين في مجال اللسانيات بالإضافة إلى دعم الأبحاث والدراسات اللغوية المرتبطة بالتقنية والصناعات الحديثة وربط الجامعات العربية ببعضها البعض علمياً ومعرفياً وبحثياً وتقنيا". ولا يكون كلّ هذا الكلام مجدياً إلاّ بتعزيز الانتماء اللغوي، وزيادة في المحتوى الرقمي، والحفاظ على صفاء اللغة العربية والعمل على سيرورتها وانتشارها ونشر روائع الثقافة العربية، وقيمها الإنسانية وإغناء المكتبة العربية بالكتب العلمية تأليفاً وترجمة والتعامل الحضاري في الأخذ والعطاء مع الألسُن الأخرى مع إعطاء اللسان العربي حقّه العُلوي في الجوانب العلمية إنتاجاً واستعمالاً، والعمل على مواصلة تعميم استعمال العربية في كافة مناحي المراحل التعليمية، وما يعيشه المواطن في يومياته.

إنّ الحاضر المُقلق يستدعي منّا النظرةَ التفاؤليةَ والإيجابيةَ، وهي طاقة المستقبل فليس مُهماً أن تكون العربية الآن بارزة في كلّ موقع علمي؛ لأنّ العلم لا يوجد في

لغة واحدة، بل المُهمّ أن تتفاعل العربية مع العلم ولغات العلم، وتفسّـر الأحـداث وتنظر إليها بطاقة إيجابية مستوعبة وناقلة، فليس هناك لغة أضعف أو أرقى، بـل هناك إنسان إيجابي يتفاعل مع الحدث، ويحقّق الانتصار، وهنـاك إنسـان سـلبي يتشاءم قبل حدوث المشكلة، ويضخّمها بعد حدوثها ويفشل. فعلينا في الحاضـر أن نحلم بأمل المستقبل؛ أمل النهوض، فالخريطة العلمية ليست هي الحدود التي هـي في مخيلتنا، بل هي الإيجابية التي نعدّها للإبداع ولتحقيق الذات، ومن ثـمّ تحقيـق الإيجابية. والغاية في كلّ ذلك هو عدم الاستسلام للسلبية أو لفكرة عدم اللحـاق، أو صعوبة اللحاق اللغوي، ومن ثمّ يحصل اختمار الذهن الـذي لا يعمـل، ويستسـلم للأمر، ويقول: إنّه الأمر الواقع، وهو المكتوب الذي وجد في ناصيتنا بأنّنا سـنبقى أتباعاً، وتبقى لغتُنا تبَعاً، ونحن لم نسعَ للبحث في إقامة الأسباب.

5ـ المستقبل المُشرق: إنّ ماضي العربية وحاضرَها نبراسُ مستقبلها؛ فهما اللـذان يُوضّحان لنا التكهّن بمستقبلها، فهل تكون مفقودةً مُهـدّدةَ المسـتقبل؟ أم سـتكون خالـدةً مُعزّزةً؛ تتنامى وتزدهر بازدهار الدين وبعمل الباحثين الزّارعين حقولَها بالمعرفة؟ وهـي سيبقى الصراع اللغوي، وهل ستعرف النقود التي تعمل على تطويرها وحسن التدبير فـي آلياتها؟ ومع كلّ ما يقال من تشاؤم أو تضارب بين التنظير والتطبيق، فإنّ العربية اليـوم تتنفّس الصعداء؛ لأنّها أنهت مراحل الإقرار بقدرتها، وها هي علامات الراحـة تظهـر عليها بعد المُعاناة التي استمرّت خمسة(5) قرون، وعلامات النهضة تلوح فـي الآفـاق. ومع ذلك نقول: هناك عمل كبير ينتظرنا ويتمثّل في:

- الإكثار من تأسيس المدارس من المستوى العالي؛
- مطالبة المدرّسين بأداء واجبهم العلمي والتربوي بحسن التدبير الفعلي؛
- الارتقاء والاهتمام بمستوى العلماء والباحثين، وإكبار أعمالهم القيّمة؛
- الاهتمام بعلم التقانة العامل على تقريب العلوم وتخزينها واسترجاعها.

ولا يمكن الوقوف في هذه النقاط إلاّ بالتغلّب على نقطة مُهمّـة وهـي خـوض **ميدان الذكاء الصناعي** الذي سيكون ثروةَ المستقبل، بل يُستثمر فيه لاحقا والغلبـة

لمن يتحكّم في هذا الميدان، ويرى الباحث الفرنسي في علم المستقبل، (جان كريستوف بوني/ Jean Kristof Bonny) أنّه ليست القنابل النووية والهيدروجينية هي ما ستصبح أهمّ أنواع الأسلحة في القرن الـ 21 بل الذكاء الاصطناعي ويقول: "في عام 1995 كتب نيلسون مانديلا أنّ التعليم سيصبح أهمّ أسلحة القرن 21، بدلاً عن الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل للقرن الـ20. ولكنّني أعتقد أنّ نظم الذكاء الاصطناعي هي ما ستصبح (أهمّ أسلحة القرن الجاري) لأنّها لا تحتاج -خلافا للقنبلة النووية- إلى اليورانيوم والمصانع وغيرها من الأشياء التي يصعب الحصول عليها، بل إلى مجرّد السليكون والكهرباء". وينشطر هذا المحدّد إلى عوامل كثيرة:

5 ـ1ـ **عامل الترجمة:** سُئل طه حسين قبل وفاته بأشهر، وكان يومها رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة السؤال التالي: **كيف يمكن تطوير اللغة العربية؟** فأجاب: **ترجموا وترجموا، ثمّ ترجموا**. كان علينا ردمُ فجوة الفارق بيننا بين الشعوب التي تفُوقنا كماً وعدداً في الترجمة، وهناك أرقام مدهشة للعجز في هذا المجال، وكان من اليُسر أن نعمل في فِرَق، وفي مشاريع ترجمية مرافقة لمشاريع الحكومات العربية، وأن نضع الأموال المُغدقة؛ ليقع التنافس في الجودة، أو في الركام الترجمي، وأن نأخذ بتجارب الأمم الناجحة. وفي هذه النقطة نريد أن نستفيد من التجربة الفرنسية الناجحة، نظراً لما حقّقته من إحراز النجاح للغة الفرنسية وتضخيم الركام الترجمي الفرنسي الذي أدّى إلى النوع الجيّد في كلّ مجالات المعرفة الإنسانية وهذا بدءاً من الاستثناء الفرنسي بتخصيص وزارة الفرنكفونية/ وزارة اللغة الفرنسية وهذا تخطيط وُضِعت له أسُسه الأولى بأمر فيلركوتريه Villers-Cotterêts سنة 1539 حتى قانون loiToubon عام 1994. وهنا تظهر عبقرية الفرنسيين في الترويج للفرنسية لمواجهة التنوّع اللغوي والثقافي والتصدّي لقطب العولمة. وكذلك النظّر إلى الفرنسية على أنّها هي فرنسا، كما لها مستعمرات في الخارج وفي ما وراء البحار، كان على الفرنسية أن يكون لها الحضور في كلّ العالم، واستطاعت تجميع الناطقين بالفرنسية في قطب الفرنكفونية لمواجهة الإنجلوفونية. ولذلك خاضت معارك كبيرة من أجل وضع

مؤسّسات تخدم الفرنسية ووضع قوانين صارمة، وإلزام كـلّ المؤسّسـات باسـتخدام الفرنسية لجزيرة فرنسا Ile-de -France فقط؛ على أنّها **اللّغة الجامعة والموحّـدة،** وأنّ حضور الفرنسية في كلّ الأماكن مسألة لا تُناقش وهذا ما أعطى للغة "الجمهوريـة وضعاً قانونياً على أعلى المستويات وتجسّد في الدستور الفرنسي عبر الممالك وعبـر الجمهوريات الخمس، وفي أماكن القانون...ولم تحظَ لغةٌ في الأراضي الفرنسية بمثـل هذا الوضع[1]". واستتبع ذلك تأسيس جبهات خدمة الفرنسية في الخارج مثل المفوضـية العامّة للّغة الفرنسية والمراكز الثقافية مع الاهتمام الجزئي بالإرث اللهجـي الإقليمـي الذي لا يعلو على الفرنسية. والاهتمام بالترجمة، بشتى أنواعها وارتبطـت مؤسّسـات الترجمة بالسلطة والدولة إلى جانب مكانة التدفّقات الترجمية الدولية ممّا يترجم إليها من اللغات الأجنبية، والتشجيع المادي والمعنوي لكلّ عمل يخدم اللغة الفرنسية.

وهكذا تكاثفت الجهود الفرنسية عبر أنشطة معاصرة؛ ذات العلاقـة مـن مثـل الاستثمار في الإمكانات التفاعلية لوسائل التواصل الاجتماعي، واسـتثمار القـدرة التفاعلية الإيجابية لخدمة الفرنسية وهذه الوسائل كانت تقـوم بالفهرسـة والتحليـل والتصويب؛ حتى قدّمت مُدوّنات كبيرة أغنت الرصيد اللغوي الفرنسي. كما قامـت هذه الجهود في شكل تطوّع لغوي؛ غرضه العمل على انتشار الفرنسية في الداخل وفي الخارج ودون مقابل. ونشير إلى أنّ هذه الأعمال التطوّعية شرعت في تنظيم أنفسها في شكل نوادٍ أدبية ومجامع افتراضية، ولجـان دفـاع عـن الفرنسـية أو حمايتها، فضلاً عن مدارس تطوّعية تقوم على تعليم الفرنسية دون مقابل. ونقـول: إنّ العربية تحتاج في واقعنا إلى جهود المجتمع بكافة مؤسّساته وفعالياته الرسـمية والشعبية وتحتاج إلى استلهام التجربة الفرنسية التطوّعية ومختلف المبادرات التـي عرفتها وتلك الأرمادة الكبيرة لجيوش الإعلام الفرنسي التي تبـثّ بالفرنسـية دون غيرها من اللغات. وبفضل ذلك التطوّع ازدهرت الفرنسية بعدما مـدّت بأسـباب

---

[1]– محمد أحمد طجو "سياسة الترجمة في فرنسا". السعودية: مجلة التخطيط والسياسة اللغوية. الرياض: 2016 مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، العدد 3، ص 10.

المنعة والنفوذ والهيمنّة، ووصلت إلى امتداد فرنكفوني بامتياز، فصارت قطباً مناوئاً للعولمة الثقافية لما لها من المؤمنين والمتطوعين، وبتلك المؤسّسات التعليمية والفضائيات التي تزخر بمحتوى فرنسي لا غير.

5ـ2ـ عامل الحوسبة: وهذا ما يدخل ضمن مرحلة الإدخال الكمّي للمتن اللغوي، ثمّ تأتي مرحلة المعالجّة، وأخيراً مرحلة إخراج النتائج، وهذا ما تُخصّصه برامجُ التحليل اللّغوي. وعلى هذه الحوسبة تُبنى تطبيقات لغوية، وهذا ممكن جداً وسهل؛ فهو يحتاج إلى أجهزة ذكية جبّارة تستوعب الكمّ المنتج للعربية وإعادة قراءاته وتحليله في صوَر شكلية حسب المناطيق المُعدّة لذلك. وهذا العامل يحتاج إلى بناء المدوّنات اللّغوية التي نستعين بها في دراسة وتدريس العربيّة الشفوية والمكتوبة الموثّقة من حيث المصدر والتاريخ والنوع كحدّ أدنى... "مجموعة من نصوص اللغة الطبيعية، ولكن بشكل أدقّ يجب أن نضيف أنّ المدوّنات الحاسوبية نادراً ما تكون مجموعات من النصوص فهي تجمع بصورة عامة ومحدودة وغالبا ما تجمع لتكون (بشكل غير رسمي) ممثّلة لبعض اللغة أو نوع من النصوص[1]".

5ـ3ـ عامل الاستثمار في لغة الطفل: الاستثمار في لغة الطفل، وفي أدب الطفل هو القاعدة الأساس إذا ما بنيت بناءً سليماً ينطلق من خلالها الطفل؛ ليأخذ مختلفَ اللغات دون خوف على إدخال الضيم على لغته أبداً. وإذا تحدّثنا عن لغة الطفل فنتحدّث عن المشاريع، وعن إنتاج أجيال نروم أن يتحقّق فيها مسارُ الحداثة بمفهوم المستقبل. نتحدّث عن لغة الطفل لنعمل على لُحمة وطنية بريئة من كلّ نقيصة، نتحدّث عن ذلك الطفل الذي نبني فيه شخصيةَ قائد المستقبَل، ومخططَ الأجيّال. يجب العلم بأنّنا نعيش السباق الحضاري واللّغوي فلا يمكن أن نترك الطفل يتنصّل ولا يتمسّك بإنيته، كما يجب أن لا ينفتح على غيره، نريده أن يعيش عمره

[1]– محمود اسماعيل صالح "المدوّنات اللغوية العربية بناؤها وطرائق الاستفادة منها" ط1. الرياض 2015 منشورات مركز الملك بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ص 19–20.

وعصره وهو ابن مصره ولذا يجب أن تُغرس فيه القيّم الوطنيّة المستمدّة من المرجعيّات الحضاريّة والثقافية والدّينية؛ ليعرف أطفالُنا موقعَهم في مجالات المعرفة، ويعرف المعلّمون حدود مناهجهم التدريسية. فلا يمكن في هذه النقطة أن نغيّب الحديث عن **لغة الطفل في وسائل الإعلام**. وكما قلنا، فإنّه من الضروري الاهتمام بالطفل والاستثمار في لغة الطفل، لأنّه القاعدةُ والمنطلق؛ فإذا كانت القاعدةُ صلبةً، لا يُخشى عليها، وسوف تقوم وتنتمي وتتقوّى وتوثّق وهذا عهدنا في أبنائنا. أبناؤنا ثروة واعدة للوطن، وهم أدوات البناء والحضارة، والتفريط فيهم مضرّة للجميع، ولذا كان علينا تنمية لغة أبنائنا من أدب يخصّهم والاهتمام بمتطلّباتهم الأخرى من المسرح والكاريكاتير والإعلام الرقمي والبرامج اللغوية الخاصّة حتى يمتلكوا آليات اللغات الوطنية في مراحلها الأولى ومن ثمّ امتلاك المفاهيم اللغوية والمرجعيات التي لا تجعلهم يحيدون عن حبّ الوطن وحبّ لغة الوطن وعدم الذوبان في الآخر، كما أنّ هذا يحصّنهم من الذوبان في اللغات الأخرى، بل يستطيعون تعلّمها دون أن تأخذ ألبابهم، ودون أن تلوي عنق لغاتهم الأمّ.

5 ـ 4 ـ عامل الاهتمام بلغة الشباب المعاصر في الوسائل الحديثة: لقد فرضت الوسائلُ المعاصرة لغةً وأنماطاً كتابية حديثة، جعلت بعضَ الشباب يستغلّها في العبث أو في استعمال الدارجة وما يلحق بها من وسائل التهجين. ولذا كان على القائمين توجيه هؤلاء الشباب المتعلّمين للوسائل المعاصرة من حيث:

- الكتابة صواباً بالعربيّة؛
- الدردشة المُكمّلة للدروس الفصيحّة؛
- كتابة كلّ الأصوات بالحروف العربية الموجودة في منظومة الخصائص العربية؛
- جعل الشباب يتنافس في الإبداع اللّغوي؛ بحيث يُؤلّف رسائل راقية ويخاطب غيره بلغة لا تحتاج إلى ترميم؛
- زرع الغيرة في الشباب في أهمية الكتابة بالعربية؛ لأنّها قيمة مضافة لهُويته بدل الذوبان في لغة الآخر، ويكون رقماً غير مضيف في لغته؛

- توجيه هؤلاء الشباب توجيهاً سليماً بدل عزلهم أو تحويل كتاباتهم إلى سخرية؛
- إبداء المعايير والخصائص اللغوية، والعمل على تثبيتها في لغتهم العربية؛
- رفع المستوى العلمي للشباب، واستقطابهم ليكونوا قوّة بناء لا مجموعات هدم.

ومع كلّ ما يمكن أن يُقال في نقائص استعمال العربية في هذه الوسائط، بحكم الانجذاب للغات الأجنبية وبخاصّة الفرنسيةَ في محيطنا الجزائري، إلاّ أنّ اندحار اللغة الفرنسية مشهود وبقوّة؛ ويعني تراجع استعمال الفرنسية لدى الشباب والتعامل مع الإنجليزية، ونشير بأنّ تقرير المجلس الأعلى للفرنكفونية الذي يقرّ بتقهقر الفرنسية في الجزائر في السنوات الأخيرة؛ وبنسبة دقيقة يشير إلى تراجع محسوس من 41 % سنوات ما قبل 2000 إلى 28 % بعد الألفين، وبهذه النسبة تتراجع الجزائر إلى المرتبة الرابعة عالمياً من بين الدول الفرنكفونية بعد أن تجاوزت النسبة 60 %منذ الاستقلال، علماً أنّ الجزائر ليست دولة عضوة في قطب الفرنكوفونية كما "أظهر استطلاع للرأي في الجزائر شهر فبراير أنّ 1.88 يرون أنّ اللغة الإنجليزية تستحقّ أن تكون اللغة الأولى بعد العربية، في حين حصلت الفرنسية على نسبة 9.11 وهي النسبة التي تزامنت أيضاً مع مطالب عدد من نقابات التربية لإعطاء الإنجليزية حقّها في التعليم، واعتمادها لغة أجنبية أولى بدلاً من الفرنسية[1]".

5 ـ 5 ـ عامل تطوير مناهج تعليم العربية: هناك واقع، وهناك فرص التطوّر ونروم من هذا تسليط النّفوذ العلميّة على واقع مناهج تعليم العربيّة، تمهيداً لكشف ما يحصل فيها من قُصور، وعبرها نقدّم الحلولَ الاستعجالية؛ لردْم الفجوات المسجّلة في مناهج العربية، وهذا وفق أفكار تقدّم من المختصّين. ونروم أن يكون المنطلق من وضع معايير المهنّة، وفق الإعداد المهني العلمي والتربوي، وتحديد السمات والخصائص المهنيّة اللازم توافرها في عضو هيأة التدريس، إلى جانب التفوّق الأكاديمي والقدرة على إجراء البحوث.

---

(1) ـ بوابة العين الإخبارية، بتاريخ: 12 جويلية 2017.

ولهذا لا بدّ من النظر من جديد في معايير إعداد المعلّمين وفق المعاصرة والمعلّم الناجح هو من يتحكّم في الأصالة، ويتقن الحداثةَ، فنحتاج إلى بِناء معلّم يتقن توصيل المعلومّة، ويستعمل بسهولة أداء توصيل المعلومّة بطرائق حديثة ويعرف خطوات تطوّرها وفق الأصالة والإبدّاع وهذا ما يعمل على بناء الأجيّال القادرة على تحويل البيانّات إلى معلومات، والمعلومات إلى معارف والمعارف إلى حكم، والحكم إلى سيطرة على العلوم... وهذا كلّه بغية تحقيق مسار معلّم المستقبل الذي يتطلّب مهارة وتمهيناً لمهنة التعليم، وإعداد المعلّم الكفء هو المدخل الوحيد لاحترام مهنة التعليم، ولإحداث التّطوير وفق خصوصيات العصر. ولذا فالتعليم حِرفة مُوقّرة، وتحتاج إلى مَهارة عاليّة كما تتطلّب وجود معايير وشروط لازمة؛ لمزاولتها والاستمرار فيها، وامتلاك الأفكار والضوابط المناسبة لممارستها ممارسة فنيّة، وهذا الأمر لا يتنصّل عن النمو المهني لأعضاء هيأة التدريس الذين يملكون الجانب العلمي الذي يأخذونه في الجامعة والجانب المهني في المعاهد التكنولوجية.

5 ـ 6 ـ عامل تعليم العربية عن بُعْد: إنّ عصرنا يمتاز بالطوفان المعرفي في كافة المجالات وهذا يتطلّب إحداث تنمية بشرية قادرة على إنتاج المعرفة وتوزيعها وتعميمها وتوصيلها بمختلف الوسائل إلى كلّ الناس. عصرنا يحتاج إلى معرفة معاصرة يرتفع بالثورة المعرفية، ويفرض تغيّرات عميقة متعدّدة للتكنولوجية بوسائل تُلبّي طموحات الطلاب، وتُنمّي المهارات الذهنية في تعليم العربية وتوصيل المعرفة إلى طالبها حيث يوجد. ولذلك من الضروري بمكان الأخذ بأسباب الحداثة التي تفرض على العاملين في مجال التربية والتعليم تبنّي أساليب حديثة، وطرائق حديثة؛ بالاستفادة من مُنجزات الثورة الإلكترونية والعمل على توظيفها في مجال تعليم العربية عن بُعْد؛ للوفاء بالأعباء التعليمية التي تنوء الوسائلُ التقليديةُ عن تحمّلها، والبعض منها لم تعدْ تصلح في الوقت المعاصر.

5 ــ7ــ عامل تعليم العربية لأغراض خاصّة: وكان حرياً بنا الوقوف في هــذه النقطة لنقول: إنّ العربية بحاجة إلى مراعاة المُتغيّرات الاستراتيجية والجيوسياسية التي تُحيط بمحيطنا المحلي والعربي، على عدّة اعتبارات وهي:

5ــ7ــ1ــ العربية كلغة اختصاص مِهني، والمِهَن عديدة.

5ــ7ــ2ــ العربية كلغة لذوي الحاجات النطقية.

5ــ7ــ3ــ العربية كلغة تواصل تعمية وتشفير.

5ــ7ــ4ــ العربية كلغة سياحة عالمية.

ــ خاتمة: إنّه لا مستقبلَ لمَن لا تصوّرَ له للمستقبل، وهذا المستقبل يبــدأ مــن حسن قراءتنا للماضي واستلهامنا للعبَر التي لا بدّ أن نسير فيها ودون تعثّر ومــن حدّد لمستقبله غاياتٍ مُثلى فهو رجل إحياء وبطل انبعاث وشخصية شامخة؛ يحاول دائمًا أن يبثّ إلهامات روحه في نفوس الآخرين ويُعِدّ من اليوم خُططًــا لمشــاريع سيقوم بها في المستقبل، ويسعى سعياً حثيثاً لتحقيق ذلك بقدر ما تسمح الظــروف. ونقول: إنّ العربية واجهت التحدّيات من أوّل يومها إلى يومنــا هــذا؛ فالتحــدّيات تختلف في شكلها وصورتها ولكنّ المواجهة كانت قوية في كلّ عصر وتشــتدّ فــي عصر العولمة فهل نحن على استعداد للمواجهة. ولهذا تقع المســؤولية علــى ذوي الاختصاص، وعلى المُنافحين والمُحبّين والمُخلصين والمُعلّمــين والمُتعلّمــين، ولا تكون العربية مُزدهرة ولا تعود لمكانتها إلاّ من خلال التمســك بثوابتنــا الثقافيــة وقيَمنا الدينية وشخصينا القومية وخصائصنا النفسية والاجتماعية؛ حيــث لا يمكــن اقتلاع جذورنا ولا زحزحة هُويتها اللغوية. وعهدي التذكير بمقولة مصلحين فــي هذا المجال؛ فأوّلهم (مولود قاسم) الذي قال: أريد أن أكونَ ابنَ عصري ومصــري ومُنفتحاً على غيري بفتح أبوابي لا قلْع سقوفي. والمهاتما (غاندي) قال: "لا أريــد أن يكون منزلي مُحاطاً بالجدران من جميع الجوانب، ونوافذي مســدودة أريــد أن تهُبّ ثقافاتُ كلّ الأرض بمُحاذاة منزلي وبكلّ حرية لكنّي أرفض أن يقتلعني أحــدٌ من جذوري". والسلام عليكم إخواني.

قراءة في أهداف الجامعة الصّيفيّة♥

ــ **مقدّمة:** إنّ الجامعة الصيفية التاسعة عشرة (19) التــي يعقــدها التضــامن الوطني الطلابي SNE جديرة بأن تُوصَف بالتاريخية؛ حيث شُحَّ الحالُ، وقلَّ المالُ أو كما يُقال: العين بصيرة على كلّ حال واليد لا تحوز على الأموال ولكــن لمــا صحّت النوايا وشُدّت العزائم، وصل التضامنُ الوطنيُ الطلابيُ إلى ما وصل إليــه؛ بإرادة جماعية قهّرت كلّ الصعاب، وها هي جموع الطلاب من كلّ نواحي الوطن ومن جاليتنا الطلابية يحضرون في جامعتهم الصيفية. ويتأهّبون لمناقشة أوضاعهم الطلابية، وبخاصّة ذات العلاقة بالإصلاحات الجامعية ويقترحون أفكار التحســين في منظومة الجامعة الجزائرية بغية أن تنالَ التصنيفَ العالمي وتخرجَ من القيــاس على الكمّ، إلى القياس على النوع. وتظهر أهميّة هذه الجامعة أنّ لها من الوقت مــا يكفي للبحث في مواضيع هامّة. وأرى شباباً متحمســين جــادين بتــأطير خبــراء ودكاترة ذوي الاختصاص؛ حيث سيلقون مجموعة من العروض ويسيّرون نــدوات تتمحور حول مواضيع مختلفة تهمّ مختلف المسائل ذات العلاقة بالطالب، كما تسمح الجامعة الصيفية هذه بعروض تكوينية رفيعة يشــارك فيهــا الطلبــة والبــاحثون والأساتذة والمسؤولون في قطاعات شتّى، حيث تكون مناسبة للحوار الحرّ والتكوين الجيّد للرفع من قدرات الحياة الطلابية في الحاضر وفي المســتقبل، وأرى النجــاح في البداية لأنّه ما التقى الطالب والأستاذ والكتاب والقلم إلاّ وحصل العلــمُ المفيــد والطالب يلتقي بمن يستزيد، ويُراجع المختلفَ فيه برأيٍ سديد.

♥ــ أُلْقِيَتْ المحاضرة في الجامعة الصيفية التي أقامها التضامن الوطني الطلابي SNE بالقطب الجامعي البوني بجامعة باجي مختار. عنابة في 12ــ 18 أوت 2017. تحت شعار (من أجل تكريس ثقافة الدولة، ونشر الثقافة الوطنية).

وإذا كانت الدّراسة بالجامعة تنتهي، في معظم دول العالم، بعد انتهاء الامتحانات السداسية، وبداية عُطلة الصّيف ترتبط بالاستجمام والرّاحة؛ فإنّ هناك بعض الفئات الطلابية تُعدّ برامج صيفية فريدة من نوعها في الخرجات التطوّعية أو في جمع الطلاب في تكتّل تضامني على غرار فِعْل التضامن الوطني الطلابي، فلا وقتَ للراحة والاستجمام، وهذا الطالب الذي نريده أن يكون عضواً في المجتمع يحسّ بمواطنته وأنّه من المتنوّرين الذين يقع عليهم حملُ هموم الناس، وبدورهم يعملون على اقتراح الحلول. فأَنعِمْ بهم من طلاب أنتم أيّها الحضور! وأَعْجِب بكم من حنكة التدبير، وصولاً إلى حسن التسيير! فتستحقّون العلامة كاملة، أو كما قال نزار قباني: والله لقد أتقنتم فنّ الأداء.

1ـ فكرة الجامعات الصيفية: إن ّفكرة الجامعات الصيفية ظهرت تقريباً مع نهاية الحرب العالمية الثانية وعملت بعض الجمعيات على إيجاد هذه الفسحة لرجال الفكر للاختلاء والتفكير في قضايا العالم وتعود المبادرة لجمعية (La société du Mont-Pèlerin) والتي كوّنها الاقتصادي فريديرك هياك/ Frédérique Hayek أبّ الاقتصاديين الليبراليين، وزعيم اقتصاد السوق في شهر أفريل 1947 وقرّرت هذه الجمعية لمّ الاقتصاديين الليبراليين والمدافعين عن اقتصاد السوق؛ للصمود أمام هجمة وهيمنة الفكر الكينزي والمدافع عن تدخّل الدولة والرافض لفكرة اقتصاد السوق. وصارت هذه الجمعية تعقد جامعات صيفية لتنظيم صفوف الاقتصاديين الليبراليين، وضبط برامجهم التحسيسية ضد الكينزيين في شهر سبتمبر من كلّ سنة في قرية Mont pèlerin في الجبال السويسرية. ويمكن أن نقول بأنّ هذا هو احتذاء للقاءات قديمة قبل ظهور اسم (الجامعة الصيفية) والتي كان يقيمها **بيترارك** les Rencontres de Pétrarque في مدينة مونبيلي الفرنسية. و**بيترارك** هو شاعر وصل إلى مدينة مونبيلي سنة 1316م ودافع عن برنامج إنساني للحوار بين الأديان والعلم والمعرفة، وكان له تأثير كبير على أوساط المُثقّفين والمُفكّرين في العصر الوسيط. وتخليداً لذكراه تُقام له جامعات صيفية

يلتقي فيها أهمّ المفكرين الأوروپيين للتفكير في التطوّرات الكبيرة التي يشهدها العالم، ومحاولة فهمها، وإعطاء شيء من المعنى لها.

وستعرف الجامعاتُ الصيفيةُ تطوّراً كبيراً في بداية سبعينات القرن الماضي إثر الثورات الشبابية في أوروپا والعالم، كما تصبح هذه اللقاءاتُ الصيفيةُ موسّعةً فلم تقتصر على المثقّفين والمفكّرين فقط، بل تشمل ملتقيات الأحزاب السياسية؛ وبخاصّة الأحزاب اليسارية والمنظّمات النقابية. وستصبح هذه الجامعات الصيفية عادة سنوية يؤمُّها مئات المُفكّرين والمناضلين السياسيين للتفكير في التحدّيات السياسية والقضايا المطروحة. وهكذا تعرف الجامعاتُ الصيفيةُ طرائقَ نوعيةً في التسيير وفي التطبيق بحسب المحيط والبرامج التي تعمل على مناقشتها. وفي العادة لا تقام الجامعة الصيفية صيفاً من أجل الترفيه أو قضاء العطلة؛ بقدر ما تُقام في عزّ العطلة لمناقشة قضايا هامّة تخصّ المحيط الوطني أو الدولي، أو قضايا خاصّة بالطالب أو بما يحيط به أو بمشاريعه أو بمختلف استعداداته.

وعلى العموم، ففي بلدنا لم نعرف هذه الصيغة (الجامعة الصيفية) إلاّ في بدايات الألفية الثالثة؛ حيث نشهد بعض الأحزاب تقيم جامعاتِها الصيفية، ومن ثمّ بعض التنظيمات الطلابية. وسرنا على هذا الهدي في إقامة الجامعات الصيفية بحماس جديد وكلّ جامعة لها مشروع وبرنامج وخريطة طريق تعمل على احتذائه؛ وصولاً إلى تحقيق المراد من ورائه. ومن هذا الباب، فإنّ جامعاتِنا الصيفيةَ الطلابيةَ لا تبتعد عن علاج أو مناقشة التحدّيات المجتمعية أو الحديث عن موضوعات هامّة يستعدّ لها الطالب أو الاحتفاء بمناسبة وطنية هامّة، أو إقامة ورشات، أو دورات تكوينية، ولم لا بعض الفسحات والتكريمات. ويبدو لي أنّ الغرض الهامّ منها هو تكوين الطالب باعتباره مُسيّر المستقبل؛ كان عليه أن يتدبّر أمور أخذ مبادرة التسيير بحسن التدبير الذي يتعاطاه في الجامعة العادية تنظيراً، وفي الجامعة الصيفية تطبيقاً وتكويناً؛ بحيث يكون مُنتجاً للأفكار، وحاملاً للمشاريع وخادماً للشأن العامّ.

2 ـــ قراءة مفتاحية في أهداف الجامعـــة: أيّها الحضور؛ بـــدعوة كريمـــة مـــن المكتب التنفيذي الوطني للتضامن الوطني الطلابي، لبّيت النداء، كما سـبقَ لــي أن حضرتُ ملتقاهم المنعقد في جامعة باتنة 1 وعنوانه (اللغةّ الأمّ وعلاقتهـا باللغـات الأجنبية) يومي 15 – 16 مايو 2017م، وألقيتُ مداخلة حــول الموضــوع وكــان الملتقى ناجحاً في التنسيق والتنظيم واختيار الموضوع، وكذا في نوعية المحاضرين. وفي هذه المرّة زارني الرئيس الشرفي للتضامن الوطني الطلابي الذي قدّم لي الدعوة واطّلعت على البرنامج وكنتُ إيجابياً لحضور هذه الفعاليـــة؛ لأنّ أهـــداف الجامعـــة وقعت في نفسي موقعها الجيّد ونالت في نفسي إعجاباً لطبيعة الموضوعات المقترحة للمناقشة. وعدتُ إلى نفسي بعد ذلك أسألها ماذا عساني أقــول فـــي هــذه الجامعـــة الصيفية التي تحمل أهدافاً تدور في ثلاث محطّات كبرى هي:

1/2ـــ لنبنِ الجزائر معاً.

2/2ـــ أبعاد ما تحمله المرجعيات الوطنية:

3/2ـــ دلالات الكلمات المفاتيح: تدعيم مساعي فخامة الرئيس في تكريس ثقافة الدولة/ غرس ثقافة الحوار والتسامح/ زرع روح التضـــامن/ تبـــادل التجـــارب/ التحضير للدخول الجامعي.

ولا أخفيكم أمام هذه المحطّات الكبرى تأنّيتُ كثيراً، وأنّى لي أن ألبّي متضمّنات شعار الجامعة (من أجل تكريس ثقافة الدولة وتعزيز الوَحْـدَة الوطنيـــة) فبعـــدما بَصُرْت بمجموعة من الأفكار، وقد كنت منتصراً لتلك المساعي الكبرى التي يقـــوم بها **فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة** الذي وضـــع فـــيَ الثقـــة لتسيير المجلس الأعلى للغة العربية، وأنا له شاكر على هذه الثقـــة وأســـال الله أن يعينني في تحمّل خدمة العربية، وشعاري دستور حاكم، وعمل قائم، ونشاط عـــازم وتخطيط دائم. هذا هو المنجم الكنز الذي يعمل فيه المجلس بما خطّطه في الـــزمن الحاضر والمستقبل.

أقول: لقد اجتهدت لتقديم محاضرة أمامكم وأطرحها باختصار، وهذا بعدما سألتُ نفسي، وقلت: كيف أردّ الجميل لوطني الذي أوصلني هكذا، وقد كنت طالباً ولا أزال أطلب العلم، فما هي الخدمات الجليلة التي يحتاجها منّي بلدي؟ وجاءت الكثير من الإجابات؛ وكلّها تصبّ في طرائق ردّ الجميل، وقلت لا يكون ردُّ الجميل كاملاً مهما قدّمتُ، فبلدي هو السفينة التي حملتنا، وتجب المحافظة عليها وكلّ خرق في السفينة غرق لنا جميعاً. **وأرجو من البداية أن تستوعبوا معنى حبّ الوطن، وتكريس ثقافة الدولة، وتعزيز الوَحدة الوطنية.** وأركّز على حبّ الوطن لأنّ الوطن أغلى من كلّ شيء؛ أغلى من المال، فإذا افتقدت الوطن سوف يُقال لك كما قيل: ابكِ مثل النساء فلم تحافظ على بلدك كالرجال. وإياكم أن تأكلوا أسود بلدكم، فتأكلكم كلاب أعدائكم.

3 ـ تكريس مبدأ حبّ الوطن: وهو من الإيمان حسب كلّ الأديان، وطبيعي أن يكون الاختلاف في طريقة الحبّ، لكن لا خلاف في قدسية الوطن، فهو من قدسية السلف فالوطن للجميع، وهو الحضارة التي صنعها السابقون، وعلى اللاحقين مواصلة وَضْع لبناتهم في صرح الحضارة المشتركة، ولا يمكن أن نختلف في حبّ الوطن، مهما اختلفت ثقافاتنا باختلاف مشاربنا. وإنّ البلد من صُنعنا ومن حضارتنا المشتركة، فأنا وأنت لسنا الآخر، بل أنا وأنت الوطن، وأنا وأنت الحضارة، أنا وأنت الحبّ، أنا وأنت التكامل والتفاني في خدمة الوطن فنقيم العلاقةَ المشتركةَ في هذه السفينة التي تُنجينا من الهلاك والشتات ببناء جسور حبّ الوطن للعيش في بيت الحياة الجامعة.

4 ـ تجسيد مقولة أن نكون خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ: أوائلنا قدّموا لنا هذا الوطن بدماء زكية وبجهود كبيرة، كان علينا المحافظة عليه، فنبني كما كان أوائلنا يبنون ونزيد بناءً فوق ما كانوا يبنون لتجسيد الانتقال من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. ويتدخّل في هذه النقطة الاعتزاز بالوطن والدفاع عنه وعن الثوابت الوطنية؛ وفي مقدّمتها التاريخ الوطني واللغات الوطنية: فبالأمازيغية نبقى وبالعربية نرقى فالعربية والأمازيغية في دارهما بلا سلاح ولا تحملا الرماح.

وعلينا تمجيد السلف الصالح الذين تعاملوا مع هذه المسائل بصورة عفوية، فما حصل الضيمُ، حتى أوصلوا لنا هذا الوطن سليماً، وقالوا: صُونوا الأمانة، وحافظُوا عليها كما تحافظون على صفاء عيونكم.

5 ـ **المحافظة على الأمن:** إنّ الأمن والأمان جوهر عمليات الاستقرار والتنمية فنحتاج من الطبقة الطلابية أن ينالَها الإحساسُ بضمان ديمومة الاستقرار ـ لأنّ الأمن يتبعه الاقتصاد المنعش، واللقاءات الحرّة، والثقافة النيّرة التي تقي المجتمع من احتمال تحوّله إلى سلّة مستقبلة للنفايات الثقافية العالمية. ونؤكّد أمامكم بأنّ الأمن الثقافي في أيديكم أيّها الطلاب بما تزرعونه من أفكار الانسجام الجمعي الحامي للمقوّمات الثقافية الوطنية من مخاطر الذوبان في الثقافات الوافدة التي تملك عناصر مؤثّرة قد لا تنفع معها أيّة أشكال من المقاومة، وبالتالي السعي والعمل لتعزيز الثقافة المحلية. وعليه عظيم هو في هذا السياق مقدار التأثير الذي يمارسه الإعلام في المشهد الجزائري وكذا وسائط التواصل الاجتماعي السائرة في طريق الحماية المجتمعية، وبورِكت خطواتُ إعلامنا، ومزيداً من الاحترافية ونيل المقامات العُلا.

6 ـ **العمل على غرس صفات المواطنة:** المُواطنة على وزن مُفاعلة؛ أي المُشاركة من الجانبين كالمُشاركة والمُساهمة والإسهام، وتعتبر علاقة تبادلية بين فرد وفرد، أو بين جماعة وجماعة، وعلاقتهم جميعاً بالوطن حتى يمتزجا في لُحمة واحدة. ومن هنا فالمعنى اللغوي للمُواطنة تحمل السكينة والطُمأنينة. ويلحق بالمُواطنة كلّ مُتعلّقات الأخلاق العالمية والديانات التي لا تزال قادرة على أن تقوم بدور فعّال في العالم من أجل التوجّه نحو عولمة مُتكافئة اقتصادياً وسياسياً وثقافياً وعمادها في كلّ هذا الدين (عولمة الدين) أو أن سنة الأديان وإلى جانبها الأخلاق بما تحمله من سِلْم وتسامح وتضامن ونهوض أخوي متكامل في حضارة واحدة باختلاف المنهجيات "ولا نهوض بهذه القيمة إلاّ إذا رفعت هذه الأخلاق مكانة الدين

وعزّزتها؛ أي حقّقت –ما أسمّيه– تمكّناً دينياً في العالم[1]". والمواطنة ذكرت في القرآن في مجال تقديس الروح الإنسانية؛ لأنّ القرآن يؤكّد ترسيخ الأخوة الإنسانية وقداسة الروح، وتفضيل البشر على سائر المخلوقات مهما اختلفت دياناتهم وثقافاتهم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾الإسراء: 70 وعليها أن ترقى البشرية بالخلقية الإنسانية إلى رتبة فوق الرتبة التي يمكن أن يوصل إليها دين بمفرده، وأن يكون بالتعدّد الذي ينمي روح المُواطنة فالمقصود منه التنافس في كلّ شيء لمصلحة الوطن. وهكذا علينا أن نُبدع في المُواطنة التي تسكننا وجوهرها المُناصحة والرحمة والمودّة، ولا بدّ من السعي لتأصيل مبدأ المُواطنة، وأصول التعايش مع الآخر لتحقيق مفهوم المُواطنة، أي وطن واحد يحوي الجميع.

7ـ **تحقيق صفة الطالب العضوي**: أو بمفهوم الطالب الملتزم تجاه قضايا وطنه وأسرته ومواطنيه وكان عليه أن يدسّ أنفه في تلك القضايا المشتركة التي يبدي فيه رأيه بإنتاج أفكار التنوير لخدمة الشأن العامّ؛ وخدمة الشأن تتطلّب الصبر والجهد والبذل وتقديم الحلول، دون انتظار المقابل، فقد يعمل الطالب ويقدّم ما عليه، ويكون اليد العليا التي تُعطي، ولو يحصل الجهد، فيبقى يُعطي ويُعطي رغم ما قد يُجحد. وتلك صفة الكبار الخالدين الذين شرَوْا أنفسهم لخدمة الآخرين، فكثير من الناس مرّوا من هنا، رغم ما تركوه من أموال، ولكنّهم ما كانوا بعدما انتقلوا؛ حيث تركوا الفلوس، ولم يستثمروا في الرؤوس. وهناك الفئات القليلة التي استثمرت في الرؤوس فهي من الرموس، ولا ينساها حتى الزمن الميؤوس.

8 ـ **تحقيق ثقافة الحوار**: تبدأ هذه الثقافة من الطالب المثقّف الخصوصي: نريد طالباً يحصل له بريق المثقّف العضوي الحامل لفكرة التغيير نحو الأفضل

(1) ـ طه عبد الرحمن "الأخلاق العالمية: مداها وحدودها" مجلة الأزهر. القاهرة: 2013 الجزء 10 ص: 2079.

ويسميه (ميشال فوكو) المثقف الخصوصـــي Intellectuel spécifique ويكـــون منطلقُه من مرحلة التِطلاب. طالبٌ مثقّف عضوي يُعالج الأفكـــار ويقـــدّم الحلـــول الأبكار، ويعالج التحدّيات؛ للخروج بطرائق حسن الأداء، في ظـــلّ الاســـتمرارية المتجدّدة التي لا تتسامحَ في فِعْل الأجداد ولا تبقى عليه، حيث يكون الفشل لا يكون في السقوط، لأنّ سقوط المطر من علائم الخير، والسقوط أن تبقى حيـــث ســـقطت دون محاولة الوقوف فالجالس لا يسقط، والذي يسقط هو الواقـــف الـــذي يحـــاول. طالب مثقّف يعالج تحدّيات العولمة، وينخرط في إطـــار المجتمعـــات والجمعيـــات المؤدّية إلى اقتراح بدائل نوعية بمشاريع الانخراط الجمعي نحو بناء دولة لا تزول بزوال الرجال، دولة المؤسّسات التي ينشدها كلّ راغبٍ في البناء الوطني. طالـــب مثقّف عضوي يستبعد أفكار التقاعس والتواكل ولا يردّد: أنـــا وبعـــدي الطوفـــان/ للكعبة ربٌ يحميها/ تَخَطْي رَاسِي/ تبعد عن بيت أهلي/ لا همّ لي في بلـــدي/ لكـــم دينكم وليَ ديني... إلى غير ذلك من علامات الفشل التي تثبّط العزيمـــة، وتـــزرع اليأس، ولا تميط اللثام عن الحقيقة ولا تنظر للكأس إلاّ لنصفه الفـــارغ، ولا تنظـــر في الأسباب والمُسبّبات. تلك أعراض لا نريد أن تعلِق بالطالب المثقّف الذي ربّمـــا سبقَ أن حزم أمتعته ينتظر المغادرة، ولكنّه تراجع لأنّه لم يؤدّ الأمانة لبلـــده الـــذي جعله شيئاً. ففكّرْ أيّها الطالب الرسالي أن تتخصّص في ما يعمّ نفعه، وتشتدّ حاجـــة الأمّة إليه، ويساعد ظرفُك على النبوغ فيه، ولو كان ممّا يزهد الناسُ فيه.

ـ **قبل الخاتمة:** أيّها الطلاب لا تظنوا أنّني أرى ما لا تـــرون، ولكـــن تـــدبير مجرّب أحياناً أفضل من مشاهدة شاب، هي وصفة بسيطة أقدّمها لكم بغية النجـــاح وأرجو أن تنال موقعها فيكم. كونوا مثل الشجرة التي تغيّر أوراقها، لكنّها تحـــافظ على جذورها فسرّ النجاح من يبدأ من التغيير الذاتي، فابدؤوا بأنفسكم فليس هنـــاك عصا سحرية للنجاح، فالنجاح يحظى به المكافحون، فلا شيء يتحقّق بالصدفة بـــل كلّ شيء يتحقّق بالتماس الأسباب. فإذا واجهتكم المشكلات فلا تهنوا، بـــل كونـــوا إيجابيين في الحلول بدل التفكير في المضايقات، وكلّما نفكّر إيجابياً تتهـــال علينـــا الحلول. وستكونون ناجحين عندما تجالسون العلماء وتتّخذونهم موئلا وســـتتجحون

أيضاً بتبجيلهم وستتجحون بالعمل والمثابرة والصبر، وستتجحون عندما تمنحون الأمل للبائسين، وتمنحون الحبّ للمكروهين وتقدّمون الخير للحاقدين، وتكونون كراماً مع المحتاجين، ولا تكونوا من الذين إذا دخلوا مكاناً يصرخون ها نحن، بل كونوا من الذين إذا حلّوا بمكان يتهامس الجميع ها هم.

ـ **خاتمة:** من محصلة الكلام نخلص بأنّ الجامعة الصيفية التي أقمتموها أراها تُسهم في فتح آفاق كثيرة أمام الطالب كونه يلتقي بطلبة آخرين من تخصّصات مختلفة، ومن أعمار متباينة، ويشتركون فقط في حبّ المعرفة والاستطلاع، كما يرغبون في تطوير ذواتهم، وتكوين أنفسهم في مجالات تسترعي اهتماماتهم. وبشكل عامّ، هي محطّة نضالية مُهمّة لأنّها تنكبّ على مناقشة القضايا العامّة للوطن، وهي محطة للتكوين والتأطير والتعارف وتقريب وجهات النظر، وتتيح إمكانية تقييم الوضع التنظيمي للمنظمات الطلابية. وهناك تجارب ودراسات تؤكّد إيجابية الجامعات الصيفية، بالنظر إلى تلك التغيّرات التي تطرأ على الطالب بعد انتهاء فترة التكوين الصيفي. والمهمّ في الأمر أن يحصل فيها الإبداع والتطبيق الفعلي لمقتضيات المواضيع المعالجة، كما نودّ أن يقع اختيار مناقشة المواضيع بكلّ ديمقراطية للوصول إلى اقتراح أفكار التنوير.

إخواني الحضور، أيّها المنظمون لهذا المحفل الأكاديمي الصيفي، أقترح عليكم تنظيم جامعة صيفية تجريبية مُغلقة في السنة القادمة؛ تتناول استعمال اللغة العربية الأدبية، وأن يحصل فيها الإغماس اللغوي/ Emersion linguistique؛ حيث الكلام في العربية وبالعربية، ولنجعلها مثل الإقامة اللسانية Séjour linguistique، وهو نوع جديد من الجامعات الصيفية اللسانية، مثلما هو إقامة جامعة صيفية للمهاجرين أو للجاليات الوطنية. وهذا ما يدخل في باب المواطنة اللغوية التي نريد ترسيخَها في شبابنا وطلابنا الذين نريد أن يُسهِموا معنا في اقتراح أفكار تطوير العربية ليُصبح لها الاستعمال المفيد، والتعميم المديد وتبتعد عن كلّ تلوّث عنيد.

وفي الأخير أعبّر عن سعادتي وشكري لكم جميعاً، ولكلّ من حضَّــر وحضَــر وسوف يحاضَر وسيكون في هذا المنبر مقتدى، فهو عندنا من المســتهدى، ولكــم تحايا المجلس الأعلى للغة العربية، ولكلّ من يشتغل في الظلّ. ونرجو الاستمرارية والوفاء لخدمة الشأن العامّ، وهو من الفِعْل الذي لا يقوم به إلاّ الكبار. فــأنتم أيّهــا المفكّرون المنظّمون من الكبار فبورك فيكم، وبوركت خطواتُكم، وإلى الأمام فــي مساعيكم.

معمريّ الأسطورة♥

ــ **مقدّمة:** ماذا عساني أقول أمامكم أيّها الحضور، وأنا في استحضـــار بعــض أفكار الأسطورة مولود معمري/ مولود ناث معمّــر ⵎⵓⵍⵓⴷ ⴰⵜ ⵎⵄⵎⵎⴰⵔ / ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵄⵎⵎⵔⵉ) صاحب الرواية الشهيرة الربـــوة المنســـية/ La colline oubliée التي نقلت واقع منطقة من مناطقنا عبر تضاريســـها وعاداتهـــا وتفكيـــر كبارها، وعادات نسائها، والهمّ الذي يلاحقها جرّاء عدو أذلّ ساكنتها. رواية مدهشة أمتعتْ (طه حسين) وقال عنها: "كتاب الربوة المنسية دراسة اجتماعية عميقة دقيقة تصوّر أهل هذه الربوة في عُزلتهم، وقد فرغوا لأنفسهم واعتمدوا عليها فلم يكـــادوا يذكرون أحداً غيرَهم من الناس، وهم يجهلون ما وراء الجبال التي تقوم دونهـــم، لا يعرفون إلاّ حين يضطّرون إلى ذلك اضطراراً، وما أقلّ ما يضطّرون إليه، وهم لا يشعرون بالحكومة إلاّ حين تُجبي منهم الضرائب على ما تُثمر لهم الأرض، ومـــا يكسبون من المال".

ماذا عساني أقول في مئوية الباحث الوطني الذي ظلّت فرنسا تلاحق تحرّكاتـــه وتضيق عليه، ليرحلَ ويتركَها في هدوء. ماذا عساني أقول في هذه المئوية التـــي أحاطها فخامة **رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقـــة** برعايتـــه الســـامية فيمكن أن نقرأ من خلالها إعادة الاعتبار لهذه الشخصية الذي ناضـــل مـــن أجـــل الهُوية الوطنية في مفهوم المواطنة الكبرى. ماذا عساني أقول: وقافلة المئوية تحطّ مثقّفيها في مدينة تلمسان المجاهدة؛ والتي تُحيي الـــذكرى الثانيـــة والســـتين (62)

♥ ــ ألقيت الكلمة بمناسبة مئوية مولود معمري بقصر الثقافة بمدينة تلمسان يوم 19 أوت 2017. وتأتي تزامناً مع احتفائية الجزائر بالذكرى المزدوجة الثانية والستين (62) لأحداث 20 أوت بسكيكدة 55/ مؤتمر الصومام 56. وهي ذكرى يوم المجاهد.

لأحداث 20 أوت 1955م ويتألّق معالي وزير المجاهدين في إحياء المناسبة لعظمة الحادثة، وترتبط في هذا المكان بعظمة الرجل العلمي اللساني صاحب ثاچرومــث؛ الذي مرّ من هنا ذات أيام؛ يجوب هذه المناطق راجلاً باحثاً، ويترك بصماتِه فـــي تلك الأعمال العلمية التي عمل بها في إطار البحث عن الإنيّة والأصالة التي تتواجد في مناطقنا عامّة.

إخواني الحضور، يكون المجلس الأعلى للغة العربية حاضراً معكم فـــي هـــذا المحفل التاريخي، وهو يُشاطر الشعبَ الجزائريَ احتفائيةَ الانتفاضـــات التاريخيـــة ضد المستدمر الذي عمل على طعن الجزائريين في أصلهم ومواطنتهم وفي لغاتهم، وإجبارهم على تعلّم لغته فقط، وهذا ما تجسّد في بعض المثقفين الذين أجْبَرهم على تعلّم لغته، وترْك اللغات الوطنية، وكان له ما أراد، ولكنّهم انتصـــروا لـــوطنيتهم، وخاطبوه بلغته ومنهم صاحب (الأفيون والعصا) الذي أبدعَ فيها معمري بالفرنسية، وكان يدري أنّ كتاباته الأدبية باللغة الفرنسية ستُسهم في مقاومة الاســـتعمار مـــن خلال لغته وفي لغته، هذا من جهّة ومن جهة أخرى، لم يكن له نصيبٌ في العربية التي كان يُجلّها ويُعظِّم قدْرَها، ومثله مثل الذي قال: إنّي أعيش منفايَ فـــي لغتـــي. فمولود معمري غمزَ من قناة تطوير الثقافة الجزائرية عامّة من خـــلال الاهتمـــام بالمازيغية دفاعاً عن التراث والتاريخ والأنتروبولوجية باعتبارها جزءاً من الثقافـــة الجزائرية والأفريقية، وهي لا تتجزّأ في الدلالة، وإنّما تتجزّأ في التدريس، وهـــذه سمة البحث المُجزّء وصولاً إلى سهولة التعلّم، ومن ثمّ وصولاً إلى التكامل.

إنّ معمري الأسطورة عاش الحرمانَ اللغويَ، الذي وصفه بالمأســـاة اللغويـــة، وتأسّف كثيراً على المسخ الذي أحدثه المستدمر، بأن يقول: لقد عشتُ مأساةً لغويـــةً في عدم إتقاني العربية على منقول السيد (محمد عاطف بريكي) "... وهذه **مأساتي تكمن في داخلي، وتسبّب لي كثيراً من الآلام، ولكنّ الأجيال المقبلة مـــن الكتّـــاب الجزائريين ستعوّض كلّ ما حُرِّمنا منه**". وقال عنه الباحث إبراهيم سعدي: "إنّ الدا مولود كاتب جزائري منفيٌ إلى لغة أخرى، وهو لم يَخترْ ذلك، ولـــو لـــم يكتـــب بالفرنسية، فمن المُرجّح أنّه كان سيكتب باللغة الأمازيغية لكن هذا لا يمنع شعوره

الحادّ بعروبته، رغم التيْه الكبير الذي عاشه في الفرقة الأجنبية، ورغم أن ناشـــري كتبَه كانوا في العاصمة الفرنسية باريس، فإنّ الكاتب لم يكتب أبداً عن الغربة؛ لأنّ سنوات حياته عاشها في الوطن العربي بين المغرب، والجزائر، وليس في فرنســا مثلما حَدَثَ مع آخرين من الذين يكتبون باللغة الفرنسية.

صحيح بأنّ مولود معمري كتب بالفرنسية، ولكنّه لم يتنكّر للعربية مــن خــلال تلك الدراسات التي كان ينشرها في مجلة Lybica وكان يرى التكامل في الأســرة اللغوية الحامية السامية التي تحوي اللغتين: العربية والمازيغيــة إدراكــاً منــه أنّ الانسجام الجمعي لا يُقرّ بالفصل بين الساكنة، وأنّ الفرنسية دخيلة مُؤقّتة؛ وســيأتي زمان تعود إلى موطنها. كان مولود معمري يؤمن بمنطق اللغة، ومنطــق اللغــة ليست وسيلة تواصل وثقافة، بل هي الهُويــة والشخصــية والانســجام التــاريخي والحضاري والامتداد التكاملي التواصلي، وتلك هي سمة الشهداء والمجاهدين الذي أبلَوْا من أجل هُوية وطنية جامعة. فمولود معمري أتصوّره من هذا الجيــل البنّــاء الذي أكملَ مسيرةَ الكبارِ فأنْعِمْ به من كبير!

وتسير الحياةُ الهُوينى، ونجد مولود معمري يجاهد بقلمه وبمحاضــراته التــي تعطي للوطنية بُعداً حضارياً في مؤلّفه (العبور) حيث يُراهن على الجيل الحاضر؛ ليعتمد الترجمة بين اللغتين في مصفوفة وطنية تــروم نشــر الثقافــة المازيغيــة والترجمة إلى العربية، وهذا إحدى رغبات هذه القافلة التي تعمل على نشر الأعمال باللغتين استكمالاً للمشروع الوطني التكاملي، من خلال خريطــة طريــق ينشــدها المجلس الأعلى للغة العربية بتعضيد المحافظة السامية للأمازيغية فــي مشــاريعها الكبرى لتحقيق الفعل النبيل الذي نستشعر من خلاله الانسجام الجمعي الذي يــأتي من اللغتين.

أيّها الحضور، يشير لنا التاريخ بأنّه لم يحصل الصراع اللغــوي منــذ الفــتح الإسلامي، فقد مرّت على حُكْم هذا البلد ثلاث عشرة (13) دولة مازيغية، فأعطت للغة العربية مقامَ لغة الدولة، وللمازيغية لغة الاستعمال الوظيفي، وكلتاهما في إطار

مقام وحال ومقتضى الحال، وحصل التكاملُ بالتراضــــي، فكــان فعــلُ الأجــداد حضارياً، فهل يأتي الجيل الجديد ليَطعنَ في فعْل السلف الصالح، فإذا فعلَ ســيكون من الجيل الطالح، ويستحيل أن تكون الأمورُ كما يريدها الــبعضُ أن تصــل إلـــى المهلكة. فهذا الجيل بالفعل يُعدّ خيرَ خلف لخير سلف، وهذا ما يتجسّد حاليـاً مــن استكمال المشوار، وربّما بمنهجية مخالفة ليس إلاّ. والمهــمّ ليســت العبــرةُ فـــي الاختلاف في المنهجية بقدر ما هي في الاتّفاق على الهدف المشترك، وهــذا مــا نشهده اليوم ومن خلال الفِعْل الذي تقوم به المحافظة السامية للغة الأمازيغية التـــي تنشط عبر ولايات عدّة في مئوية الرجل الذي قيل عنه (معمري الأسطورة). ويبدو لي بأنّ الهدف من هذه التظاهرة الثقافية التاريخية العمل على إعادة بعــث أعمـــال أحد الوجوه البارزة في الدفاع عن الثقافة الوطنية المازيغية الذي كرَّسَ جزءاً مــن حياته في البحث في مجال الأنثروبولوجيا واللسانيات والبحث الأكاديمي البحت.

السادة الحضور، إنّه لمن دواعي الافتخار؛ ونحن نحتفي بالانتصار، وبـــذكرى الانبهار؛ بأن نقول بأنّ الشهداء والذين أخطأتهم الرصاصات هم الذين أوصلونا إلى ما نحن عليه، فكان الجهاد بالعديد من الوسائل، وكان مولود معمري مـــن الـــذين سجّلوا حضورهم القويّ كمناضل بالكلمة إبان ثورة التحرير. ومولود مـــن خـــلال أعماله والتي لا تنتسب إلى الاستعمار، عمِل على تبيين التناقضـــات القائمـــة بـــين الشعب الجزائري والمستعمر الفرنسي ولا يرى في المستعمر إلاّ الكُفــر والجُحــد ولا بدّ من نضال سلاح القلم الذي يُجلي الهمّ والغمّ، وهو الـــذي يقــول: "... أنـــا مناضلٌ جزائريٌ بسيطٌ، أحمل السلاحَ والقلمَ في وجه العدو... في أيّ مكـــان وأيّ زمان". وبعد الاستقلال استمرَّ بكتاباته وفق رؤية لم يختزلها في الفضـــاء القبـــائلي الذي عشقه وانتمى إليه، ولكنّه "لم يكنْ مُتعصّباً جهوياً؛ بل كان مُتفتحاً على كامـــل الجزائر، ويتجلّى ذلك من خلال البحوث التي قام بها في عُمق الصحراء الجزائرية وبخاصّة تلك المُتعلّقة بإهليل قورارة، وآلة الأمزاد التي يعتبرها مُخرجة إيقاعـــات المُتصوّفة، إن لم تكن إيقاعاتِ صُمتِ الأجداد، في صحرائنا ذات الأوراد.

إخواني ماذا عساني أقول، والمقام لا يسـمح لـي بتجـاوز الوقـت المقبـول واسمحوا لي أن أختصر ما قيل في الباحث الأسطورة المحبّ للصـرامة والبحـث العلمي، الذي كان يبحث عن وسيلة أقرب لإخراج التراث الثقافي الجزائـري إلـى الأضواء، وما قيل عنه بمفجّر الربيع الأمازيغي، أو مسيح الربيع البربـري وكـلّ تلك المقولات التي اختزلت الرجل في الأسطورة الخالدة. هي أسـطورة المثقّـف الذي كان يطمح إلى بُعْد مغاربي كبير، وإلى الرفع من مسـتوى ثقافـة المجتمـع وكان يحلم أن يرتقيَ هذا المجتمعُ إلى فهْم خطاب الثقافة، بدلَ أن ينزلَ إلى خطاب الغوغاء والدهماء. معمري الأسطورة الذي قال فيه (جيلالي خلاّص): "إنّه رجـلٌ أسطوريٌ من الرعيل الأول، ومن الأدباء الذين قرأ له الفرنسيون باللغة الفرنسـية، بالإضافة إلى القارئ الفرانكفوني في شمال أفريقيا؛ وخاصّة أنّ أعماله المترجمـة إلى اللغة العربية قليلة.

ـ خاتمة: لقد تساءلَ مولود معمري في مقال له سنة **1963 لـو عـاد ابـن خلدون بيننا**، وأنهى المقال: **لو عاد ابن خلدون بيننا اليوم، سيكون مُرتاحـاً فـي هذا الجوّ الأخوي الذي تنبّأتْ به عبقريتُه.** فماذا لو كان مولود معمري اليوم بيننا؟ هل سيشعر بالغبطة لأنّ عبقريته التي جعلته يتساءل بعد أحـداث 1980 لمـاذا لا توجد قناة تلفزيونية ناطقة بالأمازيغية؟ لماذا لا تُدرّس الأمازيغية فـي المـدارس؟ لماذا لا يستطيع الجزائريُ القادمُ من منطقة القبائل أن يتحدّثَ بلغة الأمازيغية فـي شوارع العاصمة؟ ... هل سيشعر بالغبطة لأنّ أسئلته التنبّؤية هـي التـي جعلـت الأمازيغية تصبح اليوم لغة وطنية ورسمية في نفس الشهر الذي وُلد وتوفي فيـه؟ كما تحقّق ما وصلَ إليه من تبَصُّر؛ من أنّ هناك حاجاتٍ اجتماعيةً ونفسيةً وثقافيـةً هي التي تجعل التاريخَ يتحوّل، وأنّ حركةَ التاريخ نفسِها هي التي تسمح بتحقيـق الأفكار على أرض الواقع في ظرف معيّن ولم يكن ليسمح به في ظرف آخر ولذلك قال سنة 1984 **شيء طبيعي في اعتقادي أن يدافع الروائي عن القـيَم السـامية حتى وإن لم تتحقّق فوراً.**

لو عاد مولود معمري بيننا اليوم لعاتبنا وقال: لقد جعلتم منّي رجلَ سياسةٍ ألــم تقرأوا قولي سنة 1984 "إنّني لستُ رجلَ سياسة، بل رجلُ أدبٍ وثقافــةٍ وباحــثٍ إنتروبولوجي وروائيٍّ؟ والذي يهمّني كروائي هو توْقُ الإنسان إلى الحرية واتّساع الأفق". وقال أيضاً: " ألمْ أقلْ لكــم بعــد أحــداث الربيــع البربــري فــي مقــال les donneurs de leçons إنّ الثقافة الأمازيغية ليست حَكِراً علــى النــاطقين بالأمازيغية، بل هي ملك لكلّ الجزائريين لأنّها أسهمت في تكــوين هُــويتهم، وأنّ الإسلام كان بمثابة الإسمنت للهُوية الأمازيغية، فلماذا يحتكرني البعض ويبعــدونني عن باقي الجزائريين، حتى إنّهم لا يكادون يعرفونني؟" ولا شكّ أنّه لو عاد **ســيرى الأمور بخير**، وسيُنهي كلامه قائلاً: **إنّي اليوم مطمئن فــي بــلادي وفــي مدينــة تلمسان، فأنا أحسّ أنّني مِلْكٌ لكلّ الجزائريين الناطقين بكلّ اللغــات. الجزائريــون ليسوا خصوماً لبعضهم البعض، بل هم مــن هويــة واحــدة بــأداءين مختلفــين وبالمعنى الواحد، فأنْعِمْ به من تكامل!**

وأقف هنا، وتعودُ بيَ الذكرى، وأنا أسمع نَعْيَ معمري الأسطورة بالبرهان، بأنّ غصنَ الموت وقف دون عودتِه بأمان، ويؤدّي به إلى الهلاك والخسران، وهو عائد من مشوراه العلمي المنّان، ويشهد الشاهدون أنّه كان أســطورةً وأيقونــةً وطنيــةً رحلتْ قبل الأوان. ويتوقّفُ العطاءُ المِفْتان، كما جفَّ قلمُه الظمآن، ويومها قيل عنه إنّه ماتَ بإحسان. رحلتِ الأسطورةُ العِمران، كما رحلَ الذين نُحبّهم قبــل زمــان، ويبقى التاريخُ يُخلِّد الشهداءَ والأبطالَ الأعوانَ، وتسير بنا القافلةُ إلــى الأمــام يــا إخوان، ولا تتوقّف أمام الصعاب والطِّعان والعظماء لا يموتون بالأغصــان، بــل يُخلّدون كالفرسان. فأسطورتنا من المجاهدين الأفنان، الذين لا يزالون أحيــاءَ بمــا تركوه من بُرهان، وعلى هذا الجيل قصْدُ الأعنان، ومعانقةُ تاريخنــا دون كتْمــان ومواصلة المسارِ بزيادة لا بنقصان فأنْعِمْ به من مَسَارِ الشُجْعان!

أفكار المجلس الأعلى للغة العربيّة
في البحث العلميّ ♥

ــ **ديباجة:** إنّ المجلس الأعلى للغة العربية، باعتباره أعلى سلطة سياسية وعلمية يهتمّ بقضايا اللغة العربية في حدود ما جاء في دستور 2016، وتحت التوجّهات السياسية للوطن، وفي تجسيد برنامج فخامة رئيس الجمهورية، يعمل على تطوير اللغة العربية وفق البنود التالية:

1ــ العمل على ازدهار اللغة العربية.

2ــ العمل على تعميم استعمال اللغة العربية.

3ــ العمل على الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية.

ووفق هذه البنود، فإنّ المجلس هيأة استشارية لدى فخامة رئيس الجمهورية يقدّم سنوياً تقريراً لرئيس الجمهورية بخصوص وضع اللغة في الجزائر، ويتضمّن تقديم أفكار تتعلّق بمتطلّبات التطوير. وهو يستقي هذه الأفكار من:

ــ رصد الأمور ذات العلاقة باختصاصه من المحيط الوطني؛

ــ رصد تطوّرات البحث العلمي العالمي، وملاحقة مستجدات العصر؛

ــ متابعة ما ينشر من تعليقات وكتابات في اختصاصه؛

♥ لقاء تشاوري مع مديرية البحث العلمي والتكنولوجي، بتاريخ: 20 سبتمبر 2017. بمقرّ المجلس الأعلى للغة العربية، ممثلاً للمدير العامّ للبحث العلمي والتكنولوجي الأستاذ: الطاهر صحراوي

ــ العمل على جمعها سنوياً، والتعليق عليها وفق الأطُر القانونية، وما يسمح به اختصاصه على اعتبار أنّه هيأة لها قوّة اقتراح، وليس بهيأة تنفيذية.

وبخصوص **البحث العلمي**، فإنّ أفكار المجلس تدور في الآتي:

ــ ضرورة انفتاح الجامعة على سوق العمل؛

ــ العمل بنظام العرض والطلب في العمل وفي التوجيه الجامعي؛

ــ تجسيد متطلّبات الوزارات المعنية بالتنسيق مع: التربية والتعليم+ التعليم والتكوين المهنيين؛

ــ تنسيق المجلس الأعلى للغة العربية مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وفق البرامج الحكومية ومتطلّبات ذات الوزارة، ونروم العمل بما يلي:

1ــ التنسيق مع مديرية البحث العلمي والتنميّة التكنولوجية.

2ــ عقد لقاءات دورية في الجامعات الوطنية بغية التعرّف على الاحتياجات العلمية، واستكناه النقائص، بتقديم أفكار ذات العلاقة.

3ــ التعاون الدائم مع الجامعات الوطنية في إحياء المناسبات أو إجراء الندوات وتقديم أفكار التحسين.

4ــ دعوة مخابر اللغة ومراكز البحوث للاستماع والتشاور.

ومن خلال هذا اللقاء نقدّم خريطة طريق للبحث العلمي الذي تستمدّ خطوطه العريضة من المعنيين بالأمر. وعند ذلك يكون لنا تصوّر أوسع لتقديم الخطوات العامّة للبحث العلمي بخصوص:

1-عقد شراكة علميّة بينية أو مع من يهمه الأمر بشأن تجسيد خريطة الطريق التي أولاها له الدستور.

2-إنجاز أعمال+ ملتقيات+ أيام دراسية، ورشات عمل بخصوص التنسيق ووضع خريطة طريق للبحث العلمي.

3-اقتراح مشاريع CNPRU في هذه المجالات.

4-إعطاء الرعاية العلمية لمنجزات المخابر.

1ـ ما هو مستعجل:

1/1ـ تصحيح الأوضاع اللّغوية العربيّة.

2/1ـ متابعة اهتمامات حركية التنمية الوطنية في الميادين التالية:

ـ ميدان اللسانيات؛

ـ ميدان التصحيح اللغوي للألقاب الجزائرية؛

ـ ميدان المختصرات العلمية؛

ـ ميدان الأطالس اللغوية والمسح اللغوي في الجزائر؛

ـ ميدان إنجاز الموسوعات والقواميس والمعاجم؛

ـ ميدان الطاقات المتجدّدة؛

ـ ميدان الطبّ ومحاربة الأمراض.

ـ ميدان البحث التربوي.

3/1ـ العمل على تشجيع المبادرات في الميادين الثلاثة. والعمل على فتح ميدان جائزة اللغة العربية في الميادين الثلاثة.

4/1ـ المبادرة بحسن الأداء اللغوي في وسائل التواصل. في لغة الإعلام.

2-متوسّط المدّة: 5 سنوات.

- مواصلة تصحيح الأوضاع اللغوية في القطاعات الوزارية الأخرى؛
- الإسهام في مشاريع تربوية قابلة للتجسيد بمدّة زمنية محدّدة؛
- الإسهام في مشاريع علمية في النظريات وفي براءات الاختراع؛
- اقتراح أفكار تحسينية في الكتاب الجامعي في الآداب وفي العلوم الإنسانية والعلوم البحتة؛

- تجسيد الصورة النوعية العلمية في إدارة الجامعة بتوظيف العربية في الجوانب الإدارية.
- الإسهام في اقتراح مشاريع الدكتوراه.

ومن خلال هذه المدّة، دعوة المعنيين بالأمر باقتراح ما يلي:

ـــ اقتراح تدريس مادة بالعربية في كلّ الاختصاصات العلمية في الجامعات الوطنية وفي المعاهد العليا، على غرار ما كان معمولاً به في تدريس مادة المصطلح.

ـــ اقتراح وضع جدول زمني مرحلي لاستكمال تدريس المواد العلمية بالعربيــة والتي لا تشكو فقراً في المصطلح.

ـــ اقتراح العمل على إنتاج الكتاب الجــامعي المعــرّب، بتشــجيع المبــادرات وكذلك العمل مع الوزارة المعنية بإدخال الكتاب العلمي المعرّب من الجامعات التي عرّبت التعليم العالي.

ـــ اقتراح البدء بجامعة وطنية تتدرّج في سيرورة عملية التعريــب المرحليــة تكون تجريبية لتوخّي الوقوع في الخطأ، قبل تعميم التجربة.

ـــ إقامة شراكة علمية تنسيقية مع المجلس في الانفتاح علـــى التعــدّد اللغــوي الضامن للغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي.

3-**بعيد المدّة:** 10 سنوات.

- اقتراح خريطة طريق لتعميم التدريس بالعربية في المواد الأساسية؛

-الانفتاح على التعدّد اللغوي للغات الأقطاب؛ بحيث تدرّس بعض المواد بلغــة المادة المبدعة في لغتها.

- الإفادة من الأبحاث الجامعية في التربية+ المِهَن+ الاختراعات.
- العمل على التعامل الرقمي في كلّ المعاملات الجامعية.

المخابر المعنية:

1ـ المديرية العامّة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي:

1/1ـ المراكز الملحقة بها، وهي: المركز العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية crdtla+ مركز الحضارة بالأغواط+ مركز البحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية crasc+ مركز البحوث في الاقتصاد التطبيقي والتنمية cread+ الملحقات التابعة للمركز العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية في كل من: ورقلة+ تلمسان. ويضاف لها ممثلو: قسم الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان+ أقسام الأمازيغية في تيزي–وزو، وبجاية، والبويرة، وباتنة.

2ـ المخابر المعنية مبدئياً:

1/2–مخبر عبد الجليل مرتاض، جامعة تلمسان.

2/2–مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، بجامعة مولود معمري، تيزي–وزو.

3/2–مخبر عمارية حاكم – بجامعة سعيدة. الترجمة والتأويل في ظلّ التواصل متعدّد اللغات.

4/2–مخبر اللسانيات الحاسوبية، بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، إدارة غيتري سيدي محمد.

5/2–مخبر عبد المجيد سالمي، بجامعة الجزائر 2؟

6/2–مخبر اللغة العربية في جامعة الجزائر 2، يديره الأستاذ محمد الحبّاس؟

7/2–مخبر الصوتيات بجامعة البليدة 2، يديره الأستاذ عمّار الساسي.

8/2–مخبر آمنة بن مالك، بجامعة الإخوة منتوري بجامعة قسنطينة، حول الألقاب والأسماء.

9/2–مخبر بوشحدان، بجامعة عنابة، يديره بوشحدان.

10/2–مخبر بجامعة سيدي بلعباس، يديره بلبشير.

11/2–مخبر بجامعة وهران، تديره الأستاذة سعاد بسناسي.

12/2–مخبر تحليل الخطاب، بجامعة تيزي–وزو، تديره آمنة بلعلى.

13/2–مخبر تحليل الخطاب، بجامعة تيارت. إدارة زروقي؟

14/2–مخبر اللّغة والتواصل، بجامعة وهران، يديره أحمد عزوز.

15/2–مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب. بجامعة ورقلة. تديره هاجر مدقن.

16/2–مخبر السوسيولسانية ثقافية. بجامعة سعيدة، إدارة مجاهد ميمون.

17/2–مخبر لسانيات تحليل الخطاب ورقلة. إدارة هاجر مدقن.

18/2–مخبر القراءة، بجامعة بسكرة. إدارة تيبارسمين.

19/2–مخبر المسألة التربوية بجامعة بسكرة، جلال نور الدين؟

20/2–مخبر التهيئة اللغوية في اللغة الأمازيغية بجامعة مولود معمري، إدارة نورة تيقزيري.

21/2ـ مخبر الأمازيغية في جامعة عبد الرحمن ميرة، ببجاية حول الأمازيغية؟

22/2ـ التداولية وتحليل الخطاب، بجامعة الاغواط؟

23/2ـ مخبر حاج علي عبد القادر، جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم؟

24/2ـ مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، برئاسة صالح غيلوس.

الطموح المرغوب: هي عبارة عن مقترحات، أو أفكار عامّة في اختصاص المجلس المفترضة ونعمل على إشراك المعنيين لتحقيق الانسجام داخل مؤسّسات البحث في علوم اللغة والإنسانيات للدولة الجزائرية؛ وباعتبار المجلس هيأة اقتراح أفكار، نروم التعاون العلمي وتبادل المصالح المرسلة وبناء فرق بحث تشاركية

للوصول بالبحث العلمي إلى المرغوب. ويشمل منهج عمل تنسيقي مع الوزارات والمؤسّسات التي يهمّها الأمر. ونقترح مناقشة الآتي:

ـ يشرف المجلس الأعلى للغة العربية علمياً على مخابر اللغات داخل الأقسام العلمية في جميع الجامعات الوطنية، ويقوم بالتعاون والتنسيق في ما بينها.

ـ يقوم المجلس بتوحيد الرؤى اللغوية المستخلصة من التوصيات والنتائج الحيوية القابلة للتنفيذ بما لا يتعارض مع سياسة الدولة، ويوفّر لها آلية تنفيذ وبرامج إعداد؛

ـ يقوم المجلس بالإشراف على تطوير المناهج التربوية الخاصّة باللغة العربية الأمر الذي يتطلّب عضوية المجلس في لجنة تطوير مناهج التربية والتعليم؛

ـ يخصّص المجلس فريق عمل مختصّ في تدقيق وتمحيص وإجازة المنهج المقدّم لكلّ مرحلة دراسية واعتماد الكتاب المدرسي؛

ـ يتابع المجلس إشرافه على مناهج تعليم اللغة العربية بما في ذلك المرحلة الجامعية، وهذا يتطلّب أيضاً عضوية المجلس الأعلى للغة العربية في المجلس العلمي للبحوث الجامعية؛

ـ يُشرف المجلس علمياً على البحوث العلمية اللغوية، ويُعطي رأيه الاختياري في مدى نجاعة الأبحاث الجامعية.

ـ إشراك المجلس علمياً بصفته عُضواً في:

ـ عُضوية المجلس في جميع الهيئات الاستشارية لجميع المجالات العلمية المختصّة باللغة العربية

ـ عُضوية المجلس في أقسام الترجمة والتعريب؛

ـ الإشراف على إعداد المعاجم؛

ـ الإسهام في برامج إعداد المعلّمين؛

ــ تمثيل المجلس الدولة في جميع المراكز والمعاهد والمؤسّسات والمنظّمات والمجالس العليا والجمعيات الخاصّة باللغة العربية على المستوى المحلي والعربي.

المهام المُلحقة:

ــ على المجلس أن يفتحَ قنواتِ للتواصل والاستماع للمهتمين بالبحث العلمي ولكلّ من يقدّم اقتراحات تخصّ مجال تطوير اللغة العربية، ويلعب دور الوسيط اللغوي بين جمعيات المجتمع المدني مستخدماً جميع وسائل التواصل الاجتماعي وتكنولوجيا المعلومات؛

ــ على المجلس أن يُحفّز الكتّابَ الشباب، ويتبنّى نتاجهم اللغوي والأدبي والمعرفي؛ حيث إنّ لغة الشباب هي لغة العصر؛

ــ ضرورة دخول المجلس الأعلى للغة العربية كشريك فاعل في إعداد البرامج التعليمية للقنوات الفضائية والإذاعية، والإشراف على لغة نشرة الأخبار والأفلام الوثائقية، ولا سيّما أثناء الانتقال من الأعمال المكتوبة إلى الأعمال المَسْمُوعة والمَرْئية؛

ــ إقامة دوْرات تدريبية، وبرامج تثقيفية لغوية لإذكاء روح الوطنية، وترسيخ مبدأ التسامح، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص؛

ــ الحرص على دراسات ميدانية مَسْحِية لمعالجة مواطن الضعف قواعداً وإملاءً ونطقاً وصياغةً؛

ــ الاهتمام بلغة المناطق النائية والوعرة والجبلية، والعمل على تطوير الأداء اللغوي السليم؛

ــ الاهتمام بالمخطوط الجزائري وتوفيره، وجمع أرصدته المصطلحية في مختلف العلوم، وجعله في الشابكة؛ بغية تحقيق ما لم يُحقّق؛

ــ الاستفادة من جميع الخبرات الوطنية دون مُحاصصة أو مُجاملة.

كلمة أُلْقِيَتْ
في افتتاح مجلس اللّسان العربيّ بنواقشوط♥
(تحدّيات النهوض باللّغة العربيّة)

ـ **ديباجة:** سعيد أن أحضر هذا المحفل العلمي الخاصّ بافتتاح مقـرّ **(مجلس اللّسان العربي)** في دولة موريتانيا الشقيقة، وأعبّر عن امتنان الجزائر؛ بهذا المكسب العلمي الذي ترفل فيه موريتانيا المعروفة ببلد المليون شاعر، ولا يكاد يخلو بيتٌ موريتانيٌ إلاّ وفيه من يحفظ ألفيةَ ابن مالك. موريتانيا العلم والعلماء وبلاد الشناقطة الفطاحل. وما يزدان به هذا البلد تأسيس هذا المَعْلَم اللغوي الكبير **(مجلس اللّسان العربي)** والذي يزيدها رِفعة علمية على علوٍ سامقٍ في دُنيا البحث العلمي الذي اشتهرت به موريتانيا في التقصّي العلمي. ونروم من هذه المؤسّسة أن يبدع فيها علماءُ موريتانيا في خدمة اللغة العربية كما خدمها سلفهم الصالح. وإنّ هذا الصرح العلمي نريده أن يعضد المجامع اللغوية والمجالس، ويكون حاضرة علمية قائمة ونابضة ومنتجة وذات حركة دائبة برجالها ونتاجاتها المعرفية والفكرية.

والشكر لأصحاب المبادرة رجال المعرفة الذين يسعون إلى رفع سقف المعرفة وجمعوا بين الإخلاص والمثابرة والجدّة إلى تحقيق قيام هذا المجلس. رجال حملوا همّ خدمة اللغة العربية بالتفكير في هذا المعلم الكبير، ويتألّق بتسمية عتيدة (اللّسان العربي) الذي يُخبرنا عن مُسمّى قديم؛ وهو لسان هُويتنا اللغوية للغة الجامعة

♥ ـ أعدّت الكلمة لتلقى في افتتاح مقرّ (مجلس اللسان العربي) بنواقشوط، بتاريخ 3 ـ 6 أكتوبر 2017.

المُوحِّدة، وهي العربية، وعبرها وصلت إلينا ولغيرنا سليمة مَصونة فبخٍّ بخٍ على التسمية المُوحِية بالعطاء، وأنعِمْ به من تسمية!

والتحيّات الخالصات لصاحب السموّ الشيخ الدكتور **(سلطان بن محمد القاسمي)** عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة رعاه الله وحفظه؛ وقد عهدناه معطاءً يرعى العلمَ والعلماء، ويقيم المؤسّسات التي تحمي العربية، وتعمل على تطويرها، وله أفضال على هذه المؤسّسة. وليس من الغرابة من هذا الشيخ المِعطاء وهو اليدّ العليا التي تعطي وتجزل وتغدق، وله في ذلك المثل الغني عن كلّ تعليق في ما يقوم به من فِعل علمي قومي في اتّحاد المجامع اللغوية والعلمية في العمل على تجسيد المشروع العربي الكبير وهو إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية/ الإنترنت العربي؛ الذي يعمل على تدوين العربية منذ ظهورها إلى وقتنا الحالي، وبشكل تقني عالي الطراز، يستجيب لكلّ سؤال يخطر على بالِ سائلٍ.

والشيخ المفضال سليل أسرة تاريخية عريقة؛ خلّدها المغفور له (الشيخ زايد) طيّب الله ثَراه. وكما يُقال، فهذا الشبل من ذاك الأسد والذي وهبَ مالَه وعلمَه من أجل خدمة الشأن العامّ، وأتمثّله المأمون صاحب بيت الحكمة الذي عِيبَ عليه أنّه يغدق على المترجمين، فقال: أنا أعطيهم ما يَفنى، وهم يعطوننا ما يَبقى، فلا نغلق الأبواب على من يقدّم المذاق، ولا نشحّ على من هو أهل للإغداق. فبورك في كلّ العاملين على خدمة قضايا الأمّة العربية، ونِعمَ الرجالُ الصالحون أنتم.

ــ **مقدّمة:** أيّها الجمع الكريم، إنّ اللغة العربية تعيش تحدّيات جمّة في الوقت الراهن ويمكن تلخيصها في النقاط المشتركة التالية: تحدّيات التنمية البشرية وتحدّيات الصراع اللغوي مع لغات الأقطاب والانجذاب اللغوي وتحدّيات الصراع مع اللهجات واللغات المحلية، والتحدّيات اللغوية في التدريس وفي الإعلام، وفي تدريس العلوم باللغة العربية... تلكم بعض التحدّيات التي تواجهها العربية في وقتنا الراهن، وهي تعيش المغامرة التي جعلتها لغة الماضي والحاضر. هي لغة ديناصورية لا تنقرض، فماتت الكثيرُ من اللغات التي كانت قبلها أو التي

عاصرتْها، وبقيت العربيةُ، رغم ما لقيته من معارضات وانتقادات؛ فما استسلمتْ ولا وهَنَتْ، بقدر ما تراجعتْ في بعض العلوم ولكنّها بقيتْ حيّةً تُصارع بقايا الوهن الذي علِق بها. ويمكن تحديد تلك التحدّيات بنوع من التفصيل في النقاط التالية:

1 ـ **تحدّي تجاوز التخلّف:** لا شكّ أنّ التحدّي الأوّل والأكبر الذي يُواجه الوطن العربي في وقتنا هو تجاوز فجوة التخلّف الكبيرة والمتعاظمة، وضمنها فجوة **التخلّف اللغوي**. وفي الحقيقة لن تقوى الأمّة العربية على تجاوز الفجوة اللغوية إلاّ عن طريق مشروع لغوي تنموي نهضوي شامل مُؤيّد برؤية مُتبصّرة لأهداف ومرامي وغايات هذه النهضة اللغوية المنشودة. ذلك أنّ النهضة اللغوية العربية تقتضي توافر خطط واستراتيجيات سياسية وتربوية وثقافية شاملة، تتضافر في صنعها أبعاد مُتعددة، وتتراكب فيها جوانب مُختلفة لتصنع التنمية الشاملة. ومن هنا، فإنّ الأمر يستدعي تكريس كلّ الاهتمامات في سبيل تعبئة الأجواء اللغوية وتوفير الظروف الملائمة لقيام تنمية لغوية عربية شاملة في جميع الجوانب ويكون اللّسان العربي سبيلاً من سُبُل الأمن الثقافي واللغوي. وليس هذا بالأمر الهيِّن إلاّ بالتركيز على الجبهة العربية الداخلية، وبثّ الفاعلية والأمل وإشعار كلّ الفئات بدورها اللغوي الاجتماعي، لتتحمّلَ مسؤولياتها في التنمية اللغوية الشاملة. ذلك أنّ التنمية اللغوية في فلسفتها العامّة تتمثّل في بناء الإنسان وتطوير كفاءاته وتسخيرها في ضوء استراتيجية ورؤية علمية للمستقبل. وكما تتمثّل أيضاً في بناء القدرة البشرية وتطويرها، وفي الاستخدام الاجتماعي الأمثل لهذه القدرة وهو رأس المال الاجتماعي ودعم الدفع الذاتي العلمي القومي في تنمية المجتمع علمياً وتربوياً.

2 ـ **تحدّي العولمة:** تُواجه اللغةُ العربيةُ تحدّي العولمة، التي تعني سيطرة اللغات صاحبة الإنجازات العلمية الكبرى، وبخاصّة في مجالات التقنية والاقتصاد وهذا التحدّي يجعلها مُسيّطرة على ثقافات أخرى كاملة بلغاتها. ولهذا، فالعربية تشهد اليوم وضعاً لا تُحسد عليه، وتبدو مُحاصَرة من اللغات الأجنبية، وفي مقدّمتها الإنجليزية والفرنسية ومن اللّهجات المحلية التي أصبحت تمثّل تهديداً حقيقياً للغة

الأمّ الجامعة. ووفق المختصّين، فإنّ مشروع العولمة نجحَ في تغيير العديـد مـن المناهج التربوية والتعليمية وبخاصّة مناهجَ اللغةِ العربية، في وقت يزيـد ضـعف المحتوى العربي على الشابكة قوّة للغات الأخرى، في عصر فضـاء المعلومـات المفتوح على اللغات المُنتجة للعلم. وهذا الأمر في الحقيقة خطير جداً، لأنّـه فـي لاحقٍ من الزمان سوف يُهدّد أمنَنا الثقافي واللغوي الذي يؤدّي بدوره إلى التشـظّي الفكري؛ لتقوم مقامَها بناتُها ممثّلة في اللهجات المحلية ذات الأفق الضيّق.

3 ـ **تحدّي العمل التدميري المنهجي الثابت والمُستمرّ**: ويتمثّل هذا في مسـار قديم؛ يعمل عليه المُدمّرون دون مَلَلٍ وكَلَلٍ، وبرُزنامة زمنية متكرّرة؛ حيث تُجنّـد لذلك الغرض أرمادةٌ من المخاطر الداخلية والخارجية مـن مثـل: نشـر اللغـات الأجنبية على حساب العربية، وإحيـاء لغـات الأقليـات بمُسـمّى الحقـوق اللغوية/ الحقوق اللغوية للأقليات ومحاولة شطب اللغة العربية من الأمـم المتّحـدة بحجّة عدم استعمالها من قبل ممثّلي الدول العربية، وترويج المصطلحات الأجنبيـة مع ما يصاحبها من قلّة ما يُنشر أو يُذاع في وسائل الإعلام، إلى جانـب ضـعف الوعي اللغوي والتميّز العربي، ووصم العربية بعدم ملاحقتها العصـر... وكلّهـا تعمل ضمن مجموعة أداء داخلية وخارجية مضبوطة للتصدّي لموقع العربية التـي يجب أن لا تعيش الازهار ولا الأمن، بل ترافقها في كلّ الحالات القلاقل التي تعمل على تهديدها في كلّ حين.

4 ـ **تحدّي قلْب المفاهيم**: استصحبتِ العولمةُ معها مفاهيمَ خاصّة، أُريـد مـن ورائها تدمير اللغات المُنافسة لها، ولذلك تعكـس مفـاهيمَ المصـطلحات الجديـدة وتعطي لها مداليلَ تخدم الهيمنة الفكرية، من مثل: **الحقّ في لغة الأمّ وليس اللغـة الأمّ. الحقّ في لغة التواصل في المجتمع. الحقّ في لغة المعرفة**. وتعني هذه فـي العربية لغة الأمّ هي **اللهجات العامية**. ولغة التواصل هي **العامية بفروعها**، ولغـة المعرفة يعني **الإنجليزية/ الفرنسية**. وهذا العمل معكوس أُريد به قلب المفاهيم لفتح شارع العرب لكلّ الهجين اللغوي المُتداول، وبلا ضابط.

5 ــ **تحدّي تقديم العربية في وجهها المُشْرِق:** هو تحدٍ من نوع خاصّ يتمثّــل في كيفية تقديمها وتطويرها والانصياع للتطوّر الذي تمرّ به الظاهرة اللغوية. بــدلَ العمل على المحافظة على القديم الذي يعني التحنيط والفناء للعربية. فلا بــدّ مــن العمل على مُسايرة العربية للأوضاع المعاصرة؛ باعتبار اللغــة ظــاهرةً لغويــةً اجتماعيةً كأيّة لغة في العالم، دون أن ننكر خصوصياتها المحفوظــة. وهنــا يقــع الدور علينا في العمل على تبليغ العربية سليمةً بمناهج العصر، والمسألة منوط بها فقهاء اللغة، ورجال التربية والتعليم.

ــ **مُواجهة التحدّيات بالحقائق:** مع كلّ ما يُقال، فإنّ العربية قادرة على مُواجهة التحدّيات، ونروم أن تكون المُواجهة مبنية على علمٍ وفنٍّ وإتقانِ الحيلة وعليه، فإنّ التركيز في هذه المرحلة على مرحلة الطفولة أهمّ نقطة يجب أن تُستهدف؛ باعتبار مرحلةِ الطفولة هي القاعدة، وما يتبع ذلك من التزام المعلّمين باستخدام العربية في العملية التعليمية استخداماً جيّداً، وضبط الكتب المدرسية ضبطاً علمياً مشوّقاً؛ يرقى بالعربية إلى مَصافّ اللغات الراقية. ولا يمكن أن تتكلّل العمليةُ بالنجاح إلاّ بتضافر جهود وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في إكمال مسار تعميم استعمال العربيــة في الجامعات والمعاهد العليا وفي تدريس المواد العلمية بالعربية. كما لا ننسى دور الإعلام، وما يقوم به من واجب بثّ البرامج التي تعنى بالعربية وما يقوم بــه مــن استعمال العربية استعمالاً جيّداً متقناً لسيرورة عمليات جذب المُستمع. بلهَ الحــديثَ عن دور وزارة الثقافة في مجال الارتقاء باللغة العربية على نحو الاعتــزاز بالهُويــة اللغوية العربية، وما يتبع ذلك من طباعة الكتب وما تقوم بــه مــن لقــاءات علميــة وتثقيفية، ومهرجانات، وإشهارات. وكذلك يشــمل الحــديث دورَ وزارة الشــؤون الدينية والأوقاف في متعلّقات رفع المستوى اللغوي لأداء الإمام والوعّاظ والــدعاة لأداء خطبة المنبر وظيفتها التبليغية المؤثّرة عبر الاستعمال اللغوي الســليم، ومــا يتبع ذلك من أساليب راقية جذّابة تعمل على تفضيل العربية لما لها من أداء متميّز.

ولهذا، فنريد إيلاءَ اللغة العربية –التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنــا– كــلّ اهتمامنا ورعايتنا؛ بحيث تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا؛ حتــى تكــون

قادرةً على الاندماج في سياق التطوّر العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلوميات؛ لتصبح أداةً من أدوات التحديث، ودرعاً متينةً في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرّض لها ثقافتنا. وتبقى العربيةُ قادرةً على مواجهة التحدّيات بما لها من خصوصيات النهوض والتحديث، وعلينا أن نهتمّ بها كأمناء عليها، ونزيل الغشاوة التي وضعناها على عيوننا بأنّ العربية في خطر، ونحن نتفرّج دون أن نقدّم ما يدفع عنها الخطر.

ــ **آليات النهوض باللغة العربية:** إنّ النهوض باللغة العربية يجب أن تتصدّرها أولويات العمل العربي المشترك على جميع المستويات؛ لأنّ النهوض باللغة ليس مسألة ثقافيةً، ولا هي مسألة تربوية تعليمية فحسب، وإنّما هي مسألة السيادة والأمن والاستقرار والمصير والتميّز ومواصلة الإسهام في بناء الحضارة. حيث اللغة العربية وعاء ثقافتنا وعنوان هُويتنا وحضارتنا، والمحافظة عليها تُعدّ محافظةً على الذات، وعلى الوجود والاستمرار والتواصل. وها نحن أولاء نُلاحظ على الصعيد العالميّ أنه ما من شعب أرادَ الحياةَ العزيزةَ الكريمةَ إلاّ وتمسّكَ بلغته الأمّ أمام اللغات الغازية/ الأجنبية. ولهذا نروم من العرب كافةً أن يدركوا آليات النهوض ضمن مسار تكاملي أُريد له مسايرة الواقع المعيش بثبات النصّ العربي وتغيّر الدلالة، ضمن الأرضية المعرفية المعاصرة وما يحيط بها من ثابت ومتغيّر والعمل على تقديم حلول نوعية تعمل على تقليص الفجوة العلمية بيننا وبين العالم المتقدّم، وتعمل على الدفع بالعربية لتنال موقعها بين لغات العلم. وفي هذا المجال فقد بصُرنا ببعض الآليات ونزعم أنّها تفيد في عمليات التحديث المنشود وهي:

1 ــ إدراك عُمق الوعي اللغوي للغة الجامعة.

2 ــ ضرورة الاعتزاز اللغوي.

3 ــ وعي النخبة بالمغزى الحقيقي للنهوض التنموي اللغوي.

4 ــ إشراك المجتمع العربي في الاختيارات وفي القرارات المصيرية.

5 ــ تعزيز القيَم اللغوية والمكتسبات السابقة الناجحة والعمل على تطويرها.

6 ــ تعليم العربية تعليماً جيّداً من الروضة إلى الجامعة: التعليم في كلّ أمّة هو الإطار الذي يُسهم في تطوير قدرات المجتمع العقلية والفكرية، ويُهيئ الإنسان للنهوض بأعباء التنمية، والاستثمار الرشيد للموارد المتاحة في تنفيذ البرامج والخُطط التنموية. وعلى هذا فإنّ مشاريع التعليم والتثقيف الاجتماعي لا تعدّ مشاريع استهلاكية، بل هي من صميم العمليات الإنتاجية، لأنّها تتّجه لبناء الإنسان وهو الرأسمال الحقيقي لأيّ مجتمع.

7 ــ الفهم العميق للمقولة العالمية (لا تطوّر ولا تقدّم إلاّ باللغات الوطنية).

8 ــ تعريب البحث العلمي وتوطين المعرفة باللغة العربية

9. المحتوى الرقمي، والتعامل بآخر تقانات العلم الحديث.

الخاتمة: بسبب هذه التّحديات الجمّة، نشير إلى أن هناك مساعيَ كريمة للارتقاء بواقع الحال المنهك للعربية إلى أفق أفضل، الأمر الذي يدعو إلى التفاؤل بمستقبل واعد للغة العربية يبسر بالخير وبالتالي، فإنّ العربية بخير رغم بعض المعطيات العاصفة، ولكنّها ليست مدمّرة. مع ذلك نقول: لا بدّ من التحرك الجمعي ضمن خطّة عربية مركزية مدروسة، لبلورة مشروع قومي للنهوض باللغة العربية على قاعدة تعريب الدراسة، والتعليم في المدارس والجامعات والمعاهد العربية والتركيز على توعية الشباب لمخاطر اعتماد لغة الفسبكة والدردشة في التخاطب. ولهذا ووعيا من النخبة الحاضرة اليوم العمل على تعميق مبدأ الاعتزاز بالعربية؛ باعتبارها من أهمّ رموز الهوية العربية. وكما يقال: اشتدّي أزمة تنفرجي، فلا شك أنّ التحدّيات الراهنة تتطلب مزيدا من الصمود في مواجهة حضارية حامية قوامها النفس الطويل، وعدم استعجال النتائج، وأمّل المستقبل بعين حالمة، ويدّ عاملة وفكر متوقد، ووفير البذل والعطاء. كما أنّ فعل الإنجاز لا يتحقّق في صوره إلاّ من خلال رأس المال البشري، باعتباره الركن الركين في أبي مشروع نهضوي مثمر. ويكتسي رأس المال الثقافي واللغوي أهميّة خاصّة في حالة مجموعة البلدان العربية التي يمكن أن تحول الجوانب الإيجابية من إرثها الثقافي المشترك إلى

عامل نهضة وعزة، وبالذات على خلفية صدام الثقافات أو اللغات والبقاء للأصلح في عصر العولمة، الذي يجب أن لا نتهيّبه، بل أن نندمج فيه ضمن سيرورة الاستفادة والإفادة مع المحافظة على الخصوصية، وأن نكون أبناء مِصْرنا وعصرنا دون أن نقلع سقوف بيوتنا، ولكن نفتح نوافذها على ما يحيط بنا، فنأخذ ما يفيدنا ويفيد لغتنا، ونطرح ما لا ينسجم وقيمنا العربية الإسلامية. وعسى أن تَكْرَهوا شيئا وهو خيرٌ لكم، وبالله التوفيق

ازدهار العربيّة في الماضي والحاضر♥

ــ **مقدّمة:** ليس من باب التذكير بأنّه من الضروري التنبيه إلى استكمال بعض التعريفات الخاصّة باللغة، فعلى مدار ما تعلّمناه بأنّ اللغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم؛ دون استكمال التعريف الاصطلاحي والبحث في هذا القول الجيّد والمَقام الذي قيلَ فيه. وفي الحقيقة ليست اللغة أصواتًا يُعبِّر بها كلّ قوم عن أغراضهم فحسْب وليست أيضًا أداةً للتواصل بين الجماعات والشعوب فقط، لكنّ اللغة يضاف إلى ذلك بأنّها أداة تعمل على ربط الفكر بالمنطق؛ باعتبارها هويةَ الإنسان، ووعاءَ فكرِه وتراثِه، وسِجِلَّ تاريخه، وهي البوتقة التي تنصهر فيها الوَحْدَةُ الفكرية. ومن هنا، فإنّ استكمال تحديد المفاهيم بالجمع بين اللغة والاصطلاح هامّ جداً لما له من توضيح لا يتنافى والسياق العامّ للمعنى اللغوي أو الاصطلاحي.

ومن خلال هذا التنبيه، يجدر بنا التركيز على ما للغة من معانٍ، ودلالات وخصوصيات، فهي ليست بريئةً من التوجُّهات الفكرية والعلمية، وما تحمله من مرغوب وممنوع، فكلّ لغة لها مسكوكاتها وأمثالها وحِكَمها ومحظوراتها ومسوّغاتها وإرثها وسهولتها وصعوباتها، وما يتعلّق بها من تراث وحضارة وعلم وتاريخ وشعر وفنّ ونثر... وهذا ما نلمسه في لغتنا العربية من مدوّناتها القديمة الحاملة لتراث أجدادنا الممتدّ من عصر النقائش إلى وقتنا الحاضر، وكلّها في استمرار متكامل لها حمولة فكرية –ككلّ اللغات– وتحمل مضامين وأفكارًا تخصّها. والمهمّ في كلّ هذا بأنّ اللغة العربية عبّرت عن ذلك بحمولتها العلمية والثقافية، فهي ليست أصواتاً فقط بل سلسلة من الأفكار والنشاطات والإبداعات

♥ــ أُلْقِيَتْ هذ الكلمة في جامعة باتنة 1، بمناسبة انعقاد الملتقى المشترك بين جامعة باتنة 1/ الحاج لخضر والمجلس الأعلى للغة العربية بتاريخ: 17–19 أكتوبر 2017. حول (**ازدهار العربية في الماضي والحاضر**).

والحكم والأمثال والثقافات...وجاءت بأصوات لها خصوصية بقواعد عقلية منطقية جامعة ولها صفات انْمازِية عن غيرها من اللغات.

1ــ في مفهوم ازدهار العربية: تنصّ معاجم اللغة أنّ لفظة **(ازدهار)** اسم مصدر اِزْدَهَرَ، يقال: عَرَفَتِ البِلاَدُ ازْدِهَارًا اقْتِصَادِيّاً: اِنْتِعَاشاً. عَرَفَتِ الفُنُونُ ازْدِهَاراً فِي عَهْدِهِ: تَقَدُّماً، نُمُوّاً. اِزدهار: مصدر ازدَهَرَ. اِزدَهَر: فعل: ازدهرَ يزدهر، ازدهارًا، فهو مُزدهِر. ازْدَهَرَ: فَرِح وأسفر وجهُه وتَلأْلأ. اِزْدَهَرَ المِصْبَاحُ: أَضَاءَ تَلأْلأ. اِزْدَهَرَتْ أَشْجَارُ الحُقُول: نَمَتْ وَتَرَعْرَعَتْ. اِزْدَهَرَتْ أَسْوَاقُ التِّجَارَةِ: نَمَتْ وَزَادَتْ أَرْبَاحُهَا وَمَوَارِدُهَا. اِزْدَهَرَ العِلْمُ في عَصْرِنَا: تَقَدَّمَ وَاتَّسَعَتْ حُقُولُهُ وَمَيَادِينُهُ. اِزْدَهَرَ بِمَالِهِ: اِحْتَفَظَ بِهِ. ازدهر الوردُ: زاد صفاءُ لونِه. ازدهرت الشركة: نمت وتطوّرت ونجحت واتَّسعت. ازدهر العمل التّجاريّ ازدهرت الفُنون. يعيش بلدنا ازدهاراً حضارياً واضحاً. ومن جانب المعنى الاصطلاحي، فنربط الكلمة بمراحل ازدهار العربية بازدهار الحضارة الإسلامية في المشرق وفي المغرب وفي الأندلس، ثم بدأ الضعف يَدِبُّ في أوصالها بدرجات متفاوتة بعد سقوط الأندلس وخضوع العالم العربيّ للاحتلال الأجنبيّ الذي أجهض النهضة العربية التي حاولت إعادة الأمجاد الغابرة. ويُستنتَج من هذا أنّ اللغة تقوى بقوّة أهلها وتضعف بضعفهم، وهي كذلك كالعضو الحيّ يقوى وينمو بالاستعمال ويضعف بل يموت إنْ ظلّ معطَّلاً عن العمل. فاللغة وضع واستعمال، فإذا تعارض الوضع مع الاستعمال، فالاستعمال أولى. ويمكن اختصار ازدهار العربية في الآتي: حين ازدهرت العربية بسبب نقل العلوم والذي يبدأ في العصر العباسي من حوالي 750م، ثمّ العصر الفاطمي الذي بدأ في بلاد المغرب سنة 908م، ثمّ انتقال الحكم إلى مصر عام 969م وتأسيس مدينة القاهرة وجامع الأزهر عام 970م حتى سنة 1171م عندما فتح صلاح الدين مصر وأنهى عصر الفاطميين، ويبدأ الانحدار بسقوط طُليطلة عام 1085 وانحسار دولة الأندلس وتتابعت الحملات الصليبية في سنة 1099م، ثمّ هجوم المغول على بغداد وإنهاء الخلافة العباسية سنة 1258 في مصر وسوريا ومكة، فسادَ الجمودُ العالمَ الإسلامي، ونامت اللغةُ العربية بنمو بلدانها.

2 ـ عوامل ازدهار العربية في الماضي: هناك العديد من العوامل، ويمكن تحديدها وفق العوامل التالية:

1/2 ـ عامل الترجمة: في الواقع يصعب أن نُحدّد تاريخاً محدّداً لبدايات ازدهار العربية، ولكن يمكن أن نقول إنّها بدأت مع الترجمة؛ ذلك بأنّ ثمّةَ مُختصّين عُرفوا بإلمامهم بلغات الأعاجم منذ ما قبل الإسلام فقد اختلط العرب بالأجانب بحكم رِحْلاتهم التجارية منذ ما قبل الإسلام، واحتكوا بثلاث أمم مجاورة لجزيرتهم ولعلّ دليل ذلك الاحتكاك دخول عدد من المفردات الفارسية واليونانية والرومانية في أشعار العرب. كما ازداد احتكاك العرب المسلمين بأمم أخرى وبدأت ترجمات رسائل الرسول ﷺ إلى ملوك الأقوام والشعوب غير العربية. وتلاحقت خلال العصر الأموي؛ الذي يُعدّ العصرَ الفعليَ لبدايات الترجمة والنقل من علوم الحضارات الأخرى. وتميّز عهد الخليفة المنصور 136 هـ بترجمة كتب الجغرافيا ومختلف العلوم، وتنتهي الفترة التأسيسية مع وفاة الرشيد 193 هـ. كما يُعدّ العصرُ العباسي العصرَ الذهبي لتنامي وازدهار حركة الترجمة خلال حكم المأمون من عام 198 إلى 300 هـ، بتأسيس أوّل مؤسّسة للترجمة، وكانت هذه الفترة أزهى الفترات. وفي عهد هارون الرشيد تمّت ترجمة الكتب الطبية اليونانية "... تعدّ هذه الفترة كذلك من أزهى عصور الترجمة؛ حيث توسّع نطاقُها توسّعاً فاقَ ما كان عليه في الفترات السابقة، وشهدت الترجمةُ في هذا القرن؛ أي القرن الثالث الهجري تحوّلاً جذرياً وتوسّعت في مختلف العلوم الأجنبية، غير أنّ الترجمة في النصف الأول من هذا القرن كان أغلبها من العلوم اليونانية عن طريق السريانية إلى العربية، وأنّ الترجمة المباشرة من اللغات الأخرى أخذت تزداد في نصفه الثاني[1]". وتخمد حركة الترجمة قليلاً لتنشط في الأندلس؛ حيث تركّزت في النقل من العربية إلى اللغات الأوربية على أيدي المستعربين وتقع بعض التحفّظات

[1]ــ إبراهيم الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التعريب. ليبيا: 2002، منشورات كليّة الدعوة الإسلامية، سلسلة (الدراسات العليا) ص 192.

والتوقّفات حتى مجيء محمد علي باشا باهتمامه بالبعثات إلـى أوربـا ولا سـيّما فرنسا. كما لم تنقطع حركة الترجمة في المدارس التي أنشئت لهذا الغرض حتـى عصر النهضة حديثاً التي عرفت الترجمةُ فيها مأسسةَ الجهـود الشـتات، بإقامـة مُؤسّسات مُختصّة في الترجمة؛ مصاحبة لحركة تأليف الموسوعات والمعاجم.

2/2 ـ تشجيع الأدباء والنثّار: هناك جهود كبيرة في إطار تثمين المبدعين من الأدباء والنثّار والمترجمين ويكفي أن نورد هنا كلام المأمون الذي عيبَ عليه بأنّـه يغدق على المبدعين والتراجمة فقال: **نعطيهم ما يفنى ويترجمون ما يبقى.** وفـي الحقيقة يمكن أن نعدّ هذا العنصر مكملاً للتنافس العلمي والأدبي والذي حدث فـي الدول العربية في البداية، وتواصل بشكل قوّي في بلاد الأندلس؛ والذي أدّى إلـى إبداع جديد في فنّ الموشّحات، كما عمِل الاحتكاكُ على حركة اسـتقلال الأنـدلس والمغرب ثقافياً عن المشرق، وحصل السبق الإبداعي في مختلف الفنّـون. وهـذا التنافس كان كفيلاً بأن يحقّق للأندلس وللمغرب معنى الاستقلال الفكـري والأدبـي واللغوي. كما أنّ للبيئة الاجتماعية تأثيراً ملحوظاً في الأدب الأندلسي وفي سـاكنة الأندلس وقد أنبأنا التاريخ أنّهم يتذوقّون البيان وينطقون الحكمـةَ ويجـري علـى ألسنتهم الرقيقُ العذبُ من أنواع الكلام، ويبدعون في اللغة إبداع المجتهد المصيب.

3/2 ـ التأليف الموسوعي والمعاجمي: عاشت العربية ركاماً معرفياً في بناء الموسوعات والمعاجم بكلّ ما تحمله من حِرْفة المعاجم، والتـي ولّـدت صـناعةً معاجميةً حضاريةً أفادت العالمَ، وكانت مرتكزاتُها قائمةً على عروبـة الحضـارة الإنسانية، فهي من صنع البشر عامّة، إلاّ أنّ بصمات العرب ظاهرة في كثير مـن الميادين، وما تحمله تلك الموسوعات والمعاجم من مشاريع لغوية اجتماعية آخـذة خصوصية اللغة العربية كدافع تنموي إنساني دعوي يهدف إلى تعظيم العربية لمـا لها من بعض السبْق في هذا المجال بعد الحضارة الإنسانية ببصمات صينية.

4/2 ـ العمل على بناء الحضـارة الإنسـانية: عمـل العـرب المؤسّسـون والفاتحون والناشرون على مرجعية الدين الإسلامي المعظّم لكلام الله، فـي إطـار

إنساني مُنسجم باعتماد العربية لغةً حاملةً لهذا الدين الذي يحمل حضـــارة إنســـانية مبشّرة بالخير. ولم تكن هذه الحضارات الإنسانية إسلامية أصولية بمعنى أنّ رجال الدين هم الذين يحكمون، أو أنّ تطبيق الدين كان يتمّ بالقوّة، أو حتـــى أنّ الخلفـــاء والأمراء كان يطبّقون الشريعة بالكامل، حتى إنّه تُوجّـــه انتقـــاداتٌ كبيـــرةٌ لكبـــار الفاتحين والمسؤولين. ونقرّ بأنّ الحضارة العربية الإسلامية كانـــت تأخـــذ بعـــين الاعتبار خصوصية الشعوب العربية فالرسول ﷺ والصـــحابة والفـــاتحون كـــانوا يتعاملون مع أهل بلاد المغرب والأندلس والشام بطريقة تختلف عن أهل مصـــر أو العراق أو شبه الجزيرة العربية. وكانت هناك مراعاة خاصّة في كثير من الجوانب الثقافية والمرجعيات الدينية والمنهجيات اللغوية المختلفة باعتماد مكانة اللغة العربية والدين الإسلامي في الشكل الذي لا يخلّان **بمنظومة اللغة الجامعة والدين الواحد.**

3ــ روافد ازدهار العربية في الحاضر: هناك كثير من الروافد عملت علـــى أن تحظى العربية باهتمام عربي واسع، عملت على رفد العربية ونقلها من صـــورتها التقليدية في الكتاتيب إلى صورة حقيقة للغة العلمية التي عرفت ما يلي:

1/3ــ السيادة القانونية: وتمثّلت في رسمية العربية في كلّ الدول المنضـــوية تحت جامعة الدول العربية ويضاف إليها رسميتها كلغة أولى في ستّ عشرة (16) دولة أجنبية، وكلغة ثانية في ستّ وعشرين (26) دولة أجنبية، وتكـــون العربيـــة مستعملة في ستين (60) دولة. وكذلك هي من بين اللغات الستّ المســـتعملة فـــي الأمم المتحدة وفي وكالاتها. ولها مواقع متقدّمة في كلّ الجامعات العالميـــة، وفـــي مراكز البحث العالمية الكبرى. وتزداد تقدّماً باستمرار في الشابكة التـــي تســـتحوذ عليها الإنجليزية بنسبة 80 % وباقي اللغات 20% والعربية من النســـبة الأخيـــرة يكون لها 3 %. ولا ننكر أنّ المحتوى الرقمي يزداد يومياً توسّعاً بما يُضخّ فيهـــا من اللغات التي تكتب بمنظومة الخطاطة العربية.

2/3ــ إقامة المؤسّسات: وقع الاهتمام باللغة العربية من خلال إقامة مؤسّسات تعمل على تطويرها في مجالات: التربية، وقطاع الثقافة والاتّصال وقطاع العلـــوم

والبحث العلميّ، وقطاع التوثيق والمعلومات، وهذا ما قامت به الألكسو بوضع استراتيجيات وخطط تُشكّل لبناتٍ رئيسةً لما سيكون عليه مستقبل اللغة العربية داخل الوطن العربيّ وخارجَه. ومن هذه الأعمال الكبرى الخُطة الشاملة للثقافة العربية، واستراتيجيات: تطوير التربية العربية، ومحو الأمية، وتطوير العلوم والتقانة، والتوثيق والمعلومات، والتقانة الحيوية والإعلاميات والتنوع البيولوجيّ وتطوير التعليم العالي، ونشر الثقافة العلمية والتقانية، والتعليم عن بُعد...كما قامت بوضع خُطة تطوير التعليم في الوطن العربيّ التي أعدّتها بالتعاون مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وأقرّتها قمّة دمشق في شهر مارس/ آذار 2008م، هذه الخُطة التي تضمّنت اهتماماً صريحاً باللغة العربية. ولا يمكن "الحديث عن جهود المنظمة من أجل التمكين للغة العربية وعلومها ومعارفها دون الحديث عن جهود أجهزة أخرى تابعة لها هي: مكتب تنسيق التعريب بالرباط معهد الخرطوم الدولي للغة العربية في السودان، المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة". ومن جهود إقامة المؤسّسات، لا بدّ أن نشير إلى جهود المجامع اللغوية والعلمية التي بدأت تشهد حراكاً علمياً مطّرداً.

3/3 ــ إيلاء العربية مكانتها اللائقة: لا ننكر أنّ جهوداً كبيرةً تُبذل في مجال إعادة الاعتبار للغة العربية على أن تنالَ وضعَها كلغة رسمية ووطنية في بلادها وتكون لها السيادة، وهذا عن طريق تمكينها على كثير من الصعد؛ حتى يُشعِرَ المواطنُ العربي بأهميّتها وبحاجته إليها، وإعادة الاعتبار للغة الأمّ على أنّها اللغة الجامعة التي لا تمنع وجود لغات وطنية عروبية مُكمّلة. وهذا ما يُلمس أحياناً في بعض الدول العربية التي تعتمد القرار السياسي مَخرجاً لها، وما نشهده في بعض الدول من المشاريع الكبرى أو المشاريع القطاعية الهادفة إلى إعلاء مكانة العربية في الداخل وفي الخارج، ومن خلال الاحتفاء بها كلغة تراث إنساني معتمد لدى الأمم المتّحدة بتاريخ 18 ديسمبر، أو بلغة لها السيادة في الوطن العربي كلغة الضاد بتاريخ 1 مارس لدى جامعة الدول العربية. وبالنظر إلى مُعطيات الحاضر فإنّ اللغةَ العربيةَ

تنتشر بسرعة في مختلف المجالات واهتمام العالم بها يزداد يوماً بعد يوم، ولذلك فنحن مطمئنون أنّ لها مستقبلاً واعداً ومع ذلك لا بدّ من البحث عن الحلقات المفقودة.

4 ـ الحلقات المفقودة بين الماضي والحاضـــر: لا ننكر أنّ خطـــوات جبّـــارة نالتها العربية، وبخاصّة بعد سنة 2000 لما لها من وزن دولي، ومكانـــة علميـــة تنالها متسارعة ولكنّ يمكن أن نقول: هناك بعض الفجـــوات التـــي عملـــت علـــى إضعاف العربية، ولو سُدّت تلك الفجوات لأصبحت العربية بخير وأحسن ممّا هـــي عليه الآن وهي:

1/4ـ عدم تعميم استعمالها في العلوم: هي نقيصة كبيرة تحتـــاج أن تعـــالج بالخطّة المستعجلة ليتواصل التعريب في مسيرته الكبرى، شـــرط أن يُبنـــى علـــى خطط دقيقة لا مجال للخطأ، ولا مجال للمراجعة أو للتردّد أو الإحجام عـــن فعـــل نتائجه واضحة، **فإنّه لم تقم حضارة في أيّ بلد بلغة الأجنبي،** ولدينا البلاد الناجحة التي عملت في لغاتها وبلغاتها فأبدعت ونجحت، ونالت السيادة في هُوياتها. وتعميم استعمال العربية أن يكون لها مواقع متقدّمة في بلدانها، وبخاصّـــة فـــي اســـتكمال مراحل التعليم بلغة عربية علمية كما هو العرف في الأمم الأخرى فـــلا يمكـــن أن تحصل القطيعة بين مراحل التعليم، وهنا تضيع الأجيال بسبب العائق اللغـــوي. ولا يعني هذا الاستغناء عن اللغات الأجنبية، بل يجب أن يكون منها مواقع جيّدة بحسب منفعتنا منها ويكون فيها التراتب العلمي.

2/4 ـ ضعف الأداء التربوي: هي الحلقة التي تحتـــاج إلـــى إيـــلاء الأهميـــة القصوى؛ لأنّ اللغة عمادُها المدرسة قبل كلّ شيء، وأنّ نجاح المدرسة في تبليـــغ مهامها هو نجاح للمجتمع، ويكون ذلك عن طريق اللغة الرســـمية والوطنيـــة، ولا يكون باللغة الأجنبية التي يجب عدم التسامح في التعدّد اللغوي المكمّـــل للمواطنـــة اللغوية. وفي هذه النقطة نودّ الإشارة إلى تنمية لغة الشباب لتنال المسارات المتاحة للبحث والوصول إلى منظور جديد رابط بين النظرية والممارسة، وتشجيع الباحثين الشباب في عمل جماعي يعطي للغة الأمّ كلّ معاني الازدهار، وقـــد حـــدد بـــاحثو

مركز 4 H لتنمية الشباب، (هيك وسوبر امانيـــام، وكـــارلوس) (2010) معنـــى الازدهار على النحو التالي: "الازدهار أمر مقصود وهادف، فهـــو يعنـــي التنميـــة المثلى عبر مجموعة متنوّعة من مجالات الحياة مثل التنمية الاجتماعية والأكاديمية والاحترافية/المهنية، للوصول لهدف إيجابي". وهذا من الطبيعي أن يتحقّـــق لـــدى الشباب بلغتهم الأمّ؛ لتحقيق حبّ التعلّم ومهارات الحياة والعادات الصحية، والكفاءة العاطفية، والمهارات الاجتماعية والعلاقات الإيجابية، والنمو الروحي والشخصـــية والرعاية، والثقّة، وسعة الحيلة الدائمة، والعزيمة.

3/4 ـ ضعف تنشيط المؤسّسات العلمية والثقافية: لا حيلة للغة إذا افتقدت حلقة من الضروري أن تكون فعوامل الازدهار متكاملة، ولا يمكن أن يحصل الازدهـــار للغة فالمؤسّسات العاملة على تطويرها أو التي لا تزال، لا تعيش المعاصرة.

4/4 ـ فتور الفعالية الجمعية: وهنا نقرّ بأنّ اللغة ليست حكـــراً علـــى مؤسّســـات تعمل على تطويرها وإنّما قضية جمعية تبدأ من البيت إلى الشارع وإلى المدرسة، وإلى المحيط والمؤسّسات والوزارات... فهي قضية الجميع، وبخاصّة أهل الحلّ والعقد مـــن العلماء والباحثين والمنتخبين وأصحاب الرأي السليم الذين يحتاجون أن يكونوا من عقلة القوم المنبهين إلى تصحيح الخلل، ورفع الغبن عن القضايا المشتركة.

5 ـ الحلول المقترحة: لا توجد وصفات جاهزة في المسألة اللغوية؛ بقدر مـــا توجد التجارب الناجحة، والخطط المستقبلية لنجاح كلّ المشاريع. وهنا نشـــير إلـــى مجموعة من الإجراءات نراها حلولاً إجرائية تعمل على سدّ الفجوات التي تعيشـــها اللغة العربية وصولاً إلى الازدهار المنشود، ويكون عن طريق:

1/5ـ الاعتزاز اللغوي والترويج الهُوياتي: هي معلمة أولى تقوم بها الشـــعوب وتسهم في تثبيت لغاتها في شبابها بما لها من أرمادة تعمل يومياً على الترويج اللغوي والاعتزاز اللغوي حتى لا تكون اللغة الرسمية محلّ جـــدال أو تراجـــع، فيحصـــل الاختلاف في المنهج، لكن الهدف واحد، مهما اختلفت الطرائق الموصلة له.

2/5 ــ المزيد من إقامة المؤسّسات وسنّ القوانين: لا نرى إجحافاً إذا وضعت جيوش في خدمة اللغة باعتبارها من الأمن العامّ. فالاستقرار اللغوي يعمل على الاستقرار في الأفكار والمفاهيم، وكلّما تعدّدت التوجهات الفكرية من خلال تعدّد اللغات يحصل الصدام الجمعي، وقد تكون عواقبه مرّة. فلا بدّ من مزيد من إقامة مؤسّسات لغوية وبحثية قوية، ومصحوبة بقوانين صارمة ملزمة تعمل على الانسجام الجمعي ويحصل لها التقويم والتقويم بما تنتجه في مجالها ولا تبقى عالة على الدولة إذا كانت غير منتجة. وهذا ما يُلمس عند الكثير من الشعوب التي تهتمّ بلغاتها.

3/5 ــ إدماج المواطنة اللغوية في برامج الحكومات والوزارات: فلا مجالَ للاختلاف في المسألة؛ لأنّ اللغةَ قضيةٌ عامّة، فالأحرى أن تكون في برامج الحكومات، بتخصيص موازنة تعضد التشجيع العامّ للغات الوطنية ومن خلالها تشجيع العاملين على التطوير اللغوي، والنهوض بالمؤسّسات التي تخدم العربية كلّ في اختصاصها.

4/5 ــ تكاتف جهود الجميع من أجل لغة عربية مُزدهرة: هو المَطلوب والمُبتغى وهذا ليس صعباً عندما تتكاتف جهودنا جميعاً، وإنّه ليمكن نقل الجبال من مواقعها بملعقة صغيرة، إذا أحسنت النيات وصدقت العزائم، فما ضاقت العربية بما رحبت به من شساعة الاشتقاقات، وما كانت تلك الشساعة طريقاً للنجاح دون العمل على كسب النجاح، فالطريق تصنعه الأقدام، فنبدأ بتهيئة الأسباب، وكلّ بداية تعلق بها بعض الهنات، ولكنّها هنات يمكن التغلبُ عليها إذا وقع الإجماعُ على حمل المسألة اللغوية جماعياً فالمسألة تضيق جداً وتصغر في يدّ الجماعة الناطقة باللغة عندما يحمّلون مسؤولية الاهتمام بلغتهم.

ــ خاتمة: لا نعدم النجاحَ؛ فهو قادمٌ لا محالةَ، ولكن رُبَّ أمرٍ مستعجل هو المحفّز ولنستعجل الأمر دون تعطيل، لربح الوقت الذي طال، وأخذ مدداً يعود إلى خمسة (5) قرون خلتْ، فهي القرون التي أتعبت العرب وأثقلت على اللغة. ومع ذلك فإنّ عوامل النهضة ظاهرة وقائمة، وكان علينا مواصلة الاحتكاك الإيجابي

بغيرنا في إطار الأخذ والعطاء، والتنادي إلى استكمال عوامل الاستشراق النــاجح والعودة إلى عقلنة دراسة العربية وفق خصوصياتها العلمية؛ وبما لا يُقصي أدبَهــا القديم والحديث، ووفق آليات الحداثة ضمن منظور العلمية في العربيــة والاهتمــام بالصحافة لأنّها المُحفّز على الازدهار اللغوي وبناء المدارس والجامعات، وما يتبع ذلك من عوامل حركة المطابع وإنتاج الكتب، وبناء المعاجم والموسوعات.

وفي الختام يتّضح لنا أنّ الحال الأدبي والثقافي والترجمي والعلمي واللغوي قــد تبدّل في أواخر العقد الأخير من القرن الحالي؛ استناداً إلى حركية التاريخ، إذ أفاق العالم العربي من سباته، وتحرّر من جموده وبفضل هذه الفئات الكبيرة من شــباب معرّب تستعيد العربية ازدهارها، وأراها تعيش حيويتَها ونضارتَها ولا شــكّ أنّها ستكون عاملاً من عوامل الازدهار العامّ. وعلى الله التوكّل والتوفيق.

أيّ تعليم للعربيّة نريد؟[♥]

ــ **ديباجة:** في هذا المقام نردّ الفضل لأصحاب الفضل، ونخصّ بالذكر صاحب الدعوة الكريمة الأستاذ محمد بوعبد الله، أستاذ اللغة العربية بجامعة وستمنستر الذي دعاني لحضور فعاليات الملتقى العالمي حول **(تعليم وتعلّم العربية)** وإلى كلّ الشركاء الذين يخدمون العربية في المملكة البريطانية. وإلى القائمين على البحوث التربوية في جامعة وستمنستر. ويمتدّ الذكر إلى كلّ القائمين على هذا المحفل لما لقيناه من حسن الاستقبال، ورحابة الصدر في بلد الحرية والديمقراطية. وهذا إن دلّ على شيء؛ فإنّه يدلّ على ما توليه الجاليات العربية، والجمعيات الثقافية والخيرية للهوية اللغوية في بلاد المهجر؛ باعتبار العربية القاعدة الأساس لكينونة المواطن العربي في المهجر على الخصوص؛ والعربي ينماز بالاهتمام بلغته العربية حيث كان ووجد؛ من حيث العمل على تطويرها وترقيتها، وتعميم استعمالها في مختلف مراحل التعليم، وفي كافة الميادين لتكون في مستوى اللغات العالمية؛ مُلبية لكلّ ميادين المعرفة.

ــ **المقدّمة:** في هذه السانحة، يسعدني أن أُسهم بمداخلة وسمتها **(أيّ تعليم للعربية نريد؟)**وكان هذا السؤال وليدَ رحم هذا الملتقى الدولي الذي استكنهتُ آلياته من خلال تلك الإشكالية والمرامي التي يستهدفها وصولاً إلى تحقيق النجاعة في منظومة التربية والتعليم، بخصوص تعليم وتعلّم العربية، وهذا ما يسعى إليه الملتقى لاستجلاء واقع اللغة، والتعريف بالجهود الفردية والمؤسّساتية، ودورها في تطوير تعليم اللغة العربية وتعلّمها وتشجيع الإبداع والمبدعين، وجعْل اللغة العربية مُسايرة

[♥]ــ أعدّت المداخلة للملتقى الدولي حول تعليم وتعلّم العربية. لندن، بجامعة وستمنستر يومي: 24-25 نوفمبر 2017.

لمُتطلّبات العصر ووضع الحلول العلمية والعملية لمُعالجة مَواطن الصعوبة، لفتح آفاق مستقبلية للبحث الجادّ لتطوير اللغة العربية وتوظيف المَفاهيم والنظريات الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلّمها. ومن خلال هذا، فإنّي أروم التركيز على الإجابة عن العنوان السؤال؛ بالتركيز على أنّ المطلوب منّا –نحن خدّام العربية– أن نوجِد الحلول النوعية التي تجعل العربيةَ تخرج من النمطية القديمة، وتجعلها في مستوى اللغات العالمية التي ينشد ودّها بقوّة؛ لما لها من علمية وسند تربوي وعلمي، وما تعيشه من معاصرة وكيف تفرض نفسها في ظلّ تحدّيات عصر العولمة والتقانة.

إنّ الاهتمام باللغة العربية يتطلّب البدء بإصلاح منظومة التربية والتكوين؛ إيماناً منّي بأنّ اللغة تتعلّق بالتنمية البشرية، والتنمية البشرية لا تترقّى دون الاهتمام بالتربية التي هي العمود الفقري لتطوّر كلّ المجتمعات. وقد تُرجم هذا في تبنّي العديد من المقاربات وإجراء التجارب، وتقديم وصفات الإصلاح بغية الوصول بالتربية والتعليم إلى أعلى المستويات. غير أنّ إصلاح التعليم في كافة الدول العربية يحتاج إلى نظرة شمولية مبنية على النوعية والجودة، ويحتاج إلى نظام تربوي ولغوي له نجاعة وفعالية لتحقيق النتائج المرجوة. علماً أنّ الوضع التربوي واللغوي ازدادا انهياراً، فلم تفلح الإصلاحات، ولا المخطّطات الاستعجالية؛ بسبب هشاشة البنيات التحتية، وفقدان الأمل في السياسات التربوية واللغوية وبات الأمُر يستدعي مقاربات جديدة أو إصلاح الإصلاح.

ـ أهميّة هذا الموضوع في بلاد المهجر: يتعلّق الموضوع بمدى مسايرة اللغة العربية للأوضاع التقانية المعاصرة؛ حيث يتعلّم التلميذ/ الطالب لغة البلد بتقنية عالية وباستعمال أدوات العصر، ولمّا يتلقّى العربية عن طريق التلقين القديم وبالشفاهية المعهودة، يتربّى في نفسه صورة الدونية لهذه اللغة إن لم يمقتها. ولهذا كان علينا تقديمها وفق تقانة لغة البلد. بله الحديث عن اللغة الإنجليزية في بريطانيا وما لها من إحراز السبق في استعمال أفضل البرمجيات وطرائق التلقين الحديثة. ولهذا نحرص أنّ اللغة العربية في مدرسة المستقبل تكون في مستوى الندية في

تعليمها أو تعلّمها وهذا هو المطلوب منّا كمختصين للتفريق بين ما يقدّم في الخارج والداخل. كما يجب التفريق بين تعليم العربية للعرب/ للمسلمين وتعليها لغير العرب/ المسلمين. إضافة إلى مراعاة الخصوصيات اللغوية والدينية والحضارية للمتعلّمين ورغبته في القاموس أو اللغة الوظيفية التي يسعى إلى امتلاكها للتواصل. أضف إلى ذلك مراعاة المدّة الزمانية لفترة التعليم.

أنّى للمتعلّم أن يقتنع باللغة العربية إذا لم تقدّم له في اللوح الإلكتروني؟ أنّى لمتعلّم العربية أن يكون له شوق لحبّ هذه اللغة إذا لم تكن مضاهية للغات التي سبق أن تعلّمها أن يتعلّمها في ذات الوقت؟ كيف لمتعلّم اللغة العربية المعاصر أن يتعلّم اللغة العربية إذا لم تكن في مستوى السهولة والابتكار؟ أنّى لمتعلّم العربية الانجذاب لها إذا كان معلم العربية لا يزال ضعيفاً في طرائق التلقين؟ كيف للعربية أن تكون في مستوى الاحترام إذا لم تخرج من النمطية (قل ولا تقل؟) هذا قليل من الكثير يحتاج إلى اجتهاد معاصر في ذات اللغة لنقلها إلى واقع الحال؛ وقع مدرسة معاصرة ملبية للرغبات التواصلية في أحلى أساليب التعبير.

وفي هذه المقاربة أحاول استعراض معالم التعليم الناجح للغة العربية، هو المسعى الذي يجيب عن السؤال، بأنّ التعليم المطلوب، هو تعليم معاصر. نريد تعليماً للغة العربية يضمن الجودة والنوعية، تعليماً يربّي ويبني ويُعلّم ويُحرّر ويزرع ويغرس ويرفع ويوجّه ويُثبت ويُحبّب ويفخر ويرعى ويحترم... وأمام هذا بصُرتُ بمجموعة من الأمور ذات العلاقة بالموضوع، أحاول بسطها في مجموعة من المطالب التربوية لتحقيق مدرسة نوعية، ولذا:

ـ **نريد مدرسة الجودة أوّلاً:** ولتحقيق أيّ تعليم للعربية نريد؟ تكون الإجابة بأنّنا نريد لغة عربية جيّدة، التي يتبنّاها النظام التعليمي والإداري الجيّد المرتكز على مجموعة من القيَم والقدرات تُستثمر في مختلف في ميادين التعليم؛ وعلى نحو إبداعي قصد تحقيق التحسّن المستمرّ للتعليم لتحقيق لغة عربية عالية الجودة. ولا يمكن التفصيل في المسألة بصورة كبيرة، بقدر ما أقول: يمكن استكناه التجارب

الناجحة للأمم المتقدّمة وخير تجربة في هذا المجال التجربة الفنلندية التي أضحت لها الريادة في الجمع بين النهوض بالتربية المصاحب للنهوض باللغات الوطنية وإعطاء الأولية للغة المشتركة وهي اللغة الفنلدنية.

وعندما نقول: مدرسة الجودة؛ يعني تحقيق العمل على تحقيق جملة معايير في التعليم؛ بالتركيز على منظومة حسن التدبير في:

- جودة المناهج والمقرّرات الدراسية؛
- جودة البنية التحتية؛
- كفاءة الأطر التربوية والإدارية؛
- جودة التكوين الأساسي والمستمرّ؛
- التدبير الأمثل للموارد البشرية والمالية؛
- العمل على التحسين الدائم.

ولا يتأتّى هذا عبثاً دون العمل على تغيير المناهج والبرامج التربوية، وعدم التفريق بين المدينة والقرية، وتحقيق الصحة البدنية للجميع، بالإضافة إلى العناية بحسن التدبير والتسيير ومراعاة الإغداق المادي، والاستفادة من نجاحات الآخرين. وهذا بدوره يخلق نمطية لغوية سليمة، وفي بيئة سليمة يقع التنافس على اللغة من خلال ما تمّ غرسه في المنظومة التربوية.

ــ **نريد مدرسة المستقبل:** ويقصد بها تلك المدرسة المتفتّحة على الجديد من المعارف والمعلومات وتُساير مستجدات العولمة، وتُواكب التغيّرات السريعة التي تحدث في العالم. هي مَدرسة مُعاصرة جديدة مرنة تهدف إلى التركيز على التعلّم الذاتي، بتشغيل معلّم كفء قادر على توظيف معلوماته اللغوية ومهاراته التربوية وخبراته المتراكمة توظيفاً جيداً. وهذا ما يخلق في اللغة ذاتاً منتجة منها وإليها وتكون معبّرة عن خصائصها في صورها المستقرّة نحواً، وفي صورها المتحوّلة

أسلوباً. ولا يمكن تحقيق هذا، إلاّ بذلك المكوّن الناجح الذي يعمل على الإبداع بصورة عامّة ومنها الإبداع اللغوي.

ــ **نريد مدرسة مستقبلية حديثة:** تقوم على أصالتنا اللغوية في صورتها الصحيحة؛ تعمل على التغيّير والتجديد والتحديث اللغويين، ومهما كان نوع هذا الجديد اللغوي أو طبيعته أو مصدره . نريد مَدرسة مستقبلية تمتلك مواصفات اللغة الواصفة المعبّرة المبدعة في أنماطها. وبذلك تتبع اللغة من مدرسة المستقبل القادرة على تشكُّل فضاءً إبداعياً لبناء الإنسان المُتحكّم في لغته، ويكون هذا الإنسان معلّماً على الخصوص؛ يقود قاطرة اللغة العربية بأمان لإكساب مجتمعه العربي أهلية وجدارة الانتماء اللغوي والحضاري ومراعاة الخصوصية اللغوية للعربية في مجتمع المعرفة.

ــ **نريد مدرسة حديثة تعتمد نظرية لغوية عربية أصيلة:** وإنّ الأهمّ في هذه النظرية اللغوية أن تقوم على أهداف تعمل على تزويد التلاميذ بالمعرفة والوعي اللازمين؛ لتمثيل العطاء الثقافي العربي وثقافته النيّرة، دون المساس بالقيَم الروحية والمدلول الحضاري ومعاني ثمرات التواصل بين الثقافات. وهذا ما نصّ عليها إعلان دمشق، وقد أكّد مرتكزات الإعلان على سيرورة المعلوماتية، وبناء النظام التربوي المَرِن في أبنيته وفي مراحله وفي أنواعه، وفي سنوات الدراسة وأعمار المنتسبين إليه ومناهجه وتقنياته وسائر مقوّماته، وتجديد التربية تجديداً دائماً عن طريق التربية المستمرّة، والعناية بتربية الإبداع في مؤسّساتنا، والتركيز على كيفية التفكير والاهتمام بتكوين المواقف والاتّجاهات الايجابية الفعّالة التي تمكّن التلاميذ والطلاب من مواجهة التغيّير أيا كان وأنّى كان والتكيّف مع الجديد، وامتلاك مهارات الإبداع وكفاياته، والعناية بالمعلّم إعداداً وتدريباً من أجل تعزيز مكانته في تعليم جيّد، وتثمين دوره في نقل المعرفة، بكونه منظّماً لنشاطات التلاميذ والطلاب ومكوّناً لمواقفهم واتّجاهاتهم وقيَمهم، ومنتمياً لقدراتهم الذاتية وللفكر الناقد. وهذا كلّه من أجل بناء المواطنة اللغوية وتحمُّل المسؤولية والقدرة على الحوار

والتضامن. ولا يكون كلّ هذا إلاّ باللغة الأمّ، وهي العربية الجامعة لما لهـا مـن خصائص الشمول في الإبداع والمهارة.

ــ **نريد مدرسة تعمل على التحديث والتأهيل:** مدرسة تعمل على تجديد وتحديث أساليب التقويم والاختبارات، وتأهيل الخريجين لمدرسة المستقبل، بما تغرسه مـن المواصفات العلمية والأخلاقية الحاملة للمعارف والمهارات والقيَم القابلة للتعـاطي مع مُستجدات العصر. وفي ذات الوقت لا تُبخس اللغة الوطنية التي هي العمود في مدرسة التحديث والتأهيل، **فلا تأهيلَ بلغة أجنبية، مثلما لا تقدّمَ بلغة غير وطنية.**

ــ **نريد مدرسة مستقبلية عالمية:** تستهدف مناهجها التعليم للمعرفـة وللعمـل وللعيش مع الآخرين والتعليم من أجل التكوين مدى الحياة، وهذا مـا تُشـير إليـه تقارير اليونسكو في مدرسة الجودة. وتُؤكّده مختلف التقارير الأممية من ضـرورة الاهتمام باللغات الوطنية؛ باعتبارها من أبواب المعرفة التي تخلـق الأمـن العـامّ وتدخل اللغة في باب تحقيق الانسجام الجمعي بين الساكنة وبين المحيط الجـواري. ولذا فاللغة أمن جماعي تُسهم في قطار التنمية الاقتصادية، وتُحقّق التـرابط بـين المسؤول والرعية، من خلال لغة وطنية مشتركة، ولا يمكـن أن تحقّـق اللغـات الأجنبية الأمن؛ لأنها تخلق نخباً في المجتمع.

ــ **نريد مدرسة مُنفتحة على محيطها:** باعتماد المقاربة التشاركية واللامركزية والاستقلالية في التسيير الذاتي، وفي تأهيل الموارد البشرية، وفي تـدبير المـوارد المالية وفي الانفتاح على محيطها المحلي والوطني والعالمي...إلخ. وينضاف إلـى ذلك كلّه ضرورة تحديث الإدارة وعصرنتها بالمعلوميات والحواسـيب وأسـاليب الإدارة المعاصرة هذا من جهّة، ومن جهة أخرى، فإنّ التفتّح يعني عـدم انغـلاق اللغات الوطنية على نفسها؛ فذلك ما يؤدّي إلى حرمانها من ممتلكات وأفكار اللغات الأجنبية، التي هي ضرورة لازمة، دون أن يكون لها الصدارة أو الطغيـان علـى اللغات الوطنية.

نريد ونريد، وفي المراد نأمل أن يتحقّق الحدّ الأدنى إن لم يتحقّق مـــا يضـــمن نسبة النجاح، ولكن أن نبدأ، والبداية تعني صناعة طريق اللغـــة بســكّة المدرســة وبطابع المعلّم الكفء، وبمحتوى المعاصرة. ولكن ما هي معايير وضوابط مدرسة المستقبل المنشودة أو المراد تطبيقها والتي تطوّر لنا لغتنا؟

نعلم جميعنا، بأنّ المدرسة هي المرآة التي تعكــس نجـــاح أو فَشَـــل الأنظمـــة التربوية فهي المستوى التنفيذي التطبيقي للخطط التربوية، ومنبع التطوير التربـــوي الواقعي ولهذا، فالأحرى بنا رصد مجموعة من المعـــايير العلميـــة فـــي مدرســـة المستقبل المطلوبة كي لا نقع في الانبهار، فنضيع بين عـــدم تحكّـــم فـــي أصـــالة مدرسة، وعدم مُسايرة مدرسة المستقبل. ومن هنا، فإنّي أرى المســـألة مـــن بـــاب الاستعدادات لمدرسة المستقبل، بالعمل على تحقيق شروط النجاح؟ ويبـــدو لـــي أن نأخذ الأمور بحذر؛ كي لا نقع في المغامرة أو في المجهول، وعليـــه، لا بـــدّ مـــن السير بخطى أكيدة في المرحلة الانتقالية بوضـــع الضـــوابط واللـــوائح التنظيميـــة اللازمة لمسيّر مدرسة المستقبل، والتخطيط لاستيعاب التطوّرات العلمية وتطويعها في المجال التربوي والعمل بنظام الاستمرارية المتجـــدّدة خطـــوة خطـــوة؛ حتـــى استكمال هيكلة مدرسة المستقبل لتعزيز وجودها، ومن ثمّ تحديث الأنظمة واللوائح التربوية بما يناسب الاتّجاهات المعاصرة. وعليه، فقـــد بصـــرت بمجموعـــة مـــن الاستعدادات الأولية، وهي:

ـ1ـ فهم علمي لسمات مدرسة المستقبل: لا توجد معايير تتعلّق مواصـــفات قارّة لمدرسة الغد، بقدر ما توجد سمات مشتركة بين الأمم في أنّها مدرسة قيميـــة ومتعلّمة ونوعية، وفعّالة، وذاتية، ومُبدعة ومُجتمعية، ومُمتعة، وآمنة. وهذه سمات تطفو في ملامح المدارس الناجحة، وعن طريقها نجحت في تحسين لغاتها. وعليـــه لا بدّ من مراعاة تطوّر التربية في مفهومها ومحتواها وأساليبها وأدواتها، وبالتـــالي مراعاة المستحدثات في مجال التكنولوجيا التربوية، وبخاصّة ما له علاقة بأنمـــاط وسياسات جديدة كالتعليم المفتوح، أو التعليم عن بُعد، والعيش في مجتمع التطـــوّر التكنولوجي الهائل الذي يسابق الزمن في كلّ خطوات البشر وفي صناعة القـــرار.

ولا ننسى ما تلقيه النظريات اللغوية والتربوية في هذا الزمن المُعولم على تقنيات التربية، بما تحمله من أفكار التحديث.

2 ــ **الاستعداد لمدرسة المستقبل:** يعني تحقيق مزيد من النجاح للمدرسة وللغة المدرسة، ولكي تتمكّن مدرسة المستقبل من تحقيق النجاح، أرى الاتي:

1/2 ــ تصميم برامج لغوية قصيرة ترتكز على بناء مهارات لغوية مُحدّدة تعمل على بناء القاعدة اللغوية الأساس، وهي المرتكز الذي تقف عليه بنيات اللغة في لاحق من الإبداع.

2/2 ــ العمل على تطوير البرامج اللغوية السابقة لتواكب التقدّم التقاني والتكنولوجي.

3/2 ــ تصميم قواعد البيانات اللغوية المساعدة على التعليم المعاصر، في النحو وفي العلوم، وصولاً إلى صنع البرمجيات التربوية واللغوية.

4/2 ــ الاهتمام بالمحتوي الرقمي في تصميم الخُطط التربوية واللغوية، وفي بناء معلومات عن المناهج التعليمية، وفي بناء معلومات عن الأسئلة السنوية؛ وفق السنة الدراسية والتخصّص.

5/2 ــ بناء ثقافة لغوية مدمجة لاستيعاب التقنيات، بما يساعد على توافق الأداء الوظيفي للغة مع الوضع والاستعمال، بمراعاة الخصائص التي تنصّ عليها كتب فقه اللغة.

3 ــ **العمل على رفع التحدّيات:** وأتصوّر مجموعة من التحدّيات التي تكون محلّ خصومة مع المعاصرة. ولذا لا بدّ من تصوّر للعراقيل التي قد تكون، أو هي عراقيل ومحاذير تقع في أيّة لحظة دون أن نوجد لها ما يسدّها. وأتصوّر التحدّيات التالية:

1/3ــ تحدّي مدرسة المستقبل، مع القيَم الحضارية الإسلامية والعربية.

2/3ــ تحدّي الاهتمام بالتربية الإسلامية بمعزل عن تأثير المحيط أو اللغات الأجنبية.

3/3ــ تحدّي إعداد المعلّم الكفء.

4/3ــ تحدّي صُنع مدرسة المستقبل في ظلّ ثقافة تقليدية.

5/3ــ تحدّي التسارع التكنولوجي والتقاني والنانوتكنولوجي، مع وتيرة التخلّف القديمة عند العرب والمسلمين.

6/3ــ تحدّي الاجتهاد بالعربية أمام لغات أكثر منها تقدّماً.

تلكم بعض التحدّيات المتصوّرة؛ والتي قــد تواجــه مدرســة القــرن الحــادي والعشرين في دولنا العربية إن لم نقل إنّها تواجهها حتماً، فكيف يكون التغلّب على هذه التحدّيات؟ ويبدو لي أنّ أفضل أسلوب نواجه به المسألة اللغويــة ألا نخضــع لليأس، بل نصنع طريق مقاومة التحدّيات؛ بوضع خطواتنا فــي الطريــق ليكــون ممهّداً للآخرين، ومن ثمّ العمل على وضع سياسات وبرامج ومشروعات لمدرســة الغد ذات جودة عالية؛ تكون قادرة على التكيّف والتعامل مــع متغيّــرات العولمــة وتستجيب مرحلياً للتغيّر المطلوب وفق قاعدة **(حقّق أوّلاً، ثــمّ واصــل الطلــب)**. وسيكون التحقيق العلمي ضمن أطر التخطيط لما يلي:

1 ــ وضع معايير الجودة التربوية واللغوية، والعمل على تحقيقيها مرحلياً.

2 ــ التعامل مع المُتغيّرات المُتسارعة بتحقيق ما يمكن تحقيقه كلّ سنة، أو كلّ مرحلة.

3ــ التفكير في التعامل مع المحيط الاقتصادي والاجتماعي وسوق العمل بذكاء علمي، وبتنظير زمني مناسب للمؤسّسات وللبيئة.

4ــ ملاحقة المُستجدات بصورة مرحلية؛ شرط أن تكون الملاحقة طرْدية ووفق عدم الأخذ إلاّ ما يدخل في منظومة فكرنا ولغتنا وقيَمنا.

5ــ الانفتاح ومواجهة الانغلاق الفكري.

6 ــ عدم المواجهة للعولمة الثقافية.

7ــ الالتزام بمبادئ حقوق الإنسان وثقافة التسامح.

هي في الحقيقة مجموعة من التحدّيات الإضافية المتصوّرة، بل حدثت في كثير من البلدان المتقدّمة ورأيت وضعها في رزنامة النخب العربية؛ لتكون على دراية بما يتطلّب منها التشمير على ساعد العمل وفي كلّ هذا، هناك تحدٍ كبيرٌ هو كيف تواجه المدارس العربية متطلّبات المستقبل، وهي بأيدٍ فارغة؟ علماً أنّ المجتمع العربي يعتمد على المعرفة، والمعرفة تأتي من الجامعة، وعماد الجامعة البحث العلمي الغائب بسبب ضعف البحث التربوي. وللأسف نحن نعلم بأنّ التعليم هو السبيل الرئيس لمواجهة تحدّيات الحاضر والمستقبل الذي يكفل مواكبة التقدّم وإرساء النهضة الحضارية للأمّة وإعداد أبناء القرن الحادي والعشرين بخُطى ثابتة. وما من شكّ في أنّ من أهمّ التحدّيات التي يقابلها التعليم هي في الواقع تحدّيات علمية تكنولوجية ولكن ليس المهمّ أن تسعى المجتمعات العربية لبناء مجتمع معلوماتي متطوّر، بل الأهمّ هو الوصول إلى جوهر الفكر المعلوماتي ومعرفة استحقاقاته البنيوية والعملية وعدم معاداة التكنلوجية وكذلك من الضروري الخوض فيها بغية إدراك كنهها والتعامل معها بإيجابية تحفظ الخصوصيات العربية.

وضمن الاستعدادات الحديثة، كان علينا وضع ترتيبات لازمة لتحقيق مدرسة الغد/ المستقبل التي تضمن جودة اللغة العربية، وهذا وفق مدرسة ذكية كأساس لتطوير التعليم ولغة التعليم. ومن هنا، فلا مناص من أخذ الاحتياطات بما يتوافق مع المعاصرة في مجال التربية والتعليم، بمراعاة:

ــ **الدور التقاني لمدرسة المستقبل:** والأهمّ فيها ما يفرض من التعديلات والتصحيحات التربوية المناسبة لمعرفة المعلومات، من خلال الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا المتطورة والتقنيات الحديثة، حيث تجتاح العالم اليوم ثورة جديدة يطلق عليها اسم (الموجة الثالث) وهي مزيج من التقدم التكنولوجي والثورة المعلوماتية الأمر الذي يستدعي وجود مدارس ذكية وكوادر تعليمية قادرة على استخدام التكنولوجيا المتقدمة ومناهج أساسية تنقل أساسيات العلوم والمعارف إلى المتعلمين. وفي ظلّ كلّ هذا أصبح لزاماً على المجتمع العربي اللحاق بالعصر المعلوماتي، من خلال تعليم ذكي

معاصر وعليه هل يمكن وضع خطط معلوماتية واستراتيجية ومن من ضمنها جعل تقنية الحاسوب والانترنت عنصراً أساسياً في المنهج التعليمي.

ـ **المدرسة الحديثة وتنمية التفكير الإبداعي:** في ضوء التطوّرات المذهلة التي أفرزتها العولمة في القرن الحادي والعشرين الذي أصبح فيه العالم أكثر تعقيداً نتيجة تدفق التحدّيات التي أفرزتها الثورة العلمية والتكنولوجية العملاقة في المجالات كافّة ويستدعي الأمر مواجهة الواقع باستحداث قدرات المدرسة؛ لإكساب المتعلّم الفكر الإبداعي الذي أصبح حاجة ملحّة أكثر من أيّ وقت مضى في ظلّ تلك التحدّيات المتجددة التي تزداد تعقيداً باستمرار. فالتفكير الإبداعي يعدّ المحور الأساس الذي تتمركز حوله جميع أنشطة تعلّم التفكير الإيجابي في العالم، والمبدعون أعظم استثمار يمكن أن نقدّمه لمستقبل أمّتنا وهم أهمّ رأسمال تمتلكه الأمّة.

وتأسيساً على نمطية عالمية، فإنّه من اللازم مواجهة الحقائق الخاصّة بمجتمعنا العربي في ظلّ ملاحقة المستجدات بما نملكه من خصوصيات تعدّ عراقيل حقيقية في العيش ضمن مدرسة المستقبل أو ملاحقة الحداثة بمفهومها التقاني. حيث يعيش العالم العربي سلسلة من الصعوبات التي قد تحُول دون تحقيق مدرسة الغد بصورة جدّ إيجابية. ويمكن ذكر هذه الصعوبات بصورة إجمالية: تعميم التعليم التحضيري+ نمطية التعليم القديم الضعيفة السطحية+ قدم المناهج الدراسية+ تقليدانية طرائق التدريس+ ضعف الإشراف التربوي+ قلّة الإنفاق المادي على البحوث التربوي+ خلل في العلاقة التكاملية بين المُخرجات والمُدخلات+ ضعف نسبة الاستثمار في البحوث الأكاديمية. وهي اختلالات قد تؤدّي بنا إلى التأخير في تطبيق أو مُلاحقة مدرسة المستقبل التي تتطلّب تضافر جهود الشركاء العالمين على خدمة المواطنة اللغوية بمفهوم مراعاة الخصوصيات ضمن القيم الخاصّة، وفي ظلّ الكفايات التواصلية الجديدة.

ـ **الخاتمة:** من الضروري التنادي الجماعي لنقدّم لأجيالنا مدرسة المستقبل وفي مضامينها ومناهجها وفي تكيّفها مع الخصوصيات. ولا نعدم النيّات الصادقة

لأصحاب القرار السياسي، كما لا نعدم قابلية العيش في محيط عالمي قوامه **مدرسة ناجحة= لغة جيّدة**. وبذا، فلا مجال للرجوع إلى الوراء، وإلاّ سنخرُج من التـــاريخ والجغرافيا، وسيكتب علينا الزمن أنّنا لم نقدّم لأجيالنـــا مدرســـة مُعاصـــرة مُلبيـــة لتطوّراتهم المادية والفكرية، وقد عزلناهم عن المحيط العالمي، فبقوا متخلّفين. فأن نكون أو لا نكون، ونريد أن نكون بما لنا من أفكار الحداثـــة، وأفكـــار الانفجـــار المعرفي. وهذا ما نريده من مدرسة المستقبل التي تعمل على تطوير اللغة العربيـــة وفق مهارات قابلة للانتقال والتطبيق في مستقبل واعد ومضمون، وعماده الأساس المعرفي الذي يُراعي طبيعة المفاهيم التي تقدّم للمتعلّم وكيف يُسهم في بناء منظومة تربوية ولغوية على شكل خرائط مُتسلسلة وبأسلوب منهجي يُســـهم فيـــه المـــتعلّم كطرف أساس في بناء **مدرسة المستقبل الذكية، ببوابات إلكترونيـــة** وبما لها مـــن مزايا الذكاء في كلّ شيء وبما لها من نوعية التعليم المُلبّي للحداثة لعموم المعارف الموصلة إلى تعليم نوعي عربي عالمي.

الملتقى العربي الأوّل حول: الهندسة الميكانيكيّة♥

ــ **ديباجة:** إنّه ليسعدني أن يكون المجلسُ الأعلى للغة العربيــة حاضــراً فــي جامعة محمّد خيضر ببسكرة وفي قسم الهندسة الميكانيكية، فــي الملتقــى العربــي الأوّل للهندسة الميكانيكية، وينــالني الشــرف أن يُحظــى المجلــسُ بالمحاضــرة الافتتاحية. وأصالةً عن نفسي، ونيابةً عن زملائي، أرفع لكم آياتِ التقدير والشــكر لكلّ من فكّر في تنظيم هذا المَحْفل العلمي العربي في هذه الجامعة. ولا بدّ أن نعيدَ الأفضال لذويها بأن نُزجي خالص الشكر والتقدير للذين يرعــون العلــم والعلمــاء ويحرصون على الحضور، ويحتفون بالمُتصدّرين، ويمتدّ الشكر إلى راعي الملتقى السيد رئيس الجامعة؛ لما يوليه لجامعة بسكرة من رعاية علمية لتنــال التصــنيف الدولي، وهذا ليس بغريب على صاحب الميدان، ويمسّ الشكر كلّ الفــاعلين علــى مستوى الجامعة للخدمات العلمية التي تقدّم أحسن تقديم. ونجزل الشــكر للأشــقاء الذين جاؤوا لحضور فعاليات هذا الملتقى العربي الأوّل، فلهم منّا عبــارات الــودّ ونتمنى لهم إقامة علمية مفيدة بيننا.

وأراني أمامهم في مقام المستفيد، وإلى كلّ المحاضرين من كلّ الجامعات الوطنيــة فعليهم تقع عُهدةُ خدمة الشأن العامّ، وأملنا فيهم أن يقترحوا أفكارَ التحسين والتطوير في الهندسة الميكانيكية، وهي فرع من فروع الهندسة العامّة التي تهتمّ بالتصميم والتطــوير والتصنيع والتركيب وتشغيل المحرّكات والآلات وعمليات التصنيع.

♥ ــ ألقيت الكلمة في الملتقى العربي الأوّل، حول (الهندسة الميكانيكية) بجامعة محمد خيضر ببسكرة، بتاريخ: 10–11 ديسمبر 2017.

ـ **مقدّمة:** ماذا عساني أقول أمام المهندسين المختصّين والعلماء، فبضاعتي قليلة، وليست مُزجاةً في الهندسة الميكانيكية، وما بقي لي إلاّ تلك المسكوكات التي علّمني إياها شيخي في أواخر الستينات يقول: "الهندسة هي عِلْم الحِيَل، ولا يفلح فيها إلاّ الشاطر في الحِيَل. وقد قرأت مرّة كتاب (الحِيَل في الفقه) لأبي حاتم القزويني، وفيه حِيَلٌ لا ينتبه إليها إلاّ راسخ في العلم". وربّما لم يكن شيخي على خطأ، بقدر ما نظر للمسألة من باب أنّ الهندسة في عمومها هي الدينامية التصنيعية بغرض الوصول إلى النمذجة الصناعية التي هي من صُنع المحترف فتحتاج إلى ألفِ حيلةٍ وحيلة. لستُ في موقع القوّة العلمية لأُحدّثكم عن الثورة الصناعية التي كانت الدافعَ القويَّ لتطوير الآلات، وتقدّم ثورة البخار، وما جرى من ترقية الآلات عن طريق المحاولة والخطأ، حتى وقعت المَهارة في التعليم الهندسي، وأدّى كلّ ذلك إلى إنجازات قوانين الفيزياء والرياضيات، وظهور الصناعة في شكلها المَيْكني؛ بما صاحبَها من نظريات فيزيائية عملت على تغيير أنماط الصناعة التي أخذت أبعاداً تطوّرية سريعة، وكلّ هذا كانت الهندسة الميكانيكية تنال الحصاد اليومي بشكل مضمون وعلمي.

أيّها الحضور، كلّ ما يمكن تلخيص هذا الموضوع، بأنّ الهندسة الميكانيكية عملت على منطق الرياضيات؛ وهو منطق لغوي لوغاريتمي في أصله، جرت فعاليات الهندسة باستخدام الطرائق العلمية بدلاً من الطرائق التقليدية أو الحَدَسية وكانت في كلّ ذلك الهندسة الميكانيكية تنال موقعاً في أنظمة الفيزياء بصياغة تجارب علم الميكانيك؛ باعتماد صياغة التنبّؤات الكميّة نظرياً، وكيفية اختبار هذه الصياغات الرياضية بأدوات قياس مُصمّمة بعناية؛ حيث لا مجالَ فيها للخطأ. وهذا ما تمّ على مستوى العلوم الأساسية للهندسة الميكانيكية في التطابق التامّ بين نظرية الآلات، وطرائق توصيل القطع والأجزاء بصورة متكاملة؛ بحيث تسير كلّ قطعة تابعة لحركة القطعة الأخرى، بتصميم ميكانيكي دقيق، وبخاصّة بعد ظهور الكيبتار الذي ساعد على السرعة الفائقة في تحصيل فِعل الآلة الأوتوماتيكي. وقد نجم عن

هذا العلمِ تطوّرٌ عظيمٌ في المجالات الصناعية والمعيشيّة للإنسانيّة كافّة، وأدّى بدوره إلى تطوّر وسائل التعليم وأساليبه لخدمة الصناعة بفروعها المختلفة.

إخواني، لا أريد الاستفاضة في مجال الحديث عن اختصاصكم، وأنتم أدرى به؛ بقدر ما أريد التركيز على بعض الضرورات الهندسية التي تتطلّبها بلدنا؛ وهي تدخل مجال الهندسة في عموم الصناعة. أليست بلدنا حَرِيةً الآن أن يقع التركيز والتفكير المعمّقان من قبل نخبتها البحثية في ردم بعض الفجوات التي نعيشها في الركون إلى بضاعة الآخر؛ وبخاصّة البضاعة المُصنّعة، حيث يمكن لمهندسينا الإبداع في مجالات الهندسة التي نريد توطينها من مثل: هندسة الميكانيك – هندسة التصميم والإنتاج – هندسة الإنشاءات والهياكل الكبرى – هندسة السيارات – هندسة النسيج – الهندسة البحرية – الهندسة الطبية... ولم أصرّ على ضرورة خوض ميدان هندسة الطيران وهندسة الفضاء... بلهَ الحديثَ عن علم قوى الديناميكية الهوائية، والتحكّم عن بُعد، والميكانيك والنانوتكنولوجي والروبوتيك. وكلّ هذه الأمور من بدهيات العلم الحديث؛ إذا وقعَ الاهتمام بها في جامعاتنا وفي صناعاتنا المستقبلية، وبخاصّة عندما يقع الاهتمام بوظائف الهندسة الميكانيكية؛ بإدراك المبادئ الأساس للعلوم الميكانيكية، وما يتبعها من التخطيط والصيانة والتسويق. ولا أقول جازماً بأنّنا نفلح بسرعة، ولكن يمكن أن يكون لنا مقام بين المُنتجين الصناعيين وعلى الأقلّ أن نبدأ في وضع القواعد وكما يُقال: **الطريقُ تصنعهُ الأقدامُ.**

أيّها الحضور، إنّ المجلس الأعلى للغة العربية يُثمّن جهدَكم، ويرافقكم في ما تقومون به من أجل خدمة الصناعة الهندسية، فهي الحاضر والمستقبل، فلا تقدّمَ دون آلة، ولا حضارةَ دون إضافة، ولا حداثةَ دون تصميم، ولا مستقبلَ دون تخطيط. فيا أيّها العلماء، أنتم الراسخون في العلم، زيدونا من إنتاج الفكر المؤدّي إلى العيش في رفاهية التحكّم في المستقبل، لا تكونوا تقليدانيين، كونوا مُبدعين مُؤثّرين، كونوا كما أرادكم السلف الصالح، كونوا جبّارين في اختصاصكم، يستفيد منكم الآخرون، اجعلوا لكم موقعاً في خريطة العالم وهكذا نريدكم أن تكونوا.

وإنّ المجلس الأعلى للغة العربي بما سطّره دستور 2016، يعمل على ازدهار اللغة العربية، وتعميم استعمالها في العلوم وفي التكنولوجية، والترجمة إليها. ومن خلال هذا، فإنّ للمجلس قوّة اقتراح الأفكار يعمل مع مختلف الوزارات والهيآت والمؤسّسات، ويرغب في إقامة شراكات مع الجامعات الوطنية في إطار تجسيد مشاريع البحث العلمي عبر الاستراتيجية الوطنية في آمادها الثلاث: الاستعجالية والمتوسّطة والبعيدة المدى وبالتعاون مع المديرية العامّة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، ويعمل على مدّ يدّ العون للباحثين في مختلف مجالات البحث وبخاصّة ما له علاقة بالترجمة وبالبحث الجامعي والتأهيل الممتاز، بغية الوصول إلى التحكّم في آليات الهندسة التكنولوجية في أبعادها الكبيرة. وما الهندسة الميكانيكية إلاّ أحد الاختصاصات التي يعمل على تشجيعها وتدريسها باللغة العربية؛ تثميناً للمادة الثالثة من الدستور. ومن خلال هذا اللقاء لا يمانع المجلس بأن يعقد اتّفاقية مع الجامعة لإنجاز الدليل أو القاموس الموحّد حول مصطلحات ومسكوكات الهندسة الميكانيكية، وهذا ليس صعباً على أساتذة قسم الهندسة الميكانيكية بما لهم من طاقات مُبدعة، ويكون المجلسُ شريكاً في تقديم أفكار بخصوص النمذجة الصورية لصناعة القواميس، وتنميط المصطلح بما يتوافق وخصوصيات اللغة العربية. والزمن كفيل بتطوير الاتّفاقية إلى شراكة علمية تكون في مستوى خدمة اللغة العربية خدمة علمية، وهذا هو المبتغى من السعي الحثيث لازدهار العربية ليكون لها موقع قويّ في العلوم.

إخواني، نحن نفتخر بكم؛ بأنّكم تقومون على خدمة المواطنة اللغوية التي تُعطي للعربية القيمة المضافة بما تقومون به في تعليم مساقاتِكم، وما تبرهنون به من أنّ العربيةَ ليست عاجزةً عن استقطاب المُصطلحات العلمية والتقنية؛ بما لها من رصيد مَعرفي علمي، يستجيب لكلّ مصطلح علمي، فلا يقع العجز في ذات اللغة، بل إنّ تدريسكم للهندسة الميكانيكية هو تقريب العلم للصُنّاع وللحِرْفيين وللمُهندسين وللخَواص، فأنتم القمّةُ التي تتكلّم إلى القاعدة بلغة مشتركة، فكذلك يكون الإنتاج؛

لأنّه لم يثبت أنّ أمّةً ارتقتْ بغير لغاتها، ولم تنجح تجاربُ الأمم التي عملت على خيار اللغات الأجنبية لترتقيَ، فبقيت مُتخلّفة.

وإنّ الحاجة المُعاصرة تتطلّب منّكم توجيه الطاقات المُبدعة ورعايتها، والسعي للنهوض بمستوى المُخرجات الأكاديمية عبْر المعلومة الصحيحة والدقيقة من أصحاب الخِبْرات والتجارب، وكذلك يُنشَد مجتمعُ المعرفة، فأنتم المفتاحَ للولوج إلى صناعة هندسية مُبدعة لأرضية المؤسّسات والشركات والمصانع، ورعاية النظريات لتعيش التطوّر المطلوب. وكما تعلمون؛ فإنّنا نعيش المنافسة والتطوّر في كلّ ثانية، والزمن في تصاعد يسجّل البقاء للأفضل إنتاجاً، فما مقامُنا في كلّ هذا؟ ولا شكّ أنّ إبداعَكم عبْر طلابكم سيكون له الأثرُ في الركام المعرفي الهندسي ومن الركام الإنتاجي يأتي النوع، ولذلك علينا الحرصَ على القيام بأعمال جديدة بإخلاص وعزيمة، وأن نرميَ ببصيرتنا إلى الأبعد، وبآمالنا إلى الأسمى؛ حتى نكونَ مُتألقين في الأفكار وفي حسن الأداء.

أيّها المهندسون، نحن نمدّ لكم فكرَنا لنتعاونَ في خدمة تطوير الصناعة المحلية وتضمّوها إلى ما تملكون من أفكار ونظريات وإجراءات علمية، كما نمدّكم بالعون المعنوي والمادي، وعسى أن تتكاتف جهودُنا لنَكونَ، ونُكوِّنَ صِناعيين مَهَرَة يُطلب وُدّهم، ونتحسّنَ دائماً في لاحق من إنتاجنا الذي يجب أن نصحبَه بمُستجدات العصر، وبمُلاحقة تنامي استخدام الأنظمة الحاسوبية الذكية فإنّ المعرفةَ ببرامج الحاسب الآلي تفتح أمام المهندسين آفاقاً وظيفية كثيرة.

أُنهي كلامي بأن أقول: إنّني جدّ سعيد بوجودي في عروس الزيبان، بسكرة التاريخ (ادپسينام) (AD PISCINAME) بسكرة الرّوعة في المقاومة من خلال كلّ الثورات التي شهدتها الجزائر، بسكرة العلم والعلماء، فها هو أحمد بن نصر الداودي أوّل من شرح البخاري في كتابه (النصيح) وأخذ منه العسْقَلاني في أكثر من 500 موقعٍ، وها هو العالم عبد الرحمن الأخضري صاحب (السُلّم المُرونَق) في المنطق وها هي السياحةُ الدينيةُ في بسكرة السُكَّرة بما تضمّ من رُفاة الصحابة

الفاتحين المصاحبين لعقبة بن نافع، وها هم بعض رجالات جمعية العلماء، وها هي المُحدّثة صفيّةُ أمّ الحياء البَسَكْرِية، وها هو أبو بكر الجزائري يتصدّر في الإفتـــاء في المدينة المنوّرة... فأنعمْ بهم من أخيار المنطقةَ وهم كُثّر! وأصدُقُكم القولَ بـــأنّي مُرتاح أمام زملائي، وأنا في بيتي؛ أرى المواطنة اللغوية تتصدّر. وأجـــدني فـــي بسكرة النيّرةَ بسكرة المعطاء الطيّبة. والشكر كلّ الشكر على فِعْلكم المتين، وعلى جهودكم المُستبين، وعلى حسن تعاملكم المدهش، وتفتّحكم المنعش وهذا نعمةٌ مـــن نِعَمِ الاستقلال، ومن شساعة بلادنا المفضال، ومن جود كـــرَم الأخيـــار، والمجـــد والخلـــــود لشـــــهدائنا الأبـــــرار. والســــــلام علــــيكم يـــــا إخـــــوان.

المدرسة الأندلسيّة المغاربيّة
بين الإتّباع والإبداع♥

ــ ديباجة: حريٌّ بنا أن نبحث عن آليات ازدهار اللغة العربية في الفردوس المفقود، وكيف نالت العربية مواقع واسعة في الانتشار وفي الاستعمال، وهي ليست بلغة المنشأ، ولا باللغة الأمّ، ولا بلغة أمّ في شبه الجزيرة المُمتدّة لأروپا. ولقد دخل الفاتحون هذه البلاد، ومعهم اللغة العربية التي بزّت اللغات المحليّة وأعطت للأندلس فكراً وحضارة في مختلف العلوم والفنّون؛ حيث نشطت فيها الدراسات اللغوية والأدبية والمعجمية، وخلال قرن من الزمان استطاعت أن تصل مناطقَ مجريط وإشبيلية وطليطلة وغرناطة وإشبيلية ومرسية وألمرية وفلنسية... وتكون العربية لغة الدولة والإدارة ومختلف العلوم في حاضرة ملوك العرب والبربر بل تتصدّر في المحافل والمؤسّسات، مُصاحبة للحضارة الإسلامية الزاحفة التي أضافت للأندلس لمسات عمّرت ما يقرُب من ثمانية (8) قرون. فما هي أسباب ذلك التصدّر؟ وكيف ارتقتِ العربيةُ في الأندلس من العَدَم؟ وكيف توهّجت عن طريق المشافهة والشعر، ونالت المقامات العُلا؟ أوَ ليس من المعجزة أن تتغلّبَ اللغةُ العربية على اللغة القشتالية في وقت وَجِيزٍ؟ ما هي عوامل النّمو اللغوي الذي سلكتْه العربية؟ وما هي الطرائق التبليغية التي استُعملت في تعميمها وتدريس العلوم بها؟ وكيف استطاع اللغويون المُؤسّسون نقلَ العربية في صورتها التأصيلية وتعود إلى المشرق في ثوب غير ما قيل: "بِضاعتنا رُدّتْ إلينا؟" وما هي الحواضر العلمية التي عملت على تأسيس مناهج تعليمية تيسيرية ونالت المرجعيات التربوية؟

♥ ــ أعدّت المداخلة للملتقى الدولي حول (المنهج التيسيري في تعليم علوم اللغة العربية لدى المدرسة الأندلسية المغاربية) تنظيم كلية الآداب والفنّون، بجامعة حسيبة بن بوعلي الشلف في 28–29 نوفمبر 2017م.

وما هي السمات المازّة للأندلس والمغارب اللغويين، بأن أصبحت لهما مدارس نحوية، بما للمدارس المشرقية قبلهما من تأصيل واتّساق ومنطق، ومشيخة ومريدين ومنهج، وقابلية التكيّف؟

تلكم بعض الإشكالات التي نروم أن تجيب عنها هذه المداخلة في إطار الهدف الذي يرومه هذا الملتقى الدولي؛ من خلال البحث عن وسائل وآليات تيسيرية استعملتْها المدرسةُ الأندلسيةُ ذات زمان، وكان لها الوزنُ العلميُّ أمام مدارس سابقة، بل أضحت المدرسةُ النّحويةُ الأندلسيةُ بالخصوص تملك مواصفات علمية في تقديم أفضل الطرائق التدريسية لتعليم العربية لأهلها، ولغير الناطقين بها...

هي أفكار نقدّمها بمعية ما يطرحه الزملاء من اقتراحات وتوصيات، نروم أن يكون لها الصدى العلمي بعد إعمال النظر من زاوية تطوير العربية في حدود تيسير النّحو تيسيراً يُراعي مُستجدات الوقت، أو ربّما تكون لنا رؤية جديدة في المتن؛ نعمل على توجيه الطلبة للبحث في ما تركه سلفنا الصالح في الأندلس؛ من خلال نجاحات الرباطات والزوايا العلمية والحواضر الثقافية، في ترسيخ العربية وتبليغها لأهلها ولغير الناطقين بها سهلة ميسّرة، وقد يكون ذلك مرجعية نعتمدها في تطوير الدرس النّحوي المعاصر الذي نشتكي من صعوبة النّحو وكذلك من ضعف طرائق تعليم النّحو.

ــ **مقدّمة:** نال موضوع تيسير النحو كلّ الأهمية منذ ثلاثينيات القرن الماضي ولحدّ الآن لا يزال البحث فيه جارٍ لتقديم منهجية تيسيرية علمية دقيقة، ولا نعدم تلك الدراسات الجادّة التي تُعدّ دراسات سابقة لهذا العمل، ومنها:

1ــ تيسير النّحو، عمل جماعي من منشورات المجلس العلى للغة العربية، في إطار الملتقى الوطني حول (تيسير النّحو) 23-24 أبريل 2001، بالمكتبة الوطنية، في الجزائر.

2ــ في أصول النّحو، صالح بلعيد. الجزائر: 2013، دار هومة للنشر والتوزيع.

3ــ مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً (1934-1984). منشــورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

4ــ العربية في الأندلس انتشارها وتعليمها -دراسة تأصيلية في تعليم العربيــة لغيــر الناطقين بها-خالد حسين أبو عمشة. عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

5ــ ندوة ألكسو حول اللغة العربية. الجزائر 1976.

6ــ اللقاءات العلمية حول موضوع تيسير النّحو، ندوة المجامع في الجزائر سنة 1984.

7ــ مجموعة ندوات للمفتشين في الجمهورية العربية المصرية+ الجزائر.

8ــ مقالات خاصّة حول تيسير النّحو.

9ــ أعمال أخرى ولقاءات وندوات حول تيسير النّحو.

وما ذكرنا إلاّ القليل من الكثير من الأعمال العلمية التي تُنادي بضرورة إصــلاح العربية؛ يعني إصلاح نحوها لجعله يتماشى ومعطيات الــدرس اللغــوي المعاصــر وربطه بواقع استعمال العربية بما نالها من أساليب معاصرة يجب ان تكون في واقع ما يستعمله التلميذ في وسطه، بما يحترم المتن الفصيح. وإنّ النّحو العربي هو العقدة التي تجعل المتلقي للعربية -أحياناً-يتذمّر من بعض الفذلكات النّحوية التي لا ينالهــا الاستعمال، إضافة إلى عدم مراعاة التدرّج في مفردات النّحو، وما ينالها من تكامل.

وعوداً إلى عنوان الملتقى، فنرى أنّه يحتوي على مُحدّدات لا بدّ مــن الوقــوف عندها لتوضيح أبعاد اختيار هذا العنوان، وسنقف بداية في:

أولاً: تحديد المصطلحات: يمكن أن نقول بأنّ العنوان يحوي ثلاثة مصــطلحات نقف لتحديدها وهي:

1ــ **المنهج التيسيري**: إنّ البحث في موضوع التيسير النّحوي أخذ أبعاداً كبيــرة في العصر الحديث ولم يكن له ذلك في عصر التأسيس، اللهمّ بعــض المختصــرات التي كانت تشرح الغموض النّحوي، أو تلك الشروح المرتبطة بتعلــيم النّحــو الــذي أصبح صناعة بعد توسّع الفتوحات الإسلامية. ولم يكن مثارَ جــدلٍ فــي المدرســة

البصرية، ولا عند أصحاب المدرسة الكوفية، وكذلك لم يكن محلّ نقاش عند مدرسة بغداد. قد يكون الأمر لا يستدعي ذلك؛ باعتبار النّحو باكورة جهد علماء العربية وهو أساس علومها ولكن ما دام أنّ الغاية من النّحو هو صيانة القرآن واللسان العربي من الخطأ –بعد أن أخذ اللحن يشيع–انبرى بعضُ النّحاة إلى وضع قواعد تسهيلية لضبط الكلام العربي؛ فألّفوا كُتباً تحمل بساطةَ ما يسهُل على الدارسين تعلّم العربية في صورة مُلخصّات. ولكنّ الأمر لم يقف عند هذا الحدّ، بل تسابق النّحاةُ بعد ذلك في تأليف الكتب النّحوية المُطوّلة، كما أدّى ذلك إلى ظهور أسلوب المادة النّحوية وغموضها والحدّ من لغة السماع، وتحديد المكان. ومع ذلك، فإنّ الشكوى لم تكن في مستوى الحدّة، حيث ظهرت بوادر المنهج الكوفي في استعمال النّحو بمجرى المنهج اللغوي العامّ للغة، من حيث الاستعمال البعيد عن بدايات التمحّلات النحوية، ومن ذلك بدأت تظهر بوادر التيسير في متن النّحو لا في المنهج. وخرج منهج الكوفة يدور في تجنّب الإطالة وعدم التعمّق في ذكر القواعد، والاستعانة على توضيحها بالشواهد المسموعة دون شرط قائليها، والوقوف عند حدود العلّة الأولى، وتجنّب الشاذ والنادر والتمييز بين المستويات التعليمية...

2ـ تعليم علوم اللغة: إنّ تعليم علوم اللغة كانت مترابطةً، فيقع تعليمُ النصّ من خلال البحث في النّحو والمعاني والبيان والبديع، ولم يقع الفصلُ بينها في المرحلة الأولى؛ باعتبارها من علوم العربية، ويضاف إليها المنطق اللغوي. كما كان التأليف مُختلطاً مُشتركاً، ولكن منهجية تعليمها يختلف من إقليم لآخر؛ حسب استعمال اللسان العربي من عرب عاربة ليس لها عوائق لغوية تلفّظية، كما هي عند العرب المستعربة، فكان تعليم النّحو يخضع لاجتهاد الشيخ في توصيل المادة للمُريد. وكان يعتمد المادة الأولية: الشعر/ القرآن، ويتبع بجملة شواهد متداخلة حسب الأرضية المعرفية للشيخ الملقّن، وللرتابة المتوارثة في إقليم من الأقاليم.

3ـ المدرسة الأندلسية المغاربية: يبدو لنا بأنّه من الأفضل تقسيم هذا المحـدّد إلى قسمين وهما:

1/3ـ تحديد التداخل بين مسمّى الأندلس وبلاد المغارب: يجب الانتباه إلـى أنّ التداخل بين إقليم الأندلس/ حاضرة العدوة العليا، وحاضـرة العـدوة السـفلى وتُطلق في البداية تسمية المدرسة النّحوية على الدراسات النّحويـة فـي الأنـدلس وشمال إفريقية، وجزر البحر المتوسّط، والمحيط الأطلسي التي سـكنَها العـربُ؛ كجزيرة صقلية والجزر الخالدات المسمّاة حالياً جُزر الكناري. وباختصار هناك من يطلق عليها تسمية الغرب الإسلامي؛ وهو أوسع من مصطلح المغرب؛ حيث يشمل شمال أفريقيا، مُضافاً لها قطاع الأندلس والجزر الواقعة في غرب البحر المتوسـط مثل صقلية وجزر البليار.

لقد فتح طارق بن زياد وموسى بن نصير الأندلس في عهد الدولة الأموية عامّ 92 هـ، وتسمّى في عمومها شبه جزيرة إيبيريا، وفيها تأسّست رابع (4) مدرسـة نحوية عربية، بما لها من مواصفات بيئية تختلف عن بيئة المدارس المؤسّسة، كما تختلف عنها في المنهج، وفي المبادرات التي اعتمدتها. وأما كلمة (المغاربية) فهي حديثة، وكانت تحمل تسمية (بلاد المغرب/ المغارب) وتعني العدوة الدنيا ولم تكـن تملك مدرسة، بقدر ما كان فيها بعض الحواضر والمُعمّـرات والزوايـا العلميـة التعليمية، ومع ذلك، فهي التي عملت على إمداد العدوة العليا (الأندلس) بمجموعـة من مُريديها المَوسوعيين، وكانت لهم مواقع تأسيسية في مدرسة الأندلس النّحويـة. ولكن يصعب التفريقُ بين علمائها؛ لأنّ الكثير من هؤلاء تنقّلـوا عبـر العـدوتين وكانت كلّ واحدة مكمّلة للأخرى، كما أنّ معظم الموريسـكيين عنـدما خرجـوا مَطرودين من الأندلس حلّوا بحواضر بلاد المغـارب، وهـي: فـاس القيـروان، القرويين، بجاية، تلمسان. ويجدر بنا وضع هذه الترسيمة لتحديد بعض الفوارق بين مدارس النّحو في المشرق فقط، وأما المغارب والأندلس، فهناك الكثير من التكامل، رغم بعض الفروق، من مثل:

بلاد المغارب	بلاد الأندلس
يضمّ البلاد المغاربية الخمسة في وقتنا الحالي: الجزائر+ تونس+ المغرب+ ليبيا+ موريتانيا	يضم إسپانيا والبرتغال وبعض الجزر
تأسيس حواضر علمية وزوايا ومعمّرات	تأسيس مدرسة نحوية أندلسية
لها السبق في إمداد الأندلس بالعلماء	لها الفضل في توسيع آفاق العلم
تميل إلى نسخ نحو المشرق، في غياب الإبداع	تميل إلى المشرق بلمسة أندلسية
مُتشدّدة في قضايا النّحو، وتميل إلى نحو البصرة	مُبدعة وتميل إلى نحو الكوفة

وأما الفروق بين مدارس المشرق ومدارس المغارب والأندلس، فيمكن تلخيصها في الآتي:

مدارس المشرق	مدارس المغارب والأندلس
لها فضل السبق في التأسيس	لها فضل المواصلة والتطوير
أعراب عاربة فصيحة بالسليقة والنقل	مستعربة ومستمزغة فصيحة بالعقل
كُتب المشرق فاتحة مُؤسّسة	كُتب المغرب والأندلس شارحة
يقولون: المغرب والأندلس "**بضاعتنا رُدّت إلينا**"	لقد ظهر من هو أنحى من سيبويه
الشعر عند المشرق هو الموزون المقفّى	هو شعر المؤشّحات الجديد
النّحو التقليدي ذو المتن الثقيل	نحو المنظومات والأجروميات
انتحاء طرائق التلقين الملتوية	اتباع طرائق التيسير السهلة
انقسامها إلى مدارس مكمّلة	انقسامهما إلى مدرستين (2) متنافستين
كثرة الإنتاج اللغوي عمل على التضارب	قلّة الإنتاج اللغوي عمل على الاتباع
ظهور الإسفاف اللغوي والنّحوي	ظهور الصناعة النّحوية
الدعوة إلى الحفاظ على المتن القديم	الثورة على العِلل النّحوية
الاهتمام بالشاهد القديم والشاهد القرآني	الاهتمام بالشاهد القديم والحديث النبوي الشريف

تميّز المشرق بحفظ المتون	تميّز المغرب والأندلس بحفظ المنظومات
ربط اللغة بتيسير النّحو	ربط النّحو بتيسير طرائق التلقين
ريادة المجامع في التيسير النّحوي	جمود البحث اللغوي في النّحو
النّحو غاية لمعرفة اللغة	النّحو وسيلة لفهم واستعمال اللغة
تيسيرات نحوية تنازلية	تطبيقات لتيسيرات مشرقية
تطوير اللغة مرتبط بالمدرسة	تطوير اللغة مرتبطة بلغة الصِّحافة
بناؤهم طريق الملح والحرير	بناؤهم طريق تنقّل العلماء

والعبرة من كلّ هذا، ما يلي:

- إنّ القدامى في العدوتين تنافسوا في العلم النافع؛
- أقاموا المؤسّسات والحواضر العلمية؛
- أغدقوا على الشعراء والمُبدعين، وتنافسوا في استقطاب الكفاءات والعلماء؛
- كانوا أحراراً في الانتقال بين الأمصار، لتقديم العلم للراغبين؛
- بَنَوْا طريق تنقّل العلماء دون عوائق وحواجز قانونية؛
- دعوا إلى حفظ المتون التي تكسبنا التحكّم في كلّ الفنّون؛
- الدعوة إلى استلهام أفكار التيسير النّحوي، والعبرة لتعليم النّحو تعليماً بسيطاً؛
- استحداث آليات التبليغ، بتحيين أفكار الماضي المجيد.

2/3ـ المدرسة النّحوية الأندلسية المغاربية في تأصيليها: في الأصل وجدت المدرسة الأندلسية في ما كانت تزخر به من علماء المشرق والمغرب، ولا يفوتنا التذكير ببعض الأفذاذ: ابن الطراوة+ ابن السيد البطليوسي+ ابن مالك الجياني+ ابن عصفور+ ابن خروف... وهؤلاء جميعهم عملوا على منهج يقوم على تعليم عربي مستمدّ من تراثنا بما يتناسب وآليات عصرهم ومصرهم، بتحيين المنهج المشرقي ونظروا في تعليم النّحو؛ ليكون من أجل هدف التواصل الصحيح ففرّقوا بين تعليم

النّحو لغايات تربوية وتعليم النّحو لغايات تخصيصية، وكان ذلك على مستوى الكتّاتيب والحاضرة والمسجد. وعمادهم تكوين المعلّم الجديد بنقل معارف النّحو الأولية بصورة نفعية ليحصل تملّك آليات اللغة بصورة قديرة تمثّل التربويات. ووضعوا الأبعاد الكبرى لتعليم النّحو ممثّلة في الابتعاد عن التقديرات والتأويلات والأقيسة البعيدة التشابه، والمغالاة في التأويل، كما حدّدوا أبعاد النّحو في العمل على التواصل اللغوي وعماده التّمهّر في علم اللسان دون التّعمّق في دراسة اللغة العربية حتى أصعب مسائلها وأغرب دقائقها حيث الأندلس بالخصوص كانت بلداً متعدّدة الألسنة، كان لا بدّ من مرونة نحوية مرحلية لتدريس العربية بالتركيز على باب فهم اللغة، وهو ما ينبغي على الدّارس تعلّمه، ويقول ابن حزم "وأقلّ ما يجزئ من النّحو لمن ليست غايته التخصّص فيه اكتساب الواضح للزبيدي، أو ما في نحوه كالموجز لابن السراج... وأما التعمّق في علم النّحو ففضول لا منفعة، بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطّعة دون الأوجب والأهمّ... وأما الغرض من هذا العلم فهي المخاطبة، وما بالمرء حاجة إليه في قراءة كتاب المجموعة في العلوم فقط، فمن يزيد في هذا العلم إلى أحكام سيبويه فحسن[1]".

وبذا نرى منهج تلقين العربية في الأندلس ومقصوده تعليم النّحو؛ فهو يقوم على المبادئ البسيطة جدًا، أو ما يعمل على استعمال اللغة ببساطة باعتبار الأندلس له أكثر من لسان، على أنّ التعليم فيه لا يقاس على تعليم العربية في المشرق، بخلاف هؤلاء الذين لم يشربوا العربية في لغتهم الأولى. ولذا يرى الباحثون بأنّ منهج الأندلس في أساسه يرتكز على المرحلة الابتدائية وفق هذه الركائز:

"- القرآن الكريم؛

-الحديث النبوي الشريف؛

---

[1] ــ ابن حزم، الرسالة الرابعة، تح: إحسان عبّاس، ط1. بيروت: 1973، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، ج4 ص 66-67.

-المبادئ العامّة للنّحو والصرف؛

-القراءة؛

-رواية بعض الأشعار؛

-الأخذ بنصيب من الترسّل والرسائل الأدبية؛

-تحديد الخطّ والكتاب والهجاء؛

- ما يحتاج إليه دارس المرحلة الابتدائية من بعض مبادئ العلوم[1]". وهذا هو عماد تعليم النّحو في الأندلس، ويمكن أن يكون ذاته في بلاد المغارب باعتبار الساكنة التي تملك أكثر من لسان للتواصل.

ثانياً: بخصوص التيسير النّحوي: أبدأ تحليل هذا العنصر بالتذكير بمجموعة من الأفكار التي كنّا نسمعها عن مرجعياتنا من المشايخ الثقاة، وكانوا يقولون أقوالاً علمية، هي من الصواب إذا أعملنا النظر في وقتنا المعاصر، وممّا يقولون:

- إنّ النّحو لا يُيَسّر، إنّما تُيسّر الطرائق التدريسية، فالنّحو استعمال للغة في مختلف المواقع؛ باعتبار اللغة (وضع واستعمال)؛
- النّحو عماده علامات الإعراب، واللغة عمادها الحال والمقام ومقتضى الحال؛
- النّحو قواعد ضمنية يقتضيها المنطق اللغوي الرياضي، والاستعمال اقتضاء منطقي للنّحو إذا لم يكن هناك عارض لغوي لا ترغب اللغةُ في استعماله، وإذا تعارض النّحو مع الاستعمال، فالاستعمال أولى؛
- التيسير يعني التدرّج في الأبواب، وإكمال للسابق حسب منطق اللغة؛

[1] ــ خالد حسن أبو عمشة، العربية في الأندلس انتشارها وتعليمها –دراسة تأصيلية في تعليم العربية لغير الناطقين بها-. عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص 114.

- ➢ النّحو المدرسي هو نحو مرحلي تدرّجي وظيفي، والتيسير هو التوظيف السليم الذي يأتي عن طريق التكرار والترويض والممارسة؛
- ➢ النّحو قيْد، ولكنّه مِلْح اللغة، فلا تخلو لغة من قيود؛
- ➢ النّحو يميل أحياناً إلى الجمود، والإبداع فكّ لقيْد النّحو، ولهذا قالوا: يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره كما قال المبدعون: "علينا أن نقولَ، وعليكم أنْ تتأوّلوا" والإبداع يعمل على التطوير اللغوي الذي يقتضيه منطق النّحو؛
- ➢ سلامة اللغة من مرونة النّحو، والسلامة النّحوية هي كثرة الاستعمال والتوسّع اللغوي ركن هامّ في عُرف اللغات؛
- ➢ الفصاحة هي الإيجاز، والنّحو يتطوّر بكثرة إنفاقه على أساليب اللغة؛
- ➢ التيسير النّحوي من بين ما يعني هو التفريق بين النّحو التخصّصي والنّحو التربوي...

لقد لقيَ موضوع تيسير النّحو أو إصلاحه اهتماماً واسعاً في العقود الأخيرة وعقدت من أجله الكثير من المؤتمرات والندوات، ومع ذلك بقي الانشغال به مطروحاً، فما يزال مُتعلّم العربية يتلقّى العربية صناعة ويحتاج إلى إعمال الذكاء لعدم الوقوع في الخطأ وأنّ علامات الإعراب مَهْلَكة لكلمات العربية التي لا تستقرّ على صورة واحدة... وغير ذلك من الأفكار التي تطرح، والغاية من هذا ما هي أنجع وسيلة لتعليم القواعد النحوية بصورة ضمنية؛ يتلقّاها المتعلّم بسلامة نحوية، ولا يعرف المحلّ الإعرابي إلاّ بعد النطق السليم. وهذا الأمر يحتاج إلى الدراية بما يلي:

- ➢ لا توجد لغة أو استعمال لغوي دون قواعد ضابطة؛
- ➢ نظام العوامل في شبكات اللغات نظام منطقي في كلّ لغة، بخلافات متباينة؛
- ➢ صعوبة نحو العربية لا يكمن في القواعد، بقدر ما يكمن في مصاحبتها للنصوص التطبيقية والشواهد؛

➢ تيسير النّحو يكمن في الاقتداء بأيسر طريقة للتعليم، وهي الطرائق الغائبة عندنا: الاستعمال الفصيح/ التعليم الانغماسي/ التفريق بين المستويات اللغوية/ التفريق بين تعليم النحو للمختصّين ولغير المختصّين/ التوظيف اللغوي الثنائي في اللغة الواحدة بحسب الحال والمتحدّث إليه والمقام.

هذا وغيره من تلك العُقد التي استفحلت في العربية ففشلت التجاربُ؛ لأنّ أصحابها انطلقوا في قراءاتهم النقدية للتراث من منطلقات قاصرة، تنمّ عن غياب تصوّر واضح لتعليم النّحو وما تقتضيه التطبيقات التربوية من مبادئ أساسية في صناعة تعليم النّحو، فتحوّلت خاصية الوضوح والبساطة والسهولة إلى مقاييس يُعتمد عليها في تقييم التراث النّحوي.

ثالثا: ضرورات تقتضي تيسير النّحو: لا يجب أن تركبنا العزّة بالإثم، على أن نصبغ القداسة الاجتهادية في مجال النّحو للقدامي فقد أصابوا ولا يناقشون في المسألة، وأنّ المساس بالنّحو مساس بالتراث العربي وما يتبع ذلك من كلام قد يكون البعض منه صواباً، ولكن الضرورة المعاصرة تقتضي العمل بتيسير النّحو الذي لحقت بعض الشوائب التي تحتاج إلى تصفية، وإلى تشذيب الزائد أو ما ليس لنا فيه حاجة معاصرة أو لاحقة؛ لأنّ الضرورات تنحو منحى الاقتصاد في المكتوب وفي المجهود، وتيسير النّحو يدخل في هذا الباب الذي يجعل العربية وظيفية علمية سهلة مطواعة، ويمكن سرد الضرورات التي أعزوها من فرض التيسير النّحوي، وهي:

➢ كثرة الأخذ عن كلّ عرب لدرجة أدّى ذلك إلى التضارب في منهجية التحرّيات اللغوية؛

➢ كثرة التخريجات التي وصل الأمر ببعضها إلى الإسفاف اللغوي؛

➢ اختلاف المدارس النّحوية المؤسّسة في ما بينها في مسائل أصبحت فيها الحدود النّحوية خيارية لا إجبارية ضرورية؛

- كثرة التأويلات المفضية إلى الأبواب والشعب الخالية من المنطق، وأدّت إلى قلب القواعد والأوضاع والتِماس أوجه الخداع؛
- إغراق بعض النّحاة في الشواذ والتعليلات الفاسدة، والتقديرات البـــاردة ولا يقوم عليها فنّ ولا أدب؛
- النّحو أضحى مجالاً للمبارزات اللفظية التي أوصلت أصـــحاب اللغـــة إلـــى القول:
  - آفة اللغة النّحو؛
  - ضرورة تخليص النّحو من تعقيدات النّحاة؛
  - النفور من اللغة بسبب نحوها المعقّد لوجه العربية الجميل؛
  - عقم العربية من عقم نحوها؛
  - أصعب فنون العربية نحوها، لم يوضع لتيسيرها وتقريبها، بل لسجنها.
- اتّخاذ بعض النّحاة طرائق التعقيد للكسب المادي لا لتسهيل تعلّمها وتعليمها؛
- مناظرات نحوية بين بعض النّحاة قصدها الانتصار القبيلـــي لا الانتصـــار اللغوي السليم؛
- النّحو أصبح علماً للمتخصّصين لا نحواً لحســـن اســـتعمال اللغـــة ســـليمة مطواعة؛
- الثورات العلميّة القائمة ضد التعقيد النّحوي مغزاها ودلالاتهـــا بـــأنّ النّحـــو معقّد، وقد نالت صداها في أمصار العرب؛
- زحمة الحياة المعاصرة لا تتطلّب إعمال العقل في قوالب اللغة مـــن حيـــث الجوانب الشكلية؛ بقدر ما يؤدّي إلى التواصل اللغوي السليم؛ فاللغة استعمال؛

➢ ضرورة التعامل مع مسألة التيسير النّحوي بحسب مقتضيات الراهن وهو امتلاك الحدود اللغوية العاملة على تبليغ الرسائل الكلامية بين المرسل والمستقبل بصورة واضحة لا تقبل التأويل.

رابعاً: المدرسة الأندلسية المغاربية: لم يشهد العالم الإسلامي انتشارًا واسعًا للمدارس مع تنوّعها وتطوّرها مثل ما شهده الأندلس وبلاد المغارب، حيث اهتمّ أمراء وسلاطين العدوتين ببناء المدارس، فقد خرّجت المدارس التي بناها المرابطون في المدن والبوادي علماء أفذاذاً، كان لهم المقام العالي في المشرق كما كانت القبائل البربرية تُسهم في تمويل هذه المدارس؛ بتخصيص بعض أعشار محصولاتها الزراعية وتحبيس بعض الأملاك من أجل الصيانة والتموين، وتحمُّل تكاليف المدارس والحواضر العلمية.

ومهما يكن من الأمر فإنّ المدارس والحواضر الأندلسية المغاربية كانت فيها المذاهب والنزعات النّحوية المشرقية تتقاسمها بين متشيّع وغير متشيّع، والحاصل أنّ:

➢ للمذهب البصري فضلَ السبق، وللمذهب الكوفي سعةَ الانتشار؛

➢ ظهورَ المذهب الظاهري انتصار أكثر لمذهب الكوفة؛

➢ أقوالَ (ابن حزم) تزيد من قوّة الآراء الكوفية؛

➢ الثورةَ الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه زمن ابن حزم صاحبتْها ثورةٌ ظاهرية على المدراس النّحوية، من خلال ثورة كتاب (الردّ على النّحاة) الذي فتح باب الحاجة إلى مراجعة قضايا النّحو؛

➢ امتياز المدرسة الأندلسية بميزة تعليم العربية لغير الناطقين بها، وهي إيجابية كبيرة لم يحصل مثلها في المدارس السالفة؛

➢ العمل بتلقين العربية تلقيناً يراعي الجوانب النفسية من: التشويق والتحبيب والترغيب في العربية لما لها من قدسية، وكانوا يستعملون قاعدة الحفظ بُغية الترسيخ اللغوي؛

- استعمالها لمبدأ التكرار والترويض في الاستعمال اللغـوي، عـن طريـق الممارسة في الحفظ الهادئ لبعض المتون؛

- تكييف العربية بما يتواءم واللغات المحلية؛ كي تنسجم مع واقـع المـتعلم، حيث يتعوّد في الصغر على الانسجام اللغوي بين اللغتين؛

- تكييف عناصر عمليات التعلّم مع عناصـر العمليـات المُلحقـة: المعلّـم+ المتعلّم+ عناصر الدرس+ منهجية التـدريس+ البيئـة الجغرافيـة+ عمـر الفئـة المتعلّمة+ زمن التعلّم.

- تكييف المادة التعليميّة وفقاً لآليات البيئة ومقتضيات محصول الـدرس فـي توظيف ما يدخل في عمليات استعمال العربية البسيطة، وهي التواصل السليم؛

- البُعد عن الإسفاف والتمحّل اللغوي الذي يزيد في تضخيم المـادة النّحويـة، ويؤدّي إلى مزيد من التعارض وعدم الاتّفاق؟

وكلّ هذا يتغيّا تيسير تعليم العربية حتى تكون مَلَكَة ترسيخية قادرة على الفهم والتفهـيم ويسلكون في ذلك التيسير، وعدّته في البداية التعسير، دون أن يهرب من التبعية، انطلاقًـا من قول أحدهم "اللغة لا تخلق على لسان أحد بل لا بدّ من التقليد والمحاكاة".

خامساً: بخصوص المنهج التيسيري الأندلسي المغاربي: مما لا شـكّ فيـه أنّ منهج الأندلس التأثيري كان يعود لمدرسة الكوفة في أوّل الأمر، وهذا ما يظهر في ابن حزم، وفي مؤلفات ابن مضاء، وفي مؤلّفات ابن مالـك الأندلسـي صـاحب الألفية... ولكن أثر منهج البصرة واضح في بعض مؤلّفات الأندلسيين؛ كابن حيّان الأندلسي، والشلوبيني، وابن خروف، وابن الطراوة، وابن عصفور، وابـن هشـام الخضراوي... وبذا يمكن تلخيص ذلك في أنّ **النّحو الأندلسي سماعيى مع ميـل إلى القياس، وفيه نزعة انتخابية.** ويعني أنّ الأندلس صبّت غاياتها النّحوية علـى النّحو الكوفي، ومن ثمّ أقبلت على النّحو البصـري، بالمكانـة التاريخيـة لكتـاب سيبويه، وما حظي به من حفظ وتدريس وشروح، ثمّ عملت بمبدإ الانتقـاء كفعـل المدرسة البغدادية. ومع كلّ ذلك، فإنّ لها صولات تخريجية منافية للمدارس الثلاث

في التخريج الذي لم يحصل وهو بناء المنظومات النّحوية والاحتجـاج بالحـديث النبوي الشريف.

ويمكن تلخيص منهج الأندلس في أنّه يرتكز على نزعة أندلسية مغاربية قوامها تبسيط النّحو ضمن مشروع ظاهري بقول باحث "الحظّ لمن آثر العلـم، وعـرف فضله أنّه يسهّل جهده ويقرّبه بقدر طاقته ويخضعه ما أمكن، بل لو أمكنه أن يهتف به على قوارع طرق المارّة، ويدعو إليه في الشوارع السابلة وينـادي عليـه فـي مجامع السيّارة" ... "ويخلص الباحث إلى أنّ مميّزات التعليم فـي بـلاد الأنـدلس والمغرب الجنوح إلى التبسيط. ولذلك عوامل متعدّدة أبرزها إدراك العلماء لوظيفة النّحو الأساسية المتمثّلة في تصحيح استعمال العربية نطقاً وقراءة وكتابة، وهـذا لا يتحقّق بالأمالي المطوّلة والمؤلّفات الضخمة التي تنوء بحملها الأذهان المبتدئة بـل يكفي اليسير منها، ممّا يسهل حفظه وتمثّله. وقد ظهر هـذا واضـحاً فـي مـتن الآجرومية ومؤلّفات السادة الشناقطة كالاحمرار للمختار بن بونا، والنفحة القيوميـة لسيدي الكبير حتى إنّ ثمرات التدريس سرعان ما أتت أكلها؛ إذ تذكر المراجـع أنّ نطق الطلاب بالمران والتدريب استوى على عوده دون سـائر الـبلاد الأخـرى وسارت فيهم سليقة يرضعونها من أثداء أمّهاتهم[1]". وهذه بصفة مختصرة المـنهج التيسيري في الأندلس والبلاد المغاربية.

سادساً: المحدّدات الكبرى للمنهج التيسيري الأندلسي المغاربي:

التيسير الأندلسي المغاربي هو التدرّج المرحلي الاتي:

ــ البداية بأمثلة من الواقع؛

ــ الانتقال إلى تعليم الأجرومية وما يتبعها من الفقه النظمي؛

---

[1] ــ نعمان بوقرة "قراءات تمهيدية في تيسير تعليم النّحو عند المغاربة والأندلسيين ابن حزم وابن آجروم والمحاضر الشنقيطية أنموذجاً" أعمال الملتقى الوطني حول تيسير النّحو. الجزائر: 2001، بتاريخ 23-24 أبريل 2001، المكتبة الوطنية.

ــ الانتقال إلى تعليم ألفية ابن مالك؛

ــ الانتقال إلى المتون، وبخاصّة الكتابَ لسيبويه وبعضاً من شروحه.

- التيسير الأندلسي المغاربي يعني المحافظة على القديم، بإلباسه خصائص العصر؛
- التيسير الأندلسي المغاربي يعني التفريق بين النّحو المختصّ والنّحو التربوي.

سابعاً: منهج تيسير النّحو في مدرسة الأندلس خاصّة: في كتابنا الموسوم (في أصول النّحو) وصلنا إلى استخلاص المنهج التيسيري لمدرسة النّحو الأندلسية، بعد استكناه الدراسات الخاصّة بالمدرسة ووصلنا إلى ما يلي:

- دفاعها عن القراءات القرآنية جميعها، واستشهادها بالقراءات الشاذة؛
- كثرة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف؛
- أفكار جديدة في العلّة؛
- أفكار جديدة ضد التمارين غير العملية؛
- نفور من كثرة العلّة؛
- وما تفرّدت به هذه المدرسة:
- وضع وحفظ المتون والشروح؛
- وضع المنظومات التعليمية؛
- نشدان التيسير النّحوي.

ومن خلال كلّ المذكور، نصل إلى أنّ غايات منهج المدرسة الأندلسية في تيسير النّحو كانت غايات تيسيرية بغية التحكّم في آليات التمهّر في علوم العربية نطقاً وكتابة، وكانت بخطّة عمل مرحلية تناسب البيئة اللغوية التي تعيشها بلاد الأندلس والمغارب، وذلك ما استدعى منهجاً مخالفاً غير ما كنّا نقرأ عنه في المدارس النّحوية في المشرق، وقد لخّص الباحث (خالد حسن أبو عمشة) كلّ ذلك في النقاط الثلاث هي:

1ـ سعى المنهج النّحوي الأندلسي إلى تحقيق الهدف الاتّصالي في المرحلة الأولى؛ وذلك بتعلّم النّحو دون الدخول في تفاصيله وعلله وتشعّباته وفروعه. وسياستهم في ذلك القدر الذي يسمح لهم بالمخاطبة وتلبية احتياجات الطالب منه في فهم الكتب أو ما يقرأ. كما أنّ المنهج الأندلسي حرص لطائفة أخرى أن تتعمّق في دراسة النّحو، وأغلب الظنّ أنّها مرحلة التخصّص؛ حيث يتناولون هناك النّحو بكلّ تفاصيله وفروعه وأصوله وعلله وتشعّباته.

2ـ إنّ أتباع النظام السابق سمح للأندلسيين بالتفوّق والإبداع في المجال النّحوي رغم أنّ نسبة كبيرة من مستوى أهل الأندلس في نبوغهم ونباهتهم، فقال ابن نسّام متحدّثاً عن ذلك ("فكان القالي يصل كلامه بالتعجّب من أهل هذا الأفق الأندلسي في ذكائهم، كما أنّ أبا جعفر البغدادي وهو من ذلك الفريق المشرقي الذي كان يظنّ الأندلس قطراً متأخّراً في الأمور العلمية، فلما شاهد ما فيها من نهضة علمية خرج معجباً بما رأى، قال لمن سأله بعد عودته منها إلى المغرب كيف تركت الأندلس؟ والله لقد رأيت ما لم أتوهّم أن أراه مع نأي دارها، لقد رأيت فقهاً وشعراً ونحويين وأدباً").

3ـ تراوحت الكتب التي كانت معتمدة في مادة النّحو العربي على قسمين: القسم الأوّل الكتب الواردة إلى الأندلس، وأهمّها الكتاب لسيبويه، والجمل للزجاجي والإيضاح لأبي على الفارسي، والموجز لابن السراج. والقسم الثاني هي الكتب التي وضعها أو صنّفها الأندلسيون أنفسهم، وكانوا يتدارسونها في معاهدهم العلمية ومنها المسائل والأجوبة لابن سيد البطليوسي النّحوي والمقدّمات على كتاب سيبويه لابن الطراوة، ونتائج الفكر للسهيلي، والواضح للزبيدي ولعيسى الجزولي الأندلسي مقدّمة مشهورة في النّحو وهي حواش على كتاب الجمل للزجاجي، والتوطئة لعمر

بن محمد الشلوبين، والمقرّب والممتع في التصريف لابن عصفور وغيرها، ولابن مالك ما سبق ذكره[1]".

ثامناً: موقفنا المعاصر تجاه منهج المدرسة الأندلسية المغاربية: لسْنا في موقع التشيّع لأفكار هذه المدرسة، بقدر ما يمكن القول، بأنّ المدرسة الأندلسية المغاربية لها صفة **الإتباع** في كثير من جوانبها للمدارس الثلاث، ولها صفة **الإبداع** بما لها من تصريف حال اللغة في مقامات من مثل:

- تعليم اللغة لغير الناطقين بها؛
- ما يستدعيه من منهج التشويق والتمثيل والتدرّج؛
- مراعاة حال المتعلّم وزمانه وسنّه؛
- ما توصي به الدراسات المعاصرة، من أنّه من الضروري بمكان أن يقع التحوّل الممنهج في تعليم النّحو ليستجيب للآتي:
- التنبيه بأنّ النّحو جهاز كامل، وأنّ أيّ حذف قد يؤدّي إلى تعطيل التواصل؛
- أزمة النّحو تكمن في تجاهل المناهج المدرسية للطرائق الحديثة وهي: الانتقاء والتخطيط والعرض والترسيخ، وإهمال الممارسة اللغوية؛
- ضرورة الإفادة من نتائج البحوث التي أُجريت في مجال اللسانيات وعلم تدريس اللغات؛
- تحديد درجة التيسير في النّحو والهدف منه، ونعلم بأنّ هناك فرقاً بين تبسيط القواعد الثابتة في النّحو، وبين تبسيط الطريقة التي يقدّم بها النّحو؛
- مدار تيسير النّحو لا ينبغي أن يخرج بنا إلى الإخلال بنظام اللغة؛ حيث تُصْرف الجهودُ في المسائل العالقة فقط، بدل أن نُراجع المنظومةَ النّحويةَ في كلّ مرّة؛

---

[1] ــ العربية في الأندلس انتشارها وتعليمها. عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص 161-163.

➢ نجيب عن الإشكالات التالية: كيف نجعل مادة النّحو سهلة ولهــا إجــراءات دلالية؟ كيف نجعل المادة النّحوية تترسّخ، وتكون وسيلة تواصل منطقيــة ســليمة؟ كيف نتدرّج في المضمون التعليمي؟ ما هي القواعــد الأســاس فــي المضــمون الدراسي؟ كيف نتدرّج في عمليات التلقين المرحلية؟

➢ المدار الرئيس الذي ينبغي أن يتأسّس عليه تعليم النّحو، هو الوصــول إلــى النّحو الضمني بفكرة التمرّس اللغوي، وكثرة التمارين الترسيخية، وإطالة التدريبات اللسانية الشفاهية، مع التصحيحات الفورية؛

➢ ضرورة اعتماد الطرائق التربوية لنحو نظري يكون منطلقه من الرســومات والبيانات والتشجيرات التي تعمل على التوضيح، مع الرجوع إلى الشواهد القديمة؛

كلّ هذا يتطلّب منّا **تكوين معلّم تربوي باحث،** له القدرة على التكيّف الموضــوعي مع مفردات مادة النّحو، ومع كلّ النصوص والمناسبات التي تســتدعي ترســيخ مــادة نحوية. وعليه، فإنّ العوِل على الكفاءات اللغوية الجامعية التي نروم أن تُعمل النظر في المادة النّحوية، بإنتاج أفكار في مستوى **طموح المدرسة الجزائريــة المعاصــرة فــي جيلها الجديد؛** لجعل النّحو مادة على غرار المواد الأخرى سهلةً بسيطةً محسّنةً لــلأداء لا يحصل منها النفور، ولا تُزبر النفوسَ، ولا تُزعِج المُتلقين.

وهكذا، فنحن والتراث في موقع تكامل، بحاجة إلى تعليم عربــي مســتمدّ مــن تراثنا بما يتناسب وآليات العصر، بتحيين المنهج، وإعادة النّظر في أهداف تعلــيم النّحو؛ ليكون التعليم من أجل هدف التواصل الصحيح، والتفريق بين تعلــيم النّحــو لغايات تربوية، وتعليم النّحو لغايات تخصّصية، والاهتمــام باللغــة فــي الكتّــاب والمدرسة والمسجد والجامعة، وكذلك الاهتمام بتكوين المكوّن؛ فهــو عمــدة درس اللغة؛ ليكون في مستوى التملّك لآليات الغزارة العلميــة، والقــدرة علــى تمثّــل التربويات، والتعامل السريع مع التقنيات الحديثة، ومواكبة البحث العلمي التربوي.

تاسعاً: هل للبلاد المغاربية مدرسة نحوية؟ يصعب أن نقول بأنّ لبلاد المغارب مدرسة نحوية على غرار المدارس التي نقرأ عنها، ولكن نعلم بأنّ معظــم علمــاء

الأندلس درّسوا في حواضر بلاد المغارب كما أنّ علماء المشرق حلّوا بهذه البلاد، بل درّسوا وأفتوْا في مسائل النّحو، كما وجدنا كلّ النّزْعات النّحوية والمذاهب اللغوية والكتب المؤسّسة للنّحو لها مقامها في هذه البلاد. وهذا ما يشفع لنا بالقول بأنْ نقول هناك إرهاصات لمدرسة نحوية مغاربية بما لها من: منهج **إتباعي** في غالبه، هناك مريديون وهناك رباطات وحواضر علمية، وهناك منهج أندلسي **إبداعي** وهو الطاغي في الدراسات المغاربية وهناك بعض الاجتهاد في تدريس الأجرومية+ ألفية ابن معطٍ+ ألفية ابن مالك. وما تزال الأبحاث المعاصرة تنحو في مسيرتها نحو استكمال فِعْل السلف في تجسيد تلك الإرهاصات بما لها من أفكار التيسير النّحوي من خلال منتوج هذه البلاد، ومن المدارس اللسانية المعاصرة. ولا نغمط حقّ البحث النّحوي في بلاد المغارب ممّا نقرأ عن مدرسة شنقيط النّحوية + مدرسة بجاية في الصرف+ مدرسة الفقه في المغرب+ مدرسة المنطق في تونس+ مدرسة التاريخ في ليبيا.

ــ **خاتمة:** إنّه بلا منازع، فإنّ للمدرسة الأندلسية المغاربية وقفاتٍ نوعيةً إضافيةً بما لها من:

- المحافظة على المتن القديم للمدارس السالفة في ظلّ الاتباع؛
- الإبداع العلمي بما لها من إضافات في ظلّ الإبداع؛
- التكامل الأندلسي المغاربي بما يعرفه التنافسُ في الأفضل، ومواصلة المسيرة الجديدة بنوعية؛ كفِعْل ابن مالك الذي قال في مُقدّمة ألفيته:

قال محمد هو ابن مالك   أحمد ربيَّ الله خير مالك
مُصلّياً على النبيّ المُصْطفى   وآلِه المُستكملين الشُّرفا
وأستعين اللهَ في ألفيته   مَقاصد النّحو بها مَحْوية
تقرِّب الأقصى بلفظ موجزِ   وتبسط البذل بوَعْد مُنجز
وتقتضي رضا بغير سخْط   فائقةً ألفيةَ ابن معطٍ

وهـــو بســـبقٍ حـــائزٍ تفضـــيلاَ مُســـــتوجباً ثَنـــــائي الجمـــــيلا
والله يقضــــــي بهبِـــــات وافِــــرة لي ولـــه فـــي درجـــات الآخـــرة

➢ ظهور علماء أفذاذ في غير المدارس السالفة، مثل مدرسة مصر النّحوية التـــي ظهر فيها (ابن هشام الأنصاري) الذي قال عنه عبد الرحمن بن خلـــدون 808 هـــــ: "وما زِلْنا، ونحن بالمغرب نسمع أنّه ظهر بمصر عالِمٌ بالعربية؛ يُقال لـــه **ابـــن هشـــام أنحى من سيبويه.** وقال عنه مرّة أخرى: "إنّ (ابن هشام) عالم جليل يشهد بعلوّ قـــدره في صناعة النّحو، وكان ينحو في طريقته منحى أهل الموصل الذين اقتفوْا أثـــرَ ابـــن جني، واتّبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيـــب دالّ علـــى قـــوة ملَكَتـــه واطّلاعه". وهذا يعني أنّ المدرسة المغاربية الكبيرة بما لها من أجرومية تعليمية نالـــت الآفاق في الإبداع لا مثيل لها. وإنّ اعتماد الكثير مـــن المعلّمـــين علـــى الأجروميـــة ومختصراتها وشروحها لهُو الدليلُ القطعيُ الطيّب من شجرة النّحو الميسّرة.

➢ المنهج التيسيري الأندلسي المغاربي المُعتمد كان فتْحاً كبيراً لهذه المدرســـة بما نالت من قَبول في المشرق في الماضي وفي الحاضر، وفي بلاد المغارب فـــي الماضي وفي الحاضر.

ــ **مقترحات:** يقتضي العرف الأكاديمي تقديم المقترحات التـــي أروم أن تكـــون في خدمة الدرس اللغوي الحديث، وهذا بعد إعمال النظر في ما يقدّمه المختصّـــون من وراء هذا الملتقى، وتكون المقترحات مجمّعة في خيط واحد، تقدّم لمـــن يهمّـــه الأمر، من الأكاديميين والجامعيين والبحثة وكلّ من يروم خدمة العربية لتكون لغة الاستعمال العفوي البسيط. وأقدّم المقترحات التالية:

➢ العمل على جعل العربية مورداً اقتصادياً وسياسياً بعيد المدى، حاسم الأثـــر عميق النتائج تحت استراتيجية علمية عليا؛ للخروج بالعربية من الانكماش الشـــعري والبلاغي إلى لغة بلاغ عالمي تأثيري وإعلامي تتفوّق بالعلمية والإبداع ولا تنسحب أمام اللغات العلمية؛

- العمل بمشاريع النهوض اللغوي المرتكزة على أهميّة اللغة العربية وتدريسها كلغة تخصّص في الصناعات وفي الحِرَف واستخدامها إلى أقصى مداها كلغة تواصل في كلّ الأماكن والمهن؛
- العمل بجدية وصمت، في تجسيد الفعل الذي يقابله التطبيق، وفي ظلّ المصالح المرسلة لتحقيق الفعالية اللغوية التي تحتاج إلى عقلنة ملموسة؛
- التأكيد على مشروع النهوض بالعربية عربيا ودولياً؛ وهو مشروع اقتصادي وحضاري وسياسي، والعمل على دعمه في الداخل وفي الخارج لاستعادة العربية ازدهارها وتألّقها؛
- مواصلة مسيرة المَجْدِ لسلفنا الصالح في تثبيت العربية؛ حيث دخل الإسلام تكون العربية وتجسيد الشوق والحنين إلى العربية في أفريقيا وآسيا وأجزاء من أوربا إلى العرب والعربية على أنّ العربية من مكمّلات الدين؛
- جعل تيسير النّحو مشروعاً حضارياً؛ لتنال العربية مواقعها بين لغات العالم وتعود لها الريادة العلمية، وتخرج من السبات الذي طالها منذ خمسة (5) قرون وصولاً إلى سهولة تعميم استعمالها.

نحو مصطلح موحّد في العلوم القانونيّة♥

السادة الحضور، السلام عليكم، وبعد؛

إنّ هذا العمل الجماعي يأتي في إطار التّنادي لصنُع قرار الاتّفاق العلمي بين: المجلس الإسلامي الأعلى، والمجلس الأعلى للغة العربية، وجامعة الجزائر 1، في شراكة علمية بين هيآت الدولة الجزائرية التي تعمل على خدمة الشأن العامّ. ويكون هذا العمل من فكرة البروفيسور (على فيلالي) الذي هالَهُ أمرُ فوضى المصطلح القانوني، فتداعى وفريقَه لحمل القضية المشكلة إلى أعلى المؤسّسات، وكانت الاستجابة سريعة؛ بغية الحدّ من فوضى مُرادفات عدّة للمصطلح الواحد، وكان ذلك سبباً في عدم تحديد المفاهيم بين المُعلّمين والمُتعلّمين، بل وصل الأمر إلى إغماط حقّ الأطراف المُتقاضاة بسبب هذه الفوضى، وقد ينتهي الأمرُ إلى تعدّي طرف على طرف بسبب التعدّد المفهومي المبني على الخلاف لا الاختلاف.

وكما قلتُ، فقد لقيَ أمرُ التنادي لحلّ مشكلة المصطلح القانوني إلى حزم أمرها من لجنة علمية هي وليُّها، فكان من نتائج ذلك تنصيب لجنة علمية بتاريخ 13 أوت 2017، بمقرّ المجلس الإسلامي الأعلى بإمضاء اتّفاقية إنجاز القاموس/ الدليل بعنوان: **نحو مُصطلح مُوحّد في العلوم القانونية.** ومن ذلك التاريخ، فإنّ اللجنةَ العلميةَ للقاموس تعمل على جمع المُدوّنات، وعلى جمع الاستشارات، لسدّ الثغرات. وفي الأخير رأتْ ضرورةَ إنجازِ اليوم الدراسي بغرض السماع إلى من يهمّهم

♥ كلمة أُلقيت في اليوم الدراسي حول (**المصطلح القانوني: لغة علمية وواقع عملي**). الجزائر: مقرّ المحكمة العليا في 04 ديسمبر 2017. إنجاز: المجلس الإسلامي الأعلى+ المجلس الأعلى للغة العربية+ جامعة الجزائر1.

الأمر، بُغية حسن إخراج القاموس/ الدليل في صورة أفضل، ودون خدوش لغوية، أو ما يدخل في القول المكرور.

أولاً: المنتظر من هذا القاموس:

1ـ العمل على توحيد لغة القانون، وهي لغة الحقّ التي لا يقع فيها الغموض ولا اللبْس.

2ـ الحدّ من ظاهرة الخلاف في التقاضي بسبب الاختلاف في المفهوم.

3ـ العمل على توحيد مصطلحات العلوم القانونية التي تحلّ قضايا عالقة وربّما قضايا قانونية سوف تُطرح لاحقاً.

4ـ تحديد المفاهيم بين أهل الاختصاص: الأستاذ والمحامي والقاضي والإداري، وما يدخل في دائرة التقاضي.

5ـ البدء بفكرة إنجاز القاموس الموحّد للعلوم القانونية فكرة وطنية، ومن ثمّ توسيعها مغاربياً ومن ثمّ لمَ لا تكون قوميًا.

ثانياً: منهجية إنجاز هذا القاموس:

1ـ جمع مُدوّنة المصطلحات القانونية.

2ـ العودة إلى المَصادر والمَظان، وإلى المُدوّنات الورقية والإلكترونية.

3ـ الاستهداء بالقواميس المُنجزة، وبخاصّة ما يخرج عن المُؤسّسات العاملة على التوحيد المصطلحي.

4ـ التذكير ببعض الخُصوصيات اللغوية للمُصطلح في بلادنا.

5ـ إعمال النظر العلمي للاتّفاق على المُصطلح الشائع.

6ـ ترجيح مُصطلح على آخر؛ حالة شيوع أكثر من مُصطلح.

7ـ وضع المُصطلح، وما يقابله من شرح، مع مقابله الفرنسي والإنجليزي.

8ـ الاستشهاد بمسكوكات ذات العلاقة حالة ما يتطلّب المقام ذلك.

ثالثاً: أهمية هذا القاموس: قد لا يخلد في البال؛ بأنّ للقــاموس الموحّــد قيمــةً نوعيةً انسجاميةً بين مُستعملي المُصطلحات القانونية، وفي ذات الوقت تكمن أهميّتُه في أنّه يعمل على توضيح المرامي والغايات في لغة اصطلاحية مُتّفق عليها، لغــة تعمل على التحديد الدقيق للغة العلوم القانونية التي لا تزال محــلّ جــدال، بســبب الفروق المعرفية والثقافية في الأرضية المعرفية للمُستعملين وللأســاتذة، وبســبب اللغة التي تكون مَرجِعاً. ولهذا فإنّ هذا القاموسَ نأمل منه أن يحلّ مشــكلة تعــدّد المصطلح في صورة تنميط مصطلح واحد لمفهوم واحد. مصطلح واحــد يحمــل دلالة واحدة. مُصطلح واحد يحمل ثقافة ونمذجة واحدة. ولا يمكن أن نخفيَ أهميــةَ هذا القاموسِ الذي نروم أن يكون مُدوّنة تترجم إلى اللغة الأمازيغيــة، بــل يمكــن تخصيص خانة للمصطلح الأمازيغي، ونكون في موقع خدمة المواطنــة اللغويــة. وإلى جانب هذا، فإنّ الأهمية تكمن في:

1ــ العمل على تنميط المصطلح؛ وفق برمجية خوارزمية تُنجــز مــن أهــل المعلوماتية لوضع المصطلح بصورة نمطية ووفق خصوصيات بنــاء القــواميس والمعاجم، ووفق ما تكتنزه بنوك المصطلحات من برمجيات ذكية.

2ــ خلق فِرَق بحث في الدكتوراه في الصناعة القاموســية، وإنجــاز المعــاجم بطريقة مُعاصرة. وكلّ ذلك يدخل في التهيئة العلمية بمأسسة المجالس والجامعة في مُنجز السلف، ويكون أرضيةً لمنتوج اللاحق فإنْ كان للسابقِ فضْلُ الســبق فــإنّ للاحق فضْلَ المُستزيد.

3ــ تخزين مادة هذا القاموس في المعجم التاريخي للغة العربية، وبذلك يُثْــرى المحتوى الرقمي للمؤسّسات المُنجزِة، مع نيْلها التصنيف العالمي.

4ــ عولمة المصطلح القانوني في سوق الاستعمال، وبدوره يعمل على شــيوع المصطلح، وتتدخّل قاعدة البقاء لأفضل وأخفّ وأيسر مصطلح.

رابعاً: مواصفات هذا القاموس: سيكون هذا القاموس دليلاً وطنياً يكــون فــي متناول كلّ من يهمّه الأمر، وسوف يكون وفق نمط أشكال القواميس والمعاجم.

1ـ يكون القاموس مفتوحاً، في صورة القاموس القانوني الموحّد، ومنه تصدر قواميس صغيرة متخصّصة.

2ـ يكون القاموس في مبدإ الأمر خاصّاً في شكل قاموس مُوحَّد.

3ـ يتّخذ القاموس ثلاثة أشكال صورية:

1/3ـ نسخة وَرَقِية.

2/3ـ نُسْخة قُرْصِية.

3/3ـ نُسْخة على الشابكة في مواقع الهيآت الثلاث.

4ـ يكون القاموس محلّ تجربة أولية، وعلى ضوء النُقود العلمية تأتي عمليــة التحسين في المُنجزات اللاحقة.

خامساً: أهمية هذا اليوم الدراسي: لا يمكن أن نسير إلى الأمــام بنجــاح؛ دون الأخذ برأي أهلِ الاختصاص، ولا دون السماعِ للأطراف التي تستعمل المصــطلحَ وتعيش تعدّد المفهوم للمصطلح الواحد لعدّة أسباب. ولعلّ هذا اليوم الدراسي الــذي يحضره المُختصّون، كفيل بأن ينيرَ دربَنا نحو صُنع مُصطلح واحد بمفهوم مُتّفــق عليه. ولذا، لا نعدمْ فوائدَه المنتظرة، ومع ذلك، فإنّ أذاننا مُصغية لكلّ رأي علمــي يعمل على تقديم أفكار جادّة في مستوى لغة الحقّ. وسوف نســتمع للمُحاضــرين وللمُتدخّلين المُثْرين للمُناقشة في صورتها النوعية العاملة على النقــد المُضــيف لا النقد المُنيف. ولذلك نريد نُقوداً تعمل على التحسين وتقديم النوعيــة، وهــذا مــا لا يجب الهُروب منه؛ لأنّ أساسَ النجاحِ هو الاستماعُ للأطرافِ المَعْنيةِ.

أيّها الحضور، حانَ الوقتُ أن يقعَ الاهتمامُ بتحسين مُدوّناتنا، وأزّف الحَــيْنُ أن نجتهدَ في تقديم الأفضلِ، وجامعاتُنا تُخرِّج مُخرجاتٍ نوعيةً. فالعِوَل على أســاتذتنا وطلابنا ومخابرنا وبنوك مصطلحاتنا وعلينا جميعاً أن نصنعَ طريقَ النجاح والــذي

لا يكون إلاّ بالصناعة الجماعية، وبمستوى التنميط المصطلحي في بنوك المعطيات التي تعمل على وضع المصطلح الموحّد وفق مُنجزات الدول الناجحة في هذا المجال، إضافة إلى ما يتبع ذلك من وضْعِ الخطواتِ العلميةِ التي لا بدّ من سلوكها؛ للوصول إلى المُتّفق لا المُختلف، ولنَعْملْ في هذا المِضمار بما أُوتينا من خِبْرات، وما لنا من إطارات، ولنبدأْ، فالطريقُ المعبّدُ والجيّدُ تصنعه الأقدامُ أولاً.

وأخيراً، من لا يشكرِ الناسَ لا يشكرِ الله، فالشكرُ لرئيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي فتح أبواب المجلس لهذه اللجنة فحَسُن أداءُ مهامها، وبذلك فاللجنة تعمل بأريحية مطمئنة، واستطاعت أن تصل إلى نسبة معتبرة من المُنجز الحقيقي قبل الأوان، وهو الذي تَرَوْنه في هذا اليوم الدراسي. وتحياتي لكم جميعاً، وتحايا المجلس الأعلى للغة العربية للعاملين على خدمة الشأن العامّ، ولأساتذتنا المُبَرّزين لهذا القاموس، فَهُمْ رجالُ الشأنِ العامِّ، فَأَنْعِمْ بِهِم من رِجالٍ! والتّشكرات الخالصات لوزارة العدل، وللأمانة العامّة للحكومة، وللمجلس الدستوري، وللمحكمة العليا ولرجال القضاء، ولممثّلي المجالس، وللمترجمين ولكلّ من جاء ينوبُ وزارتَه ولكلّ من يعكفُ على خدمة الوطن، ولكلّ الفاعلين في ميدان الحقوق؛ وهو ميدان الحياة اليومية، فهم في خدمة المواطنة. والشكر لكلّ الذين حَضَرُوا وحَضَّرُوا وللذين يُحاضِرون وللذين يُعقّبون ويُضيفون ويُهدون العيوب ويقدّمون البديل. تحايانا الصباحية البهيّة، ونقول لكم: اعْضُدونا بما ترونَه يعمل على حسن الأداء وبارك الله في خطواتكم، والسلام عليكم جميعاً.

كلمة اليوم العالميّ للغة العربيّة♥
18 ديسمبر 2017

أيّها الحضور: إنّه لممّا يُبهج النفس ويملؤها بالفخر والاعتزاز، أن يُكرّم الإنسان في هُويته اللغوية ويتضاعف هذا الشعور حين يكون التكريم كونياً لذا فإنّ الاعتراف العالمي باللغة العربية؛ هو تخصيص يوم احتفائي كلّسنة يُدعى (**اليوم العالمي للغة العربية**) وهو في الحقيقة اعتراف بالدور الإنساني الذي قامت به اللغة العربية بما لها من ثقافة وتراث، وبما أرسته من قيَم حضارية إنسانية، وما قدّمته من فتوحات فكرية وعلمية وبما نشرته من معاني الأخوة والتسامح والمحبة والتحضّر والرقي عبر تاريخها الطويل فكان ذلك بحقّ إسهامًا حضاريًا عالميًا وهي تستحقّ التكريم في مضمونها وفي شكلها. ويكون تكريس اليوم العالمي للغة العربية بعنوان الاعتراف بهذه اللغة بوصفها اللغة الإنسانية التي أسهمت في مكوّنات الثقافة الإنسانية.

ـ مسار ترسيم العربية لغة أممية: يجدر بنا التذكير بتلك المحطّات الكبيرة التي عاشتها العربية وهي تنتقل الهوينى؛ ومن شطّ إلى شطّ بخطى مضمونة؛ إلى أن أصبحت لغة أممية، وكان المنطلق سنة 1948 حيث أعلن المؤتمر العامّ لليونسكو في دورته الثالثة المنعقدة في بيروت "أنّ العربيّة يجب أن تكون لغة العمل الرسميّة للمؤتمر العامّ إلى جانب الفرنسية والإنجليزية". ومنذ ذلك الوقت يُجدَّد الطلبُ على مراحل وذلك عبر سنوات: 1960 وفي 1964 وفي 1966، وفي 1967، وكلّ المؤتمرات توصي بجعل العربيّة لغة العمل في اليونسكو، ثمّ

♥- أُلْقِيَتْ الكلمة بالمكتبة الوطنية بتاريخ: 18 ديسمبر 2017، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية.

سنة 1973 حيث دفع الإقرار بتلك التوصيات إلى التحقيق، وأقرّ بها لغة عمل رسمية وعُمل بها في الترجمة في دورات المجلس التنفيذي في ذات السنة. وأُدرجت في جدول الأعمال في سنة 1974 بناء على طلب حكومات: الجزائر والعراق، والكويت، والمملكة العربيّة السعودية، واليمن وتونس وجمهورية مصر العربية، ولبنان. ووقع التصديق على الإقرار في الأمم المتّحدة، وفي اليونسكو لتعزيز مقامها في الترجمة منها وإليها.

إنّه، ومنذ أزيد من سبعين سنة (70) من الإصرار على أن تكون اللغة العربية لغة عالمية، ويتحقّق الإصرار وتصبح العربية لغة رسمية سنة 1973ـــ وتكون مثيلاً للغات الخمس في الجمعية العامّة للأمم المتّحدة وفي وكالاتها التالية: منظّمة الصحة العالمية+ منظّمة الأوبك+ اتّحاد الاتّصالات الدولي+ منظّمة الأغذية والزراعة (الفاو)... ويضاف إليها بعض الوكالات التابعة للاتّحاد الإفريقي. إلى أن تمّ تعيين يوم 18 ديسمبر سنة 2012 يوماً عالمياً للاحتفاء باللغة العربية. وهكذا أصبحت العربيةُ واحدةً من اللغات الستّ العالمية بقرار رقم 3190 وهذا باقتراح قوي من الدول العربية في أكتوبر 2012 إلى المجلس التنفيذي لمنظمة اليونيسكو. وفي هذا السياق احتفلت اليونسكو عام 2012 للمرّة الأولى بها اليوم، واعتُمد بشكلّ رسمي يوماً عالمياً للغة العربية كأحد العناصر اللغوية الأساسية في برنامج عملها لكلّ سنة. ولذلك، فإنّ هذا الاعتراف الدولي باللغة العربية لم يكن مَجانياً ولا صُدْفةً من صُدَف الزمان العابرة، بل جاء نتيجة نضالات على مستوى الأفراد والدول والجماعات، وكان مَحصلة إرادات الأجيال من المُؤمنين والمُخلصين للغتهم؛ ممن امتزجَ لديهم الدفاعُ عن الوطن؛ بالدفاع عن اللغة والدين والهوية امتزاجاً كلّياً دونما انفصال.

ــ **المكانة العالمية للغة العربية:** ينقل لنا التاريخ بأنّ العربية لغة عروبية عاشت مع الكنعانية والآرامية والسبئية والبيزنطية وغيرها من اللغات، انقرضت كلّ تلك اللغات وتدنصرت العربية، فلماذا انقرضت اللاتينية ولم تنقرض العربية؟ وهل عولمة الإنجليزية هي الديناصور الذي لا ينقرض؟ وكيف يمكن أن تكون مع الانجذاب اللغوي؟ تلك إشكاليات كبرى نروم الإجابة عنها بالقول: إنّ العربية هي

الديناصور الذي لا ينقرض ماتت أخواتُها، وبقيت الوحيدةَ الصامدةَ مــن أرومتهــا بقيت محتفظة بمعايرتها رغم اختلاف الأزمنة التاريخيــة بقيــت تتوسّــع مكانــاً واستعمالاً رغم كثرة المضايقات، بقيت تعيش التطوّر رغم بعض الفقــر العلمــي وبذلك تدنصرت رغم بعض الإهمال. العربية لا تنقرض وهكذا كتب عليها الزمان أن تكون لغة الحياة التي لا تكون لها لذة دون عراك. تبقى العربية تعيش محطّــات مقاومة؛ تعمل على رفدها كلغة حياة لها ما لها من الحضور والوجود ما لا يوجــد في غيرها من اللغات.

ويجب أن نقرّ بأنّها لغة لن تنقرض إلاّ بانقراض أهلِها والنــاطقين بهــا، أو إذا انتقصَ وزنُها العالمي والحضاري، ولن يكون ذلك بحكم تلجها الذي يتكوّر ويكبــر ولا يذوب فقد أصبحت لغة الملايين من البشر التي تنطق بها في كلّ القارات مــن عرب وغير عرب بوصفها لغةً أساساً لدى العرب، ولغة أولى لدى غيــر العــرب ولغة ثانية لدى بعض الأمم، ولغة اختيارية في كثير من الدول إضافة إلى ما يقرب من ملياري مسلم تشكلّ لديهم حضوراً أساسياً في حياتهم وفي فكرهم مــن خــلال عباداتهم وأخلاقهم، وتمثّل وجوداً مقدّساً بحكم ارتباطها بالقرآن الــذي هــو نــصّ عربي يتمنّى كلّ مسلم عربي أو غير عربي أن يقرأه بلغته. وإنّا لا تحتــاج إلــى التذكير بمقامها الاستعمالي في العالم، ولكن المناسبة تحتاج منّا ذكر ما يلي:

تأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد الدول المتحدّثة بهــا وفــق هــذا التراتــب: الإنجليزية 101 دولة. **العربيّة 60 دولة**.الفرنسـيّة 51 دولــة. الصـينية 33 دولــة. الإسبانية 31 دولة. الفارسية 29 دولة. الألمانية 18 دولة. وبالنســبة لـــ 60 دولــة تستعمل العربيّة كما يلي:22 دولة أعضاء بجامعة الدول العربيــة + 26 دولــة فيهــا العربية لغة أجنبية أولى+ 12 دولة فيها العربية لغة أجنبية ثانية = 60 دولة. وكما لهــا الحضور العلمي في كلّ جامعات العالم العريقة كلّغة دراسة وتــدريس وبحــث بلــهَ الحديث عن كونها من اللغات الأربع الأكثر استعمالاً على الشابكة بكلّ فروعها وفــي المدوّنات وفي مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، وبفضــل تواجــدها فــي منطقــة جغرافية حسّاسة هي محلّ تجاذبات وصراعات ومخزن ثروات، وبحكم اشتمالها علــى

تراث ديني ارتقى بها إلى أفق أخلاقي رفيع، وتراث أدبي سَمَا ببلاغتهـا إلـى نظـام جمالي بديع، وتراث فلسفي حرّك في الفكر طاقات التأمّل والإبداع، وتراث علمي غني ساهم في حلّ مشكلّات الإنسان داخل الأمّة العربية وخارجها، وشكّل مرجعية للحضارة المعاصرة يشهد التاريخ عليها إلى اليوم. كلّ ذلك يجعلها ترقى إلـى مَصـافّ اللغـات العالمية، وتتبوّأ مقعدَها في ساحة الثقافات الكبرى.

إخواني، إنّ هذا الاحتفاء، هو محفّز كبير لأن تُواصل اللغة العربيـة مسـيرتها وتستعيد مكانتها، وتساير تحوّلات العالم الجديد، وتنخرط في الحضارة المعاصـرة وتعقيداتها؛ لتقوم بدورها في ميادين الحياة العامّة وتُسهم بما تحمله من تراث، وبما تتطلّع إليه من آفاق، في رفد عالم اليوم بما ينبغي أن يسمو به إلى مستوى أرقـى وأفضل، في المجالات المادية والروحية، وتحفظ للإنسان توازنه الذي اختـلّ كمـا فعلت عبر تاريخها حين كانت جسراً عبرت من خلالها المعارف والعلوم والأفكار والقيم إلى الضفة الأخرى؛ من المتوسّط إلى آسيا ــ ومن المغرب إلى أوربا، ومـن المشرق إلى دول آسيا الوسطى، ومن استنبول إلى القوقاز، وانتشرت في ظـرف وجيز وكان لها الحضور العالمي الذي أوصل خطّها لأن تكتب بها مئتان وثمـاني وثلاثون (238) لغة بحروفها. ومع ذلك الزخم فهي مطالبة اليـوم بمـدّ الجسـر وتمتينه مرّة ثانية لتضمن استمراريتها الوجودية والثقافية ضمن عالم يقـوم علـى التنافس والصراع الثقافي واللغوي.

ــ **العربية بخير**: لا نبالغ إذا قلنا الحقيقة بأنّ العربية بخير وفي تـألّق متزايـد رغم بعض الجحود وما يلصق بها من تُهَم، فقد اسـتطاعت أن تُبـدعَ أدقّ العلـوم والمعارف وأن تنتجَ أبلغ الحِكَم والأشعار، وأن تنقلَ إلـى الثقافـة العربيـة أهـمّ النصوص الأدبية والمنطقية والفلسفية والعلمية، وأن تنقلَ إلى الثقافات الأخرى مـا أنتجته أو ترجمته وأن تكونَ لغةَ عصرها أو لغةَ اللغات بلا منازع كانـت تنمـو بوتيرة متسارعة جداً يتّسع مجالها ولا يضيق بفعل ما تبدعه في ميـادين المعرفـة المختلفة، وهي التي كانت قبل ظهور الإسلام مجرّد لغة تخاطب وتعبير، وصارت بعده وبتأثيره لغةَ علمٍ وفكرٍ وفلسفةٍ ودينٍ فخرجت بالتالي، من دائرة الأسطورة إلى

دائرة الحكمة، ومن حقل المُدنس إلى حقل المُقدس، ونشأ عن كلّ علم من علومها مئات المصطلحات والمفاهيم والعبارات، وكانت كلّ معرفة تُبدع معرفةً أخرى مُوازية لها أو مُناقضة، واشتدّ التنافس العلمي، وتكاثرت الأفكارُ، وتراكمت الآراءُ واتّسعت جغرافية اللغة العربية، فأصبحت لغةَ أقوام آخرين اتّخذوها لغة كلام وكتابة، كما اتّخذوها لغة إيمان وعبادة. واتّخذها الكثير من البشر على أنّها لغة فنّ وإبداع، فأبدعوا فيها وبها وأسهموا في إغناء التراث الإنساني فاتّسع المعجم العربي أيّما اتّساع وصار من أكبر معجمات اللغات في العالم. وأسّست بها الحواضر وما تزال شاهدة إلى اليوم، وعلى مدى الرقي الذي بلغته في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وبجاية وتلمسان وفاس وبجاية والأندلس... ثم ولأسباب ذاتية وموضوعية، كُتِب على هذه اللغة أن تفقدَ ريادتَها وفعاليتَها ودورَها الحضاري وقد تعاونَ الوهنُ الذاتي والاستعمارُ الأجنبي على إطفاء شعلتها المنيرة، وإخماد جذوتها المتقدة وكانت الدورة الحضارية التي تأتي على كلّ الأمم والحضارات فتوقّفت مسيرتها أو كادت، وصارت تلوك ما كانت قد أبدعته وتُعيد إنتاجَه بشكلٍ أو آخر فتقلّصت جغرافياً ولغوياً وفكرياً، ثم تعطّل معها العقلُ وصارت هامشاً من هوامش التاريخ بعد أن كانت مركزَه ومحورَه، مما يعني أنّ حركةَ اللغة وحركةَ العقل واحدة، وأنّه لا يمكن تطوير أحدهما دون تطوير الآخر.

والآن، وبعد هذه الاستفاقة، وبعد العودة النسبية للوعي، لا بدّ من إحياء الروح التي كانت وراء ازدهار اللغة العربية وثقافتها في عصورها الذهبية، تلك الروح القائمة على الإبداع والحرية الفكرية والإخلاص للعلم والصدق في العمل وتزداد المسؤولية اليوم ثقلاً لأنّ ما يقف عائقاً أمام ذلك كثير ودونه خرط القتاد. ولكن ومن أجل أنتُحقق اللغةُ العربية دورةً حضارية أخرى؛ عليها أن تُقاوم أشكال التعطيل الداخلية والخارجية التي تُعيق تقدّمها وتوقف شروط نهضتها، وتحول دون انطلاقتها؛ وخاصّة تلك العوائق النفسية التي تأتيها بفعل حرب الاستخفاف التي تشنّ عليها من هنا وهناك. تلك الحرب التي تربط اللغة العربية بما هو دوني وسلبي وعاجز وقديم. فقد لا يكون الآخر الثقافي واللغوي هو العائق الأكبر أمام تحديث العربية اليوم، رغم إدراكنا لما يقوم به الآخر

بقدر ما يكون الوهن الداخلي والقصور الذاتي والشعور بالنقص والاعتقاد الوهمي بأحكام خاطئة بحقّها وسوء تقدير أهلها.

إنّه لمن البديهي اليوم أنّه لا يمكن إقامة نظام في المعرفة ولا في التنمية دون إقامة نظام لغوي فاعل وثري قادر على الوصف الدقيق والتوصيل السليم والتداول الشامل. ويحتاج ذلك إلى إرادة تمثّل القناعة الراسخة بأهميتها وضرورتها وكونها مكوّناً من مكوّنات الهوية، وتتجلّى هده القناعة في الاعتزاز والافتخار بالانتماء إليها والدفاع عنها حين تكون عرضة لعدوان، وتحتاج كذلك إلى تعليمها بأحدث وسائل التعليم المناسبة لها والمنسجمة مع خصوصيتها، كما تحتاج إلى حلّ مشكلّات الوضع اللغوي الذي تسيطر عليه اللهجات والعاميات الهجينة واللغات الأجنبية وإلى إعادة موقعة اللغة العربية في الإعلام وفي الإدارة وفي بقية المؤسّسات وفي مجالات الحياة العامّة وإلى قوانين تحميها كما تفعل الدول الكبرى في حماية لغاتها.

العربية بخير –كما قلنا– وهذا من خلال الأحداث الكبرى التي تعيشها؛ بدءاً من الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية الذي يُعدّ حدثاً حضارياً بالغ الأهمية، وهذا الحدث كان حلماً ذات قرن مضى، والآن أصبح حقيقة ويشاركنا الكثير في رسم هذا الحلم الذي يكبر ويتوسّع سنوياً؛ بأنّ المجلس الأعلى للغة العربية يحتفي بهذا اليوم الخالد منذ سنة 2012. وينالنا الشرف بأنّ هذا اليوم المخصّص للعربية يُحتفى به خارج الدول العربية، وينال استعراضات لغوية قوّية من الناطقين بغير العربية، ولكنّ حبّهم دفَعَهُم لتمجيد العربية كما تقدّر تلك الأيام الخاصّة باحتفائية لغات الأمم المتّحدة: اليوم الدولي للفرنكفونية في 20 مارس. يوم اللّغة الصينية تخليدا لذكرى (سانغ جيه) مؤسّس الأبجدية الصينية في 20 أفريل. يوم اللّغة الانجليزية تخليداً لويليام شكسبير في 23 أبريل. يوم اللّغة الروسية في الذكرى السنوية لميلاد الشاعر الروسي ألكسندر بوشكين. يوم 12 أكتوبر ذكرى يوم الثقافة الإسبانية. كما ينال الشرف العربية أن تنال العربية موقعاً بين لغات الأمّ؛ حيث يُحتفى بها سنوياً في 21 فبراير وهو اليوم العالمي للغة الأمّ. والعربية لغة أمّ للاعتبارات التالية: **لغة أمّ** قياساً على اللغات الستّ المعتمدة لدى الأمم المتّحدة. **لغة**

أمّ وهي لغة رسمية في 60 دولة. **لغة أمّ** باعتبار الناطقين بها كلغة معيار، ولغة مشافهة، ولغة وظيفية. فكُرة الثلج عندها تكبر باستمرار، وتتنامى في مختلف المواقع، وهي تنال الرتب المتقدّمة.

لا شكّ في أنّ أمام اللغة العربية تحدّيات لا قبل لها حالياً وفي ظلّ الشروط الراهنة وفي مُقدّمتها ما يحدث من انفجارات تكنولوجية وثورات مَعلوماتية وأنظمة مُستحدثة في تسيير الإدارات والبنوك والمُؤسّسات والاتّصال وتلك كلّها مَصحوبة بسيل من المُصطلحات التي لا بدّ من بذل جهود إضافية من أجل استيعابها وتَمثّلها وترجمتها رغم أنّ ذلك ليس إلاّ حلاً مُؤقّتا لأنّه يبقي العربية أسيرة المنتوجات الغربية ولغتها حين تنقل المنتوج ولغته وفي أحسن الحالات تبحث عن بديل لغوي لاسم المنتوج، وعليه فإنّه لا بدّمن الإبداع بالعربية وفيها بمعنى الانتقال إلى إبداع المنتوج ولغته معاً، وكلّ عملية ترجمة هي حلّ مُؤقّت وعمل ثانوي رُغم حتميته أحياناً. وإنّ صراعات اليوم، وإن اتّخذت طابعاً سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً، فإنّها في العمق صراعات ثقافية ولغوية أي صراعات هوية، ومن السذاجة أن نتجاهل ذلك أو نتغافل عنه، أو نعتقد أنّ أحدها يمكن تعويضه أو الاستغناء عنه، إنّ اللغة والثقافة والاقتصاد والدين وغيرها من مُكوّنات الأمّة تمثّل وِحْدةً واحدةً؛ فإن أُصيب أحدُها؛ فإنّ البقيةَ تتداعى له.

لقد عملت الدولة الجزائرية على رعاية اللغة العربية بما وفّرته لها من حماية قانونية وبخاصّة ما جاء في دساتير الدولة الناطقة باسم الشعب في المادة الثالثة التي تنصّ على أنّ اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية ولا يجوز لأيّ تعديل دستوري أن يمسّ بها. كما وفّرت لها من المؤسّسات ما يعمل على تطويرها وترقيتها وتعميمها، واستعادة فاعليتها في الإبداع الفكري والعلمي. وقد أدركت أنّ التعددية اللغوية عامل من عوامل الثراء الثقافي، فسعت إلى ترسيم اللغة الأمازيغية، وإقامة حالة من التعاون بين الشقيقتين، وجعلتهما معاً لغتين رسميتين وطنيتين، وأنشأت لكلّ منهما مؤسّسة عليا تهتمّ بشؤونها وتعمل على ترقيتها وتطويرها بما يكفل بناء الذاكرة اللغوية الواحدة الخصبة، وتعميق الحسّ الاجتماعي

والوعي الوطني، بما يخدم الوَحْدة الثقافية في إطار التنوّع الإيجابي والمصلحة الوطنية، كما أدركت أنّ هناك ضرورةً علميةً واقتصاديةً للانخراط في العالم المعاصر، الذي لا يمكن تجاهل تحوّلاته فشجعت على الانفتاح اللغوي والعلمي عبر تعلّم اللغات الأجنبية، أو من خلال الترجمة أو التواصل الثقافي بأشكاله المتعدّدة، لأنّ عالم اليوم –الذي تحوّل إلى مساحة واحدة– يتطلّب التحاورَ والتفاعلَ فبقدر الحفاظ على الهوية الذاتية بقدر الانفتاح على ما في العالم من خبرات وتجارب تُثري الهِويةَ وتطوّرها. وبقدر ما للغة العربية من أهمية في بناء الهُوية بقدر ما للغات الأجنبية من أهمية في التطوّر والتقدّم، ومن هنا، لابدّ من شطب العلاقة التشنجية بين الذات والآخر، وبين المحلي والعالمي؛ أي بين اللغة العربية واللغات الأجنبية؛ تلك العلاقة التي أسّس لها الاستعمار، وبقيت محفورة كالجرح في الذاكرة بعد الاستقلال، على أن تكون اللغات الأجنبية لغةَ إسناد لا لغةَ هُوية مع ضرورة تنمية الوعي بالذات ليكون هو الموجّه والمتحكّم والمرشد والمحدّد للأولويات. لا بدّ من بناء علاقة توازن تحفظ الهُوية، وتستفيد من مُنجزات العلم الحديث. ويتوهّم من يعتقد أنّ ثمّةَ تناقضاً بين الهُوية والعلم الحديث فهو إما إيديولوجي مُغرض، وإما على غير علم بما يقول.

ومن الأهميّة أن نؤكّد دسترةَ اللغة العربية لتكونَ بمنأى عن التجاذبات السياسوية التي قد تُربك المسألة اللغوية وتعيق تطوّرها الطبيعي، وإلى ترسيم اللغة الأمازيغية لتكون لغةً وطنيةً ورفيقةَ درب العربية في تطوير التنمية الثقافية والاجتماعية، وسنعمل الى جانب المجمع الجزائري للغة العربية، ومركز البحوث والتطوير التكنولوجي للغة العربية وعشرات المخابر المنتشرة في الجامعات الجزائرية ذات الصلة باللغة العربية، على خدمة اللغة العربية وتطويرها، والسعي بها لتلحق بالتطوّرات العلمية المعاصرة الفائقة، دون أن يعني ذلك الانغلاق على الذات والتمركز حولها والاكتفاء بها، بل تصاحب كلّ ذلك دعوات بنفس الإلحاح والحماسة إلى ضرورة الانفتاح على اللغات الأجنبية وعلومها وثقافتها وفنونها والإفادة منها ومن نتائجها وهذا التحاور بين اللغات

والثقافات هو ما ينبغي المُراهنة عليه لاكتساب شروط الإقلاع اللغوي/ إقلاع النهضة وصولاً إلى الازدهار المنشود.

العربية بخير: فهي محفوظة من الاندثار بفضل القرآن، لكنّها ليست مضمونة من الإهمال والتهميش بفعل إهمال أهلها لها، وتكون العربية بخير عندما نعمل على نقلها للأجيال القادمة سليمة، ونواجه بها العولمة بعلمية ونعمل على تدريسها في ذاتها ولذاتها، ويكون لنا الاعتزاز اللغوي، **ويخلد في بالنا أنّه ما ترقّى شعب بدون لغاته.**

كلمة أُلْقِيَتْ

في ملتقى اللغة العربيّة والتّرجمة♥

ـ مقدمة: إنّ الغرض من هذا الملتقى الوطني تقديم أفكار تطوير المنظومة الترجمية في الجزائر؛ والتي ينبني عليها اقتراح آليات تفعيل الترجمة من خلال أطروحاتكم وما تقدّمونه من المشاريع الترجمية التي نروم رفعها لمن يهمّه الأمر وهذا سعياً منّا إلى الرفع من مردود القيمة المضافة للترجمة في وطننا، والتي أضحت في جميع اللغات من الرهانات الكبرى للرفع من اللغات الوطنية. وهذا ما سوف نقوم به لجعل العربية ترقى إلى مستويات اللغات العالمية في إنتاج المعارف بدل استيرادها، والعمل على علمية العربية ما دامت تخوض عولمة المعرفة. ولهذا نسعد بكم جميعاً، ونأمل النجاح لهذا الفعل المشترك وأن يكون في مستوى الربط بين مضامين اللغات المنتجة للعلم ومرجعياتها، وخصوصيات العربية التي تقبل الترجمة أخذاً وعطاءً، وفي إطار النفع العلمي المشترك، وأن تكون اقتراحاتكم عالية في المنظومة الرقمية التي يقوم عليها مجتمع المعرفة لخوض الترجمة الآلية بكلّ مضايقاتها، وليس ذلك من الصعوبة؛ حيث النيات صادقة، والعزائم مشدودة وعلى الله تيسير السبل.

ونقف وقفات بسيطات في الحديث عن أهمية الترجمة باعتبارها الوسيلة التي تمكّننا من نقل الفكر ونمو العلم أو هي الجسر بين الثقافات، وليست بين الحضارات؛ لأنّ الحضارة واحدة بثقافات متنوّعة. وخلال هذا الفعل يقع التركيز

♥ـ أعدّت الكلمة للملتقى الوطني حول (اللغة العربية والترجمة) الذي انعقد بمعرض الكتاب الدولي بالصنوبر البحري، سيلا 2017 يومي: 24- 25 ديسمبر 2017 بالمكتبة الوطنيّة الحامّة.

على الصلات الوشيجة بتعريب التعليم، وهي طريقة لتحقيق المعاصرة؛ وهذا ما حصل أيام الامتداد العربي في عصوره المزدهرة؛ حيث أسهمت الترجمة في تطوير المجتمع العربي في عصوره الأولى ونقله إلى مجتمع منفتح أيام العباسيين؛ وهم الذين "عبّدوا الطريق السيّار بين الثقافات لنقل المعارف واقتصاد المعرفة بمفهومها المعاصر[1]". وفي هذا الوقت الذي تتقاطع فيه العلوم وتأخذ اللغات عن بعضها وبخاصّة أنّنا نعيش عصر اللسانيات الذي يشهد طائفة من المقاربات العلمية، فما محلّ العربية في هذا الغمار اللساني؟ ويبدو لي بأنّ اللسانيات الوصفية هي وحدها القادرة على وضع الأساس التجريبي والمنهجي لنظرية الترجمة وهذا ما يحصل الآن في التباري النظري بين الاتّجاه الأمريكي والكندي والصلاقي وفي هذه الاتّجاهات الثلاثة تحصل بعض الديكتاتوريات الترجمية والاختلافات اللسانية بين المعيارية المفرطة على أنّ الترجمة فنّ وليست علماً، وعلى أنّ الوضع اللساني الجديد يرى بأنّ الترجمة لها المظهر الأدبي الذي تتجاهله أحياناً المعيارية، وفيه ما هو من الممكن، وما هو من المستحيل، ولا يتحقّق إلاّ بتعاضد الاتّجاهات الثلاثة. وتعرّضي لمسألة اللسانيات في المقام الأوّل لما لها من علاقة وثيقة بالترجمة؛ حيث إنّ الترجمة انطلقت من اللسانيات ابتداءً وانبثقت عنها؛ لتُصبح على ما هي عليه كعلم يُدرس في الجامعات والمعاهد، وكمِهنة يَمتهِنُها عددٌ من المترجمين وكحقل علم أيضاً يَشتغل فيه المنظِّرون لهذا الميدان المهمّ.

أيّها المترجمون أيّها المختصّون، لا يمكن أن أفتيَ في مسألة الترجمة وأنتم أدرى بأمورها، ولكنّي أريد أنْ أقف معكم في أهميّة التذكير بالترجمة التي حصلت في عصور العرب الأولى، وكانوا السباقين في نقل الثقافات من اللغات العالمية كما نقلوا العربية إلى اللغات الأخرى؛ حيث حدث تعايشٌ إيجابي أدّى إلى ازدهار العربية في مختلف علومها، وكان لها المقام العلِي في بغداد وفي الشام وفي

[1]ـ محمد الحنّاش "الترجمة والتعريب من الرقمنة إلى مجتمع المعرفة، مبحث في تشريح بنية العربية رقمياً" مجلة اللسان العربي. الرباط: 2015، منشورات مكتب تنسيق التعريب، العدد 75ـ ص 58.

المغرب وفي الأندلس بفضل تلك الجهود الفردية، ويخلّد لنا التاريخ أهمّ شخصية عملت في الترجمة وهي حنين بن إسحق، وتابع ابنه إسحق بن حنين بن إسحق المشوار، كما يسجّل لنا التاريخ قائمة اسمية بمترجمين كانت لهم أصوات عالمية من أمثال: بشر متى بن يونس+ يوحنا بن البطريق+ ابن الحمصي+ عبد الله بن المقفع+ برزويه... وجهود مؤسّسة بيت الحكمة التي عملت على ترجمة أمات الكتب في أقلّ من ثمانين سنة. وكان ذلك نافذة على علوم الشعوب الأخرى، وأفاد منها العرب بقوّة، ولا ننسى تلك الإغداقات على المترجمين لدرجة أن عِيبَ على المأمون الذي يُعطي وزن ما يكتب على الورق ذهباً، فقال: **نعطيهم ما يفنى ويترجمون ما يبقى.**

1ـ أهميّة الترجمة في عصرنا الحاضر: ليس من شكّ في أنّ الترجمة من ضروريات العصر، كما كانت في الماضي أساساً لترقية وتطوير العربية، فمنذ أن احتكّ العرب بالروم والفرس والأحباش، ووقع تبادل المنافع كان من الضروري أن تكون هناك في البداية لغة Linga Franca لتسهيل عمليات المقايضة وبخاصّة أنّ الجزء الذي تمرّ فيه قوافل الملح والحرير كان مدعاةً للتواصل بتلك اللغة الوسيط كأداة للمنافع. كما أنّ الترجمة هي البوابة الحقيقية للدخول إلى العصر الحديث، بل هي الضمانة الأكيدة لبقاء هذه الأمّة حيّة تتنفّس هواء الأصالة والمعاصرة والحرية والإبداع والعلوم النافعة من الجهات جميعاً. وهكذا فالترجمة تعني انفتاحنا على كلّ مكوّنات العصر، ومن دونها نبقى عاجزين نتهجّى سطور المعرفة من دون أن نلجّ إليها أو نعرف حقيقتها أو نسبر أغوارها.

2ـ الترجمة واللغة العربية: ما من سبيل لتطوير العربية إلاّ باحتذاء باب الترجمة التي تنقل لنا الثقافات والعلوم، وتجعلنا نربح الوقتَ في المقام الأوّل، وقد سئل طه حسن السؤال التالي: ما هو السبيل إلى تطوير العربية فقال: **ترجموا ترجموا ثمّ ترجموا.** ومع ذلك فإنّ الأملَ في أنْ تُسهم حركة الترجمة المعاصرة في التحوّل المنشود نحو العربية العلمية، وأن تفتح لنا أبواب العلوم المختلفة والمعارف والفنّون، وأن تخلق في أجوائنا مناخاً ثقافياً غنياً، فيكون العبورُ إلى الضفة الأخرى

التي نرنو إليها ونحلم أن نصلها بمَركَب لغتنا الأمّ، فهو المَركَب الذي لن يضل بنا السبيل، ولن يطيل بنا الرحيل، وهي الجسر المتين الذي عليه إنْ سرنا وصلنا، بل السبيل للوقوف نداً للندّ أمام اللغات الحيّة.

لقد عرفت الجزائر توجّهاً رسمياً في بلادنا نحو الاهتمام بالترجمة، بما نصّ عليه دستور 2016 في المادة الثالثة (3) عند حديثه عن مهام المجلس الأعلى للغة العربية بأنّه "يعمل على ازدهار العربية، ويعمل على تعميم استعمالها في العلوم وفي التكنولوجيا، ويعمل على الترجمة لهذا الغرض". ونرى من خلال هذا التنصيص أنّ الترجمة تعدّ في سُلّم الأولويات في الخطط التنموية والمعرفية المستقبلية؛ ووضعها في سياقها الحقيقي الزمني. وفي كلّ هذا لم تغب عنّا آليات تقديم استراتيجية وطنية للترجمة ببرنامج وآليات إجرائية مضبوطة قام على تقديم هذه الاستراتيجية ثلّة من المختصّين، لدرجة أن تقدّموا بتخصيص مؤسّسة ملحقة بالمجلس مهامها الترجمة فقط.

أيّها المختصّون: لن يكون هذا مُتحقّقاً إلاّ بما تُقدّمونه من اقتراحات تجعل الترجمةَ تأخذ مجراها التطبيقي بصورة حركية، ولا بدّ أن تكون لكم نظرات آنية واستشرافية، من خلال تبادل الأفكار ذات العلاقة بالموضوع من مثل: ماذا نُترجم؟ من المستفيد من الترجمة؟ ما هي أولويات الترجمة؟ ما دور مؤسّسات الترجمة؟ ما دور أقسام الترجمة في الجامعات الوطنية؟ ما جدوى الترجمة في ظلّ عدم تعميم استعمال العربية في العلوم؟ وما هي اللغات الأجنبية التي لها أولوية في عملية الترجمة؟ ما مقامنا تجاه ما يجمعنا من لغة في المشرق وبلاد المغارب؟ ... وعلى العموم فالمأمول من خلال ما تطرحونه أن يكون له وقع إجرائي، وتحصل حركة ترجمية واسعة تعمل على ازدهار العربية في كلّ جوانبها بل يحصل التعايش اللغوي الذي ينعش الاختلاف في الرأي والذي لا يفسد للودّ قضية؛ وسنضع في أذهاننا أولويات الاهتمام باللغة الوطنية، بإعادة النظر في مناهجنا وطرائق تدريسنا، وإعداد معلّمينا ومتعلّمين يرون لغتهم في كلّ المقرّرات الدراسة حيّة وتتكامل وتنمو من خلال خبراتهم المتجدّدة.، والمأمول كذلك أن تقوم دراسات جادّة

في مؤسّسات التعليم العالي في الدول العربية لواقع اللغة العربية في هذه المؤسّسات؛ لربط حركة الترجمة بحاجات هذه المؤسّسات من مصادر التعليم المختلفة، حتى تصبح لهذه الحركة آثار حقيقية ملموسة تضع الكتاب العربي بين يدي المتعلّم مقبولاً وسهلاً وناقلاً مستوعباً، وتجعل النصّ العربي محور عملية التعليم والبحث والقراءة والثقافة.

لقد عملت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على إعداد الخطّة القومية للترجمة؛ والتي أقرّها المجلس التنفيذي في دورته الثلاثين لسنة 1982، بوضع الخطوط العامّة للنهوض بالترجمة في الوطن العربي. وإليكم ملامح الخطّة المبنية على: المنطلقات+ الأهداف+ الأسس+ الوسائل+ المراحل+ طرائق التنفيذ[1]. بالفعل هناك مشاريع وخطط في الترجمة عرفها العالم العربي في القرن التّاسع عشر وبدايات القرن العشرين وكان للترجمة فيها دورٌ كبيرٌ. وبعد أن مرّ العالم العربيُّ بسنوات عِجافٍ نسبياً، في مجالات التفاعل الثقافي والبحث العلمي وتطوير المعارف، فإنّ حركة الترجمة العربية تشهد منذ مطلع القرن الحالي تأسيس منظّمات ومراكز ومعاهد وصلت إلى أعلى درجات النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية، وهو الأمر الذي يدلّ على أنّ العالم العربي يلجّ عصراً جديداً من النّهضة الفعلية والواعدة؛ وعلى صعيد عِلميّة الكتب المترجَمَة ورِفعة مواضيعها وتخصيص نصوصها. ولكن على الرغم من كلّ هذا لا تزال إكراهات أخرى لم تجد السبل الكفيلة بحلّها، ونشير إلى جملة الإكراهات المتباينة، والتي نجمل القول فيها بأنّه على الرغم من وجود المعاجم الثنائية العامّة والمتخصّصة وعلى الرغم من هذه الجهود التي تبذلها المجامع اللغوية والباحثون المنفردون وعلى الرغم من انطلاقة المعاجم الإلكترونية باللغة العربية نجد أنّ حركة الترجمة في الوطن العربي لم تبلغ بعدُ الحدّ الأدنى مما يؤمل منها؛ بسبب الجهود الفردية غير

---

[1] ـــ الألكسو، الخطّة القومية للترجمة. تونس: 1985.

المتناسقة، وعدم ربط الترجمة ربطاً معاصراً مباشراً بإصـــدارات العـــالم المتقـــدّم ومعظم الترجمات تنحصر في مجال الإنسانيات. وإذا نظرنا في المحاولات التـــي بذلت لتحويل هذه الحركة في الاتّجاه العلمي لرأينا أنّها تقتصر في مجملهـــا علـــى مسألة المصطلح، وكأنّ هذه المشكلة تنحصر في إطار اللغة العربية وفـــي غيـــاب المفردات العلمية المناسبة. والحقيقة أنّ المُشكلة ليست مُشكلة لغة أو مُفردات وهي لا تلخّص بتناقض ما بين العربية والفكر العلمي كما أنّها لا تُحلّ بابتداع المصطلح العلمي وحسب، بل هناك أطر تحتاج إلى مراجعة تتمثّـــل فـــي الســـرعة وكســـب الرهان، والمراجعة العلمية الدقيقة، واختيار الترجمات، دون البحث في تقصيرنا – نحن العاملين– على خدمة العربية، ونرميها بالقصور. فهل التقصير فـــي حركـــة الترجمة في الوطن العربي تقصير في اللغة العربية؟ وهل العربية فقيـــرة عـــن أن تعبّر عمّا تعبّر به اللغات الأخرى؟ بالفعل هناك جملة الإكراهات التي يجب تناولها بالعلمية واقتراح البدائل النوعية، ونكون خاطئين إذا نظرنا الى اللغة العربية لذاتها ودون التركيز على النشاطات الاجتماعية والعلمية التي تؤدّي إلى استعمالها وتفعيل مكنوناتها. ويجب القطعُ في الأمر بأنّ العربيةَ تحمل من الـــدلالات الإيحائيـــة مـــا يختلف عما نجده في أيّة لغة أخرى، لما تتمتّع به من تاريخ، لكنّ هذا يجعلها أكثـــرَ استيعاباً وقوّة وتمثّلاً لكلّ اللغات.

بالفعل، لا ننكر أنّ الترجمة لها بعض العمليات المُعقّدة، حيث لا ترتبط الكلمـــة ومقابلاتها فحسب، إنّها ترتبط باللغة، وفي اللغة نجـــد البيئـــة والثقافـــة والعُـــرف والعادات والمسكوكات والأمثال والقيم والدين والسلوك الحضاري وتـــرتبط كـــذلك بالخطاب وبعملية التواصل بين الاشخاص، بمعنى إنّ المرسل يخلق الخطاب فـــي سبيل التبليغ، وفي سبيل أن يؤثّر في المرسل إليه، إما بالدلالـــة الذاتيـــة المباشـــرة للكلمات أو بدلالات إيحائية يبثّها في الكلمات وبين الســـطور، واذا كانـــت عمليـــة الترجمة ترتبط بالألفاظ والمعاني الموجودة في النصّ الأصليّ؛ فإنّ الأساس في هذه العملية هو العودة إلى كلّ مكوّنات هذه المعاني، من الدلالـــة الذاتيـــة إلـــى القـــيم الإيحائية والسياق اللغوي وغير اللغوي. ومن هنـــا، علـــى المتـــرجم أن لا يعتـــدّ

بالمعاني المعجمية، بل بالعالم الذي تتكلّم عنه بالجملة؛ أي ذلك الكمّ الكبير من الخصائص والأحداث والصفات وكلّ متعلّقات الخطاب.

ـ **خاتمة:** ليس من شكّ في أنّ الترجمة ضرورة للأمّة العربية في هذا العصر فهي البوابة الحقيقية للدخول إلى العصر الحديث، بل هي الضمانة الأكيدة لبقاء هذه الأمّة حيّة تتنفس هواء الأصالة والمعاصرة والحرية والإبداع والعلوم النافعة وبقائها تنال موقعاً في خريطة العالم. الترجمة تعني انفتاحنا على كلّ مكونات العصر، ومن دون الترجمة نبقى عاجزين نتهجّى سطور المعرفة من دون أن نلج إليها أو نعرف حقيقتها أو نسبر أغوارها. ولا بدّ أن نكون أو لا نكون؛ فلكي نكون لا بدّ من التزام الحداثة في صورتها العلمية كنظرية لسانية قائمة على مبادئ دقيقة تسهم في رقي ونقاء تسهم في عمليات الترجمة كما قال حبيب مونسي "لقد استهدت نظريات الترجمة باللسانيات التماساً منها إلى سِمة العلمية فيها، وابتغاء إضفاء مسْحة من اليقين في مُنجزاتها إذا هي ركنَت إلى علم لغويٍّ يتشدَّد كثيراً في ضبط أدواته ومصطلحاته، بيد أنّ اللسانيات على اختلاف مَشاربها ومدارِسها، عالَجتِ الظاهرةَ اللغويةَ علاجاً خاصّاً، ارتُكبت فيه جملة من التجاوزات أحالت الدرس اللساني إلى ضرب المثال البَعيد كلّ البعد عن الجاري في الاستعمال، والشائع بين الناس، وأمام إلحاح نظريات جديدة تبحث في التواصل والمقاصد، وتحليل الملفوظات، والخطاب اللغوي كان على اللسانيات أن تُدير دفّة توجّهها المثالي إلى المُعاينة السياقية، وأن تخوض غمار الاستعمال لتجدِّد صلتها باللغة وهي فاعلة في صلبِ الواقع، فكانت التداوليَّة" ولا بدّ في المقام الثاني من اعتماد برامج الترجمة الآلية الحالية، واعتماد الأنظمة الحاسوبية الحديثة في الترجمة الآلية كوسيلة مساعدة في ظلّ ثورة تكنولوجيا المعلومات. وفي الحقيقة في هذا المنحى، فإنّ العديد من الأدوات المساعدة أصبحت تُترجم ما نسبته من الخطأ قليلاً، وبخاصّة في اللغات الأوربية وهذا ما يجعل أحياناً الصحافي لا يعيش الإكراهات والمضايقات في نقل الخبر من أيّة لغة، وهذا ما يضمنه بشكل واسع ومُرضي شريط الترجمة الملحق بمتصفّح جوجل كروم/ Google chrome، أو مترجم بينگ/ bing

ونشهد بأنّ مواقع الترجمة الآلية تتنافس في تقديم الأجود من الترجمة. ولكن هــذا المخاض الجديد لا يعني الترجمة الشخصية لما لها من دقّة ومعرفة بلغــة الهــدف ولغة الترجمة، والمهمّ في هذا؛ نروم أن نعمل على تقديم الأفكار التي تجعلنا نعمل جميعاً على ازدهار العربية وعلينا أن نعمل ونعمل ثمّ نعمــل، ونســابق الزمــان فالطريق تصنعه الأقدام وأقلامكم أقدام الترجمة وأفكاركم دروب ســيّارة؛ تســهّل المرور وتوسّعه، فهلا توكّلتم وتوكّلنا وابتدأتم وابتدأنا.

كلمة بمناسبة إحياء اليوم العالميّ للغة العربيّة

إنّ تكريس يوم 18 ديسمبر من كلّ عام يوماً عالميا للغة العربية نعدّه اعترافاً بالدور الإنساني الذي اضطلعت به وما زالت تضطلع به اللغة العربية وثقافتها به بما أرْسَتْه من قيم حضارية وما قدّمته من فتوحات فكرية وعلمية، وما نشرته من معاني الأخوة والتسامح والمحبّة والتحضّر والرقي عبر تاريخها الطويل وفي كلّ البقاع التي وصلتها. وهو اعتراف أيضاً باللغة العربية بوصفها تراثاً إنسانياً عامّاً ومكوّنا من مكوّنات الثقافة الإنسانية.

قبل أزيد من ستين عاماً، صدر في 4 ديسمبر 1954 قرار الجمعية العامّة لمنظمة الأمم المتّحدة يجيز الترجمة إلى اللغة العربية بشروط معيّنة، وفي عام 1960 قرّرت اليونسكو استعمال اللغة العربية في المؤتمرات الإقليمية، وفي 1966 قرّرت اليونسكو هي الأخرى توفير الترجمة الفورية من العربية وإليها وفي 1973 أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في الجمعية العامّة لمنظمة الأمم المتّحدة، إلى أن تمّ سنة 2012 اعتماد يوم 18 ديسمبر يوماً عالمياً للاحتفاء باللغة العربية، وبذلك أصبحت العربية واحدة من اللغات الستّ العالمية.

ويمثّل هذا التاريخ اليوم الذي أصدرت فيه الجمعية العامّة للأمم المتّحدة قرارها رقم 3190، القرار الذي بموجبه أدرجت اللغة العربية بين اللغات الرسمية ولغات العمل في منظمة الأمم المتّحدة والهيئات التابعة لها، وقد كان ذلك باقتراح من الدول العربية في أكتوبر 2012، من خلال المجلس التنفيذي لمنظمة اليونيسكو ومن ثمّة تقرّر تكريسُ الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية تقديراً لها ولثقافتها وحضارتها، وفي هذا السياق احتفلت اليونسكو عام 2012 للمرة الأولى بها واعتمد بشكل رسمي يوماً عالمياً للغة العربية كأحد العناصر الأساسية في برنامج عملها لكلّ سنة.

إنّ هذا الاعتراف الدولي باللغة العربية لم يأتِ مجانياً ولا صدفةً من صدف الزمان العابرة، بل جاء نتيجة نضالات على مستوى الأفراد والدول والجماعات ومحصلة إرادات الأجيال من المخلصين للغتهم ممّن امتزج لديهم الدفاع عن الوطن بالدفاع عن اللغة والدين والهويّة امتزاجاً كلياً دونما انفصال، ومن خلال تلك الجهود التي بذلتها الدول العربية في مختلف المحافل الدولية.

وقد أصبحت العربية اليوم، رغم حاجتها إلى مزيد من التطوير والترقية لغة ذات وزن حضاري في العالم؛ بحكم الملايين العديدة من البشر التي تنطق بها في كلّ القارات، من عرب وغير عرب بوصفها لغة أولى أو لغة ثانية، إضافةً إلى أكثر من مليار مسلم تشكّل اللغة العربية حضوراً أساسياً في حياتهم وفكرهم من خلال عباداتهم وسلوكهم، وتمثل وجودا مقدسا بحكم ارتباطها بالقرآن الذي هو نصٌّ عربي يتمنى كلّ مسلم عربي أو غير عربي أن يقرأه بلغته. وبفعل حضورها العلمي في معظم جامعات العالم العريقة كلغة دراسة وتدريس وهي من بين اللغات الأربع الأكثر استعمالاً في شبكة الإنترنيت بكلّ فروعها، في المدوّنات الإلكترونية وفي مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، وبفضل تواجدها في منطقة جغرافية حساسة هي محلّ تجاذبات وصراعات ومخزن ثروات، وبحكم اشتمالها على تراث ديني ارتقى بها الى أفق أخلاقي رفيع وتراث أدبي سما ببلاغتها إلى نظام جمالي بديع، وتراث فلسفي حرّك في الفكر طاقات التأمل والابداع، وتراث علمي غني ساهم في حلّ مشكلات الإنسان داخل الأمة العربية وخارجها، وشكّل مرجعية للحضارة المعاصرة يشهد التاريخ عليها الى اليوم. كلٌّ ذلك يجعلها ترقى إلى مصاف اللغات العالمية، وتتبوأ مكانتها في ساحة الثقافات الكبرى.

من فضائل هذا الاحتفاء السنوي باللغة العربية حفز لها لكي تواصل مسيرتها وتستعيدَ مكانتها كاملة، وتسايرَ تحولات العالم الجديد، وتنخرطَ في الحضارة المعاصرة وتعقيداتها؛ لتقومَ بدورها في ميادين الحياة العامّة، وتُسهم بما تحمله من تراث وبما تتطلّع إليه من آفاق، في رفد عالم اليوم بما ينبغي أن يسموَ به إلى مستوى أرقى وأفضل، في المجالات المادية والروحية، وتحفظ للإنسان توازنه

الذي اختل كما فعلت عبر تاريخها حين كانت جسراً عبرت من خلالــه المعــارف والعلوم والأفكار والقيَم إلى الضفة الأخرى من المتوسّط ومنها الى بقية العالم. إنّها مطالبة بالقيام بذلك لتضمن استمرارية وجود ثقافتها ضمن عالم يقوم على التنــافس والصراع الثقافي واللغوي.

لقد استطاعت اللغة العربية أن تبدع أدقّ العلوم والمعارف، وأن تُنتج أبلغ الحكم والأشعار، وأن تنقل إلى الثقافة العربية أهمّ النصوص الأدبية والمنطقية والفلســفية والعلمية من الثقافات المجاورة، وأن تنقل إلى الثقافــات الأخــرى مــا أنتجتــه أو ترجمته وأن تكون لغة عصرها أو لغة اللغات بلا منازع، وكانــت تنمــو بــوتيرة متسارعة جداً حيث اتسع مجالها باستمرار، بفعل ما تبدعه في ميــادين المعرفــة المختلفة وهي التي كانت قبل ظهور الإسلام مجرّد لغة تخاطب وتعبير وصــارت لغة علم وفكر وفلسفة ودين فخرجت، بالتالي، من دائرة الأســطورة إلــى دائــرة الحكمة، ومن حقل المدنّس الى حقل المقدّس، ونشأ عن كلّ علم من علومها مئــات المصطلحات والمفاهيم والعبارات وكانت كلّ معرفة تبدع معرفة أخرى موازية لها أو مناقضة، واشتدّ التنافس العلمي، وتكاثرت الأفكار، وتراكمــت الآراء واتســعت جغرافية اللغة فأصبحت لغة أقوام آخرين اتّخذوها لهم لغة تخاطــب وكتابــة كمــا اتخذوها لغة إيمان وعبادة، فأبدعوا بها وأسهموا في إغناء التراث الإنساني فاتّســع المعجم العربي أيّما اتّساع، وصار من أكبر معجمات اللغات في العــالم. وأسّســت لحواضر ما تزال شاهدة، إلى اليوم، على مدى الرقي الذي بلغته في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وبجاية وتلمسان وفاس والأندلس وغيرها. ثم ولأســباب ذاتيــة وموضوعية، كتب على هذه اللغة أن تفقد ريادتها وفعاليتها ودورها الحضاري، وقد تعاون الوهن الذاتي والاستعمار الأجنبي على إطفاء شعلتها المنيرة، وإخماد جذوتها المتقدة، وكانت الدورة الحضارية التي تأتي على كلّ الأمم والحضارات، فتوقّفــت مسيرتها أو كادت، وصارت تلوك ما كانت قد أبدعته، وتعيد إنتاجه بشكل أو آخــر فتقلّصت جغرافياً ولغوياً وفكرياً، ثم توقّفت وتوقّف معها العقل، وصارت هامشاً من

هوامش التاريخ بعد أن كانت مركزه ومحوره، ممّا يعني أنّ حركة اللغة وحركة العقل واحدة، وأنّه لا يمكن تطوير أحدهما دون تطوير الآخر.

والآن، وبعد هذه الاستفاقة، وبعد العودة النسبية للوعي، لا بدّ من إحياء الروح التي كانت وراء ازدهار اللغة العربية وثقافتها في عصورها الذهبية، تلك الروح القائمة على الإبداع والحرية الفكرية والإخلاص للعلم والصدق في العمل وتزداد المسؤولية اليوم ثقلاً لأنّ ما يقف عائقا أمام ذلك كثير ودونه خرط القتاد.

ولكن، ومن أجل أن تحقق اللغة العربية دورة حضارية أخرى عليها أن تقاوم أشكال التعطيل الداخلية والخارجية التي تعيق تقدّمها، وتوقف شروط نهضتها وتحُول دون انطلاقتها، وبخاصّة تلك العوائق النفسية التي تأتيها بفعل حرب الاستخفاف التي تشنّ عليها من هنا وهناك. تلك الحرب التي تربط اللغة العربية بما هو دوني وسلبي وعاجز وقديم. فقد لا يكون الآخر الثقافي واللغوي هو العائق الأكبر أمام تحديث العربية اليوم رغم إدراكنا لما يقوم به الآخر، بقدر ما يكون الوهن الداخلي والقصور الذاتي والشعور بالنقص، والاعتقاد الوهمي بأحكام خاطئة بحقها وسوء تقدير أهلها.

إنّه لمن البديهي اليوم أنّه لا يمكن إقامة نظام في المعرفة ولا في التنمية دون إقامة نظام لغوي فاعل وثري، وقادر على الوصف الدقيق والتوصيل السليم والتداول الشامل. ويحتاج ذلك إلى إرادة تمثّل القناعة الراسخة بأهميتها وضرورتها وكونها مكوّناً من مكوّنات الهويّة، وتتجلّى هده القناعة في الاعتزاز بها والافتخار بالانتماء إليها والدفاع عنها حين تكون عرضة لعدوان، وكما تحتاج إلى تعليمها بأحدث وسائل التعليم المناسبة لها والمنسجمة مع خصوصيتها، وكما تحتاج إلى حلّ مشكلات الوضع اللغوي الذي تسيطر عليه اللهجات والعاميات الهجينة واللغات الأجنبية، وكذلك من الضروري إعادة موقع اللغة العربية الهامّ في الإعلام والإدارة وفي بقية المؤسّسات ومجالات الحياة العامّة، وتعضدها قوانين تحميها كما تفعل الدول الكبرى في حماية لغاتها.

لا شكّ ولا مزايدة في أنّ أمام اللغة العربية تحديات لا قبل لها بها حالياً وفي ظلّ الشروط الراهنة وفي مقدّمتها ما يحدث من انفجارات تكنولوجية وثورات معلوماتية وأنظمة مستحدثة في تسيير الإدارات والبنوك والمؤسّسات والاتّصال وتلك كلّها مصحوبة بسيل من المصطلحات التي لا بدّ من بذل جهود إضافية من أجل استيعابها وتمثّلها وترجمتها، رغم أنّ ذلك ليس إلاّ حلاً مؤقتاً لأنّه تبقي العربية أسيرة المنتوجات الغربية ولغتها، فحين تنقل المنتوج ولغته وفي أحسن الحالات تبحث عن بديل لغوي لاسم المنتوج، وعليه فإنّه لا بدّ، إلى جانب ذلك من الإبداع بالعربية وفيها، بمعنى الانتقال إلى إبداع المنتوج ولغته معا، وكلّ عملية ترجمة هي حلّ مؤقّت، وعمل ثانوي رغم حتميته أحياناً.

إنّ صراعات اليوم، وإن اتّخذت طابعاً سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً فإنّها في العمق، صراعات ثقافية ولغوية؛ أي صراعات هويّة، ومن السذاجة أن نتجاهل ذلك أو نتغافل عنه، أو نعتقد أنّ أحدها يمكن تعويضه أو الاستغناء عنه، حيث إنّ اللغة والثقافة والاقتصاد والدّين وغيرها من مُكوّنات الأمّة وتمثل وحدة واحدة فإنْ أُصيب أحدها فإنّ البقية تتداعى له.

لقد عملت الجزائر على رعاية اللغة العربية بما وفّرته لها من حماية قانونية وبخاصّة ما جاء في دساتير الدولة الناطقة باسم الشعب في المادة الثالثة (3) التي تنصّ على أنّ اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية، ولا يجوز لأيّ تعديل دستوري أن يمسّ بها. كما وفّرت لها من المؤسّسات ما يعمل على تطويرها وترقيتها وتعميمها واستعادة فاعليتها في الإبداع الفكري والعلمي والتعليمي.

وقد أدركت أنّ التعددية اللغوية عامل من عوامل الثراء الثقافي، فسعت إلى ترسيم اللغة المازيغية وإقامة حالة من التعاضد بين الشقيقتين، وجعلتهما معاً لغتين رسميتين وطنيتين، وأنشأت لكلّ منهما مؤسّسة عليا تهتمّ بشؤونها وتعمل على ترقيتها وتطويرها بما يكفل بناء الذاكرة الوطنية الواحدة الخصبة وتعميق الحسّ

الاجتماعي والوعي الوطني، بما يخدم الوحدة الثقافية في إطار التنــوّع الإيجــابي والمصلحة الوطنية.

إنّ دولة الجزائر أدركت أنّ هناك ضرورة علمية واقتصــادية للانخــراط فــي العالم المعاصر، الذي لا يمكن تجاهل تحوّلاته، فشجّعت علــى الانفتــاح اللغــوي والعلمي عبر تعلّم اللغات الأجنبية أو من خلال الترجمــة، أو التواصــل الثقــافي بأشكاله المتعدّدة، لأنّ عالم اليوم، الذي تحوّل إلى فضاء واحد، يتطلّــب التحــاور والتفاعل. فبقدر الحفاظ على الهوية الذاتية بقدر الانفتاح على ما فــي العــالم مــن خِبْرات وتجارب تثري الهوية وتطورها. وبقدر ما للغة العربية من أهميّة في بنــاء الهُوية بقدر ما للغات الأجنبية من أهمية في التطوّر والتقدّم، ومن هنا لا بــدّ مــن شطب العلاقة التشنجية بين الذات والآخر، وبين المحلي والعــالمي وبــين اللغــة العربية واللغات الأجنبية تلك العلاقة التي أسّس لها الاستعمار، وبقيــت محفــورة كالجرح في الذاكرة بعد الاستقلال، على أن تكون اللغات الاجنبية لغة إسناد لا لغة هوية، مع ضرورة تنمية الوعي بالذات؛ ليكون هو الموجّــه والمــتحكّم والمرشــد والمحدّد للأولويات. لا بد من بناء علاقة توازن تحفظ الهوية، وتستفيد من منجزات العلم الحديث. ويتوهّم من يعتقد أنّ ثمةَ تناقضاً بين الهوية والعلم الحديث فهو إمّــا إيديولوجي مغرض، وإمّا على غير علم بما يقول.

إنّه من الأهميّة أن نشير إلى دسترة اللغة العربية لتكون بمنأى عن التجاذبــات السياسوية التي قد تربك المسألة اللغوية، وتعيق تطوّرها الطبيعي، وإلــى ترســيم اللغة الأمازيغية لتكون لغة وطنية ورفيقة درب العربية في تطوير التنمية الثقافيــة والاجتماعية والعمل جار لإنشاء أكاديميات للغات الوطنية، وستعمل إلــى جانــب المجمع الجزائري للغة العربية ومركز البحوث والتطوير التكنولوجي للغة العربيــة وعشرات المخابر المنتشرة في الجامعات الجزائرية ذات الصــلة باللغــة العربيــة وستعمل كلّها على خدمة اللغة العربية وتطويرها والسعي بها لتلحــق بــالتطوّرات العلمية المعاصرة الفائقة، دون أن يعني ذلك الانغلاق على الذات والتمركز حولهــا والاكتفاء بها، بل تصاحب كلّ ذلك دعوات بنفس الإلحاح والحماسة إلى ضــرورة

الانفتاح على اللغات الأجنبية وعلومها وثقافتها وفنونها والإفادة منها ومن نتائجها وهذا التحاور بين اللغات والثقافات هو ما ينبغي المراهنة عليه لاكتساب شروط النهوض الشامل في عالم لا يمكن الاكتفاء فيه بعين واحدة.

إنّ الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية يعدّ حدثاً حضارياً بالغ الأهميّة فهو اعتراف كوني بإنسانية هذه اللغة ودورها التاريخي وثقلها الثقافي والروحي وقدرتها على دعم الخبرات الإنسانية بقيمها وبما خزّنته ذاكرتها من إرث ثقافي يمتدّ الى ما يقرب من ألف عام، إنّه مكسب للغتنا العربية أن تحتلّ المرتبة الخامسة من ضمن آلاف اللغات، وهو دافع لها لترقى بنفسها ولتستكمل دورها التاريخي في الحضارة العالمية.

إنّ خير ما نشارك به في هذا الاحتفاء العالمي باللغة العربية هو أن نتعامل معها وبها بما يحقّق ذلكم الفعل الحضاري الذي يليق بها كلغة حضارة إنسانية وأقدم لغة لا تزال تُنتج المعارف، وتعيش التكامل والتطوّر في مختلف فنون المعرفة. وعهدي بالباحثين والمؤسّسات التي تضيف إلى مخزون هذه اللّغة ما يدخل في القيمة المضافة للغة الأمجاد، فأعظم بها من لغة!

هذه هي الحقيقة التي يجب نقلها، والتعامل بها في إطار خدمة الهوية اللغوية حسب متطلّبات الراهن؛ كي لا نقع في الاجترار، وأن يكون الباحثون واللسانيون والتربويون في تنافس علمي ومنهجي للوصول إلى هدف واحد؛ وهو العمل على تطوير اللغات الوطنية، وليس ذلك بعزيز على باحثينا.

اللغة الوطنيّة المشتركة والتّنميّة

ــ **مقدّمة:** في العادة إنّ اللغة المشتركة هي التي تعمل على التنمية البشرية؛ حيث إنّ القمّة على اتّصال بالقاعدة، والعكس يصحّ، من خلال لغة مشتركة، وتسمى **لغة الأمّة**. ومفهوم كلمة الأمّة يعني بها ذلك الكيان الأوسع والشامل في الانتماء الحضاري والثقافي المشترك. وهكذا، فالعربية مجال مشترك ومثال يحتذى؛ فهي الوحيدة التي يأتي عليها مصطلح (اللّغة الأمّ+ لغة الأمّة) بحكم أنّها لغة الأمّ والأمّة لا تُعامل معاملة اللّغات الأخرى، فلها التفضيل؛ لما لها من قاسم مشترك، ولا بدّ أنّ الجانب السياسي يُغلّبها على اللّغات الوطنية واللّغات الأجنبية، وهذا يستدعي تدبيراً عقلانياً يراعي التعدّد بحسب المقام والذي يحافظ على التماسك والتعايش. ومع ذلك فنتجد أحياناً بعض الفئات تطرح أسئلة الهُوية والخصوصيات اللغوية والثقافية والحضارية والقومية والروحية، فهنا نرى اللّغة الأمّ– لغة الأمّة تأتي في صدارة تلك الأسئلة. ففي واقعنا الجزائري هناك لغة مشتركة في التفاهم بين مُكوّنات الأمّة بمختلف أداءاتها اللغوية والوظيفية، ولكن نطرح هنا سؤال التنمية الشاملة، فهل التنمية الكاملة المتكاملة تأتي من اللغات المحلية أو من اللغات الأجنبية؟

إنّ التنمية الشاملة تأتي بنفع عامّ لا شكّ في ذلك، وتُفضي إلى تنمية القدرات الذهنية، والرفع من المستوى التعليمي والخبرة والثقافة والوعي، بل إلى زرع الثقّة بين المسؤول والمسؤول عليه، بين الراعي والرعية، بين المسيّر والخادم، ليحصل المزج الكلّي بين العقول التي تفكّر وتخطّط، وبين السواعد التي تبني وتعمل. وهكذا، لا يمكن أن تحصل التنمية البشرية في غياب التواصل البيني الذي لا يكون إلاّ بلغة مشتركة وهذا ما نلمسه بين المريض والطبيب، فغياب التواصل اللغوي البيني بالمشترك المصطلحي يزيد من عُقدة المرض، وإذا حصل التواصلُ البيني يحصل نصف الشفاء. ولذا، فنروم أن تكون اللغةُ المشتركة ركيزةً أساساً في

التنمية الجمعية، والتي تعتمد: "الرأسمال البشري+ الرأسمال المعرفـي+ تـوطين المعرفة[1]". وتوطين المعرفة باللغة المشتركة عامل قوي لمزيد من الإنتاج.

وهكذا تساوي العربية لغة التنمية. ولكن في واقعنا المعاصر الذي تقوم الأمـور على المصالح المرسلة من حقّ التاجر/ المعلّم/ السـائق/ السـائح/ الإداري... أن يسأل عن لغة فيها منفعته، وهي أسئلة مشروعة فأين هذه اللّغة التي لها وزن فـي سوق التداول؟ وهذه الأمور من أسئلة واقع المنفعة، ونحن نعيش هاجس الحضـارة والتقدّم والاستقرار فيمكن أن يهجر الإنسان لغته ويعزف عن توريثها لأبنائه فـلا تشغله الهُوية بقدر ما يشغله واقع المال والمصلحة الضيّقة، ومن هنا، يجـب أن لا ننخدع بالتشبث اللّغوي الداعي إلى قبول اللهجات والتي تنشطر إلى محليات، وفـي الأخير ينتصر من يضرم النار بين اللّغات الأخوات. ونعلم بأنّ سـلاح اللّغـة ذو حدين: يمكن أن يوظّف من أجل لحمة المجتمع، كما يمكن أن يستعمل لتمزيقه.

ولهذا، ينمو الرأسمال المعرفي بقدر نمو الثقافة الجامعة، والوعي الجمعي، ولا تحقّقه إلاّ اللّغة الوطنية المشتركة القادرة على تعميم التعليم، وإنتاج المعرفة ونقلهـا وتبسيطها وتوطينها وتعميق جذورها في المجتمع؛ لأنّ المعرفة لا تستورد كلّها، بل يمكن استيراد بعضها، وما دام أنّه يستورد بعضها فإنّه عالة على الآخرين أو فـي حكم غير الموجود فالمعرفة تُستنبت في بيئتها وفي عقول أبنائها، بلغتهم المشـتركة لأنّ استيراد المعرفة مُكلفة جداً، ثمّ هي مُتطوّرة دائماً فمـا هـي المعرفـة التـي تُستورد؟ وكذلك فإنّ استيراد المعرفة يمكن أن تحصل بصورة سطحية، ومـا هـو ليس مُتجذراً يكون سهل الاقتلاع والزوال، واستيراد المعرفة بلغاتها؛ يعنى توسـيع تلك اللّغة في وطنك على حساب اللغات الوطنية؛ ويعني ذلك تبعية لغويـة، كمـا يعني خلق نخبة وفئة راقية تتقن اللغاتِ الأجنبيةَ وتحتقر اللغات الوطنية.

[1]ــ عبد العلي الودغيري، لغة الأمّة ولغة الأمّ عن واقع اللّغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية. بيروت: 2014، دار الكتب العلمية، ص 19-37.

إنّ استيراد المعرفة يكمن في خطرين: **خطر** التماهي مع لغة واحدة تأخذ منهـا ويدخل هذا في الاستعمار اللغوي. و**خطر** الأخذ من كلّ اللّغات (العلم يوجـد فـي كثير من اللغات، فأيّة لغة يؤخذ منهـا؟) وهنـا يحـدث الانشـطار أو الانفصـام الشخصي للمجتمع الذي يستورد المعرفة، والطريق الأمثل هنا هو نقل المعرفة إلى اللغة الوطنية المشتركة؛ بتكثيف حركة الترجمة وفق برامج مخطّطة تواكب حركة الإنتاج المعرفي والرفع من عدد البعثات، وهضم المعرفة العلمية بلغاتها الأصل ثمّ ترجمتها، وصدق بيرم التونسي الذي قال: "إذا علّمتَ شخصاً بلغته نقلت العلم إلـى تلك اللّغة، أما إذا علّمته بلغة أخرى فلم تزد على أنّك نقلت ذلك الشـخص إليهـا". وإنّه ليس هناك من وسيلة لتعميم المعرفة وتطوير سلوك المجتمع إلاّ استعمال اللغة الوطنية المشتركة حيث التنمية بعمومها لا تحصل إلاّ بتماسك اجتماعي، والمجتمع المنسجم لغوياً هو الأقوى وغير المنسجم يصبح منحلاً، ويساعد على خلق جو مـن التبعية، بل ومن الشرخ الجمعي الذي يؤدّي إلى ما لا تحمد عقباه، وهـذا بسـبب غياب الانسجام الفكري والثقافي والسياسي بين المجتمع. وكلّمـا حـدث انسـجام وتناغم بين الناس ازداد تحقيقُ التنمية والوحدة اللغوية، وارتفعت نسـبة الانسـجام الجمعي. ولهذا فإنّ اختيار اللغة الرسمية للوطن تراعى فيه مجموعة من الشـروط التي لا تحدث الخلل في المجتمع ولا تنزل اللغات الوطنية منزلة واحدة فلكلّ لغـة حمولة وثقافة وإرث وتراث وحضارة، فيقع الاختيار بين أثقل اللغات الوطنيـة ولا يمكن التسوية التامّة بين اللغات الوطنية، فإذا قبلنا بهذا؛ فإنّنا لا نقـيم فرقـاً بـين البعوضة والفيل، أو نروّج لديماغوجية عمياء بعيدة عن الواقع. ويجب التأكيد بـأنّ اللغات الوطنية ليست على درجة واحدة من الكفاءة والتجربة، وبالتالي ليست كـلّ اللغات الوطنية صالحة للقيام بكلّ الوظائف، وإذا كان ذلك كـذلك فلمـاذا يتسـابق الناس لتعلّم لغة دون أخرى، ولهذا فإنّ اختيار اللغة الرسمية للوطن لا تؤخذ هكـذا بل هناك مبرّرات تأخذها الشعوب، وهي:

1ـ أن تكون اللّغة الأكثر انتشاراً من حيث الاستعمال والأكثـر تجـذّراً فـي وجدان المجتمع.

2ـ أن تكون حاملة للمعرفة أو مؤهّلة لذلك أكثر من غيرها.

3ـ أن تكون ذات حمولة ثقافية ورمزية وتاريخية وحضارية عميقة وتجربة طويلة.

4ـ أن تكون الأكثر من بين اللغات المستعملة قدرة على مواجهة اللغات الأجنبية والوقوف في مواجهتها نِداً للنِّد، وذلك حتى لا يسهل افتراسها والقضاء عليها، كما حدث لعدد من اللغات الصغرى في إفريقيا وغيرها من البلاد حين عجزت تلك اللغات عن الصمود في وجه لغات الاحتلال من مثل الفرنسية والإنجليزية، فانتهت إلى الخضوع التامّ والاستسلام الكامل.

5ـ أن تكون صالحة للتواصل بين أكبر عدد ممكن من أبناء الشعوب العربية الإسلامية؛ لأنّ كلّ بلد عربي هو جزء لا يتجزّأ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً من هذه الأمّة.

6ـ أن تكون صالحة للاستعمال في التّعليم والإدارة والاقتصاد والإعلام، وكلّ مرافق الحياة العامّة والخاصّة.

7ـ أن تكون مُؤهّلة للاستعمال لتستعمل في توطين المعرفة وإنتاجها وتوليدها.

8ـ أن تكون بمثابة الأمّ الحاضنة للجميع والبيت المشترك الذي يسكنه الجميع وكأنّهم أفراد أسرة واحدة متضامنة، ويتساوى فيه الجميع دون إحساس أحد منهم بالتهميش أو النقص أو الإبعاد. ومن المأثور عن الفيلسوف الألماني (مارتن هيدجر) أنّه كان يقول: اللّغة هي بيت الإنسان الذي يأوي إليه ويقيم فيه[1]".

مرّة ومراراً أقول: إنّ اللغة الوطنية المشتركة هي البيت المشترك، فلها مقامها ووظائفها التي تقوم بها كان علينا صونها والعمل على حمايتها بكلّ ما أوتينا من جهد وقوانين، وأمّا اللغات الأجنبية نحتاجها عند الضرورة، ونلجأ إليها في ربط المجتمع بالعالم الخارجي لمواكبة التطوّر، ومعرفة الحاجات الملحّة والإفادة منها

[1]ـ عبد العلي الودغيري، لغة الأمّة ولغة الأمّ عن واقع اللّغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية. بيروت: 2014، دار الكتب العلمية، ص 35.

شرط أن تتمّ إعادة إنتاج ما يستفاد من اللغات الأجنبية إلى اللغات الوطنية بإعادة التعبير عنها باللغة الجامعة. ونقول: بأنّ التنمية الشاملة تكون باللغات الوطنية، **ولم يثبت أنّ أُمّة في العالم ارتقت بغير لغاتها الوطنية.** ولكنّ من الضروري أن يقع الفصل في مصطلح **اللغات الوطنية** التي يمكن اعتمادها بغية التنمية الشاملة وبخاصّة في مجتمع تعدّدت لغاته الوطنية، فما هي اللغة الوطنية الأوفر حظاً؟ أو هل تؤخذ كلّ اللغات الوطنية لخدمة التنمية الشاملة؟

تؤكّد التجارب الأمميّة الناجحة على أنّ المجتمع المتعدّد اللغات له الكثير من المحاسن، وفي ذات الوقت هناك بعض الهنات التي يجب أن توضع في الاعتبار من مثل: أيكون المجتمع كلّه يتقن اللغات الوطنية؟ هذا من الصعوبة، أو تجنّد فرق التراجمة لحلّ المسألة، كذلك من الصعب، دون أن نغفل الكُلفة المادية الناتجة عن الترجمة بين اللغات الوطنية، دون الحديث عن الترجمة من اللغات الأجنبية، وهي ضرورة ولا بدّ أن تكون في مجتمع يسعى لنيل مقامه بين الأمم.

ولهذا لا توجد وصفة ناجحة مئة في المئة في هذا الأمر؛ بقدر ما توجد أفكار حسن التدبير للتعدّد اللغوي المحلي، وهو:

1ــ التخطيط السياسي واللغوي والتربوي لمُجتمع مُتعدّد اللغات.

2ــ التجنيد الجمعي للوعي للمسألة اللغوية التي يجب أن تكون مَحلّ دراية ونقاش كي يقع الاّتفاق الجمعي الوطني.

3ــ الإقرار بأهميّة التعدّد اللغوي المُنسجم مع الخصوصيات الحضارية والثقافية والدينية والتاريخية.

4ــ اعتماد المرجعيات الوطنية في جمع الأمّة على الخطوط الحُمُر التي لا تكون محلّ جِدال إلاّ في طرائق الوصول إلى الهدف المشترك.

5ــ العمل على التقليل من التعدّد اللغوي المحلي.

6ــ السعي إلى التقارب المصطلحي بين اللغات الوطنية، ويفرضه الاستعمال.

7ـ العمل بقاعدة الاختيار اللغوي: **لغة مشتركة،** تعطى لها بعض الأولويات في الإدارة والتعليم ووسائل الاتّصال.

8ـ عدم احتقار اللغات الوطنية الأخرى مهما كانت ضيّقةً، بل يعمل على ترقيتها في بعض الجوانب المكمّلة للهُوية اللغوية.

9ـ استعمال اللغات الوطنية في المناطق التي تُستعمل فيها بقوّة واعتمادها في التعليم والإعلام والفنون وفي قضاء المصالح المُرسلة بالمواطنين.

10ـ الاهتمام بالتعدّد اللغوي غير المُكلِف، سعْياً إلى الانسجام الجمعي.

تِلْكُم بعضُ المواصفات/ الأفكار التي بصُرتُ بها، وأنا أعيش في مُجتمع مُتعدّد للغات، ونرى ظهور أفكار تدعو إلى الاهتمام باللغات القديمة/ الأصلية وهذا طبيعي وهامّ وضروري، ولا يُفسد الانسجامَ الجمعي أبداً، بل يعمل على اللحمة الوطنية عندما يحصل الإقرار بالمصالحة مع الذات اللغوية/ الثقافية.

العربيّة الفصحى ولا بديل

ــ **مقدّمة:** إنّ الذي جعلني أُطرِّس هذه الورَقات في حقّ العربية الفصحى هي تلك الدعوات القديمة التي عادت في ثوب جديد، وتقول: من الضروري أن نتحرّرَ من العربية الفصحى التي أصبحت لا تُقدِّم العلمَ كما لا تُقدّم التواصلَ الطبيعي، وأنّ **تدريسَ الدارجة** اليوم أكثر من ضرورة للحاق بالركب، وأنّ اللغة الأمّ هي تلك الوسيلة اللغوية البسيطة **الدارجة**، وليست الفصحى المعيارية فالعربية المعيارية الفصيحة لغة ثانية وهي لغة قديمة، ويضاف إلى ذلك ما يقال عن ضُعف العربية وما نسمعه من منتوج إرهاب المدرسة المعرّبة، إلى غير ذلك من التنادي إلى التعدّد اللغوي الأجنبي الانجذابي الذي يجعلنا ننقطع عن لغاتنا الوطنية، وعن اللغة المشتركة الجامعة، بدعوى العجز والفقر العلمي... تلك دعوات عقّدت سُبُل النطاق لتنتهز نُهزة المختلس التي تُسَوِي ولا تُسَوي. ولكنّ الحقيقة التي لا شيةَ فيها أنّ مُعظم تلك الأقوال هي جوالب الأوهام، وليست من إنتاجات الأفهام وأنّ زمانَها قد ولّى، ولكن مُناديها لا يعيش المعاصرة، فهم في غشاوة قديمة، ولا يدرون بأنّ العالم قد تغيّر. ومع ذلك قد تكون بعض الأقوال سليمة في نواياها من تقعّر بعض العروبيين؛ تقعّر يعيش الفراغ الإجرائي التطبيقي، والذي يدخل في جعجعة كلام ولذا لا نعدم بعض الأفكار التي هي من الصواب، ولكنّها لم تأت في المَحال، ولم تقترح الحلول المَنال، بل أُريد من ورائها الإقصاء، وتلك غاية ضعيفة؛ بل حُجة واهية، فهي حقّ أريد به باطل، وكان يجب أن نبنيَ الأقوال على برهان. وكلّ هذا جعلني أقرع طُنبوبَ الاجتهاد؛ لكتابة هذا الكلام، والبحث عن حلول علمية لهذه الحالة التي أسودّ منها المشهدُ اللغويُ، وأحاول التفصيلَ على هذا المنوال:

1ــ حقّ الاختلاف في المنهج طبيعي: أروم الانطلاق من المقولة التالية: "العاقل هو الذي يَتريّث، والعالم هو الذي يَشكّ، بينما الجاهل هو الذي يُؤكّد". نحن بحاجة إلى الاختلاف أحياناً لمعرفة ما يُخفيه الآخرون في قلوبهم، وقد تجد ما

يجعلك في ذهول وقد تجد ما تنحني له احتراماً. وعلى العموم، فهؤلاء القائلون بتخرّس الفصحى قد تأخّرت ألبابُهم عن إدراك غُررها ودورها في الماضي والحاضر ويرون بأنّ الصفاءَ اللغوي في هذا الزمان كَمَنْ يطلب العنقاءَ المُجنّحةَ فلا ينبغي الانتظار في اتّخاذ قرار اعتماد **تدريس اللهجة**، وإلاّ نكون خارج دائرة الجغرافيا. ويبدو لي بأنّ مثل هذا الكلام لا تصريفَ له ولا شكّ أنّه خديعة واهية يخدع بها الأغتام وسُذّج القوم؛ فحججُهم داحضة وآراؤهم دُبرية. بقدر ما نقول لهم: لا تستغبوا الناسَ في لغتهم، ولا تكونوا من الذين يعملون على التعطيل، فهي كلمات كان يجب أن تُقال في منهجيات التطوير، وفي أفضل طرائق التحسين؛ وصولاً إلى هدف مُشترك؛ وهو خدمة المُواطنة اللغوية في صورتها الجامعة.

2ـ مقولات عفَا عليها الزمانُ: بعضها مَقولات قديمة قيلت في أربعينيات القرن الماضي، ولبِست آنذاك لُبوسَ اللاتينية التي انحرفتْ عنها اللغات الأوربية. وبالحقّ نقول: إنّ اللاتينية هي **اللغة الأمّ** بالنسبة للغات المنبثقة عنها: الفرنسية + الإسبانية+ الإيطالية+ المالطية. وهذه اللغات هي لغات أمّ بالنسبة للناطقين بها في مناطقهم ولكن اللغة الأمّ الجامعة المشتركة هي اللاتينية. وكذلك الكلام عن العربية فاللغة الأمّ هي اللغة الفصحى الجامعة وكانت قبل أن تكون الفصحى أكثر من لغات أمّ في شبه الجزيرة العربية، وكلّ قبيلة كانت لها لغتها الأمّ وتوحّدت في اللغة الأمّ؛ وهي الفصحى لغة الشعر الجاهلي، ولغة المكان المقدّس (أستار الكعبة) وهي لغة التعامل في مكة؛ باعتبارها مجمعاً للدين وللعقائد وللتجارة الداخلية والخارجية ولغة المدينة باسم العصبية العربية (لغة قريش) والتي أصبحت لغة العرب الجامعة، ومن ثمّ أصبحت لغة الخطاب الرسمي. وهذا الواقع موجود الآن فالخطاب الرسمي والقوانين تنصّ على لغة مشتركة جامعة، وهي **اللغة الأمّ**. ومع ذلك نقول: إنّ قياس اللاتينية على العربية لا يجوز، فلكلّ خصوصياته، ولذا فالقياس على الخطأ خطأ، وأنّ القطيعة بين اللاتينية وبناتها كانت بفعل ترهُّلها وعدم استجابتها للمراحل اللاحقة، فعاشت اللاتينيةُ العزلةَ التي ولّدتِ اللاتينيات فأصبحت اللاتينية لاتينيات. وأمّا العربية عند سلفنا لم يُسجّل عليها التّاريخ عجزاً

بل كانت تتمتّع بقوّة جيّدة فاقت كلّ اللّغات، وما تولّد عنها ليس بالعربيات، بل هي مستوى لغوي ليس إلاّ، فالعربية عربية، وهي اللغة الأمّ دون القياس على ضعفها الحاضر، ولا علاقة له باللغة الأمّ، فإذا أدركها الخلل والنّقص فيعود إلى الخَلَف لا إلى جينات اللغة، فهي سليمة ولود. دون أن نغفل أنّ اللغاتِ التي لا تنقطع عن أصالتها تحمل الدين، فهل أتاكم نبأ السنسكريتية والعِبْرية اللتين لم تنقطِعا عن ماضيهما إلاّ في شقّهما الأسلوبي تطوّراً حسب مُقتضيات أساليب العصر، وحصل التواصلُ الفعليُ بين لغة الأجداد ولغة الخَلَف وهل ذلك غيرُ جائز في العربية؟ أليس من الصواب أن تبقى الأصالة متواصلة في ثوب جديد متجدّد، دونما حاجة إلى معجم لكلّ عصر من العصور أليس في هذا ميزة عقلية علمية؛ حيث يحصل التركيم اللغوي المؤدّي إلى الإبداع؟ وهل من المعقول أن ننقطع عن ماضينا، وفي كلّ مرّة نبدأ من جديد؟

3 ــ دعوة اللغة الأمّ: وهي من الحقوق اللغوية، ويجب التذكير أنّ الاحتفاء بيوم اللغة الأمّ حقّ سنّته الأمم المتّحدة في 21 فبراير من كلّ سنة هو تأكيد عالمي على أهمية اللغة الأمّ التي تستعمل مع المعارف فالكلام يجري جرياً خفيفاً دون تكلّف، كما أنّ بيني وبين ابن لغتنا تكون أبواب النّفس مشرّعة بين الطّرفين ذلك أنّ الشّخص عندما يتكلّم بلغته الأمّ يكون صادراً عن صميم أناه، ويكون هو في صفاء ذاته. ويمكن التركيز على أهمية اللغة الأمّ باعتبارها تتدفق من متلاغيها اندفاقاً، فلا يمكن أن تكون مثل اللغة الأجنبية حتى لو أتقنها المتعلّم إتقاناً فتكون شخصيته مفتعلة؛ لأنّه حصّلها بالدراسة فقط، أما اللغة الأمّ فجاءت دون ترويض فهي عفوية متدفّقة، وهي صورة عفوية للوعي الجمعي، وهي تلك اللغة التي يفكّر بها ويهرع لاستعمالها أثناء الخوف، ويتعامل بها في الحميميات والتي ازدوجت بها شخصية الإنسان، فأصبحت توأمه، وبقية ما أجاده من لغات لا تعدو أن تكون محفوظات يعود إليها عند الحاجة. وعندما يتكلّف الكلام بلغة غريبة عنه يكون كمن خرج من ذاته، وتلمّس وجهاً آخر أو شاب ذاته الصّائبة بعض العكر. أضف إلى ذلك أنّ الشّعب الذي يتكلّم لغته يغدو Homogène وإذا تكلّم لغة غيره يصبح Hétérogène

أو Disparate؛ لأنّ اللغة هي نفسها الإنسان والوطن والأمّة والكيان وهي الحضارة التي تكمل مسيرة السلف. ولهذا، فمفهوم لغة الأمّ غير محدّد في اللغة الشفاهية أو اللغة التاريخية، بل في اللغة الوظيفية الرسمية والتواصلية والتي يقع بها الإبداع. ومن هنا، نربط لغة الأمّ بتلك اللغات الستّ المقرّرة لغات الأمم المتحدة وهي لغات التواصل الدولي، ويحصل الاحتفاء بها مرّتين: مرّة تحتفي كلّ اللغات الستّ في اليوم المشترك الموافق 21 فبراير، ومرّة تحتفي كلّ لغة أممية بيومها الخاصّ: يوم 20 مارس للغة الفرنسية بيوم الفرنكفونية ويوم 20 أفريل للغة الصينية تكريماً لمخترع تلك الحروف التي تحمل رسم الصينية (سانغ جيه) ويوم 23 أفريل للروسية تمجيداً بميلاد شاعرها الكبير ألكسندر بوشكين، ويوم 12 أكتوبر ذكرى يوم الثقافة الإسپانية ويوم 18 ديسمبر تكريماً لذلك اليوم الذي أصبحت فيه العربية لغة رسمية أممية. فاللغة الأمّ هي اللغة الرسمية في بلدها وفي الأمم المتّحدة أيّها الباحثون وبذا تكون العربية **لغة دولية ولغة أمّ**. فهل من المعقول أنّ الأمم المتّحدة تدعو إلى تخصيص أكثر من 6000 لغة ليكون لها يوم خاصّ باعتبارها لغات أمّ، علماً أنّ هناك (100) لغة فقط هي التي لها شأن في العالم وفي التواصل وفي التعليم. وهذه اللغات ألـ (100) سوف تتقلّص إلى الحدّ الأدنى جِداً جِداً في حدود سنة 2050، بل إنّ بعضهم يُحدّدها في أربع (4) لغات والبعض في لغات الأمم المتّحدة الستّ (6) والباقي يدخل في التاريخ، إذا نرجو الحذرَ في استعمال كلمة (اللغة الأمّ) بالمفهوم الغَلَط.

4 ـ مسألة الدارجة: كلمة حقّ في غير محلّها، فما هي الدارجة المطلوبة؟ ونعلم بأنّ في كلّ حيّ عندنا دوارج، علماً أنّ الدارجة القريبة للفصحى ثابتة وموجودة في أسلوبها البسيط، وفي اختلاسها عن الأصل وفي مستوى أُنْسِها. علماً أنّه لا توجد لغةٌ في العالم ليس لها المستوى العلمي المُتأدّب، وهو الفصحى في العربية (مستوى الخطاب العالي+ خطاب الانقباض) والمستوى الثاني الأدنى (مستوى خطاب الأُنس) وهو المستوى الدارج البسيط عندنا، ويوجد هذا في أسلوب التواصل وحتى على مستوى القراءات القرآنية، بل في خِطابات النّحاة في عصر التدوين. أيخطرُ على

بالِ أحدٍ أنّ صاحبَ الكتاب (سيبويه) كان يستعمل المستوى العلمي الرفيع في تواصله مع اللغويين ومع زملائه وطلابه، كلاًّ، وهذا لم يثبتْ عنه. ثمّ من الضروري أن يفرّق المتحدّث بين الخطابات حسب المقام، والحال ومقتضى الحال، والمتحدّث إليه، وهذه سنّة كلّ اللغات. وقد سألتُ فرنسياً وأنا في قلب باريس: Ou se trouve la Bastille?، فأجابني: ché pas، بدلَ أن يقول: Je ne sais pas إذاً مسألة المستويات اللغوية ثابتةٌ في كلّ اللغات، والناس تميل إلى مستوى الأُنس ليس تَخلّياً عن المستوى العالي بل لدواعي السرعة والحَذْر والإشمام ومقتضى الحال استدعى التفريق بين المستويين واستعمال الأخفّ. ثمّ هل لغة المخترع أو الأديب هي لغة ابن السوق، والإنسان العادي؟ كلاً لكلّله مستوى لغوي ينتهجه. ألا يخطر ببالنا لماذا كلّ اللغات سُميت بلُغوي أو بمسرحي أو بفنّان، ولم تنسب إلى صاحب السوق أو حِرْفة ساقطة، أو إلى عالم ذرة، أو ميكانيكي، أو صاحب مخترع الطائرة النفّاثة؟ لأنّ اللغةَ في أصلها أسلوب ونمط عيش، وفي ذاتها تحمل ثقافة أُمّة، وحضارة مجتمع. ولهذا نجدها تُنسب إلى المُبدعين في المجال الأدبي: لغة ڤولتير+ لغة شكسبير+ لغة گوتة + لغة الڤيدا+ لغة سيبويه+ لغة سي أمحند أومحند+ لغة سينج+ لغة بوشكين... ولغات تنسب إلى الدين الذي تحمله: لغة الڤيدا+ لغة القرآن+ لغة التلمود. وظهرت بعض الألقاب المعاصرة التي تحمل مضامين ذات اللغة من مثل: لغة العلم+ لغة الشعر+ لغة الكهنوت+ لغة المنطق...

5 ـ **العربية لغة قديمة:** إنّ العربية قُدْمى قديمة، وهذا ما أكسبَها العلمَ والحضارةَ، فقام فيها فكرُ الإنسان العربي أولاً، ثمّ فكرُ الإنسان في عمومه ثانياً؛ لأنّ العربية خَدَمَتْها الحضارةُ الإنسانيةُ. قام فيها الفكرُ الإنساني يسجّل حصائلَه وينقل موارد المعرفة من جيل إلى جيل، وبكثير من اللغات، وذلك النقل صنعَ تراثاً إنسانياً ضخماً حملَه الحرفُ العربي في المقام الأوّل، وأدّت مضامينَه –بشكل لا مثيل له–بعضُ اللغات الأُخَر وهذا من مفاخر لغة العرب؛ حيث تضخّمَ التراثُ العربي الإسلامي بصدق الدلالة في ضبط علاقة الفكر بالمجتمعات العربية وغير العربية، وسجّل مختلف التقلّبات في المسيرة الطويلة بين المتناقضات بين الدقّة

والصرامة وعُمق الرؤية. إنّها العربية الفصحى اللغة التي استوعبت عقيدةَ الإسلام تأمّلاً ونظراً واعتباراً، ونقلت الإنسانَ العالمي بما تفتّحَ لها من أفق مَعْرفي عامّ من شظف حياة العربي البسيطة إلى عمق فكره الحرّ المُنفتح المُتفاعل أخــذاً وعطــاءً وما كان ليتسنّى ذلك لو لم تكن العربيةُ الفصحى لغةً حيّةً ومتطوّرةً ومتفاعلةً مــع محيطها، ومستفيدةً من الآخر في غير ما ضُعف، ومستوعبةً للجديد دون التفــريط في خصائصها. والآن يدعوننا إلى التخلّي عن العربية الفصحى؛ هذا الكنز الكبيــر وإلى اتّخاذ لغة العوام، على أنّها أحسن لسان أليس هذا من العار والشنار؟ وتقولون هذا من المنار. فهلاً فكّرتم في ما هو من المزاد لا الانتكاسة والعودة إلى ما كــان من المُراد، ولم يتحقّق ذاتَ زمان فحملتم الدعوةَ دون بُرهان، ويا ليتكم بحثتم فــي المُفيد وصولاً إلى غاية تستزيد. ويا ليتكم عملتم على إحياء العربية من داخلهــا، لا برَصْف كلمات نقدٍ وتجريحٍ من صنُع الآخر، وهي كلمات تعمل على التعطيل ليس إلاّ، أمّا ليس لدينا الوقت لمزيد من التأخير، فمتى نلحق الركب بهذه المَطبّات التــي تعمل على التأخير.

واعجباً، نطعن في الفصحى العتيدة، هذا الحصن الذي بقيَ واقفاً في بحر العولمة الجارف، بعدما رأينا الخرْقَ يتّسع على الراقع، من تدنّي الهِمم، واحتقار الذات، حيث كنّا ننظر إلى اللغة على أنّها وسيلة للتواصل لا غير وننسى أنّ اللغة مفتاحٌ لإصــلاح عقولنا، ومادةٌ لنخبة أفكارنا، وإكسيرٌ لإشباع حاجاتنا، وانتمــاءٌ اجتمــاعي، وليســت مُجرّد أداة للاتّصال، وإنّها وجهة نظر الناطقين بها في طريقة إدراك العالم، ووضــع مُتصوّراتهم الذهنية، فاللغة الفصحى تحمل قيَمهم الخصوصية والاجتماعية والثقافيــة. وهكذا يقولون: تخلّوا عن فصاحة العربية تكونوا متقدّمين بلغة الــدهماء والغوغــاء يريدوننا أن نتخلّى عن فصاحتها التي أبهرت اللغات، وعن سرّ بقائهــا حيّــة وعــن جمالها وعلمها وأسرارها لتحصل القطيعة والتحنيط، فهل هذا من النصــيحة أم مــن الخديعة؟ يدعوننا إلى التخلّي عن العربية التي تحمل القرآن وهو أسمى كتاب سماوي والذي جعلها ترتقي، ولم تكن شيئاً، حتى رفع سُمْكَها وزاد من متانتها، وهي تكبر به وفيه، لما يحمل من أساليب لا مثيل لها في كلّ اللغات.

6 ــ **العربية الفصحى بفصاحة القرآن:** كثير من الذين يجهون بأنّ المتحكّم في اللغة لا يخلو ثقله من حمولة القرآن، وهذا ما أثبتته الأبحاث التي قمنا بها مع طلابنا ومع تلك الأطاريح التي أنجزناها، فقد أثبتت بأنّ الحافظين أو الحاملين للقرآن، أو الذين انتموا إلى الكُتّاب هم المُتفوّقون في التحصيل وفي كلّ العلوم وينبئنا هذا بما نراه في قائمة المتسابقين في مختلف المسابقات، فهم يتصدّرون. ولهذا فالعهدة في هذا أن يقع الاهتمامُ بالتحصيل القرآني في بعض أبعاده، ولا يعني الدعوة إلى حفظ أحزابه، بل إلى الاهتمام بأساليبه؛ على أن تكون شواهد في الكتاب المدرسي، وأن تكون بعض الأجزاء من المحفوظ الذي يرقي لغة التلميذ/ الطالب. وما نقوله ليس بدعةً في المجال، ويكفينا الحال بأنّ متصدّري المسابقات وطنياً ودولياً هم حَفَظَة القرآن أو بعض أجزائه كما أنّ المتألّقين في البكالوريا كلّهم من الحَفَظَة للقرآن أو لبعض أجزاء القرآن. ولكن هذا الأمر يَعْتَوِره بعض النقص في التوجيه الإعدادي وفي البكالوريا، فنحن نوجّه التلاميذ/ الطلاب المتفوّقين إلى المواد العلمية، ونشترط أعلى العلامات، ونوجّه الحاصلين على العلامات الدنيا إلى الآداب أو الحقوق أو علم النفس، فتلك ليست من العدالة اللغوية ولا المعرفية بل تحمل في ذاتها تحقير هذه المواد، كما تغرس في نفسية المتوجّهين إليها سقط المادة التي اختارها أو وُجّه إليها. فإذا أردنا للعربية مكاناً أن يقع توجيه المتفوّقين ونشترط العلامات العليا ومن ثمّ تأتي النوعية، وعند ذلك لا نشتكي الفقر اللغوي في العربية.

7 ــ **مهلكة العربية:** صحيح إنّ هذا الكلام ما كان ليُقال لو أنّ أصحاب العربية في وقتنا الراهن عملوا على تخيّر النصوص المانعة التي تخلب الألبابَ وعملوا على وضع دعائم المناخ اللغوي السليم الذي يمكن للفصحى أن تكون لغةَ الفكر التي تُوَلِّد الأعمالَ الخالدةَ كما حصل في سالف الزمان. ولكنّ الأمر المُبكي لمهلكة العربية أنّه قبِلنا ببعض السلوكات اللغوية والنصوص العلمية والأدبية التي بزُل فيها الفساد، وتركناها على عواهنها دون علاج، وقبلنا بالقول الفاسد "**الخطأ المشهور أفضل من الصواب المهجور**". ونرى القومَ يغمسون ألفاظاً شُعْثا غبْراً ويعتثلون أساليب الفساد اللغوي غير المفهومة، ولم يعد للحذاقة والفصاحة وجود فنرى

العربية في مأزق المهلكة تصيح من التحنيط، ومن قلّة الاستعمال، وهذا لا يــذهب بها بعيداً؛ بل يزيدها تقهقراً. وإنّنا ندري وندري أنّنا ندري؛ بأنّ **الخطــأ المشــهور ليس أفضل من صواب مهجور**، حيث اللغةُ بنت الأمّة وعنوانها وآخــرة أوامرهــا وطبعها الخاصّ؛ فالخطأ المشهور غلط لا بدّ من تصويبه أو ردّه إلى منوالــه ولا ينبغي أن نضع على أعيننا عُصاباً يعمش عمىّ يُحال للفصحى في السرّ وفي العلن من أبناء جلدتنا؛ حتى يصبح الخطأ عادةً في الطباع. ولكن البعض قد يعذر، حيــث لم نستذرع آفات المعاجم لتمييز الكلام الفصيح عن الكلام الرغوة في ما نتفوّه بــه من الأساليب التي بَزُل فيها الفساد، بقدر ما قبِلنا العجمةَ فــي شــوارعنا وقنواتنــا ومحلاتنا وفي مدارسنا كما قمشنا بعض أساليب العربية من مصانع اللغات الأجنبية فطارت الفصحى، واختلط الكلام الفصيح بغير الفصيح ولم نعمل بمقولة من يقول: "من أراد الفصحى وسعَى سعْيَها فليرجعْ إلى تلك الحصائد الجميلــة ويرتــع فــي رياضها الزفرة، كما رتعَ الأوائلُ الذين يتخيّرون الأماكن التي تتنزّل فيها كلّ لفظة مع ضريبها، لكلّ عبارة مع لفقها". طارت الفصحى لأنّنا لم نعتمد الصوابَ اللغويَ من خلال لغة القرآن الذي ألبس العربيةَ أبهى حلّة وصانها من العبث وصفاها من الأكدار، وحفِظها من الهجر، ولذا فارتباطها به حتمٌ لازمٌ. ولا بدّ من توجيه الكلام للمُبدعين فأين تلك الأقلام المُضيفة على هَدْي السلف؟ أقلام تقول: أنا العربيــةُ ولا فخر أين من يُعيد للعربية قبّعتها العالية كما قال ڤيكتور هوجو: "أنــا الــذي ألــبس الأدبَ الفرنسيَ القبعةَ الحمراء". نريد مُبدعين مُنتجين يَنْحوْن أو يواصلون مســيرة الكبار الذين يعملون من أجل لغاتهم دون احتقار بامتلاك الفصحى صــحيحة فــي معاييرها وهي المنوال ولا يكون بالدوارج التي لا تنتقل من جيل إلى جيــل ولــو بسلطان. اللغة تنتقل بالصفاء اللغوي، وباللغة الأدبية كما قال (جــون غرومــان): "أحاول أن تكون لغتي فرنسية خالصة مُصفاة، هناك شيء شغلني باستمرار هو: ما هي المعاني والظلال التي تعبّر عنها مختلف التراكيب اللغوية؟ فأنا أعمــل علــى إدراك عبقرية اللغة الفرنسية والبنية الذهنية لهذه اللغة، وليســت الفرنســية إذا مــا أقصينا لغات أهل الجنوب وأصحاب الأقدام السوداء ولغات كلّ المتعلّمــين الــذين

درسوا اللاتينية في المدارس وأولئك الذين درسوا الانجليزية واستعمالات الذين درسوا الفلسفة الألمانية، وأيضاً مستعملي اللغة العامية المسماة (largo لارغو) لغة الشارع... وإذا أقصينا كلّ هذه اللغات وجدنا الفرنسية".

8 ـ **احذروا الهجينَ اللغوي**: يؤكّد الراسخون في العلم بأسرار العربية إذا بدأ الهجين فَشَا، وإذا شاعَ انتشرَ في جسم اللغة انتشارَ النار في البترول، فلا يبقى لها من الصفاء والنصاعة إلاّ ما يُبقيه الوشم في ظاهر اليد. وإنّ الهجين اللغوي ينقل العربيةَ إلى أرض يباب لا تنتج أكلَها كلّ حين. وكما يمسّ الأمر الدارجة فهي ناقصة، ولا يمكن أن تكون مُبلِّغةً وواضحةً وعلميةً بقدر ما تحمل في متنها من ضعف وقلّة حيلة ونُدرة في الأساليب، فلا هي تحمل المعنى المُعبّر، ولا تستطيع التعبير عن الجانب الأدبي أو العلمي فلا خيرَ في لغة لا يدلّ فيها الكلام على المعنى كما قال الجاحظ "لا خير في كلام لا يدلّ على معناها، ولا يشير إلى مغزاها ولا إلى الصمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزلت".

9 ـ **تمسّكوا بالفصحى**: وأحسنُ مبدأ في التمسّك بالفصحى هو قرعُ الاجتهاد لإبادة الفساد اللغوي، وسدّ الثقوب والهنات؛ لأنّ المأساةَ تبدأ من مُستصغر الأمور فعلينا رمي الحجر في بركة اللحن لعلّه يعود إلى الصواب، وإنّ تلك الأحجار كما تُرمى في البركة تتّسع دائرتها على الدوام؛ فتأخذ حجمها في كلّ زمان. وسيكون ذلك هو الرأي الراجح القارح الذي يستعيب هذا الصدع، فلا خير في كلام يُزجيه قائلُه قضيباً عارياً عن الحسّ اللغوي، لا ترى فيها عِوجاً ولا نبْواً. وإنّه ليس من باب التذكير بأنّ العربية لغةٌ حملت عِراس الألفاظ الأبكار والتي أخرست بدائعَ العبارات التي جعلت الخزامى في أنف كلّ عربي مُفوَّهاً بليغاً عارفاً بأسرار البلاغة، وفي تنضيد الألفاظ، وهي لغة مُرصّعة مُتتابعة كما رصّعت حبات الجلبان في سنيفها ورأسها الطباع، وعمودها السماع. العربية لغة بزّت كلّ اللغات وتدنصرت وبقيت صامدة رغم الكثير من الهزّات ألا يوجد ما يعضدها ويدفع بها إلى الأمام؟ ونحن أباعدُ عنها، والغرباء يعشقونها وتقول فيها المستشرقة الألمانية (زيغرد هونكه): "كيف يستطيع الإنسانُ أن يُقاومَ جمالَ هذه اللغة ومنطقها السليم

وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صَرْعَى سحر تلك اللغة..." وقال المستشرق الألماني (أوجست فيشر): "وإذا أستثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحقّ له الفخر بوفرة كتب علوم لغته غير العرب". وقال (كارل بروكلمان): "بلغت العربيةُ بفضل القرآن من الاتّساع، مدىً لا تكاد تعرفه أيّة لغة أخرى من لغات الدنيا. وقال الفرنسي (وليام مرسيه): "العبارة العربية كالعود إذا نقرت على أحد أوتاره رنّت لديك جميعُ الأوتار وخفقت، ثم تُحَرِّك اللغة في أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر مَوْكباً من العواطف والصوَر". وقال الفرنسي (لويس ماسينيون): "اللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي والعربية من أنقى اللغات، فقد تفرّدت في طرائق التعبير العلمي والفنّي". وإنّ هؤلاء قالوا هذا الكلام لأنّهم أدركوا بحصافة ألبابهم أنّ **العربية الفصحى لا بديل لها**، فهي الجامعة التي يعلو شأنها. ولا تكون الدوارج بديلاً عن الفصحى، فالدارجة ضعيفة هزيلة، لا يمكن أن تعبّر عن العلم، وعن الدقّة وعن الإبداع، فهي لغة دارجة عرجاء لا تلبس لبوس الإنتاج والرقي الذي يوجد في الفصحى، وفي المستوى المتأدب أو العلمي الموجود في كلّ لغات العالم.

لا بديل عن الفصحى؛ لأنّ الفصيح من الكلام هو "... ما وافق لغة العرب، ولم يخرج عما عليه أهل الأدب ولتصحيح ذلك وُضِع النحْو، ولجمعه وُضعت الكتبُ في اللغة، وذُكِر المستعملُ منها، والشاذ والمهمل، وحقَّ من نشأ في العرب أن يستعمل الاقتداء بلغتهم، ولا يخرج عن جملة ألفاظهم، ولا يقنع من نفسه لمخالفتهم فيخطّئونه ويلحنوه، واللّحن ما خالف اللّغة العربية، وخرج عن استعمال أهلها، وما بنى عليه إعرابها، وهو مصعب عند الأدباء في الجملة، وعلى من يأخذ نفسه بالإعراب، ويتكلّم بالغريب من لغة الإعراب أعيب، ويروى أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يضرب على اللحن. "فأما العرب فإذ لحن الواحد منهم...

سقطت عند أهل اللغة منزلته ودفعت ورفضت لغته"[1]. بالفعل فإنّ عسل الاستعمال يكمن في الفصحى وبالفصحى نُطرّس معالي الكلام؛ رغبــة فــي بلــوغ الكمــال والجمال. حتى إنّ بعض العرب يُوصون أبناءَهم قائلين: "يا بنيَ أصلحوا ألســنتَكم فإنّ الرجلَ تنوبه الثانيةُ فيتجمّل فيها، فيستعير من جيرانه دابة، ولكن لا يجد مــن يعيره لسانَه.

10 ــ ما هي وصفة ازدهار العربية الفصحى؟ تفرضُ العربيةُ وجودَها بقــوّة متكلّميها وإرادتهم الصادقة في استعمالها، وبعث الحياة فيها من جديد، قد يكون ذلك صعباً في البداية، ولكن علينا أن نبدأ، فالطريق تصنعه الأقدام، ويبدأ طريق الحماية في الاعتزاز بها واستعمالها، والاعتزاز يبدأ من حسن التوجيه، ومن اختيار الكفــأة من النجباء، ويقع اشتراط الشروط التي نطلبها في المواد العلمية. علماً أنّ الاهتمام في المراحل القاعدية يقع على: **اللغة + الرياضيات،** فقط. ولماذا؟ لأنّ التلميذ فــي هذه المرحلة يحتاج إلى منطق يفهم بها الأشياء بالتعليل لا بالنقل دون الــوعي، ولا يوجد المنطق إلاّ في اللغة والرياضيات. وفي المراحل اللاحقــة تتوسّــع المــوادُ الإضافية أو المُكمّلة، والتي يحتاجها المُتعلّم، ولكن يكون قد استوعبَ المنطقَ فــي فهمها ويسهل بعد ذلك التواصل مع كلّ المواد. وحريٌ بنا الاهتمام بالمــادتين فــي توجيه تلاميذنا بدءاً من المرحلة الأولى، ويعني هذا أنّ مُعدّل المادتين يكون أعلــى المُعدّلات، هذا في المقام الأوّل، وفي المقام الثاني لا نركنُ إلى الاهتمام باللغة دون التمسّك بمحورية القراءة، وتخيّر ما نقرأ، وانتقاء الأفضل من النصوص والبدايــة من النصوص القديمة التي هي عُمدة الكلام؛ لأنّ اللغة العربية بخصوصياتها هــي الكلام القديم الذي يعود إلى مُدوّنة العصر الجاهلي، وما تلاه من عصور الفصاحة. ولا نعدم النصوص الحديثة، بل هي مُكمّلة للنصوص الفصيحة، شــرط أن تكــون فصيحة وفي مُستواها العالي. وفي كلّ هذا نرى مِحورية تخيُّر نصــوص القــراءة

[1]– قدامة به جعفر، نقد الشعر. بيروت، 1982، دار الكتب العلمية، ص 142 – 143.

التي تُربّي الملكةَ اللسانيةَ، ويعني هذا مِحورية القراءة في كــلّ إصــلاح تربــوي نرومه، فنسعى سعْيَنا في أثناء إعداد البرامج التعليمية إلى تأمين الأجواء والبيانات التعليمية التي تُدرك مِحوريةَ إصلاح تربوي تعليمي يقــرّر اصــطناع المعــارف الضرورية لتضميد عجينِ الثقافة العربية وبناءِ صرحٍ لغويٍ مَرصوصٍ لا يتوصّلُه أيّ مُتزيّد مُرتاب عن طريق تلك النصوص المُتخيِّرة التي تُضيف ولا تُنيف. علينا الاستهداءَ بالطرائق التعليمية الناجحة التي تُرشدنا إلى كيفية الحفاظ علــى صــيانة **لغتنا الفصحى**، وأن نسيرَ على مناهج علمائنا الذين أُوتُوا الكلمةَ وفصلَ الخطــاب وعلى خِبْرة الخبراء المَهَرَة الذين حوَّلوا وجهاتِهم للتقنية الرقميــة لا تنــدّ عــنهم صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلاّ أحاطوا بها علماً، وذلك ما يجــب تشــجيعهم والشــدّ علــى عضدهم لمزيد من علمية العربية، دون إغفال أفكار فقهاء اللغــة الــذين أيقظــوا أوطابَ الفصحى، فنستفيد من منتوجهم والذين يضيفون عليهــا ســهولة فهمهــا أو اختراع مناهج توظيفها، نعمل على تطوير مناهجهم. وعلينا أن نكثر من النــدوات العلمية والملتقيات الفكرية، ومن تأسيس المجامع اللغوية والمؤسّســات الترجميــة وأن نجعل العربية تستفيد من شعرائها المُفلّقين، ومن خطبائهــا المُفــوّهين ومــن أساتذتها المُبرّزين، ومن صحافييها اللوْذَعيين ومــن حِرْفييهــا المــاهرين، ومــن مُهندسيها الحاذقين، وعلينا العملَ بالمشاريع الجماعية، بدلَ الركــون إلــى جهــود الآحاد، وأن تتولّى المؤسّساتُ العلميةُ واللغوية استعمالَ قوّةِ القــانون فــي تطبيــق العربية تعليماً وتعلّماً واستعمالاً. وكل هذا لا يمكــن أن يكــون ذا جــدوى إلاّ إذا استحكمَ فينا التخطيطُ المرحلي المَبني على: التقويم ثمّ التقيــيم، ويكــون مَتْبُوعــاً بالثواب/ العقاب.

ـــ **خاتمة:** الآن وَصلْنا إلى حرف النهاية، وحطّ الزورق شراعَه، ولم يبقَ عنــدي ما أقول، فقد تعب الكلامُ من الكلام. وما قلتُه كلام بسيط ولكنّه آني معيش، وأعتبــره من شعاع شمس المعرفة باللغة العربية، وأرجو أنّني أصبتُ كبدَ الظبيِ في ما أومأتُ إليه من مَعلومات؛ وقد اجتلبتُها من معادنها الأصلية واحتطبتُها من الحُــذاقين الــذين مَخضوا أوطاب الفصحى، ومَخّروا عُباب الأولين وهذا عُربون حبّي للدفاع عن هذه

اللغة التي أراها تعلّق عليها المُضايقات، وترمى بالتَرْك، ونشدان غيرها من الأجنبيات، ونتناسى أنّه **ما افتخرت أمّة إلاّ بلغتها وما تقدّمت أمّة في العالم بغير لغاتها**. ألم يقل مصطفى صادق الرافعي في كتابه وحي القلم: "ما ذَلّت لغةُ شعبٍ إلا ذلّ ولا انحطَّت إلا كان أمرُهُ في ذهابٍ وإدبار. ومن هذا يفرِضُ الأجنبيُّ المُستعمرُ لغته فرضاً على الأمةِ المُستعمَرَة، ويركبهم بها ويُشعِرهم عَظَمَته فيها ويَستَلحِقُهُم من ناحيتها فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثةً في عملٍ واحدٍ: أمّا الأوّلُ: فحبْسُ لغتهم في لغتِهِ سِجناً مُؤبّداً. وأمّا الثاني: فالحكمُ على ماضيهم بالقتل مَحْواً ونِسْياناً. وأمّا الثالث: فتقييدُ مستقبلهم في الأغلالِ التي صنَعَها، فأمرُهم من بعدِها لأمرهِ تَبَع".

فهل نقبل بأن نضيعَ؟ ألا يأتي يوم يُقال عنّا: ابْكوا على لغتكم كالأمّهات، فلم تكونوا رجالاً لتحافظوا عليها. ويلٌ لذلك اليوم الذي تصيح فيه الناس: وامُصيبتاه من جيل تركَ لغتَه! والتجأ إلى لغة ليست لغتَه وهي لا تقبله حتى لو أبدعَ فيها وعمل على ترقيتها فيبقى منفياً فيها، ويتأسّف ذات زمان ويكون قد فاته الوقت ويقول: ليتني قدّمتُ جهدي في ترقية مواطنتي اللغوية، ولا يسجّل علَيَ التاريخ أنّني أنكرتُ تاريخي وهُويتي. وهكذا نقول: **ويلٌ لجيلٍ يستبدل الذي هو أعلى بالذي هو أدنى.**

المثقّف وخدمة الشّأن العامّ

ــ **مقدّمة:** لقد اخترنا الكتابة في هذا الموضوع بغية القول بأنّ المثقّف في معناه المجتمعي، هو خادم النّاس؛ باعتباره منتجَ الأفكار، وموجّه الأنظار، وتعدّه النّاس من الأخيار، أضف إلى ذلك أنّه يعمل على تقديم المبادرات ومكانته بين العامّة في المفضليات، ومعروف أنّه يُؤثّر في غيره في كلّ الوضعيّات. ذلك هو المثقّف الذي ينال الإجماع، عندما ينشد العدالة والحريّة بلا قناع، وله بصمةُ البقاء في خدمة النّاس فهو سيّدهم في كلّ بأس؛ سيّدهم باعتباره ابن بيئتهم ولسان حالهم يشعر بما يفرحون ويتضايق ممّا أصابهم، ويُدافع عن رفْع الضّيم عنهم. وأمّا الشّأن العامّ فنقصد به كلّ مصلحة أو خدمة أو عمل يُفيد الغير، أو كلّ عمل للجماعة أو للوطن فهو يدخل في الشأن العامّ؛ فالمثقّف الذي يُنير الرّأيَ العامّ بما يُنتجه من أفكار فإنّه يخدم الشأنَ العامّ وكذا من يعمل على حماية البيئة فإنّه يخدم الشأنَ العامّ، ومن يقوم على حماية المستهلك فهو يقدّم خدمات للشّأنِ العامّ، ومن يدافع ضدّ التّصحّر، وكذا من يعمل على التنوير... فكلّهم يعملون من أجل الشّأنِ العامّ. فالشّأن العامّ مصلحة جماعية يقتضيها المجتمع ويقوم بعضهم –كفاية– على خدمتها أو تأديتها أو حمايتها في إطار وظيفيّ وقانونيّ تتطلّبها الجماعة وواقع الحال. وأما العلاقة بين المثقّف والشأن العام فيتمثّل ظهورها في **المثقّف العضويّ**؛ أي ذلك المثقّف المندمج في مجتمعه ضمن التزامات المثقّف الفكرية، ويسمّيها (محمد عابد الجابري) بـ "التزامات المثقّف بقضايا الفكر والشّأن العامّ". فالفائدة من وراء هذا؛ كيف يكون المثقّف العضوي وفيّاً لمقتضيات مجتمعه فما الفائدة من المثقّف إذا لم يشمّ همومَ المجتمع وينقل معاناتهم ويعبّر عنها، فالقُرب من المجتمع حالةٌ واقعيةٌ ومسؤوليةٌ أخلاقية. ولذا فإنّ مقتضياتِ الحال تستدعي من هذا المُثقّف أن يكون فاعلاً في مشاريع التّطوير التي يحتاجها مجتمعُه، ويكون صوتاً لهم للتعبير عن

همومهم؛ لأنّ المثقّف –في الحقيقة– فاعلٌ اجتماعي عليه أن يدسّ أنفَه في الشّأن العامّ، ويحاولَ التأثيرَ في وعْي المجتمع، ويحملَ هموم الآخرين ويحاولَ التأثيرَ في المجتمع وفي السّلطة وفي أجهزة المنظّمات المدنية؛ مستثمراً وسائطَ الإعلام ومؤسّسات المجتمع والحال هذه تدعو المثقّف أن يكون كالواعظ ينزل إلى المَحال العموميّة، ويتكلّم للنّاس وينصح لهم.

1ـ المثقّف: شخصٌ يحمل ثقافةً تختلف عن ثقافة الآخرين، فهو ليس من العَوامّ ولا من الدهماء والغوغاء ولكنّه رجلُ صاحب حياةٍ غيرِ عاديّة؛ والحياةُ غيرِ العاديّة حركةٌ واستمرارٌ وتواصلٌ، وهذا التّواصل عند المثقّف يتمّ على بُعدين: **بُعدُ** التّواصل مع الآخر لنقل المعرفة إليه، و**بُعدُ** نقل المعرفة منه، فيكون عند ذلك المثقّف هو المتّصل بالمعرفة التي تفعل فعلَ الخميرة. ومن هنا فمثقّف الشّأن العامّ ينماز عن المثقّفين الآخرين؛ بأنّه يُسهِم في تنوير النّاس بقضاياهم، ويكشف عن النّقائص وينخرط في حركة المستقبل. فأتصوّره قائدَ نهضةٍ، وزعيماً تثويرياً يُمارس عمليةَ الاتّصال مع الجماهير عن طريق التّعبير عن همومهم. فمثقّف الشّأن العامّ ملتزم ومبدع يكتب للنّاس عن النّاس، ويعمل على تجسير العلاقة بينه وبين السّياسيّ بما يخدم المصلحةَ المشتركة، وينخرط في المهام الرّئيسة التي كان يجب أن يكون فيها مثلما كان مثقفو الشّعوب المتقدّمة في قلب الثّورات والتحوّلات السّياسية: سارتر/ غاندي/ فيخته/ مالرو/ غيفارا... فنزل مثقّفوها ومبدعوها من بروجهم ومن فردانياتهم، وعاشوا الأحداث وشاركوا في التّغيّير؛ فنالوا الاستحقاقَ والأوسمة، فخُلّدت أسماؤُهم لأنّهم خلّدوا شعوبَهم.

2ـ المثقّف والشّأن العامّ: وكما قلنا، فإنّ مثقّف الشّأن العامّ يعمل على التّغيّير ويتحمّل مسؤوليات عمليّة وأخلاقيّة لمواجهة المجتمع بكلّ ما يحمل من تناقضات وله دوره في البناء وفي الممارسات الحقيقة لكلّ أشكال التّواصل البينيّ، بما تحمل الممارسات من برامج لتحصين ثقافته وأمنه الثقافيّ، وفي ذات الوقت يكشف عن غياب الدّيمقراطيّة، وعدم وجود المؤسّسات، وعن تصرّفات الحاكم التّسلّطية وممارسات أهل النّفوذ. ذلك هو المثقّف المجتمعي بامتياز، وتتمّ تصرّفاته هذه عن

الغيرة الوطنيّة، فهو مثقّف يتفاعل ولا يذوب، يتميّز ويُضيف، يُصارع من أجل البقاء على أرضه. ذلك المثقّف الذي نسميه (مثقّف الشّأن العامّ) مثقّف جماهيري غير مُتعالٍ؛ ينظر إلى علاقاته مع الناس كمن ينظر إلى أفراد بيته، متفانٍ في إنكار الذات خدمةً للمصلحة الوطنية، مثقّف يجمع إلى المعرفة حُسن الطويّة وبساطة القوّة. لا نتصوّر أن يكون هذا المثقّف معصوماً، بل ننظر إليه من زاوية عملية أقرب ما تكون إلى ملامسة الواقع بموضوعيّة، مثقّف يتخلّى عن التّنظير، وأنموذج العصر ويكون مليئاً بالمعلومات، وله إرادة ومقوّمات شخصية قادرة على الإدارة وتحمّل المسؤوليّة.

3ــ **وَهْمُ المثقّف العربي:** علينا الإقرار بأنّ الكثير من المثقّفين العرب لم يخرجوا بعدُ من أوهامهم فلا يزالون في وَحْل السّقوط والتّراجع، كما لم يَعُوا آليات القرن الحاديّ والعشرين، وبَقَوْا يعيشون في الأحلام التي تلدها أوهامُهم الورديّة وبذلك انقطعوا عن الواقع؛ لأنّهم لم يحملوا همومَه. نعم لقد بقيَ مثقّفونا يقيسون الحاضر على الماضي ويُردّدون سؤال النّهضة الملتويّ تحت مُكوّنات اللّغة والوعيّ والتّاريخ والنّهضة والإصلاح والتزام الدّين، وهو سؤال قديم كان مثقفو السّبعينات يرفعونه ويستشهدون بقرون التّنوير الأولى، فبقَوْا كذلك يعيشون طيْف فكرٍ قديم، على أنّ النّهضة ستعود ذات يوم إذا امتثلنا تلك الأيام. أليس من الأجدر بنا قبل أن نندب حظّنا العاثر، أن ندعَ الماضيّ الزّاهر، وننقل ثقافتنا من مرحلة الماضيّ ومن الارتهال الحاليّ إلى مرحلة الحاضر والممارسة الفعليّة؟ ونعمل على تقديم التضحيات كي نحسّ أنّنا مواطنون لا أرقاماً، ولنا مسؤوليات تجاه هذا المجتمع. ليرفع المثقّف العربي هاجس النّهوض ضمن سياق العصر وفي إطار نهضة إبداعيّة وخصوصيّة معادلة وجامعة للأبعاد الحضاريّة والفكريّة والجغرافيّة وهذا بجرّة قلم مُنبّهة تشبه الصعقة المُذهِبة لكلّ ذهول، أليس المثقّف مُبدعاً؟ ويملك الرأسمال الرّمزيّ، وعن طريقهما يعمل على تقديم ثقافة وحضارة ولا فرقَ بين الثّقافة والحضارة باعتبار أنّ الثّقافة ترسم مكانة الأمّة وقيمَها الحقيقية والحضارة وهي معالم التّواصل والبناء في إطار المشاركة الإنسانيّة. أليس من مهام المثقّف أو

النّخبة العربيّة إبراز النّشاط الثّقافيّ الذي يرسم الصّورة الحقيقيّة لما تقوم بـــه تلـــك الأمّة من مشاركة في الحضارة الإنسانيّة، وباعتبار الثّقافة هي التّنميـــة التّراكميّـــة للأجيال وخاضعة لعمليات الطّفرة، وبين التّراكم والطّفرة تتحرّك الثّقافـــة فيحصـــل الإبداع والإنسان محرّك كلّ ذلك باعتباره مثقّفاً "الإنسان مخلوق ثقافيّ، وثقافة كـــلّ شعب هي التي تُحدّد شخصيته وتُثبت هُويتَه؛ لأنّ الثّقافة بدورها من صُنْع المجتمع ومن خَلقه، إنّ هذا التّلازم بين الثّقافـــة والمجتمـــع يجعـــل منهـــا حقيقـــةً واحـــدةً متكاملة[1]". إذاً كان على المثقّفين العرب الالتزام بأبعاد مجتمعـــاتهم عـــن طريـــق التّفعيل ضمن المثاقفة ومواجهة الثّقافات، ويكونون في موقع النّديّة كي لا يحصـــل ضيمُ الثّقافات الأجنبيّة على ثقافتنا؛ ولهذا نروم منهم أن يضعوا الثّقافـــة الوطنيـــة والحضارة في خانة واحدة، ويعملوا على سدّ الفجوات المُخلّة بسوء أداة التّرجمة أو المثاقفة. وكان على مثقّفينا أن يكونوا مُلتزمين بسدّ الفراغ الثّقافيّ والخواء الفكريّ، واستيعاب عناصر الهُويّة الثّقافيّة، والدعوة إلى صيانتها وتعزيزها وهـــي ليســـت دعوة إلى الانعزال أو الانكماش بقدر ما هي الوقوف في موقع النّديّة.

ومرّة أخرى نقول: إنّه –لسوء الحظّ– أنّ بعض المثقّفين العـــرب تَخَلَّـــوْا عـــن الإبداع النّقديّ الذي يحمل مرجعيّات الإصلاح، كما تَخَلَّوْا عن دورهم فـــي خِضَـــم التحوّلات المُعاصرة، وأصبحوا لا يبذلون جهداً تجاه مصالح الآخـــرين؛ فـــانكفؤوا على أنفسهم، فلم يُصبحوا أولئك المثقّفين الذين يُشكّلون امتداداً للمثقّفـــين النّقـــديّين؛ والذين كانوا يلعبون دورهم في كشف الممارسات السّلبية، بل نجد الآن الصّحافيّين أكثر جُرأة من أولئك المثقّفين النخبة الذين يتفرّجون وينتظرون الفرصـــة المتاحـــة للظهور والتي لا تأتي دون حَراك. أين الثورة على النّفس ومراجعة الـــذّات أيّهـــا المثقّف؟ أين الهزّة الفكريّة أيتّها النّخبة؟ أين المثقّف المبدع الذي يُحـــسّ بالمشـــكلة ويمتلك آليات تحليلية للتجديد والتقدّم وصياغة القيم وحلّ المعضـــلات؟ إنّ بعـــض

---

[1] ــ محمد صالح الجابري "قراءات في واقع الثّقافة العربيّة" المجلة العربيّة للثّقافة. تونس: 1998 المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، العدد 11، ص 101.

الفئات من المثقّفين العرب بَقَوْا في منفاهم اللّغويّ بعيدين عن الـدمج أو الاخـتلاط بسبب عامل اللّغة، وهذه الفئة في الحقيقة يصعب أن تُعبّر عن تطلّعـات المجتمـع بلغة المستعمر السّابق؛ لأنّ التّعبير باللّغة الأجنبيّة يجعلها في شـبه قطيعـة مـع المجتمع المحلّي، وفي عزلة أو عدم قدرة على الإبلاغ والتّواصل معه، بل كثيراً ما تكون قيمها وتوجّهاتها الثّقافيّة مرتبطةً أكثر بالغرب منها بـالأمور الوطنيّـة. وإنّ الهُوية الثقافيّة لكلّ أمّة تقتضي عدداً من العناصر منها:

ــ "وجود تراث روحيّ – ماديّ يشعر كلّ فرد أنّه جزء منه، وأنّه مكوّن له في الوقت نفسه؛

ــ انتماء إلى ثقافة معيّنة يشعر كلّ فرد بالوجود ضمن إطارها وبالتوحّد معهـا وبالمشاركة فيها وبالحريّة ضمن أجوائها؛

ــ وجود شخصيّة اجتماعيّة محدّدة تربط أفراد الأمّة بعضهم مع بعض في لغة واحدة، وعادات وتقاليد متشابهة، وخصائص في العمـل، والتّـذوّق فـي الإبـداع الفكريّ والفنّيّ متماثلة، ومنظومة القيم الروحيّة والأخلاقيّة والجماليّة واحدة.

بهذا كانت ثقافة الأمّة العربيّة قوام شخصيتها والمعبّر الأصيل عـن تطلّعاتهـا والدّعامة الحقيقيّة لوحدتها الشّاملة وكان الحفاظ على تراثها وانتقاله بـين الأجيـال وتحديده هو ضمانة تماسكها ونهوضها بدورها الإبداعيّ المتجدّد[1]". ويمكن التّعليق على هذا بالقول: إنّه لا يمكن أن تحصل الهويّة الوطنيّة في ظلّ الاختـراق الـذي نعيشه على كثير من الصّعد، كما لا يمكن أن تحصل الطفرة المنشودة فـي إطـار البيات الذي نعيشه بفضل عمليّات التّواكل التي أُتْخِمنا بها في إطار المكتوب الـذي نحتجّ به في كلّ عمليات الفشل: **فشل** في بناء منهجية خاصّة، **فشل** في التّنمية فشل في التّعريب، **فشل** في القضاء على الأمية، **فشل** في الإصلاحات التّربويّـة، فـإلى

[1] ــ المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم "الثّقافة مستودع الهُويّة والأصالة" مجلة المنظّمة. تونس: 1990، عدد: الخطّة الشّاملة للثّقافة العربيّة، ص 50ــ51.

أين المصير؟ ومن هنا فما نصيب المثقّف في هذا **الفشل**؟ لا يمكن أن نُخرج المُثقّف من تحمّل بعض من هذا **الفشل**، أو من تلك الإعاقات المحقّقة، بل إنّه شريك في كثير من العمليّات؛ لأنّه لم يعمل على اقتراح ما يراه من حلول، فأصبح وجهاً من وجوه **الفشل**؛ لأنّ النّخبة السّاكتة نخبة لا فائدة منها، بل هي شريكة في صنع **الفشل**.

قد يُعذر المثقّفون الذين تمسّهم هذه الأمور، وهم يعيشون عالمًا غير العالم المرئيّ وفي لغة الآخر، بل يحاولون أن يُرسوا قواعد النّهضة المفترضة؛ لكن يصعب أن تجد أفكارُهم أعشاشَها، وقد نعذرهم من جهّة بسبب أنّ "... الحاكم مُستبدّ، والمُؤسّسات مُنعدمة، والرعيّة مُضطهدة، والدستور مُعطّل والمواطن جاهل ومغلوب على أمره؛ يكابد العناء والانتكاس[1]". ومع هذا لا نعذرهم من جهّة أخرى أنّ المثقّف مبدع وله رسالة ودور، ألا ينظر إليه المجتمع على أنّه صاحب المبادرات في اقتراح الخطط الثّقافيّة؟ أليس من مهامه أن يعمل على جمع مكوّنات الثّقافة بعناصرها في مجال التّنميّة، أليس له أدوار في إشاعة الوعي بثقافته لدى النّاشئة والمجتمع؟ ألا يُنظر إليه على أنّه يعمل على العناية باللّغة العربيّة ألم يحن الوقت أن يهتمّ بذوقه وفنّه في الرّفع من قيمة الإبداع في كلّ المجالات دون أن ننسى دوره في مجابهة التّحدّي الثقافي بوصفات مُهدّئة ومتجانسة مع التّحدّي المُواجه...؟

نعم لا ننكر أنّه لدينا مثقّفون، ولكنّ الكثير منهم لا يحملون مشاريع القوم فهم زهقوا من تلك الحالات التي تضع المتعلّمَ في المرتبة التي يديرها غير الأكاديمي؛ وهذا الأخير يتضامن مع المسؤول؛ فلا تُفتح له الأبواب؛ فَزَهَد المثقّفون وهم يعلمون عُمق المأساة ويَعون كيفية الخروج أو التصدّي لعواملها؛ إلاّ أنّهم يرفضون أن يرفعوا وثيقة لمن لا يعترف بهم. هي مفارقة كبيرة تجعل المثقّف غير جاهز

---

[1] ـــ نور الدّين الصّغير "القوميّة والحداثة في المجتمع العربيّ زمن الإصلاحيّة الأول XIX ومطلع ق XX، مجلة التّنوير. تونس: 1993، المعهد الأعلى لأصول الدين بجامعة الزّيتونة العدد 1، ص 71.

للرّمي في حقل مشبوه، وفي مكان سُحبَ منه البساط، وسُرق منه الأمــن، وهــو يلاحظ بعض التّناقض في ضوء التّصوّر بإرساء دولة القانون والاعتراف بحقــوق الإنسان، وإنشاء المؤسّسات والشرعيّة المعاصرة للثّقافة من جهّة، ومن جهّة أخرى يجد العثرات لا تزال، وإرادة الإصلاح غائبة؛ وهذا يعني أنّه وُجدت هياكــل دون روح، وُجدت قوانين دون تطبيق. وأما الحديث عن الثقافة التي وُضعت في الثّلاجة فهو مؤجّل إلى أجل لا يأتي، إن لم يتحسّس المسؤول مسدّسه عند فتح ملف الثّقافة بلهَ الحديثَ عن الممارسة اللادّيمقراطيّة، فهذا هو المُعوّق المــاديّ الــذي يجعــل المثقّف ينكمش على نفسه ويقول: أنا ونفسي/ أنا وبعدي الطوفان، المطار والهجرة دون تذكرة العودة. فلا أجانب الصّواب إذا قلــتُ: إنّ النّخــب العربيّــة (المثقّفــة) مُترهّلة تواكليّة وعاجزة عن اقتراح استراتيجيات وطنية وغير قادرة على الوقوف في وجه التحدّيات العاتية، وتكره الإزعــاج، وتنشــد السّــهل ولا تشــحذ وعيهــا الاستراتيجيّ بمفاهيم وأساليب وآليات جديدة للتّعامل مع الأزمات ومــع التحــوّلات المتسارعة، كما أنّها لا تنشد مُثاقفة مُتكافئة، فترى في التّوقع خيراً، وفي السّكوت معيشة وأمناً، فلا داعي لوجع الرّأس.

4ــ المُثقّف والمُواطنة: ما أحوجَنا في هذا الوقت إلى مثقّف مُــواطِن، بمعنــى مثقّف يقدّس المواطنة في صورتها المثاليّة، من حيث هــي الــوعي بالمســؤوليّة الأخلاقيّة والأدبيّة تجاه تأدية الواجبات قبل المطالبة بالحقوق فــالمثقّف فــي هــذا المجال مثله مثل المعلّم الذي يحمل خطاباً ديداكتيكياً ويسهر على تبليغه بما أُوتــيَ من حكمة وحِنكة وسهولة وبأيسر الطّرائق، وكذا المثقّف النبيه، فهو يتلمّس الحــدّ الأقصى المشترك من المحافظة على الثّوابت الوطنيّــة، وبخاصّــة الشّــأن العــامّ ويعمل على الخروج من اليوميات السّطحيّة إلى عمق النّهوض، واستثمار العناصر الكليّة وفق نموذج اجتماعيّ حضاريّ؛ ينطلق من قيَمِه الإسلاميّة ويعيد بناء مستقبل حضاري بتنزيل تلك القيَم على الواقع، وكأنّه يحمل رسالةَ التّطوير التــي ترتقــي بسلوك **(الجماعة الأمّة)** إلى مستوى وقيَم الاجتهاد والجهاد والإخلاص. فــالمثقّف صاحب الشّأن العامّ يعمل على تبليغ رسالة المواطنة دون إهمال أو عدم اكتــراث

"عدم الاكتراث أو خلو الذّهن من كلّ شعور بروح المواطنة يؤدّي إلى إهمال كلّ إخلاص بل اهتمام بالشّأن العامّ وذلك لهيمنة المصالح الفردية على تفكير وسلوك الشّخص بحيث يغلب عليه منطق الأنانيّة وحبّ الذّات[1]". وإنّ هذا همّ من هموم النّهوض عند المثقّف المجتمعيّ الذي هو ارتفاع عن الواقع نحو موقع أعلى وآفاق أوسع أو عمل دائم لجعل الحياة لدى الآخرين عطاءً حاضراً، ضمن آليات التّحدّيات التي يعيشها المثقّف بدل أن ينكفئ على نفسه دون وعي أصالته بالذّات "الأصالة وعي بالذّات وحقيقتها الوجوديّة، وإدراك لحدودها الزّمانيّة والمكانيّة وتفاعل مع تحدّيات اللّحظة الرّاهنة وانطلاق منها لاكتشاف الماضيّ وتشوّف المستقبل"[2]. ولن يكون هذا بمتحقّق إلاّ بوجود مُثقّف مُشارك وفعّال يعي هُوّيتَه وأصالتَه دون أن يكون نسخة لغيره. ولكن هناك معطيات جعلت المثقّف العربيّ غائباً أو مُغيّباً وهو لم يلعب دوره، فهُمش وما عاد له كلام. وإذا ذكرنا الحقيقة فإنّ المثقّف العربيّ لم يشارك في صُنع القرار لم يع متطلّبات الجماهير، لم يُطوّر الحياةَ اليومية للمواطن البسيط، لم يشحذ الهمم...

عدَميات كثيرات، فأين المثقّف الذي يعمل على توليد ثقافة النّهضة وإحداث إصلاحات ثقافيّة واجتماعيّة وأين المثقّف المشروع، أو أين المثقّف الذي استلهم مشاريع الرّعيل الأوّل من النّهضويّين: الطهطاوي/ الكواكبي/ محمد عبده/ خير الدين التّونسي/ ابن باديس/ رشيد رضا/ مالك بن نبي/ مولود قاسم... وحاول أن يطرح ما استلهم من تلك المشاريع للمسؤول، أين المثقّف الذي يعي آليات النّجاح من الغرب الذي قدّم لنا منهاجاً حديثاً لقراءة تراثنا. فنريد مثقّفاً يحمل مشروعاً

---

[1] ــ محمد الإدريسيّ المشيشيّ "دعم المواطنة بتأهيل المواطن المسؤول في دولة الحقّ" مجلة الأكاديميّة. الرباط: 2006، مطبوعات الأكاديميّة الملكيّة المغربيّة، سلسلة (ندوات) عدد يتناول أعمال ندوة (الوطن والمواطنة وآفاق التّنمية البشريّة) ص 174.

[2] ــ لؤى صافيّ "المثقّف والنّهضة جدليّة الأصالة والنّهوض" مجلة الاجتهاد. بيروت: 2002 العددان: 52ــ53، ص 219

ويكون فاعلاً وسياسياً وينزل إلى حياة النّاس، ويتفاعل مع مشـــاكلهم ويشـــمّ مـــا يشمونه من غبار ويكون قائد مسيرة الإصلاحات والتّغييرات، ومَهمّته إحداث نقلـــة ثقافية تعيد للإنسان وعيه ومسؤولياته ويكون رجل أمّة يعمل على توليـــد مجتمـــع المدنية ذي النّزعة الإنسانيّة، ويرفض التّقوقع العقديّ، مثّقف يحمل فكـــر الحـــوار وفلسفة التّعايش مع الآخر.

وإنّه جاء الوقت الذي نقول فيه: إلى متى حضورنا غياب، وغيابنا ذهـــاب دون إياب؟ إلى متى نقرأ المستقبل بعيون الماضيّ؟ هل يلذّ لمثقفينا أن يَبْقَوا في أبراجهم متفرّجين على واقع مهترئ بالعدميات وإذا اشتدّ بهم الحالُ فإنّ حقـــائبهم جـــاهزةٌ للتّوجّه إلى بلاد الجنّ والملائكة، فهل هؤلاء من النّخبة الحاملة للشّأن العامّ؟ نحـــن في وقت لا نحتاج مثّقفاً سلبياً، فنريده مثّقفاً يحمل هاجس النّهضة؛ مثّقفـــاً يوظّـــف الوسائل المعاصرة ويستلهم أفكار التّجارب النّاجحة، وهذا هو فصل المقال الـــذي يحتاجه المثّقف للاتّصال وليكون ذلك حال إجراء نهضـــتنا علـــى واقعنـــا ولـــردم مُعوّقات التخلّف المتمثّلة في التّربيّة والاقتصـــاد والتّعلـــيم **وإدارة الشّـــأن العـــامّ** والمعتقد، فنعمل على الجمع بين شروط النّهضة الممثّلة في الجانب الرّوحيّ العقليّ والشّروط السّياسيّة الاجتماعيّة، وبين شروط حمل هـــاجس النّهـــوض المعاصـــر لتحقيق السّيادة "... وإذا كان العرب والمسلمون يريدون أن يكون لهم وزن دولـــيّ فعليهم أن يستمدّوا من منزلتهم في الإسلام ما يؤهّلهم بالمثال الذي يقدّمونه ليـــؤدّوا دوراً في تحرير العالم الإسلاميّ ممّا تردّى إليه من انحطاط روحيّ وماديّ، وتقديم مثال أعلى للإنسانيّة بجعلهم بحقّ شهداء على العالمين، ولا يكون ذلك إلاّ بتحقيـــق شروط النّهضة؛ وهما: **الوَحدة والقوّة؛** حيث إنّ الوجود الرّائد للحضارة العربيّـــة الإسلاميّة تحقّق عندما امتلكَ عبد المالك بن مـــروان رمـــزي السّـــيادة: التّعريـــب والعُملة[1]". وليست النّهضة عَصيّة علينا إذا اعتمدنا ثقافة أصيلة، ووقـــع الاتّكـــال

---

[1] ــ أبو يعرب المرزوقي "النّهضة المستحيلة: قراءة المستقبل بعيون الماضي" قراءة: رضوان زيادة، مجلة الاجتهاد. بيروت: 2002، العدد 54، ص 323 ــ 324.

على زمن الحاضر، وقياس الحاضر على الحاضر؛ قياس العــرب علـــى أورپـــا الحاليّة وتجاوزنا العثرات، وإيديولوجيا الإحباط والهزيمـــة التـــي انتشـــرت فـــي خطاباتنا، ووقع التّركيز على حيويّة عربيّة وعلى مبشّــرات النّهضـــة وتصـــوّرنا إمكانية النّهوض في جدلية نهوض العرب مع وجود الآخر. وإنّه ليضـــعنا الوقـــت الحاضر –نحن المثقّفين– تحت مسؤوليات بخصـــوص تحمّـــل تبعـــات الأزمـــات المعيشة وعدم فلاحنا في تقديم علاج لها، فلم نقدّم الوصفات الحضاريّة للخروج من الأزمات، كما لم نقدّم وصفات التّنمية الوطنيّة؛ فبقيت بلدانُنا متخلّفةً وتزداد تخلّفـــاً، ونشاهد ذلك في تقارير التّنمية البشريّة، فلم نقدّم مشاريع بناء المؤسّسات في الوقت الذي جاءت بعدنا دولٌ فبنت مؤسّساتها "فقد بنت دولُ شرقي آسيا منـــذ السّـــتينات مؤسّسات كان لها اليدّ الطولى في النّهوض الاقتصاديّ. وهي تختلف وتتشابه بـــين مؤسّسات التّخطيط وأخرى لتشجيع الاستثمارات، وثالثة للبحث والتّطوير ورابعـــة للتّمويل[1]" وهذه الدّول لم تغرق في البحث عن الحداثة بل اختارت هدفاً هو التقـــدّم والتقدّم يحصل بـــ: **الاقتصاد واللّغة والأصالة؛** فعملت على جمع أســـباب نجاحهـــا مجتمعة فحقّقت بذلك حداثة تستحقّ أن تُحتذى. دُولٌ حديثة بَنَـــتْ اقتصـــادَها عـــن طريق استيراد الأفكار والنّظريات، ونشدان الأمثل من الدول المتقدّمة، وصولاً إلى نظرية مُدمجة، لها طابع الخصوصية، فبزّت في ذلك دول قديمة فـــي الصّـــناعات بل إنّ هذه الدّول النّامية تفرّدت في صناعة النانوتكنولوجيّ. وأمـــا فـــي المجـــال اللّغويّ فلم تبحث مسألة الاستغناء عن لغتها بل لم تحاول التّفكير في دمـــج لغاتهـــا بلغات الغير أو كتابة حروفها بحروف غيرها فعملت على تطوير لغاتها بما اقتضته الأبحاث فأنتجت فيها وبها. كما أنّها حافظت على أخلاقها التّقليديّـــة فلـــم تُتَمْـــذِجْ مجتمعها بمقاييس لا يقبله المزاج ولا التّاريخ ولا الأصالة، فكان كـــلّ ذلـــك مـــن جوانية آسيوية؛ باعتماد النّسخ بتصرّف عن المتقدّمين. وبكلّ ذلـــك حصـــلت لهـــا

[1]ــ الفضل شلق "الدّولة السّياسيّة والدّولة الاقتصاديّة" مجلة الاجتهاد. بيروت: 2002، العددان: 55 ــ 56، ص 10.

طفرات في الّصناعات الدّقيقة، وفي بناء الأبراج وناطحات السّحاب، وبناء الحداثة في بلاد الماء والضباب والزّلازل.

5ـ المثقّف والإصلاح: إنّ الإصلاحَ ليس عَصاً سحريةً عاجلة، بل هو البداية الصحّية، والخطوة التّاريخيّة لفتح أبواب تُمهّد الطّريق لمسيرة التّصحيح والمُهمّ أن نبدأ في التّوجّه الصّحيح نحو هدف الإصلاح الشّامل دون تأخير وتسويف، فمسيرة الإصلاح هي الإصرار والصّبر والتّخطيط. والإصلاح أفضل من الثّورة والتّشوير فنرغب أن يكون هناك مشروع إصلاحيّ ناضج في هذه اللّحظة التّاريخيّة التي بدأنا نستعيد فيها مواطنتنا فالإصلاح مسؤوليّة وتضحية من الحكّام واستعداد للتّغيّير والتّطوّر والتّلاقي مع الشّعوب في منتصف الطّريق وكلّ تأجيل إصلاح هو موتٌ غير مُعلن؛ ويدخل في الرّداءة وفرض الأمر الواقع المرّ.

وإنّنا نملك من الحكمة والتّجربة ما يجعلنا بمنأى عن إعادة المغامرات الثّورية التي ما حصدنا منها إلاّ التّخلّف والتّبعية، وكان علينا في هذا المقام أن نأخذ بتجارب الغرب؛ وبخاصّة تجاربَ أوربا النّاجحة فنأخذ منهم ما يقبله عقلُنا ونترك ما يقبّحه عقلُنا، ففي الفكر الغربيّ ثروة نحن بحاجة إليها نستمدّ منها في مرحلة نهوضنا وضعفنا مصلحة وفائدة، ولا مانع أن نقتبس عنهم الأفكار وقيام المؤسّسات، وهذا غير مخالف لشرعنا ولا لعاداتنا، فالعمل على قيام المؤسّسات شيء جيّد، بل هي حدود لسلطة الحاكم أو هي الشّراكة بين الحاكم والمحكوم وفي ذات الوقت سلطة القانون. كما لا ننكر أنّ أوربا متقدّمة علينا، وإنّها لم تنهض إلاّ بفعل تلك التّأثيرات العميقة والجذريّة التي أدخلتها الثّورات الفكريّة لعصر التنوير فلذا من الضّرورة الاستفادة من الخبرة الغربيّة مع الحفاظ على مُقوّمات حضارتنا الروحية حتى نحصّن أصالتَنَا؛ لأنّ الأصالة إسمنتٌ قويٌ تضمن الاستمراريةَ والتميّزَ، ولا مانعَ أن نأخذ العلومَ بلغتهم فالحكمة ضالةُ المؤمن يأخذها من أية لغة تعلّمها، ودراسة العلوم الحديثة لازمة؛ لأنّ العلوم الدّنياويّة واجبة بغية العِمران والدّينيّة هامّة بغية الفضيلة. ولهذا يُعتبر التعليمُ الخطوةَ الأولى في عملية الإصلاح بل هو رهان التّحدّي، أو أساس في عمليات النّهوض ولا يكون التّعليم جيّداً إلاّ

بالتّجديد في المناهج وفي طرائق التبليغ وفي المضامين. وإنّ الإصلاح التّربويّ باب لإصلاح المجتمع، فهل نتّعظ بأنّ الدّول الآسيويّة تراهن لحدّ الآن على هذا القطاع لأنّه حسّاس ومنه تخرج إطارات التّسيّير فكيف الحالُ إذا بقي الوضع على ما هو عليه من الرّداءة. وإنّه لمن المُخزيّ أنّه بعد حصول الدّول العربيّة على استقلاها وبعد تلك الشّعارات المرفوعة خلال السّنين الطّويلة نشهد تراجعاً في كلّ الميادين، وعلى سبيل المثال في المجال الثّقافيّ فقد بقيَ انحسارُ المجلات العربيّة داخل مؤسّساتها المنتجة لها، ومن المؤسف أنّ الدّول العربيّة لا تدفع مادياً ومعنوياً للثّقافة إلاّ النّزر اليسير، في الوقت الذي نسرف في الدفع على كُرة قدم "إنّ العرب يدفعون بسخاء من أجل كرة قدم، ولا يدفعون شيئاً من أجل خلق مناخ ثقافيّ عربيّ جاد يصنع الوطن الحرّ والأمّة الحرّة والوعيّ المحرّر، ويجعل الرّابح الأول هو الثّقافة العربية والحضارة العربيّة على مرّ التّاريخ، تلك التي خلدتها وأبقتها في ذاكرة الأجيال والزّمن الكلمة أكثر ممّا خلَّدتها (الكُرة) التي ندفع لها ونندفع وراءها[1]". أليس من المؤسف أن تزداد الأمور سوءاً كلّ يوم؟ فتبدو لنا أساليب التّواصل ضعيفة أو مشلولة، وما نزال نسيّج الحدود ونشتري الأسلحة المتطوّرة لمحاربة عدو وهميّ، أو للتّعدّيّ على بعضنا البعض، ونستورد الثّقافاتِ ولا ننتجها ومن ينتجها منّا يعاني الويلات "فمنتج المادة الثّقافية يعاني من مناخ الإبداع والتّواصل والإفصاح؛ ذلك المناخ المسكون بالقلق والرّهق وانعدام الأمان والاطمئنان، فبين تخلّق الكلمة وبدء نبضها في الوجدان، وبين تحوّلها إلى كائن حيّ منطلق من شفة مبدعها أو قلمه ينبتّ عدد من المخافر تتحكّم بمساراتها، فتصبح تلك المساراتُ عدماً، كما تتحكّم بحمولتها فتتفحصها تأثيراً وتفسيراً، وكلّ ذلك يتمّ في ضوء رصيد الخبرة ومعايير الوقت واحتمالات الأوان ويتأثّر بما أخذ ينصبّ

[1]ـ علي عقلة عرسان، دراسات في الثّقافة العربيّة. ليبيا: د ت، منشورات جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، ص 188.

من فخاخ التّرغيب والتّرهيب بفعل ميل الذّات وأنواع المؤسّسات[1]". وبهذا نرى الأزمات تزداد والحلول مُؤجّلة والمُثقّف مَشدوه، **فمن يُعلّق الجرس؟**

6ـ التخوّف على المثقّفين: بصراحة لقد بصُرنا بأنّ الأمّة العربية سوف تخرج من صمتها في القريب وتقول لمثقّفيها: لا بديل لكم إلاّ التخلّي عن الحِيَل السابقة التي حملتموها، وكنتم تظنّون أنّنا نصدّقكم، أوهمتمونا بالأفكار المسنودة برشقات من المعلومات الاقتصادية، وبحزمة من العلائق القائمة والمضمرّة ومصطلحات الحداثة وما بعد الحداثة، والأصالة والإسلاماوية والداعشية... وتوهمون أنفسكم بأنّكم تُبصرون وأنتم عُماة صُماة وحالكم يُرثى له، وتعاني الشعوب من تنظيركم، وسوء أدائكم، فلا تزالون تُراوحون في الماضوية، وتعيشون الحداثة دون مشاريع، وتُحيون المعاصرة في آليات القرن السادس للهجرة وتُمارسون الحضارة بوعي بداية عصر البخار. أليس هذا من المهازل، فأنتم لستم من الوعّاظ الذين تجتمع عليهم العامّة في السوق، ولستم من المشرّعين الذين يعملون على نشر منتوجهم في العمق، **فمن تكونون بربّكم، أفيدونا؟**

وإنّ الجماهير لتعلم بأنّ بعض النخبة المثقّفة التي تدّعي اليسارَ، ولم تخرج من فكر الإلغاء الممارس في سبعينيات القرن الماضي، وتوهِم نفسَها أنّها بلغت المُبتغى، فهي في الماضي وستبقى تنشد الماضي وأما التي تدّعي الأصالة؛ فهي تعمل على تمثّل عصر الخلفاء، فتقول ما لا تؤمن به، ولا تعمل به أبداً، فهي تعيش الأحلام وتُراهن على حصان خاسر. كلتا النخبتين المثقّفتين تعملان على إعداد مليشيا من الأتباع وتدرك تلك الميليشيات أنّ النخبة المثقّفة تكذب عليها ولهذا يذهب إعدادهم وتكوينهم وتجييشهم في صدى الرياح، كلام على كلام فماذا نحصد من كلّ ذلك؟ نحصد الأصفار وراء الأصفار.

---

[1] ــ علي عقلة عرسان، دراسات في الثّقافة العربيّة. ليبيا: د ت، منشورات جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، ص 177-178.

أيّها الذين يدَّعون النخبة المثقّفة، اخرجوا من الأوهـام، ومـن كـلام الكهانـة والعرّافة والنبوة، اتركوا الشباب مرتاح البال؛ ليفرج همّه بنفسه، لقد فشلتم، فلـيس لدينا وقت للثرثرة والأوهام على ما أدبرتم. لا تسحرونا بأفكاركم: الحداثـة وأنـتم لستُم حداثيين، وما بعد الحداثة، وأنتم ما تزالون تحلمون العيش في الحداثة. فكيـف تجاوزتموها إلى ما بعد الحداثة؟ ما أطرفَ كلامكم الزائف الذي لا يصنع المسمار! أيّتها النخب أنتم جلاميد العصر، فلا نريد أصناماً، لا تزرعوا فينا الهزال العلمـي ولا البسيكو الثقافي ولا العائق الذهني، دعونا نعمل على التغيّيـر **لا نحتـاج إلـى النخبة غير العضوية**، لا نريد نخبة تحلم بما لا يكون. يا من يدّعي النخبة المثقّفـة نحن مع الذين يؤثّرون ويتصدّرون ويقدّمون ما يعمل على إزالة قوى التخلّف. أيّتها النّخبة العربية لا تدوروا على أنفسكم فنحن بحاجة إلى نخبة حقيقية قـادرة علـى إحداث قطيعة معرفية تدفع المواطن العربي إلى التصالح مع ذاته ولغتـه وحياتـه وحضارته؛ نخبة مثقّفة واعية عضوية فاعلة لا تدفن رأسـها وتتـرك مؤخّرتهـا للمشاهدة، بل نخبة مُثقّفة رافعة رأسها، بَصيرة بحاضرها واعية بمستقبلها، مُقدّمـة مشاريعها، مُنجزة تصوّراتها.

أيّتها النخبة المثقّفة نريدكم أن تبقوا كما كنتم لممارسة البيات، فلا تخرجوا مـن هزالكم وابقوا على أحلامكم وابحثوا عن الأفكار التي شَرِدت منكم، وكـرّروا فـي تلك الأفكار التي تأتي من خارج المكان كي لا تنال الموقع والمكان، ولا تبنـي إلاّ العلاقات الهشّة الزائلة، ولا تعلم عن أيّ تنظير مقصود. أيّتها النخبة انشدوا أفكـار الماضي السحيق التي تصنع لكم الشعب حسب الطلب، وابحثوا عن دولة مُستوردة لا تحمل الأدوات المنهجية الجديدة والتي تخلو من المفاهيم الإجرائية المفتاحية فـي حلّ المشكلات الاجتماعية. أيّتها النخبة ابحثوا دائماً عن الأفكار التي لا تجد موقعاً في المنهج النقدي العقلاني المؤطّر للثورات العربية، واجتهدوا في العمل على عدم سدّ الفجوات، وتجزئة المُجزّأ. أيّتها النخبة لا تعملوا على ملامسة الواقع الاجتماعي عيشوا في الأعالي وانقطعوا عن الشأن العامّ، واعزِفـوا عـن تقـديم الوصـفات العلاجية للواقع وابقوا مُتعجّبين ومُبالغين في الخطاب حول الظـواهر المعاصـرة

من: إسلاموفوبيا/ تطرّفية/ بربرية/ جهوية/ فرعونية/ عبرانية/ زيدية/ وهابية/ قبطية/ داعشية... أيّتها النخبة ابقوا في تزيّين الواقع لصاحب القرار ودلّوه على موطن الهدم، وساعدوه في التخطيط للعودة إلى الصفر... أيّها المثقّفون النخبة أخاف عليكم أن تقول الشعوب لكم: **لا نريد المثقّفين؛ لأنّ مثقفينا واهمون راكعون يحلمون بالمطار، وعيونهم بغير منظار، فلا هم أصحاء ولا هم أقوياء فأين يُصنّفون أيّها الأصغياء؟**

ــ **خاتمة:** ومع كلّ هذه الصّعوبات والنّقائص، فإنّني لا أطلب من المثقّف النخبة أن يحمل خاتم النبوّة، أو ينفي الوصيّة، ولا أرغمه أن يأخذ بمقولة زولا (Zola) (**إنّي أتّهم**) فخياراته عديدة، وليست محدودة إذا كان مُحافظاً على الجدّة والقيمة والموضوعيّة، لأنّ المثقّف مُبدع، والمُبدع قادر على الذّهاب بعيداً في التّجديد وفي التّقدّم وفي حلّ المشكلات. فنريد مثقّفاً يصوغ الرُّؤى الجديدةَ، ويعمل على إشعاعها وتطبيقها في الواقع نريد مثقّفاً نقدياً يملك آليات الكاتب النّزيه. فما أحوجّنا إلى مُثقّف يُعالج قضية تشويه واقعنا! مُثقّف لا يستهتر بكلّ ما هو عربيّ وبالتّاريخ العربيّ مثقّف يحمل أسلوب الخطاب الثّقافيّ المتّصل بالحياة اليوميّة مثقّف يتحدّى للنّجاح، مثقّف يعمل على إحداث نقلة نوعية في الأداء الثّقافيّ. فلا يُطلب من المثقّف أن يكون ضحيةَ المواجهات الجسديّة ولكنّه بكلمة يستطيع أن يكون ضدّ تيارات الغزو والمحْو والإلحاق وفرْض التّبعية، مُثقّف يخرج من إطار المركزية الغربية المُتعصبّة والتي تفرض نفسها البديل والنّموذج المُحتذى. كما لا نقول إنّ الثّقافة العربيّة تكتمل بنفسها؛ فهذا مُحال، فهي تكتمل بغيرها من الثّقافات التي عاصرتها؛ فتأخذ منها وتعطي لها، فالمثقّف العربيّ يجد نفسَه لا محالةَ مع مثاقفة غربية وآسيوية؛ وعليه أن يستفيدَ منها، فالعالم هذا عالم الثّقافة والتِّقانة والأخذ والعطاء ومُجتمع المعرفة الذي يقوم على التفتّح والتبادل فماذا يُقدّم المثقّفُ العربيُ من عطاء، وماذا يفتح من آفاق، وهل يخرج من ثقافة الخرافة وقياس الحاضر على الماضيّ، والتّحدّي الخطير سيرتبط باللّغة العربيّة ومدى تواجدها في الشّابكة وفي سوق الاستعمال، فكيف تصمد وتعيش في لقاء المزاحمة، وما مدى

استعداد المثقّفين العرب لممارسة التّبادل اللّغويّ من موقــع التــأثير والأثّــر دون الذّوبان فهل ينهزم المثقّف العربي، أم يُقاوم ويُسجّل حضوراً ثقافياً وعلمياً مُتطوّراً فاعلاً ومشرقاً وما مَوقف المُثقّف العربيّ الأخلاقيّ والإنسانيّ مــن قضــايا أمّتــه ومواطنيه وقضايا الإنسان، وهل يبقى المثقّف العربيّ في تلك الغوغائية التي ألبستنا الهزيمة، فهل يخرج من خطاب المنافحات، ولغة الكتابة من الطّابق الأخيــر فــي أفخم فنادق الخمسة (5) نجوم؟ وهل ينظر المثقّف العربيّ إلى رِجْله أين يضــعها؟ ليرى تلك الحُفَر التي يسير فوقها، بدلَ أن يعلّق بصرَه في عــالم افتراضــي لعــدّ الأوهام وكيف للمثقّف العربيّ مُعالجة الثّقافات القطريّة التي تتجلّى بأشكال مُختلفــة بالتّمام، والخروج من سوق الكلام ومن سلعة لا تُباع؛ حتى في محال الأتباع؟

شيخ اللّسانيّات
المغفور له عبد الرّحمن الحاج صالح

ـ **كلمة وفاء:** يقــول تعــالى ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ نعظّم الأجر لأنفسنا وللجزائر التـــي فقدت قامة سامقة في ميدان اللّسانيات، وهذا التعظيم لا يعني أن يكون لنـــا موقــفٌ من ردّ القضاء وإنّما نقول: هذا ممّا كتبه الله على البشر، فلا خلودَ في هذه الــدنيا ولا رادّ لقضائه، وكما يقول الشاعر:

وإذا خشيتَ مـــن الأمــورِ مُقــدّراً   وفـــرَرتَ منــــه فنَحـــوَهُ تتوجّـــهُ

وانطلاقاً من قول رسول الله ﷺ "اذكروا محاسن موتاكم" فكلمة وفاء أقولها فـــي حقّ شيخي الذي لولاه لما كنتُ في العلم ما كنتُ عليه، وهو من بين المسهمين في أن تعلّمت وأخذت عنه، ومما أخذت أعطي منه، وكما يُقال: الوعد وجه والإنجــاز محاسنة والوعد سحابة والإنجاز مطره. هي رشفات من تلك الينابيع التـــي نهلــتُ منها، وهي نظرات في المؤلّفات التي صنّفها، فلقد عثرت في أعماله على فجّ مـــن فجاج البحر وعلى عرصة من العرصات المليئة بالجواهر، وقد أفادتني في حيـــاتي المهنية. ويبقى الوفاء لشخص أستاذنا كما كان حياً ويتواصل وهو من الرموس مع أعماله وطلابه وأبحاثه ومنجزاته. أستاذنا من العقول الراقية التي تتكلّم في الأفكار وفي بناء المشاريع ويبتعد في الكلام عن الأحداث، فهو الذي ينصح ويقول: أنزلوا الناس منازلهم وابتغوا للنفوس مقاماتها، واهتموا بالأبدان، وابتغوا لها الطرائف فإنّ النفوس ملال، والآذان مجابة، وفي السكوت والانتقال تطييب وتنشيط، وابتغوا لهـــا الحكمة في التعليم؛ فإنّ تدمير الأمّة يكمن في تخفيض التعليم، ولن تقوى الأمّة دون أن تتعلّم ولا تتعلّم دون أن تخطئ ولن تنجح دون أن تفشل، وســـيروا علـــى قـــدر

علمائكم، ولا تكونوا مع الذين يقولون: سيروا على قدر الضعاف فالزمن لا ينتظر وإنّ عدم معالجة أوضاع التحسين يؤدّي إلى التدجين.

ــ **الحاج صالح واللّسانيات:** إنّه شيخ اللّسانيات؛ فهو الذي فتح هذا المجال أواخر الستينيات، ويومها لم يظهر هذا العلم في صورته المعاصرة، وكان الباحث يلقي دروسه في هذا العلم الجديد ويربطه بالبحث في فقه اللغة، وكان يسميه آنذاك (علم اللسان) باعتبارها يعالج الظواهر اللسانية من عدة جوانب، وأهمّها الرياضيات والمنطق الرياضي في قسمة التراكيب الخاصّة Combinatoire. وبالحقّ كان الأستاذ المؤسّس لهذا العلم الذي نظر إليه من خلال علم المعلوميات؛ حيث تحدّث آنذاك عن العمل الجادّ لتقليص الفجوة الرقمية بعاملين:

1ــ تعميم استعمال الحاسوب/ الكپتار.

2ــ انتقاء المتميّزين من التلاميذ ويخصّص لهم تكوين عالٍ في الحاسوبيات، ثمّ العمل على تعميم العمل بالحواسيب لتحصل النقلة المطلوبة.

وفي هذا المجال، فقد طُرح عليه سؤال "ما هي السبل الكفيلة في نظركم بإنجاح مشروع الإصلاح اللغوي العربي؛ نقصد تحديداً أهمّ القضايا التي يجب أن ترتكز عليها البحوث اللسانية العربية إن أرادت مسايرة الركب والانتقال من مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج؟ فأجاب: "سبق أن قلت هنا أنّه يجب أن لا نعطي للسانيات أكثر ممّا تستحقّه من الأهمية، فلماذا نريد أن يكون دورها أهمّ من أخواتها في العلوم الإنسانية، ثمّ قد تكون اللّسانيات الغربية عائقاً؛ ونعني النظريات الكثيرة والمتضاربة، وتصبح مثل المذاهب الدينية تبنى على الإيمان والاعتقاد أكثر ممّا تبنى على التجربة والاستدلال".

ــ **الحاج صالح والبحث العلمي:** لا يمكن الحديث عن الحاج صالح إلاّ وتجد له موقعاً ضمن البحث العلمي المضيف في إطاره المنيف، من حيث السمات التي يتّصف بها، وهي:

ــ الصرامة الأكاديمية والوقار العلمي؛

ــ المتابعة المستمرّة للوصول إلى النتائج المضمونة؛

ــ البحث في التراث العربي القديم؛

ــ البحث في الفكر اللغوي الغربي؛

ــ إجراء الدراسات التقابلية؛

ــ الوصول إلى نقد النظريات الغربية، وكشف بعض النقائص في بعضها من حيث خلوّ بعضها من المنطق الرياضي: ضعف منطق لغوي في البنوية + اقتصار الوظيفية على اللغة الفرنسية، وافتقارها إلى صفة الشمول؛

ــ استخلاص نظرية تراثية حديثة تراعي الخصائص الطبيعية للغات، وما يمكن أن يدخل في التكييف اللغوي حسب مقتضيات العلم المعاصر. وهي **النظرية الخليلية الحديثة.**

ــ الحاج صالح والنظرية الخليلية الحديثة: وهي نسبة إلى الشيخ الكبير (الخليل بن أحمد) مُنظّر العربية، وصاحب ثُلث اللغة، فهو الرياضي الأوّل الذي أعطى تشجيرات نحوية في صورة منطق اللغة حسب ما كان البدوي يتلاغى بهذه اللغة التي قامت في ذهنه أنماطها التجريدية. ويأتي أتباعه من مثل (سيبويه) لمواصلة درب بناء مسار المنطق الرياضي اللغوي، في مدرسة سمّاها مدرسة الخليل بن أحمد. والحاج صالح استخلص منها منهج نظرية قائمة بذاتها لما لها من صفات النظرية المبنية على القواعد المعتدّ بها في الدرس اللساني المعاصر وهي:

- الاتّساق والمنطق.
- الشمول.
- الامتداد في الزمان+ المكان.
- تكوين المريدين.
- قبول النظرية للتكيّف.

وأمام هذا، فلا مندوحة بأنّ الشمول للنظرية اللغوية يُعطي لها أبعادَ النظرية التي لا تموت، بل يكون لها صفة الديمومة، وخاصّة عندما يعمل المُريدون على

تطويرها وفْق المُستجدات، وتنال التطبيق في الواقع، وهذا ما هــو حاصــل فــي **النظرية الخليلة الحديثة**. وهو الذي يقول عن هذه النظرية بأنّها العــلاج التحليلــي للغة العربية ولكن يجب أن تنال النقد الذي يعمل على تحسينها "... فنريد أن يكون نقداً بناءً لكلّ ما ظهر إلى الآن من النظريــات ومشــروعاً –لا مــذهباً– أساســه الاختبار بكلّ الوسائل العلمية والاختبار عندنا هو أكثره تطبيق، فكلّما نجحت فكرة في التحليل بأن شملت عدداً كبيراً من الظواهر واقبل عليها المهندسون مــن أهــل العلاج الآلي للغة استبشرنا بها، فإن لم يكن هذا معمولاً بــه فــي جميــع البلــدان العربية، فهو على كلّ حال شيء منه عندنا في مدرستنا الخليليــة الحديثــة، وهــو يوجد أيضاً في البحث في جهات كثيرة من الوطن العربــي، والحمــد لله دون أن تكون الأفكار هي هي، فالذي أنتقده وأنفرُ منه هو التهجّم الشديد على نحاتنــا دون أن يجرى بحث دقيق في ذلك يدوم السنين كما أنفرُ من الاعتماد الكلي المطلق على مذهب واحد أو على نظرية واحدة، ونبذ سواها نبذاً مُطلقاً".

ويمكن التركيز على معالم هذه النظرية الخليلية الحديثة وفق دراستنا لهــا مــن حيث معالمها الكبيرة، وهي:

ـــ اللغة وضع واستعمال؛

ـــ مفهوم الباب؛

ـــ مفهوم المثال؛

ـــ مفهوم القياس؛

ـــ مفهوم الأصل والفرع؛

ـــ مفهوم الانفصال والابتداء؛

ـــ مفهوم اللفظة والعامل.

ـــ **عالمية الأستاذ الحاج صالح:** تكمن عالميةُ الأستاذ الحاج صالح في ما يلي:

– دراساته في الجامعة الفرنسية، ثمّ في الأزهر الشريف؛

ـــ تدريسه في المغرب، ومروره على مختلف المراحل التعليمية؛

-إتقانه الفرنسية والإنجليزية؛
ـ حصوله على جائزة الملك فيصل للغة العربية؛
- مشاركاته العالمية؛
- إشرافه على طلاب من سوريا، أمريكا، فرنسا؛
ـ إشرافه على مئات الطلاب من الطلبة الجزائريين في الماجستير والدكتوراه؛
- تنقّلاته العلمية في الداخل وفي الخارج؛
- عضويته في أربعة مجامع عربية؛
- مشاريعه العالمية التي تعدّت حدود الوطن؛
- ما تركه من تنظير عالمي.

ـ **الحاج صالح والمشاريع الكبرى:** إنّه صاحب المشاريع الكبرى، وأذكر معالمَها الكبرى:

1 ـ **حوسبة العربية:** وكان ينادي لهذا المشروع منذ 1969 باستخدام الحاسوب في صورته الكبيرة آنذاك وكان يعتمد على الجُذاذات في البداية واستطاع من خلال ذلك حصرَ القرآن الكريم، وحوسبة المدوّنة الأولى في التراث العربي بمسح العصر الجاهلي إلى نهاية عصر الفصاحة.

2 ـ **تحديث النظرية العربية:** وهذا بالربْط بين الأصالة والحداثة من خلال التأسيس للحوسبة والرقمنة، وهذا منذ أوائل السبعينيات.

3 ـ **جمْع الرصيد الوظيفي المغاربي:** بمعية (أحمد العايد) من تونس و(لخضر غزال) من المغرب، وأُنجز هذا العمل سنة 1979، وكان غرضه توحيد الألفاظ والمصطلحات التي يستعملها التلميذ في البلاد المغاربية؛ وصولاً إلى لغة مشتركة. وكان هذا العمل يدخل في إطار توحيد الجهود المغاربية لإحلال العربية المقام الأوّل في التعريب.

4 ـ **جمْع الرصيد اللغوي العربي:** وانتهى العمل منذ سنة 1984، وكان مسح هذا الرصيد على مستوى 16 دولة عربية، وغرضه الدفع بهذه المصطلحات إلى

وزارات التربية في الوطن العربي، وإدماجها في الكتاب المدرسي، بغية توحيد لغة التلميذ باعتبارها لغة القاعدة، فإذا توحّدت القوالب القاعدية يحصل الانسجام اللغوي بقواسم مشتركة. وكان هذا العمل القومي يدخل في مواصلة التعريب الذي كانت الأمّة العربية تستهدفه من خلال الدفع بمشاريع التعريب أن تبدأ من تهيئة المدرسة.

5 ـ الذخيرة اللغوية: وهو مشروع عربي كبير، غرضه جمع كلّ التراث العربي من مرحلة ظهور اللغة العربية في صوَرِها الأولى، من أرومة اللّغات الحامية السامية وكيف تطوّرت الألفاظ والمسكوكات والأمثال والحِكَم، وهذا على مستوى الاستعمال بالفعل في البداية؛ لأنّ اللغة **وضع ثمّ استعمال**. وهذا المشروع هو شابكة عربية غرضه أن ينتفع به كلّ باحث متقص علم حيث يُفيده سريعاً بكلّ ما يخطر على بال المستعمِل للغة العربية، ومهما كان مُستواه، بل يُجيبه الذكاء الصناعي عن كلّ ما يخطر في البال من أسئلة بخصوص العربية في كلّ حقولها. وهذا المشروع ليس من الهيّن؛ بل هو عمل قومي جبّار يحتاج إلى أرمادة من الوسائل والإمكانات المادية وإلى المناطيق المعاصرة التي تعمل على حوسبة التراث العربي الكبير والمتوزّع في كثير من اللغات.

إنّ الحديث عن هذا العالم الكبير، الحاج صالح، حديث عن الأفكار التي زرعها فينا، وعن تلك الطرائق العلمية التي كان يوصينا بها، وهو الذي يفصل بين العِلم كعِلم له أطره التي لا تسامح فيها، لأنّ العِلم له مُحدّداته الغائبة التي لا بدّ أن تتحقق عند الخاصّة من الباحثين، وعليه فإنّ المحددّات التي كان يوصينا بها هي:

ـ التحكّم في الأصالة في ظلّ الانفتاح على الحداثة: فمن تحكّم في المتن اللغوي القديم يسهل عليه التحكّم في الممارسة المعاصرة. وأما العكس فيصعب أن يحصل ذلك. وهذا ما كان يقوله بأنّ ما أخذه من جامعة Bordeaux/ بوردو لم يمكّنه التمكّن الجيّد إلاّ بعد أن درس بالأزهر، واستوعب آمالي الخليل؛ وبخاصة كتاب سيبويه، وخرج بنظرية سمّاها (النظرية الخليلية الحديثة).

ـ **الانتقال بالعربية من وضعها النحوي إلى وضعها الاستعمالي:** وهو ما كان العرب المؤسّسون يسمّوه الوجود بالقول يكون عن طريق الوجود بالفعل، وهو ما يجب أن يكون عليه (القول) إلى وضعه الفعلي (الاستعمال) في صورة تكاملية تدريجية، حيث اللغة وضع واستعمال؛ فإذا تعارضَ القانونُ اللغوي، يُلتجأ إلى الاستعمال؛ يعني المزج بين التمكين بالفعل، وصولاً إلى الاستعمال اللغوي العفوي الطبيعي بمراعاة المستويات اللغوية. ولكلّ لغة أكثر من مستوى. وشيخ اللّسانيات يجسّد ذلك في أنّ العربية لها مستويان يتقاربان في المواقف، وهما:

1– مستوى خطاب الانقباض؛ ويستعمل في الخطاب الرسمي، وعندما يرفع إلى من هو أعلى حيث يتشخص المتحدّث؛ بالرفع من خطابه باحترام حُرمة المقام والمتحدّث إليه.

2– مستوى خطاب الأُنس: وهو مستوى أدنى من المستوى الانقباض وهو يميل إلى الاختلاس والحَدْر، وهذا موجود لدى العرب في مرحلة التدوين واستعمل هذا الخطاب في القراءة الحَدْرية للقرآن الكريم. وهذا المستوى يحصل عندما يأتي الخطاب من أعلى إلى منْ هم أدنى. أو لمن هم في نفس المستوى

ـ مُرسِل ←――― مُتلَقٍ.

ـ مُتلَقٍ ←――― مُرسِل.

فالخطاب بصفة عامّة له هذان المستويان، وفيهما يحصل الإبداع البلاغي في توظيف نوع الخطاب والاختيار بين مُحسنات فنّون القول. وفي هذا المجال تعيشُ العربيةُ مجموعةً من المشكلات، ويمكن علاجُ هذه المشكلات باقتراح أفكار التحسين وهذا ما رآه عندما أجاب عن السؤال التالي: "ما هي الإشكالات التي يمكن أن تطرحها العربية بوصفها لغة الإنتاج الإبداعي والتواصل القطاعي المكتوب، لا لغة التداول اليومي؟ فقال: "سبق أن قلنا بأنّ لجميع لغات البشر مستويين من التعبير المُسترسِل والمنقبض، وقد يبتعدان كثيراً أحدهما عن الآخر بأسباب تاريخية (تأثير لغة على أخرى باختلاط الناطقين بها) فيكون ردّ الفعل لأصحابها غالباً بإقصاء

المستوى المُسترسِل عن التكوين والاستعمال الكتابي؛ وذلك بنفي صفة الإدراج من التعليم وإزالة صفة الاقتصاد الذي يتّصف به التخاطب اليومي، فتفقد بذلك لغة الثقافة بالنسبة إلى العربية عفويتها. وقد بدأ ذلك في أداء النصّ القرآني (وتقليد الأعراب في زمان الجاحظ والتشدّق الذي حاربه) فأصبح المُعلّمون يُبالغون في مدّ الحركات الإعرابية أكثر من اللازم في تلقينهم إياها لتلاميذهم. ولكي تقترب الفصحى من لغة التخاطب في عصرنا هذا يجب أن لا نكتفي بتفصيح الملحون العفوي؛ بل أن نعيد الاعتبار الاستعمالي للأداء الذي يستلزمه التخاطب العفوي صفاته العفوية كما وصفها العلماء الذين شافهوا فصحاء العرب. وهذا يحتاج إلى إقناع المسؤولين على التعليم، وعلى تعليم العربية في المدارس الآن ألاّ يقتصروا على تعليم المستوى المنقبض وحده في المدارس. فقد تمّ إهمال المستوى المُسترسِل من الفصحى منذ زمان بعيد؛ وهو لا يقلّ عن أهميّة عصر المشافهة الذي نحن فيه فالفصحى العفوية وهي عربية قد وصفها النحاةُ الأوّلون ويقرأ بها القرآن (ويسمّى بالحَدْر، ويقابله الترتيل) ويتّصف خاصّة باختلاس الحركات وكثرة الإدغام (بين آخر كلمة وبداية أخرى مثلاً) والتسكين حيثما جاز وقَصْر المدّ، وغير ذلك ممّا تمتاز به لغةُ المشافهة... وعلى هذا فسنقترح على الهيئة العليا المُشرفة على مشروع الذخيرة العربية مشروعاً فرعياً لتهيئة الظروف لإدماج المستوى المُسترسِل في تعليم العربية (إعداد كتاب خاصّ في الأداء بتمارين شفاهية) وإعداد كتاب خاصّ بالمعلّم في هذا الإطار، وإدخال ذلك قبل كلّ شيء في مدارس تكوين المُعلّمين والمُذيعين في الإذاعة والتلفزة".

ـ **التحكّم في اللغات الأجنبية:** باعتبارها نافذة على التقانات والعلوم ومختلف أنواع السلوكات اللغوية وكان يقول: "على الجيل الجديد أن يتفتح على اللغات المتقدّمة للإفادة من متنها، والعمل بها في تطوير العربية. فالمتحكّم في لغة واحدة عبارة عن أعرج هذا الزمان". ويشيد بأهمية التحكّم في اللغات الأجنبية بصورة تدريجية؛ بدءًا من المرحلة الثانوية إلى الجامعة التي يجب أن يحصل التمكين للغات الأجنبية حسب أقطابها ويجب أن لا تنقطع الجامعة عن توظيف نفعي للّغات

الأجنبية. وهو الذي يقول: "من الخطأ أن ندرّس كلّ المواد العلمية في مساقات البحوث الجامعية بلغة واحدة، بل أن تدرّس العلوم الأساسية باللغة الرسمية (العربية)ثم تكون هناك مادتان في كلّ سداسي تُدرّس بلغة القطب حيث العلمُ لا يتواجد في لغة واحدة، وكان على الجامعة خوضُ غمار هذه اللغات كي يحصلَ التحكّم فيها".

ــ **التعلّم الناجح:** يقول قدماء اللغويين العرب: اللغة وضع واستعمال، ويرى أستاذنا بأنّ اللغة يحفظها اللّغوي وأحياناً يحنّطها، والذي يطوّرها هو المُبدع والمستعمل العفوي فاللغة استعمال جماعة وفق نمط وراثي احتياطي، ووفق قواعد مبنية على عُرف استعمالي حازَ على الكثرة (التواتر) وتلك هي الفصاحة. ومن هنا يقول: "اللغة استعمال وعبّر عنها بــ (الحمام اللغوي)" فاللغة تُؤخَذ من الاستعمال وبخاصّة الاستعمالَ العفويَ وكان يقول: "إنّ عدم تحكّم الأجانب في اللغة العربية يعود إلى أنّهم لم يعيشوا حدَثَ الاستعمال العفوي" وكما كان يقول: "كان علينا إيجاد **حَمام لغوي مصطنع**، ووضع المتعلّم في هذا الحَمام؛ حتى يعيش أحداث اللغة بمختلف مقاماتها ولما ترسّخ فيه تلك الاستعمالات العفوية يستطيع وحده الانتقال من كلام الأُنس إلى كلام الانقباض، أو العكس ثم سيُراعي المتحدّث مختلف ما يُحيط بالخطاب من: مَقام–حال–مُتحدّث إليه–مُقتضيات الخطاب". ومع هذا لا ينكر ضعف المستوى العامّ لأداء مؤسّسات التعليم. وفي إجابة عن سؤال حول الموضوع يقول: "نجد اليوم شبه إجماع على ضعف العربية في مؤسّسات التعليم في مختلف الأسلاك، وهو وضع ينذر بالكارثة" وهذا ما يُلمس في الوقت المعاصر الدي تفرض فيه مُعطيات الاستعمال صُوَراً معكوسةً تماماً، ولا يرى هذا إلاّ الخطر في الوضع اللغوي إن لم يعالج في القريب. وطُرح عليه سؤالٌ حول تشخيص النظرية التي تقوم على حراسة ثغور العربية، فأجاب: "ما نلاحظه من ضعف المستوى في اللغة العربية لا تختصّ به العربية؛ بل هو يعمّ عندنا في الجزائر كلّ اللغات، وحتى المستوى العلمي. وقد يمتاز تعليم العربية بشيء من الضعف وهذا راجعٌ للمستوى الضعيف لا للمعلّم وحده؛ بل حتى الأُطر التي فوقه.

والمشكل يعمّ كلّ البلدان العربية بحسب ما رأيتُه وسمعتُه والله أعلم". ومن خـلال هذا الردّ نعلم ما كان يُرافع عنه في مختلف المحافل العلمية والتربوية الوطنية مـن ضرورة الاهتمام بالمدرسة، وهو ما جعلَ أولي الأمر يُسندون إليه أمـرَ إصـلاح المنظومة التربوية، بغرض الانتفاع من أفكاره.

ـ **الإبداعية اللغوية:** يقول اللغة في ذاتها تحمل التجديد، وهذا التجديد يأتي وفق مُقتضيات النحو ومِعيارية اللغة، فالإبداع يحصل من خلال ما يبدعه المستعمل للغة ضمن التواتر الجمعي، وهنا يلتقي مع (Noam Chomsky/ نعوم تشومسكي) فـي أنّ اللغةَ بحدودها الحَرْفية ضيّقة، ولكنّها لا تنتهي في استعمالات أساليبها، فهـي لا نهائية وهذا هو التميّيز بين لغة البشر التي يتغّير أسلوبها وثابتة في حروفها وكذلك يميل متنها النحوي إلى الثبات، ولكنّها تحمل صفة الإبداع، وبين لغـة الحيوانـات مثلاً فهي محدودة ولا إبداع فيها؛ فهي لغة غريزية. فالمتكلّم المثالي هو المُسـتعمل العفوي للغة؛ والذي يجعلها تتضخّم في مناويلها، وتسير دائماً إلى الإبداعيـة؛ دون التنازلِ عن نحوها العُرْفي الذي تحميه الجماعة الناطقة بتلك اللغة.

بوخلخال العظيم♥

في البداية كلّ الشكر والعرفان للذين فكّروا في إهداء هذا العمل لرجل العِلم فأَكبِرْ بهم! فهم من الكبار فلا يقوم بهذا الفِعل إلاّ صاحب الفضل والشأن فأنعِمْ بكم يا أصحاب الفضل! فأنتم تُحيون السُّنَنَ الحميدةَ التي لا نروم أن تموتَ؛ بقدر ما نريد أن تترسّخَ فينـــا قـــيمُ ردّ الأفضال لذويها، والعمل بمنظومة (أَنْزلوا الناس منازلهم).

وإنّي شاكرٌ لكلّ الذين اقترحوني لكتابة **هذا التقدير**، في أستاذٍ تركَ بصْماتٍ كثيراتٍ وله أفكار نيّرات وسَبْقٌ في كثير من المَهمّات، فأَنْعِمْ به من رجل عظيم! وأبْشِرْ به من أستاذ كريم! وإنّي ممنون لمن جعلني عضوَ هذا الكتاب الذهبي الذي توزّعـــت فقراتُـــه على إحدى عشرة (11) مقالة تجمع بين اللّغة والأدب والحداثة والنقد؛ وكلّها مقـــالات دُبّجت من أصحابها الأفذاذ، فهم في الساحة العلمية معروفون وفي الإبداع متميّـــزون فأقلامهم سيّالة، وأفكارهم سديدة، وبعملهم هذا ازداد الكتاب وزناً، وبأفكـــارهم ســـيكون عوْناً، ونأمل أن يتحقّق وزنه ذهباً، بل إن لم يكن زُمُرداً. وهكذا حقّ علينـــا أن نخلـــد بهذا الكتاب باحثاً أُحيل على التقاعد بعد خدمة الوطن لسنوات كثيرات.

سأحاول تحبير هذا التقدير في حقّ شيخنا العظيم، ابن سيرتا النوميدية عبـــد الله بوخلخال، الذي يستحقّ أن يكتب فيه أكثر من كتاب ذهبي، لما قـــدَّمَ للـــوطن مـــن خِدمات لا يمكن حصرها، وما أصعب أن تكتب **كلمة تقدير!** في شخص له أفضال عليك كثيرة ولكن ما أسهل أن تكتب! عندما تأتي الكلمات من القلب لتبلغ إلى القلب وهي كلمات أكتبها في حقّ أستاذي العظيم ابن جبل الوحش أ د عبد الله بوخلخـــال صانع الجيل ومربّي الأجيال.

ـــ **العرفان للعلماء والباحثين:** إنّ العرفانَ جوهرُ كلِّ فنّ رائع وعظيم، فمديونة الإنسان ليست فضيلة وإنّما السداد فضيلة. وتبدأ الفضيلة عندما يكـــرّس الإنســـان

♥ـــ كلمة تقدير في حقّ الأستاذ (عبد الله بوخلخال) في الكتاب الذهبي الذي طرّست مقدمته بهذه الكلمات.

نفسه بنشاط للعرفان بالجميل، وعرفان الجميل شيمة الأرواح النبيلـــة، وعلينـــا ألاّ ننسى أنّ أقصى درجات التقدير لا تتمثّل في نطق الكـــلام، وإنّمـــا فـــي تطبيقـــه والتطبيق في ممارسة التقدّم للأمام، وهي التي تشكّل خطوة في اتّجاه تحقيق أفضل مما نحن عليه حالياً. وهذا هو الأمر الجميل، بل هو العرفان بالجميل الـــذي يُنـــتج الشكر لمن أدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة وكان من المخلصين. وإنّ العرفان بالجميـــل يذهب النَّكرات، ويزيل الأحقاد، فهو صورة تضمحل فيها علامات احتقار العاملين وتُربّي كفاية الحاجة، وزرع المحبّة، وحصد الشكر. إنّ العرفان بالجميـــل عفـــاف وإجلال. فشكراً لكلّ الذين حضّروا وكتبوا هذا الإضبر الكبير فـــي حـــقّ الشـــيخ القدير. شكراً للمريدين لما قدّموه من أعمال في حقّ شيخهم وكذلك تُربّى المشيخة وتُبنى المَعْلَمة، وإنّ الثراء لا يُقاس بالمال وإنّما بالمُريدين.

سيدي رئيس جامعة الأمير عبد القادر، ليس هناك أجمل من الاعتراف بفضـــل شخص علينا والأفضل من هذا تكريمه أيّما تكريم؛ تكريم يليق بالمعلّم المضحي في سبيل عمله، تكريم المعلّم العظيم الذي قيل فيه:

قـــم للمعلّـــم وفّـــه التبجـــيلا كـــاد المعلّـــم أن يكـــون رســـولاً

ومن خلالكم نقوم بتوجيه رسالة معبّرة مليئة بكلمات شكر وتقدير، تُعبّـــر عـــن صدق المشاعر بداخلنا وامتنانِنا لما يقوم به المعلّم من أجلنا، وقد تكـــون موجّهـــة للزملاء أو للطلاب بضرورة غرس ثقافة الاهتمام بعلمائنا وباحثينا، وكان حقاً علينا –نحن المعلمين– التسابق في تدبيج عبارات الشكر لمن يستحقّها وكذلك تربّى ثقافة التفاضل والتراتب العلمي. بوسعنا أن نقول للناجح مُبارَك، وللعـــالم أنـــت البـــارع وللمنتج تستحق التشجيع، ولمن أحيل على التقاعد واصْلِ العطاء، فـــنحن بحاجـــة إليك. هكذا صفات النجاح تعرض على الجمهور، ولا يحصل فيها تثبـــيط العـــزائم هكذا نعمل على عقد الشكر للذي يستحقّه، وعهدي أنّ من بذل جهداً فحصد النجاح يحتاج إلى نصَب كبير ولمن ناله النصَب؛ علينا أن نرفع من عزمه ونشدّه، ونقـــول له واصِل وسوف تصل ونزرع فيه السعي المشكور بالعمل والأمل.

سيدي رئيس الجامعة: نعرف أنّ الأستاذ عبد الله بوخلخال قد أمضى شطراً كبيراً من حياته في تسيير هذه الجامعة العتيدة، وترك فيها بصْمات مديدةً، وهل لا يستحقّ الثناء؟ كلاًّ، إنّ فعلكم هذا لمن المنارات التي تهدي الآخرين؛ ليعملوا على احتذاء هذا المنوال. ومن خلال فعلكم هذا، أُزجي تهنئة شكر لكم؛ عرفاناً لما تقومون به من سدّ فراغات بعضنا في جلد ذواتنا دون تقدير أعمالنا، فمن حقّي كباحث أن أقول: إنّ سعيكم مشكور، وعملكم محمود.

ــ **كيف عرفتُ عبد الله بوخلخال؟** عرفتُ الأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال ذات صائفة/ جويلية 1988 في جامعة القاهرة، وكنتُ في زيارة علمية لشهر وقد حضرت مناقشة ماجستير لزميل (سالم سعدون) إشراف أ د سهير القلماوي والزميل (عبد الله لقديم) إشراف: محمود فهمي حجازي، ورأيت طالباً كثير الحركة يأمر ويتصرّف وينظّم وكان حريصاً على الطلبة الجزائريين، وسألت من يكون هذا؟ فقيل لي: إنّه الطالب عبد الله بوخلخال من جامعة قسنطينة، وهو يُحضّر أطروحة الدكتوراه بإشراف: أ د محمود فهمي حجازي. تعرّفت عليه، فأحاطني برعايته وسهُلت عليَّ عشرته، ولما عرفَ سبب مجيئي، طلب منّي حضور مناقشة الدكتوراه بعد أسبوع وتأسّف لأنّ الشهر لم يبقَ منه إلاّ ثلاثة أيام، ولم أحضُر المناقشة. هكذا كانت بداية معرفتي بهذا الشخص المحبوب والتي تواصلت في الجزائر في لقاءات علمية وفي مؤتمرات وفي مناقشات إلى غاية اقتراحه عضواً في لجنة الدكتوراه التي ناقشتها بجامعة مولود معمري سنة 1993. وعرفته فصيحاً ذكياً سريع البديهة، وكان يناقشني ويهدي لي العيوب بكلّ ابتساماته ويقول: سوف أدغدغك قليلاً لتعيدَ النظرَ في ما كنت تحمله من أفكار. وتواصلت الأيام وكنت زميله في مناقشات مشتركة؛ وبالخصوص مع طلابه في جامعة منتوري وهكذا إلى اليوم، فسنبقى تجمعنا المِحبرة حتى المَقبرة.

ــ **تقدير المكرّم:** يا أيّها الأستاذ، هي سنّة الاعتزال بعد النجومية، وكان عليّ قول الحقيقة بأنّكم وفّيتم وكفّيتم يا دكتور بوخلخال، وكنتم ولا تزالون تُعطون وأنتم دائماً تُعطون، ولو جُحدتم، فأنتم اليد العليا، واليد العليا أفضل من اليد السفلى، بقيتم واقفاً أيام المحن، وفي أوقات عصفت رياح الطلبة عليكم، وما رميتم المنشفة، وما قلتم (أنا وبعدي

الطوفان). سي عبد الله الأستاذ المِعطاء أينما حلّ وارتحل؛ فكان قـــادراً علـــى الإبـــداع والبقاء، وقد شهدت له الساحة اللّغوية بما له من أفكار، وبما تركه من بصـــمات وأرجـــو من ربّ الأرباب أن يفتح المغاليق من الأبواب، يتمكّن الأستاذ من مواصلة العمل.

أستاذنا الفاضل، لك منّا كلّ الثناء والتقدير، ونقول لكم صادقين، هي كلمـــات شـــكر بعدد قطرات المطر وألوان الزهر، وشذى العطر، على ما قدّمتموه من أجل الطـــلاب والبحث العلمي، ومن أجل الرقي بجامعاتنا. يقول المثل: "للنجاح أناس يقدّرون معنـــاه؛ وللإبداع أناس يحصدونه" لذا نقدّر جهودكم المضنية، فأنتم أهل للشكر والتقدير، فمهمـــا وقع إطراؤنا عليكم، فلا يساوي حجم عطائكم اللامحدود؛ فمنكم تعلّمنا أنّ للنجاح قيمـــةً ومعنى، ومنكم تعلّمنا كيف يكون التفاني والإخلاص في العمـــل، ومعكـــم آمنّـــا أن لا مستحيل في سبيل البحث لذا فرضتم أنفسكم لهذا التكريم.

الشيخ عبد الله، إنّ عشرتكم لا تُملّ، فأنتم الرجل الذي قال فيه الخليل: ضيف لا يملّ، فأنتم الغارس للأفكار الملهمة بالعطاء، ومن طلابكم تـــأتي هـــذه الأصـــداء فيقولون: منه تعلّمنا منهجية البحث، منه تعلّمنا فنون الدراية بالتسيير منه فقهنا فقـــه الواقع المتغيّر منه عرفنا فنّ المعاملة، منه عشقنا الحياة، منه عرفنا كيـــف نتغلّـــب على المشكلات... ألست من ينطبق عليه (يحترق من أجل الآخرين) ألم تُنـــر درب الطلاب، بعطائك وآمالك وتضحياتك؟ من أجل الوصول إلى الأسمى.

الأستاذ الفاضل والمفضال، الأستاذ المرح، وصاحب القلب الصـــافي والعطـــاء الوافي وهو عنوان إخلاصكم الكامل، فممّا لا شكّ فيه أن أولى الناس بهذا التبجيـــل والإجلال هو المعلّم لأنّ اسمه مشتق من العلم ومنتزع منه، فالمعلّم يصيد في بحر علمه على الأرض القاحلة، فتغدو خضراء يانعة، ولذلك يتحتّم علـــى كـــلّ طالـــب وطالبة النظر بعين الاحترام والإجـــلال والإكـــرام والتواضـــع للمعلّـــم (عبـــد الله بوخلخال) فتواضعك أيّها الأستاذ عزّ ورفعة لك.

ــ **بوخلخال المعلّم:** إنّ أشرف مهنة هي التعليم، ودور المعلّم دور هامّ وخطير فالرسول معلّم جاء يعلّمنا ويخرجنا من الظلمات. والمعلّـــم كـــذلك، فهـــو مصـــنع

القيادات وأطر المستقبليات، ومن خلال هذه المهنة التي أنتمي إليها أزجي لأستاذي العظيم (معلّم الجيل= عبد الله) عبارات الاحترام والتقدير في تلك المهنة الشريفة التي خطا بها خطواته الأولى في مدينة المصلحين، من مدرسة الكتانية إلى معهد عبد الحميد بن باديس، إلى مهنة التعليم في الابتدائية والمتوسطة والثانوية فالجامعة، هي مراحل تراتبية أُتيحت للأستاذ التعرّف على منظام التعليم في الجزائر، وأكسبته التجربة الواقعية والنجاح في التسيير. فأجمل به من معلّم ناجح! وهذا ما يؤكّد أهمية دور المعلم، فالمعلّم رسول لنقل العلم وتعليمه.

ومن خلال هذا التقدير أزفّ التحية العطرة للمُحتفى به في هذا الكتاب ولكلّ المعلّمين الذين يحترقون من أجل البقاء، وأبعث لأستاذي (عبد الله) كلمات تقدير وحبّ وأقول له: أنتم شمس أنرتم دروبنا، ولولاكم ما كتبت هذه السطور. فقد أجدتم عليَ إجادة السحابة على الأرض، فلكم منّي كلّ الثناء والتقدير، فقد أعطيتم وأجزلتم وسقيتم ورويتم بعلمكم. لكم هذا التكريم يا معالي الأستاذ الذي تجمّعت فيكم زين الخصال، وأنتم أهل لكلّ التكريم، فمهما قلنا فلن نفَيَكم حقّكم فعذراً عن تقصيرنا.

قد يقول قائل: قد أطلت المدح، وفي الحقيقة ليس مدحاً، بل هو حقّ لا بدّ أن يُقال بل أريد زرع فضيلة احترام المشيخة، فمن لا شيخ له، فالشيطان شيخه وبذا يمكن أن نقول: إنّنا عملنا على غرس ثقافة الشكر فمن لا يشكر الناسَ لا يشكر الله. سيدي عبد الله؛ سيظل احترامي لكم ساكناً في قلبي، مُمسكاً بكلّ مشاعري بروحكم المرحة، فلكم كلّ معاني المديح. وما أجمل العيش بين أناس احتضنوا العلم وعشقوا الحياة، وتغلّبوا على مصاعب العلم ! فمنكم أخذنا هذا الفنّ من فنون فقه الواقع.

ـ يقولون في عبد الله بوخلخال:

1 ـ أستاذ من الطراز الذي ترتاح إليه من أوّل وهلة. هو كذلك لأنّ روحه البشوشة هي التي تجلب المستمع، وترتاح إلى تلك النفس الأبية، من بلد قسنطينة المازيغية وموطن أوّل دولة مازيغية ماسينسية.

2 ــ أستاذ مقّل في التأليف: هو كذلك، ولكنّي أسأل أيّهما أكثر قوة، من ألّــف كتباً أو من ألّف رجالاً فعبد الله ألّف طلاباً في مختلف المستويات، ومثله مثل عبــد الحميد بن باديس الذي قيل له: لمَ لمْ تؤلّف الكثير من الكتب؟ فقال: ألّفتُ الكثير من الرجال. ونعلم أنّ عبد الله له كتابه اللّساني التحليل الصوتي للتغيّرات الصرفية عند النحاة العرب حتى نهاية القرن الثالث للهجرة. فهو يمثّل ذخيرة عليا مــن ذخــائر البحث اللّساني ألم يترك سيبويه كتاباً واحداً، ولم نستطع تجاوزه؟

3 ــ عبد الله مسيّر أكثر منه باحث: في هذا الأمر الكثير من المغالطات فــإنّ الأستاذ كان باحثاً ناجحاً ودرايته بالبحث هي التي أكسبته الدربة بالتسيير وقد جمع بين الحُسنيين، وهذا لا يكون في متناول الباحث أحياناً. فعبد الله ليس من ذلك النوع الذي إذا خرج من مخبره هلك مصالح الناس.

4ــ درايته بفنّ الواقع: صحيح بأنّ عبد الله من ذلك النوع بامتياز، فهو يعرف من أين تؤكل الكتف ويعرف لكلّ مقام مقاله، ولكلّ نجاح مصدره، وهذا هو ســرّ نجاحه. ويتمثّل لي في ذلك المؤمن التقي الحافظ للآيات يلهج بها ليل نهار بالشــكر فنال حبّ الناس جميعاً. ويا سعدك يا أستاذ ممّا أسداه عليك المولى، فغدوت ســعيداً فهنيئاً لكم ما نلتم. فلا أجد تلك العبارات التي تمس مكرماتكم؛ لأنّكم النخلة الشامخة التي تعطي بلا حدود، وجزاكم الله عنّا أفضل ما جزى العاملين المخلصين، وبارك الله لكم، وأسعدكم أينما حطّت بكم الرحال.

ــ خاتمة: جميل من الإنسان أن يكون شمعة ينيــر دربَ الحــائرين، ويأخــذ بأيديهم؛ ليقودهم إلى بِّر الأمان؛ متجاوزاً بهم أمواج الفشل والقصور. هي رســالة أبعثها لكلّ المسيّرين، وأقول: علينا ترسيخ مبدأ الشكر، وردّ الأفضال لذويها وليس أكثر توثيقاً من المناصحة، لنجعل منها درباً نسير فيها إلى الفلاح، ولنجعل أهــدافنا مشتركة في هذا المجال، ومن لا يَكرِم لا يُكَرَّم.